



الحياة
والسلامة

علي الحكيمي

محمد الحكيمي

محمد رضا الحكيمي

OLIN
BP
193
.5
H15
Jul 2 '3



AM 0004406 Code I-AR-85-930368 Vol 3

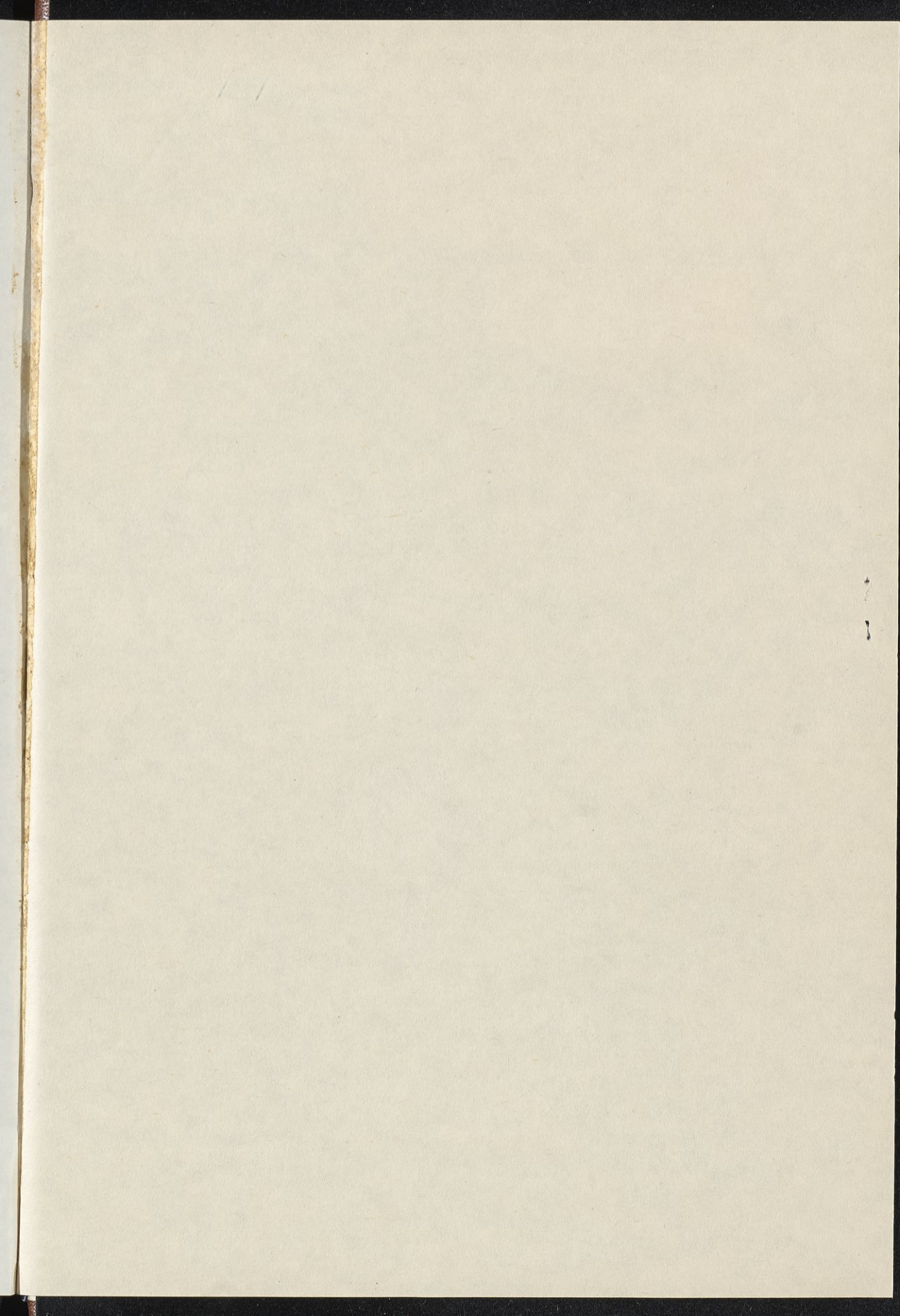
07 CORNELL UNIVERSITY LIBRARY

CORNELL UNIVERSITY LIBRARY



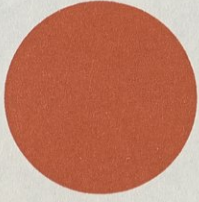
3 1924 059 367 882


دفتر نشر فرهنگ اسلامی



الحياة





الحياة

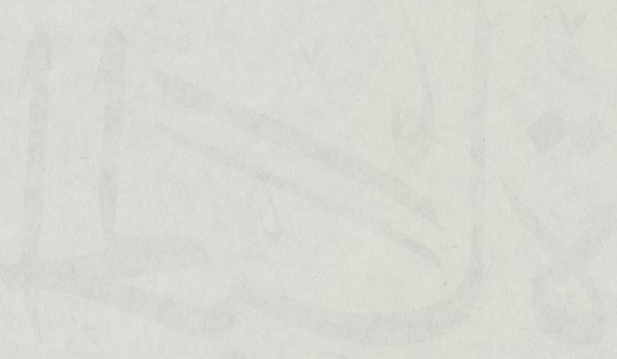
موسوعة، اسلامية، علمية، موضوعية،
تُخطِّطُ مَنَاهِجَ الحَيَاةِ الحُرَّةِ الصَّاعِدَةِ، للفردِ
والمجتمع، وتدعو الى دَعْمِ نظامِ إنسانيٍّ
صالح، في جميعِ آفاقِ الارضِ .

الجزء الثالث

علي الحكيمي

محمد الحكيمي

محمد رضا الحكيمي



* الحياة *

* محمد رضا الحكيمي، محمد الحكيمي، علي الحكيمي . *

* الجزء الثالث . *

* ١٠٠٠٠ نسخة . *

* الطبعة الاولى (١٤٠٨ هـ . ق - ١٣٦٧ هـ . ش) . *

* مكتب نشر الثقافة الاسلاميَّة (دفتر نشر فرهنگ اسلامي) - طهران *

* حقوق الطبع محفوظة للمؤلفين . *

الى

السيد موسى الزرّآبادي القزويني

(م-١٣٥٣ هـ.ق)

الميرزا مهدي الاصفهاني (الخراساني)

(م-١٣٦٥ هـ.ق)

الشيخ علي اكبر الهيان الرّامسري التنكابني

(م-١٣٨٠ هـ.ق)

الشيخ مجتبي القزويني الخراساني

(م-١٣٨٦ هـ.ق)

* رأينا من المناسب، أن نُقدِّم هذه الأجزاء الأربعة إلى أربعة من أكابر العلماء
القرآنيين، في القرن الرابع عشر الهجري، الذين جاهدوا وصبروا وثابروا على نشر
«التصوُّر القرآني» الخالص ودَعَمِهِ في النفوس . وكان لهم - مباشرين وغير مباشرين -
أكبر الأثر في إلفاتِ أنظارنا إلى طلبِ الهدايةِ والمعرفةِ والعلم من المنبعين الوحيدين
(الثَّقَلَيْنِ المنشودين)؛ فيبينهم وبين الكتابِ صلة ..
ونسألُ اللهَ تعالى، أن يجزيَ بالإحسانِ كلَّ مَنْ له حقُّ علينا، أو أحسنَ إلينا .. ولا
حولَ ولا قوَّةَ إلا بالله ..

الفهرست

١٩	تصدير
٥٣	الباب الحادي عشر: المدخل الى دراسة الاقتصاد الاسلامي (خطوط عامة)
٥٥	الفصل ١- المال في التصور الاسلامي (١)
٥٥	أ- المؤشر العام
٦٢	ب- المال مال الله تعالى
٦٧	ج- الاموال، ودائع وعوار
٦٨	د- الاموال، قوام وقيام (الموضع الالهي للمال)
٦٩	هـ- الاموال، انفاق وبذل
٧١	نظرة الى الفصل
٩٦	الفصل ٢- المال في التصور الاسلامي (٢)
٩٦	أ- الاموال، تصرفات محدودة
٩٨	ب- من بواعث بقاء المجتمع وفنائه
٩٨	١- بقاء المجتمع والمال (اذا كان عند من يعرف فيه الحق)
١٠٠	٢- فناء المجتمع والمال (اذا كان عند من لا يعرف فيه الحق)
١٠١	٣- هلاك المجتمع بايدي المستأثرين

- ١٠٢ ٤- هلاك المجتمع بايدي المترفين
- ١٠٣ ج- اكل اموال الناس بالباطل وشجبه
- ١٠٣ ١- الاكل بالباطل باسباب عامة
- ١٠٥ ٢- الاكل بالباطل باسباب خاصة
- ١٠٦ د- اموال اليتامى والتأكيد على صيانتها
- ١٠٧ هـ- لا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن
- ١٠٨ و- القيام لليتامى بالقسط
- ز- رفض السلطات المالية والاسترقاق الاقتصادي، الفردي والاجتماعي
- ١٠٩
- ١١١ ح- لا ضرر ولا ضرار
- ١١٤ تذييل : الدين واهمية ادائه
- ١١٦ نظرة الى الفصل
- ١٤٥ - تنبيه وايقاظ
- ١٥٧ - تنبيه هام : شجب الضرار السياسي في قواعده
- ١٥٨ الفصل ٣- المال في التصور الاسلامي (٣)
- ١٥٨ أ- حرمة المال والتأكيد عليها (الامن الاقتصادي)
- ١٦٠ ب- شجب كون المال دولة بين الاغنياء
- ١٦١ ج- التحذير من تسليط السفهاء وغير الملتزمين على الاموال
- ١٦١ د- الغايات الصالحة لطلب المال
- هـ- الردع عن ترك طلب المال والتأكيد على اهمية الكسب وصيانة المال
- ١٦٣ و- بعض آثار المال الايجابية :
- ١٦٤ ١- الآثار الفردية
- ١٦٦ ٢- الآثار الاجتماعية
- ز- بعض آثار المال السلبية :
- ١٦٧ ١- الآثار الفردية

- ١٦٨ ٢- الآثار الاجتماعية
- ١٦٩ ح- العمل والتأكيد عليه بوصفه منشأً للامتلاك
- ١٧٢ ط- حفظ الاموال العامة وبيت المال والتأكيد الحاسم عليه
- ١٧٣ ي- الاعتدال في طلب المال والحث عليه
- ١٧٥ تنبيه
- ١٧٥ يا- لايجتمع المال الكثير من حلال
- ١٧٦ احتياط
- ١٧٧ يب- التعريف بالمال
- تذييل هام (١): تحريف المال عن مواضعه وصرفه عن حقائقه ١٧٧
- ١٧٨ تذييل هام (٢): حرمة اموال المعاهدين
- ١٨٠ نظرة الى الفصل
- ١٨٢ - تذييل: الاحتياط في جمع الاموال واستهلاكها
- ١٨٦ - شرح لحديثين
- ١٩٤ - اشارات وتنبهات
- ٢٠٠ - استنتاج هام
- ٢٠٧ الفصل ٤- المؤشرات التوجيهية (١)
- أ- الامداد الالهي بالاموال (المنايع الطبيعية، المناجم، الزراعة،
٢٠٧ التجارة، الصناعة ..)
- ٢٠٩ ب- الحث على طلب البلغة والاكتفاء الذاتي
- ٢١١ ج- الاقتصاد في المعيشة والتأكيد الحاسم عليه
- ٢١٣ د- التقدير في المعيشة واهميته
- ٢١٤ هـ- حدود الاستهلاك
- ٢١٥ نظرة الى الفصل
- ٢١٩ - تنبيه هام
- ٢٢١ الفصل ٥- المؤشرات التوجيهية (٢)

- أ - دور المؤمن المادية في الحياة الروحية و في اداء الفرائض
- ٢٢١ واقامة الشعائر
- ٢٢٤ ١ - حياة الدين في الامة والمال
- ٢٢٥ ٢ - المال عون على طلب الآخرة
- ٢٢٥ ٣ - اللهم لا تفرق بيننا وبين الخبز
- ٢٢٥ ٤ - لاصلاة الا بالخبز
- ٢٢٦ ٥ - لاصوم الا بالخبز
- ٢٢٦ ٦ - لا اداء للفرائض الا بالخبز
- ٢٢٦ ٧ - رأس الحياة الخبز
- ٢٢٧ ٨ - بناء الجسد على الخبز
- ٢٢٧ ٩ - تعظيم الخبز واكرامه
- ٢٢٧ ١٠ - طعم الخبز
- ٢٢٨ ب - حق جسد كل انسان
- ٢٢٩ ج - حق جسد كل ذي رمق، انسان او حيوان
- ٢٢٩ د - دور المال في صيانة الاعراض
- ٢٣٠ نظرة الى الفصل
- ٢٣٦ - تنبيه
- ٢٤٣ - تذييب
- ٢٤٤ - تذييل
- ٢٤٦ - ايقاظ
- ٢٤٨ الفصل ٦ - العمل في التصور الاسلامي
- ٢٥٠ نظرة الى الفصل
- ٢٥١ الفصل ٧ - الطاغوت الاقتصادي والاقتصاد الطاغوتي
- تذييلان :
- ٢٧٢ ١ - تعميم الكفاح ضد الطاغوت سياسيا كان او اقتصاديا

- ٢- لزوم التعجيل في ازالة المظالم المالية (لا إمهال في التغيير) :
- ٢٧٣ أ- الاموال الشعبية
- ٢٧٤ ب- الاموال الفردية
- ٢٧٦ نظرة الى الفصل
- ٢٨٥ الفصل ٨- الاسلام والنظام التكاثري الاترافي، كفاح رجب (١)
- ضربات دامغة على هيكل النظام :
- ٢٨٦ أ- شجب التكاثر وطرده
- ٢٩٢ ب- التنديد بالاغنياء والمتكاثرين وبمزاوهم الفاسدة
- ٢٩٣ ج- الاغنياء وموقفهم من الامة
- ٢٩٥ تنبيه هام
- ٢٩٦ د- الاغنياء واكلهم للضعفاء والبائيسين
- ٢٩٧ هـ- الاغنياء والتجار فيجار الا المتقون
- ٢٩٨ و- هلع وتكالب، افتضاح وحسرة
- ٢٩٩ ز- سعي بائر
- ح- الاغنياء، مواصفات :
- ٣٠٠ ١- مستكبرون
- ٣٠٢ ٢- مناققون
- ٣٠٣ ٣- مفتونون
- ٣٠٤ ٤- مغرورون
- ٣٠٥ ٥- لاعبون لاهون
- ٣٠٦ ٦- طاغون
- ٧- ظالمون :
- ٣٠٨ أ- لانفسهم
- ٣٠٨ ب- للناس
- ٣٠٩ ٨- غاصبون
- ٣١٠ تنبيه

٣١٠	٩- سارقون
٣١١	١٠- مترفون
٣١٢	تنبيه
٣١٢	١١- مستدرجون
٣١٣	١٢- هالكون
٣١٥	١٣- اموات
٣١٦	١٤- فقراء
٣١٧	١٥- وارثوا الفراعنة وتابعوهم
٣١٨	١٦- واهنوا المعتقد في دينهم
٣٢٠	نظرة الى الفصل
٣٢٣	- تبين : من اساليب الاسلام للاطاحة بالنظام التكتاري
٣٣١	الفصل ٩- الاسلام والنظام التكتاري الاترافي، كفاح رجب (٢)
	- القضاء على الاكتناز
٣٣٣	نظرة الى الفصل
٣٣٦	الفصل ١٠- الاسلام والنظام التكتاري الاترافي، كفاح رجب (٣)
	- دعم القيم المثلى والمقاييس السامية وهدم القيم التكتارية و الاعراف الاترافية، مجابهة للتكاثر والادخار :
٣٣٦	أ- الغنى بالله تعالى لا بالمال
٢٣٧	ب- الغنى بما عند الله تعالى
٣٣٨	ج- الغنى بالقرآن
٣٣٩	د- الغنى بالتقوى واليقين
٣٤٠	هـ- الغنى بالعقل والعلم
٣٤١	و- الغنى بالقناعة
٣٤٢	ز- الغنى غنى النفس

الفهرست

- ح- اشرف الغنى ترك المنى ٣٤٣
ط- الغنى الاكبر ٣٤٤
ي- لا دور للمال في كيان الغنى الحقيقي ٣٤٤
تذييلات :

- ١- استكبار وردع ٣٤٥
٢- تحقير معيشة الاغنياء ٣٤٦
٣- لا تواضع للغني ٣٤٧
٤- لا فضل للثرياء ٣٤٧
٥- لا تفاضل بالاموال ٣٤٨
٦- شجب قيمة المال في المقياس النهائي ٣٤٨

تكميلات :

- ١- الالباء امام الاغنياء و اظهار الاستغناء عنهم ٣٤٨
٢- اللسان الصالح خير من المال ٣٤٩
٣- الغنى والفقير بعد العرض الاكبر ٣٤٩
٤- لا فقر اشد من الجهل ٣٥٠
٥- هدم بناء ٣٥٠

٣٥١

نظرة الى الفصل

- الفصل ١١- الاسلام والنظام التكاثري الاترافي، كفاح ربح (٤) ٣٦١
- تصوير الحياتين : التكاثرية والاسلامية :

- أ- ملامح من الحياة التكاثرية ٣٦١
ب- ملامح من الحياة الاسلامية ٣٦٤

تذييل : لا امان للاغنياء والمترفين :

- أ- على المستوى التكويني ٣٦٧
تنبيه ٣٦٧
ب- على المستوى التشريعي ٣٦٨

٣٧٠

نظرة الى الفصل

- ٣٧٦ - تذكير هام
- ٣٨١ - تنبيه هام
- ٣٨٣ الفصل ١٢ - الاسلام والنظام التكاثري الاترافي، كفاح رحب (٥)
- التضاد بين الحياتين : التكاثرية والاسلامية
- ٣٨٥ نظرة الى الفصل
- ٣٨٦ الفصل ١٣ - الاسلام والنظام التكاثري الاترافي، كفاح رحب (٦)
- التكاثر والاستغلال :
- ٣٨٦ أ- اتخاذ الناس سخريا
- ٣٨٧ ب- بخص الناس اشياءهم
- ٣٨٨ ج- الأكل والمأكل الاقتصاديان
- ٣٩٠ د- الاحتيال في البيع والشراء
- ٣٩٢ هـ- التطفيف في المكيال
- ٣٩٣ و- الاستفادة على حساب بيت المال
- ٣٩٤ ز- اغتصاب المواهب العامة
- ٣٩٥ ح- ظلم الاجراء والفلاحين
- ٣٩٦ وعي توحيدى هام
- ٣٩٦ ط- بيع الحاضر لباد
- ٣٩٧ ي- تلقي الركبان
- ٣٩٧ يا- الزيادة في الاجارة الاولى
- ٣٩٨ يب- الزيادة في حقوق الاراضي
- ٣٩٩ نظرة الى الفصل
- تذييلان :
- ٤٠٢ ١ - في الأكل والمأكل الاقتصاديين
- ٤٠٤ ٢ - في استغلال الناس وبخصهم حقوقهم واشياءهم

الفهرست

- ٤٠٧ الفصل ١٤ - الاسلام والنظام التكاثري الاترافي، كفاح رحب (٧)
- التكاثر والاستضعاف :
- ٤٠٧ أ - الاستضعاف الاقتصادي
- ٤٠٨ ب - الاستضعاف الثقافي
- ٤١٣ تنبيه
- ٤١٦ نظرة الى الفصل
- ٤١٨ الفصل ١٥ - الاسلام والنظام التكاثري الاترافي، كفاح رحب (٨)
- التكاثر تصاعد بلانهاية
- ٤٢٠ نظرة الى الفصل
- ٤٢١ - تذييل وتفصيل
- ٤٢٣ - شرح لحدِيثين
- ٤٢٥ - تنبيه وتفريق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ
إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ...

تصدير

لقد ألمحنا في مُستَهَلِّ الجزء الأول، الى الخطوطِ العامّة لهذا الكتاب وما يَتَبَيَّنُ مِنْ اهدافٍ وغايات. والمرجوُّ الآن أن يكونَ ذلك الإلماحُ نصبَ عينِ القُراءِ اللّاعِزِّاء. لذلك لَنَرى انفسنا محتاجين الى اعادةِ الحديثِ حولَ تلك الاهدافِ والغايات، غيرَأنه ينبغي أن نُشيرَ هنا الى نقاطٍ ضروريّةٍ ولو في اقتضاب :

١ - لقد رأينا مِنَ المناسب، في تتابُعِ اجزاءِ كتابِ «الحياة» وابوابه، أن نَتناوَلَ - بعدَ الابوابِ العشرةِ الماضية - الموضوعاتِ والمسائلِ المتعلقةً بالامورِ الماليّةِ والاقتصاديّةِ والمعيشيّةِ، وذلك لأمور :

أ - مِنْ اهمِّ اهدافِ الانبياءِ «ع» - الاجتماعيّةِ والانسانيّةِ - وغاياتِ بعثتهم و شرائعهم، هو قيامُ الناسِ بالقسطِ (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ..)؛^١ فالشرائعُ الالهيةُ إنّما جاءتْ لَأَن تَبَيَّنِيَ مجتمعاُ انسانيّاً لا يعرفُ سِوى العَدالةِ ولا يقومُ الا بالقسطِ. وهذه الغايةُ العظيمةُ لا تَتَجَسَّدُ الا بِشَجَبِ الامرينِ : الاستكبارِ والاستضعافِ الاقتصاديّين، وايجادِ نظامٍ اقتصاديٍّ متوازنٍ.

ب - أن حركةَ المالِ المتوازنةِ في المجتمعِ، هي التي تَخْلُقُ القوامَ الاجتماعيَّ والاقتصاديَّ والاخلاقيَّ والثقافيَّ والسياسيَّ والدفاعيَّ، وبذلك يَتَمَثَّلُ الكيانُ الدِّينيُّ، اذِ «العَدلُ حياةُ الاحكام»^٢، وبالتوازنِ يُطبَّقُ العَدلُ والقسطُ؛ فإِنزالُ «الميزانِ» معَ «الكتابِ» يَدُلُّ بوضوحٍ على أن بَيْنَ «الميزانِ» و«القسطِ» صِلَةٌ العَلِيَّةُ والمعلوليّةُ، فلاقسطَ بدونِ التوازنِ.

١ - سورة الحديد (٥٧) : ٢٥.

٢ - غُررُ الحِكَمِ / ٣٠؛ راجع : الفصل ٤٧، من الباب ١٢.

ج- أن للمال موضعاً هياً قوامياً حياتياً - كما ورد في القرآن الكريم^١ - يجب أن لا يُخْرَجَ منه الى غيره. وهذا الموضوع لا يُصَانُ الا بتطبيق نظام اقتصادي متوازن، اذ في ذلك النظام يُصْبِحُ المال قواماً للحياة الانسانية في جميع القطاعات، فيتحقق مجتمع قرآني - انساني.

نعم، إن للاموال وكيفية توزيعها وتداولها بين الناس، وشيخ صلة بالتربية الانسانية والقوام الاجتماعي وحضور الدين وتعاليمه في المجتمع. فالاموال في استثمارها السالم وتوزيعها العادل، تُصْبِحُ قواماً للحياة الاسلامية الفاضلة - كما جعلها الله تعالى قواماً - لا في غير ذلك الاستثمار وذلك التوزيع.

د - أن الافراط والتفريط الاقتصاديين (التكاثف والفقير)، يُمَيِّعَانِ الحياة الانسانية ويسوقانها الى التذني والسقوط؛ فالتأكيد الحاسم على اقامة القسط والتوازن، انما يتوفر عليه لازاحة هاتين المفسدتين الكبيرتين، اللتين تهددان حياة الانسان وبقاء الاسلام وكيان المسلمين.

ففي هذا الضوء، يتجلى أن الغاية من تدوين هذه المسائل الاقتصادية، بهذه الصورة الاسلامية، المبتنية على الاصلين الاساسيين (القرآن، الحديث)، هي خطوة للوصول الى غاية الدين الاصلية واحيائها في المجتمعات الانسانية حتى تسعد بتبنيها.

٢ - أن مشكلة الانسان العظمى - عبر تاريخه الطويل - كانت هي الظلم الاقتصادي لا الظلم السياسي والاجتماعي، لأن هذين الظلمين كانا نابعين من ذلك الظلم، تابعين له^٢. وأن القرآن الكريم انما قام بذلك الكفاح الرحب المعمق

١ - راجع: الفصول ١ و ٢ و ٣، من الباب ١١.

٢ - ولعل القراء النابهين لا ينسون الظلم الثقافي واهمية الكفاح الجاد ضده - كما كافحه الانبياء

ضدَّ التَّكَاثُرِ وَالتَّكَاثِرِينَ وَالتَّارِافِ وَالتُّمْرِفِينَ، لِيُوقِفَ النَّاسَ عَلَى ذَلِكَ الْخَطْرِ الْعَظِيمِ بِإِعَادِهِ، وَيُلْفِتَ أَنْظَارَ الْجَمَاهِيرِ إِلَى ضَرُورَةِ مَحَارَبَتِهِ؛ لِأَجْلِ ذَلِكَ يَجِبُ عَلَى عُلَمَاءِ الْإِسْلَامِ - الَّذِينَ يَعْمِدُونَ إِلَى تَحْكِيمِ أُسُسِ الدِّينِ الْإِلَهِيِّ وَإِنْفَادِ الْمَجْتَمَعِ الْبَشَرِيِّ وَتَطْوِيرِ حَيَاةِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى آسَاسِ الْإِحْكَامِ الْإِسْلَامِيَّةِ - أَنْ يَصْطَفُوا دَوْمًا فِي جِهَةِ الدَّفَاعِ عَنِ الْمَحْرُومِينَ وَالمُسْتَضْعَفِينَ، وَحَقُوقِهِمُ الْمَسْلُوبَةَ، وَارْزَاقِهِمُ الْمَسْرُوقَةَ، وَمَسَاكِينِهِمُ الْمَغْصُوبَةَ، وَكِرَامَتِهِمُ الْمَهْدُورَةَ، وَشَخْصِيَّتِهِمُ الْمُضْطَّهَدَةَ، وَأَنْ يَفْتَدُوا بِالْأَنْبِيَاءِ فِي شَجَبِ الْجَبَابِرَةِ الْاِقْتِصَادِيِّينَ وَالتَّوَاغِيْتِ الْمَالِيِّينَ - مِثْلَ الْجَبَابِرَةِ السِّيَاسِيِّينَ - فَيُكَافِحُوهُمْ لِكَيْ يَسْتَرِدُّوا حَقُوقَ الْمَحْرُومِينَ وَيُخْرِجُوهَا مِنْ حَلْقُومِ أَوْلَئِكَ الْغَاصِبِينَ وَيُرُدُّوهَا إِلَى أَهْلِهَا الْمَغْصُوبِينَ، حَتَّى تَتِمَّكَنَ بِذَلِكَ الْجَمَاهِيرُ الْمَضْطَّهَدَةُ وَالمَنْسِيَّةُ مِنْ أَنْ تُقِيمَ الدِّينَ وَمَنَاسِكَهٖ، وَتُؤَدِّيَ فَرَائِضَ اللَّهِ، مِنْ الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ وَالحَجِّ وَسَائِرِ الْإِحْكَامِ، بِصُورَةٍ صَحِيحَةٍ، وَتُرَبِّيَ نَاشِئَتَهَا تَرْبِيَةً يَرْضَى عَنْهَا اللَّهُ وَالرَّسُولُ «ص».

لَوْ كَانَ الْاِنْبِيَاءُ «ع» مَأْمُورِينَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ - تَعَالَى ذِكْرُهٗ - لِتَعْلِيمِ الْعِبَادَةِ وَإِقَافِ النَّاسِ عَلَى الْمَنَاسِكِ الشَّرْعِيَّةِ فَحَسَبِ، لَمَا قَامُوا بِتِلْكَ الثُّورَاتِ وَالحُرُوبِ الْعَظِيمَةِ وَالدَّامِيَّةِ، وَلَمَا يَقُولُ الْقُرْآنُ: «وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرًا»^٢ وَإِنَّ تِلْكَ الْحُرُوبَ لَمْ تَكُنْ مَقْصُورَةً عَلَى حَرْبِ الطَّوَاغِيْتِ السِّيَاسِيِّينَ فَقَطْ، بَلْ كَانَتْ

والاوصياء «ع»؛ بِصُورَةٍ حَاسِمَةٍ وَعَمِيقَةٍ وَشَامِلَةٍ. وَجَاءَ ذِكْرُ كِفَاحَاتِهِمْ فِي هَذَا الْمَجَالِ إِضْطًا فِي الْقُرْآنِ وَالتَّعَالِيمِ - وَذَلِكَ لِمَا يَسْتَتْبِعُهُ ذَلِكَ الظُّلْمُ مِنَ الْأَضْرَارِ الْهَامَّةِ وَالمُضَلِّلَةِ لِلوَعْيِ الْاِنْسَانِيِّ، حَيْثُ يُخْضَعُ الْجَمَاهِيرُ لِتَبَيُّنِ الْاِسْتِسْلَامِ وَالتَّدْنِي وَالضَّلَالِ؛ فَيُوطَى بِذَلِكَ لِلظُّلْمِ الْمَذْكُورِينَ إِضْطًا.

وَالكَلَامُ عَنْهُ يَحْتَاجُ إِلَى مَجَالٍ مُسْتَقِلٍّ. وَلَقَدْ اِشْرْنَا إِلَيْهِ إِشَارَةً مُقْتَضِبَةً، فِي الْفَصْلِ ١٤، مِنْ الْبَابِ ١١.

عند الكلام عن «التكاثر والاستضعاف».

١ - راجع: الفصل ٥، من الباب ١١.

٢ - سورة آل عمران (٣): ١٤٤.

تُشَنُّ عَلَى الطَّوَاغِيتِ المَالِيِّينَ (المُكذِّبِينَ أُولِي النِّعْمَةِ - عَلَى حَدِّ تَعْبِيرِ الكِتَابِ السَّمَاوِيِّ)¹ اَيْضاً، الَّذِينَ كَانُوا نَفْسَ الطَّوَاغِيتِ السِّيَاسِيِّينَ، أَوْ كَانُوا مُؤَاوِزِيهِمْ وَحَافِظِي عُرُوشِهِمْ، حَتَّى يُتَاحَ لَهُمْ فِي ظِلِّ تِلْكَ العُرُوشِ أَيُّ عِدْوَانٍ وَامْتِنَاصٍ. نَعَمْ، إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ مُوسَى «ع»، قَدْ أُرْسِلَ إِلَى الطَّاغُوتَيْنِ: السِّيَاسِيَّةِ وَالاِقْتِصَادِيَّةِ، إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَارُونَ..²

٣ - أَنْ الإِسْلَامَ يَهْتَمُّ بِالمَسَائِلِ المَالِيَّةِ وَتَعْدِيلِ حَرَكَةِ الأَمْوَالِ فِي أَيِّدِي النَّاسِ، لِيَسْتَوْسَلَ بِذَلِكَ إِلَى تَجْسِيدِ مَبْدَأِ القِسْطِ فِي المَجْتَمَعِ. وَالأَهْتِمَامُ بِالمَسَائِلِ الإِقْتِصَادِيَّةِ وَأمُورِ المَعاشِ الإِنسَانِيِّ بِهَذَا الشَّكْلِ الجَادِّ الَّذِي تَبَنَاهُ الإِسْلَامُ، إِنَّمَا هُوَ مِنْ خِوَاصِّ هَذَا الدِّينِ الإِلَهِيِّ، الَّذِي يُوَاكِبُ الوَاقِعَ وَالنَّوَامِيسَ الطَّبِيعِيَّةَ الَّتِي طَبَعَ اللَّهُ الأَشْيَاءَ وَالأَشْخَاصَ عَلَيْهَا. فَالإِنسَانُ - بِحَسَبِ جِبَلَّتِهِ وَغَرَائِزِهِ - مَحْتَاجٌ إِلَى المَعِيشَةِ وَالمُسْتَلزِمَاتِ المَادِيَّةِ، مِنْ الغِذَاءِ وَالبَّاسِ وَالصِّحَّةِ وَالسَّكَنِ.. وَلا يُمَكِّنُ لِلإِنسَانِ أَنْ يَخْطُوَ خُطْوَةً وَاحِدَةً بِدُونِهَا فِي آيَةٍ جِهَةٍ كَانَتْ. لِذَلِكَ يَهْتَمُّ الدِّينُ السَّمَاوِيُّ بِأَمْرِ المَعاشِ الإِنسَانِيِّ، وَيُرْمِجُ لِتَأْمِينِ حَاجِيَّاتِ الإِنسَانِ، وَيَعُدُّ المَالَ قِوَاماً لِلنَّاسِ وَقِيَاماً، وَالخُبْزَ سَبباً لِأَقَامَةِ الصَّلَاةِ وَالصُّومِ وَالحَجِّ وَادَاءِ سَائِرِ الفَرَائِضِ فيقول: «لَوْلَا الخُبْزُ مَا صَلَّيْنَا..»³، فيَجْعَلُ الخُبْزَ عَمُودَ الصَّلَاةِ؛ وَالصَّلَاةَ عَمُودَ الدِّينِ، وَعَمُودَ العَمُودِ عَمُوداً؛ فَلا دِينَ بِدُونِ الخُبْزِ (المَالِ)، نَعَمْ: «كَأَدَّ الفَقْرُ أَنْ يَكُونَ كُفْرًا»⁴.

١ - سورة المزمّل (٧٣): ١١.

٢ - راجع: الفصل ٧، من الباب ١١.

٣ - من حديثِ النَّبِيِّ «ص»: راجع: الفصل ٥، من الباب ١١.

٤ - من حديثِ النَّبِيِّ «ص»: راجع: الفصل ٣٢، من الباب ١١.

٤- أن الظلم الاقتصادي من أخطر أنواع الظلم، بل هو الظلم كله في الواقع، الذي يستتبع سائر أشكال الظلم وصوره - كما اشرنا إليه - ولذلك كانت غاية الانبياء من تعاليمهم وتربيتهم الناس وتشجيعهم الجماهير، ومن مجاباتهم وحروبهم، شجب هذا الظلم وسحقه.

ومن الواضح لدى من له أدنى نباهة ووعي، أن الحرية في «الامتلاك» و«الاستهلاك»، تمهد ارضية الظلم الاقتصادي وتشق طرق التكاثر والأتراف، وتُشبع روح الطبقيّة والاستئثار، وتسحق كل لون من ألوان العدالة والقسط. وعليه فهل يمكن أن لا يتخذ الاسلام تجاه هذه الظاهرة المدمرة موقفاً حاسماً؟! ولقد قامت الفصول والدراسات التالية بدور الإشعاع على هذا الموقف، فسَيَقِفُ القارئ على الحسَم الاسلامي في العدالة الاقتصادية، في فصول هذين البابين،^١ باذن الله تعالى.

٥- أن الاسلام يعطي «الاقتصاد» اصالة.^٢ وهذا أمرٌ محرزٌ - كما سلفت الإشارة إليه - فلقد ورد فيه كثير من التعاليم مما يرجع الى القضايا الاقتصادية والمالية، وتأمين مؤن الناس، والدفاع عن حقوق المحرومين، بل ازالة الحرمان والفقير عن ساحة المجتمعات وتركيز مستوى معيشي متقارب للجماهير.^٣ فالاسلام يتصدى لتأمين معيشة الناس وخبزهم ومائهم وسكنائهم، وتعديل صلاتهم المالية، ويراقب هذه الصلات بدقة وحسَم، حتى لا يتفشى الظلم في الناس بإطلاق ايدي الطواغيت الاقتصاديين في القضايا المالية والبرمجة الاقتصادية.

١- نَقُصِدُ بهذين البابين (كلما نقوله)، الباب الحادي عشر والباب الثاني عشر، من الكتاب، اللذين يختصان بدراسة «الاقتصاد الاسلامي» (يعني حقيقة المال وحركته في المجتمع الاسلامي). ويستوعبان الجزء الحاضر (٣) الى الجزء ٦.

٢- راجع: الفصل ٤٤، من الباب ١١.

٣- راجع: الفصلين ٤٦ و ٤٧، من الباب ١١، والفصول ٢٧ الى ٣١، من الباب ١٢.

في هذا الضوء، فكلُّ اتجاهٍ يتَّهَمُ الاسلامَ بعدمِ الاعتدالِ بمحاربةِ العدوانِ الاقتصاديِّ وبإهماله استردادَ حقوقِ المحرومين والمغضوبين فهو مرفوض، إذ الاسلامُ يأمرُ بالعدلِ ويدعو الى اقامةِ القسطِ، وَيَشْجُبُ التَّكَاثُرَ وَالْإِتْرَافَ، وَيَرَى أَنَّ الْمَجْتَمَعَ الْبَشْرِيَّ لَا يُصْلِحُهُ إِلَّا الْعَدْلُ - كما يأتي في الفقرةِ التالية .

٦ - أَنَّ الْمَجْتَمَعَ لَا يُصْلِحُهُ إِلَّا الْعَدْلُ، وَأَنَّ الْإِصْلَاحَ الْاجْتِمَاعِيَّ لَا يُجَسِّدُ بَدُونِ إِقَامَةِ الْعَدْلِ الْاجْتِمَاعِيِّ وَالْاِقْتِصَادِيِّ، وَأَنَّ التَّقْوَى وَالْفَضِيلَةَ لَا تَحَقِّقَانِ بَدُونِ تَطْبِيقِ مَبْدَأِ الْقِسْطِ فِي النَّاسِ ..

فالقُرْآنُ الْكَرِيمُ يَصْرُخُ بِهَذَا الصُّرَاخِ الرَّنَّانِ: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ».^٢

والنَّبِيُّ الْأَعْظَمُ «ص» يَقُولُ: «إِنَّ أَهْوَنَ الْخَلْقِ عَلَى اللَّهِ، مَنْ وَلِيَ أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ فَلَمْ يَعْدِلْ فِيهِمْ».^٣

والامامُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ «ع» يُنَادِي: «الرَّعِيَّةُ لَا يُصْلِحُهَا إِلَّا الْعَدْلُ».^٤ وَيَقُولُ (عِنْدَ تَعْلِيمِ أُسَاسِيَّاتِ الْإِسْلَامِ، فِيمَا رَوَاهُ الْإِمَامُ الصَّادِقُ): «اعْرِفُوا .. أَوْلِي الْأَمْرِ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ».^٥

وإنَّ مَذْهَبَ أَهْلِ الْبَيْتِ «ع» كَانَ قَائِمًا عَلَى الْعَدْلِ وَتَطْبِيقِهِ، وَاحْتِقَاقِ حَقُوقِ الْمَحْرُومِينَ مِنَ الْقِطَاعَاتِ الْبَشَرِيَّةِ، فَلِذَلِكَ قَامُوا بِأَكْبَرِ الثَّوَرَاتِ وَأَعْظَمِ الْفِدَاءِ - عَبْرَ التَّارِيخِ الْإِسْلَامِيِّ - فِي سَبِيلِ هَذَا الْمَبْدَأِ السَّامِيِّ، وَلَقَدْ انْعَكَسَ ذَلِكَ فِي آدَبِ التَّابِعِينَ لَهُمْ، فَيَقُولُ الشَّاعِرُ الْمَشْهُورُ، الْكُمَيْتُ بْنُ زَيْدِ الْأَسَدِيِّ:

١ - راجع: الفصل ٤٧، من الباب ١٢.

٢ - سورة النحل (١٦) / ٩٠.

٣ - البحار ٧٥ / ٣٥٢، عن «جامع الاخبار».

٤ - غرر الحكم / ٢٩.

٥ - الكافي / ١ / ٨٥.

وَقُلْ لِيُنِي أُمِّيَّةٌ حَيْثُ حَلُّوا
وَأَنْ خَفَتِ الْمُهَنْدُ وَالْقَطْبَعَا
أَجَاعَ اللَّهُ مَنْ أَشْبَعْتُمُوهُ
وَأَشْبَعَ مَنْ بَجَوْرِكُمْ أُجْبَعَا

فكانت مشكلة الجائعين مشكلتهم، والكفاح ضد المتخومين والمُتْرِفِينَ أصلاً من أصولهم، ومزيجاً لمنطقهم الشعريّ الفياض. نعم، لم يكونوا يُقَارُون على كِطَّةٍ ظالمٍ ولا على سَعَبٍ مظلوم. وقد تَغَلَّغَتْ هذه السيرة الدنيئة الاجتماعية - السيرة العلوِيَّة الملتزمة - في نفوسهم من تعليم وتربية أئمّتهم، أئمة الهداية والعدل. فعلى كلِّ مسلمٍ أَنْ يَفْتَدِيَ بالسلفِ الصالح، فيدافع عن المغضوبين والمحرومين، ويُجابه أبايسة التكاثرِ والبتراف، ولا يُقَارَّ على ظلم الظالمين واضطهاد المظلومين.

٧ - لا يمكن أن يكون في المجتمع تكاثر في الاموال ومتكاثرون، من غير أن يكون هناك اتراف و اسراف، فالتكاثر والبتراف متلازمان. ومن اللاحب أن المعيشة الترفيية تُهدر حقوق الآخرين، فليس من الاسلام الصحيح، السكوت امام المتكاثرين والمُتْرِفِينَ والمُسْرِفِينَ، فضلاً عن تبرير اعمالهم الفاسدة وسيرتهم المُفْسِدة.

ولقد ندد القرآن الكريم في كثير من آياته باولئك وسيرتهم ورفضهم ورفضها. وبذلك خط لنا برنامجاً حاسماً في هذا الموقف الاجتماعي والانساني. وكذلك التعاليم الحديثية قد ضعفت قواعدهم من جوانب شتى، بحيث لو طبقت تلك التعاليم لابقى لهم كيان.

١ - راجع: النظرة الى الفصل ٤٨، من الباب ١١، الايقاظ ٨.

٨ - كذلك لا يُمكنُ أن يكونَ هناك في المجتمع تكاثراً ومتكاثرون، بدون أن ينفذوا الى الحكمِ وَيُسيطروا عليه.١ اذ التكاثر بدونِ النُّفوذِ الى الحكمِ لا يكونُ تكاثراً (او لا يبقى)، فهو يسعى دوماً لآن ينفذ الى الحكمِ وأجهزته ويستولي عليه وعليها. لذلك ناضلَ الاسلامُ ضدَّ هذه الظاهرة المدمرةِ نضالاً شاملاً، ممَّا سيمُّرُ عليك في الكتاب؛ وذلك كعدِّه المالَ الكثيرَ غيرَ حلال، وعدِّه حياةَ التكاثرِ والإترافِ حياةً شيطانيةً، وعدِّه المتكاثرين والمُترفين غاصبين ظالمين،٢ وكدعوته العلماء والناس الى تركِ مجالسةِ الاغنياءِ ومخالطتهم، حتى يسقطوا من مُستواهم الاجتماعي.٣

وهذا من عظمةِ تعاليمِ الاسلامِ الناهضِ، حيث ندَّدَ باعداءِ البشريةِ وغاصبي حقوقِ الانسان، قبلَ اربعةِ عَشْرَ قرناً، لكيلا يتمنَّعوا في المجتمعاتِ بكيانٍ مرموقٍ، فلا يُتاحَ لهم أن يستولوا على الامورِ المصيريةِ، وأن يعثوا في الارضِ مفسدين، وأن يستغلُّوا الناسَ ويمتصُّوهم، وأن يشيعوا التَّمييعَ والتَّسَيِّبَ في القِطاعاتِ.

وهنا امورٌ ينبغي التَّبَيُّظُ لها :

أ - إنَّ الاسلامَ لم يكتفِ بالتَّنديدِ بالتَّكاثِرِ والمُتكاثرين وشَجْبِهِمُ الكاملِ، بل ندَّدَ بمعيشيَّتهم التَّرفيَّةِ ايضاً كلَّ تَنديدِ، حتى يلمَسَ المجتمعُ مفاسدَهُمُ العمليَّةِ وضالَّهمُ المعيشيَّ باليدِ، ويُعضِّضَ قواعدهمُ من الاساسِ.

ب - إنَّ التَّكاثِرَ الماليَّ (ومن اشكاله الرأسماليَّةُ المعاصرة) والِإترافِ المعيشيَّ، يُؤدِّيانِ الى التَّبعيةِ الاقتصاديَّةِ. وهذه هي التي تهديمُ كيانَ الاسلامِ

١ - راجع : الفصل ٢٠، من الباب ١١.

٢ - راجع : الفصول المتعددة المناسبة لهذه الموضوعات، من الباب ١١.

٣ - راجع : الفصل ٢٢، من الباب ١١.

والمسلمين، لَأَجْلِ ذَلِكَ قَدْ رَفَضَهَا الْإِسْلَامُ بَتَاتًا، «وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا»^١. فعلى المسلمين أَنْ يُخَلِّصُوا بِلَادَهُمْ مِنْ بَرَاثِنِ هَذَا الْأُخْطُوبِ.
ج- إنَّ الْإِسْلَامَ قَدْ كَافَحَ الْفَقْرَ وَعَلَّلَهُ، بِصُورٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَشَرَحَ سَلْبِيَّاتِهِ بِوُضُوحٍ وَصَمُودٍ، وَقَامَ بِتَوْعِيَةِ النَّاسِ وَإِقْظَاهِهِمْ لِحَرْبِ ظَاهِرَةِ الْفَقْرِ الْمُدْمِرَةِ، حَتَّى لَا يَحْتَمِلَ الْمَحْرُومُونَ الظَّلْمَ الْاِقْتِصَادِيَّ بَلْ يَثُورُونَ فِي وَجْهِهِ.^٢

٩- مِمَّا دَعَا إِلَيْهِ الْإِسْلَامُ وَأَكَّدَ عَلَيْهِ، أَنَّ حَرَمَانَ الْمَحْرُومِينَ وَجُوعَ الْجَائِعِينَ وَعُرْيَ الْعَارِينَ وَاحْتِيَاجَ الْمُحْتَاجِينَ وَمَسْكَنَةَ الْمَسَاكِينِ، لَيْسَ مِنْ تَقْدِيرِ اللَّهِ - تَعَالَى شَأْنُهُ - فَإِنَّهُ خَلَقَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَرْزَاقَهُمْ وَمَاتَقَوْمٌ بِهِ حَيَاتُهُمْ (نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)^٣، بَلْ أَخْرَجَ لَهُمُ الزَّيْنَةَ وَالْحَلْيَ أَيْضًا (قُلْ: مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ؟)^٤، فَالْخَلَاتِقُ عِبَالُهُ، قَدْ «ضَمِنَ أَرْزَاقَهُمْ وَقَدَّرَ اقْوَاتَهُمْ»^٥؛ فَتِلْكَ الْأُمُورُ الْمَذْكُورَةُ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَنْشَأُ وَتَتَّبَعُ؟ إِنَّ الْأُمُورَ الْفُطَيْعَةَ الْمَذْكُورَةَ أُمُورٌ مَفْرُوضَةٌ تَجْتَرُّهَا إِلَى الْمَجْتَمَعِ ذُنُوبُ الْاِغْنِيَاءِ وَاغْتِصَابُ الْغَاصِبِينَ وَظُلْمُ الظَّالِمِينَ الْاِقْتِصَادِيِّينَ.

١ - سورة النساء (٤) : ١٤١.

٢ - راجع : الفصل ٣٠، الى الفصل ٣٩، من الباب ١١.

٣ - سورة الزُّخْرُفِ (٤٣) : ٣٢. يَقُولُ الْإِمَامُ الصَّادِقُ «ع» فِي قِسْمَةِ الْمَالِ بَيْنَ الْجَمَاهِيرِ: «إِنَّ الْمَالَ مَقْسُومٌ مَضْمُونٌ لَكُمْ، قَدْ قَسَمَهُ عَادِلٌ بَيْنَكُمْ..» (- الكافي ١ / ٣٠). وَهَذَا يُدَلُّ عَلَى أَنَّ لِلْكَلِّ فِي قِسْمَةِ اللَّهِ نَصِيبًا، فَمَنْ لَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ نَصِيبُهُ فَلَيْسَ إِلَّا مِنْ اغْتِصَابِ الْغَاصِبِينَ وَعُدْوَانِ الظَّالِمِينَ الْاِقْتِصَادِيِّينَ، وَتَسَاهُلِ الْعُلَمَاءِ وَضَعْفِ الْحُكْمِ وَأَجْهَازِهِ فِي إِقَامَةِ الْعَدْلِ. وَفِي الْاِتِّبَانِ بِالْوَصْفِ (عَادِلٌ)، دَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ عَلَى الْعِلِّيَّةِ. فَالْعَادِلُ لَا يُقْسِمُ إِلَّا عَلَى مَقْتَضَى الْعَدْلِ. وَلَيْسَ مِنَ الْعَدْلِ التَّكَاثُرُ وَلَا الْفَقْرُ، فَهَمَا مِنَ الظَّلْمِ، وَلَا يُظْلِمُ اللَّهُ تَعَالَى أَحَدًا، فَالنَّاسُ يُظْلِمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَيَأْكُلُ قَوِيُّهُمْ ضَعِيفَهُمْ - كَمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ وَيَأْتِي أَحَادِيثُهُ - وَمِنَ اللَّاحِبِ أَنَّ هَذَا الْاِتِّجَاهَ الْقُرْآنِيَّ وَالْحَدِيثِيَّ (كُونَ الْمَعَايِشَ لِلْكَلِّ)، يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مُجَسَّدًا فِي الْفِقَاهَةِ وَالِاِقْتِصَادِ وَالْتَّقْنِينِ وَالتَّنْطِيقِ.

٤ - سورة الاعراف (٧) : ٣٢. وَلَعَلَّ الْمُسْلِمَ الْمَلْتَزِمَ لَا يَعْتَقِدُ أَنَّ الزَّيْنَةَ الَّتِي أَخْرَجَهَا اللَّهُ تَعَالَى لِعِبَادِهِ، تَخْتَصُّ بِالْاِغْنِيَاءِ وَالْمُتَرَفِّينَ، وَأَنَّ عِبَادَ اللَّهِ هُمُ الْاِغْنِيَاءُ لَا غَيْرُهُمْ.

٥ - نهج البلاغة / ٢٣١؛ عبده ١ / ١٥٩.

فاليك بيان الاسلام الحاسم بهذا الصدد:

أ - يقول النبي الاعظم «ص»: «إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ ارزاقَ الفقراءِ في اموالِ الاغنياءِ، فإنْ جاعُوا وعَرُوا فَيَذَنْبِ الاغنياءِ»^١.

ب - يقول الامام علي بن ابي طالب «ع»: «ما جاعَ فقيرٌ الا بما منعَ غنيٌّ»^٢.

ج - يقول الامام جعفر الصادق «ع»: «... إِنَّ النَّاسَ مَا افْتَقَرُوا، وَلَا احْتاجُوا، وَلَا جاعُوا، وَلَا عَرُوا، الا بذنوبِ الاغنياءِ»^٣.

د - يقول الامام موسى الكاظم «ع»: «... لو عُدِلَ في النَّاسِ لاسْتَعَنُوا»^٤.

هـ - ويقول الامام الحسن العسكري «ع»: «... اغنيأُوهم يسرقون زاد الفقراء»^٥.

وكلُّ هذه التعاليمُ الحيَّة - الموافقةُ لهداياتِ القرآنِ الكريمِ، المتعاضدةُ والمتناصرةُ والمتضافرةُ في الاسلام - التي تُشكِّلُ اساسياتِ هذا الدين في «المجتمع» و«الاقتصاد»، تُمثِّلُ امامَ الشعبِ المسلم، والحُكمِ الاسلاميِّ، وعلماءِ الاسلام، واجباً شرعياً عظيماً، ألا! وهو القيامُ باحياءِ العدلِ الاقتصاديِّ ومُحاربةِ الظلمِ الاقتصاديِّ، ووضْعَةِ قواعدِ الطَّواعيتِ الاقتصاديِّين الاجتماعيين، وإبعادهم عن جميعِ مَنْصَباتِ السُّلطةِ والتَّقنينِ والتَّجسيدِ، كما أمرَ اللهُ تعالى بذلك النبيُّ «ص» ليلةَ المعراج، حيث قال له، فيما روي عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب «ع»: «يا احمد! .. بَعْدِ الاغنياءِ وبعْدَ مجلسهم منك...»^٦. ولتكنْ لزعماءِ المجتمعِ الاسلاميِّ، من رجالِ الدينِ او الحكم، في النبيِّ «ص» أُسوةً حسنةً

١ - المُستدرك ١ / ٥٠٩.

٢ - نهج البلاغة / ١٢٤٢؛ عبده ٣ / ٢٣١. وفي الاخير: «الا بما مُتَّع به غنيٌّ».

٣ - الوسائل ٤ / ٤.

٤ - الكافي ١ / ٥٤٢.

٥ - المستدرك ٢ / ٣٢٢.

٦ - ارشاد القلوب / ٢٠١، و ٢٧٩ - ٢٨٠، من طبعة. راجع: الفصل ٢٢، من الباب ١١.

بتبعيدهم الاغنياء وتبعيد مجلسهم منهم، ان كانوا مُتبعين للسيرة النبوية في الواقع والعمل. ووجوب الاهتمام بالامور المذكورة، يُصبح في العالم المعاصر اوضح وأوعى، خصوصاً بالنسبة الى «الحياة الحديثة»، و«الانسان الحديث»، و«الثقافة الحديثة»، و«الاقتصاد الحديث». وإن وَعِي «الحوادث الواقعة الاقتصادية» يُرشدنا الى ذلك بجلاء، وإن هذا الوَعْي من أهم الواجبات في الظروف المعاصرة التي تجتازها البشرية بما فيها من ملايين وملايين من المغصوبين والمضطهدين. ونحن معاشر المسلمين مكلفون بانقاذهم جميعاً، المسلمين منهم وغير المسلمين، فإنهم خلق الله وعياله.

ويجب أن يكون القيام باداء الواجب المذكور، بريئاً من آية صورة من صور المداينة وعدم الصراحة، او المضارعة، او الطمع، لأنه «لا يُقيم امر الله سبحانه، الا من لا يُصانع، ولا يُضارع، ولا يتبع المطامع»^١.

١٠ - يتجلى من مباحث هذين البابين وفصولهما، أن الاسلام دين انساني، حيث يهتم بامور الانسان وشؤونه الحياتية، اهتمام الأب الرحيم، فلا يغفل عن مثقال ذرة من الظلم الاقتصادي، ولا يسكت عن استرداد حقوق المغصوبين والمظلومين بوجه. فليكن هذا منهج الذين ينتمون الى الاسلام ويدعون تطبيقه.

١١ - لقد جاءت من قبل الاقتصاديين الاخصائيين تنبؤات بالنسبة الى مستقبل البشرية، من جهة استغناء الانسان عن العمل والشغل وبلوغه الى كمال الرفاه وسهولة المعيشة. وهذه الحالة إن سادت، لاتخلو من اضرار فادحة إن لم تتمتع الحياة الانسانية بمضامين روحية راقية، واعمال تملأ فراغ الانسان بصورة غنية.

١ - نهج البلاغة / ١١٣٧؛ عبده ٣ / ١٧٦.

ولعلَّ الاسلامَ يرمي الى هدفٍ كبير، في تأشيراته الاقتصادية، حيث يحضُّ على شجبِ العدوانِ الاقتصاديِّ باقامةِ التوازنِ والقسط، حتى يتفرَّغَ الناسُ من المهامِّ المعيشيةِ بصورها الباهظة، ويتمكَّنوا من درسِ الحقائقِ ووعيتها، ويظفروا بتخصيصِ قسمٍ صالحٍ من اوقاتهم للسيرِ في اجواءِ الحياةِ الحقيقيةِ، بالفكرِ والعبادةِ الخالصة، والانصرافِ بالواقعِ الحيِّ، والتعاملِ المباشرِ مع الحقيقةِ الابدئيةِ المتعالية.

١٢- أنَّ الهدفَ الذي يرمي اليه الاسلام، في بناءِ المجتمعِ وصنعه، ويستنبطُ من مذهبِ اهلِ البيتِ «ع»، هو أنَّ يزاحَ الغنى المفرطُ والمعيشةُ الترفيئةُ والسرفيئةُ، وكذلك المسكنةُ والفقر، من ساحةِ الحياةِ البشرية،^١ وأن تصلَّ الجماهيرُ الى مستوى معيشيٍّ مُعترفٍ به. فالاسلامُ يعدُّ المسرفَ آكلًا ما ليس له؛^٢ ويوسعُ على الفقيرِ حتى يلحقَ عائلتهُ بالناسِ؛^٣ بل يحبُّ للناسِ أن يتبنوا «المؤاساة» و«المساواة» مبدأً في المعيشةِ والاقتصاد.^٤

١٣- لم نحاولُ بما عرَضناه في هذينِ البابين، أن نعطيَ صورةً تامَّةً للمذهبِ الاقتصاديِّ في الاسلام، بالمعنى المصطلحِ للمذهبِ الاقتصاديِّ، فإنَّ ذلك امرٌ آخرٌ يتطلَّبُ (بعدَ التوفُّرِ على ما جاء في الاسلامِ بصددِ القضايا الاقتصادية، وما رَسَمَهُ مِنْ مُؤَشَّرَاتٍ، وما أبانَهُ مِنْ حُلُولٍ)^٥ مُحاولَةً فنيةً مُوسَّعةً مُستوعبةً، من جانبِ ١- إنَّ ازاحةَ «الغنى المفرط» و«المعيشةِ الترفيئة» و«السرفيئة»- التي يدعو اليها الاسلامُ دعوةً حاسمةً- تُساوِقُ ازاحةَ المسكنةِ والفقر، ضرورةً ازاحةِ المعلولِ بازاحةِ العلة. فلانبقى حاجةً بعدَ الازاحةِ الأولى، الى الازاحةِ الثانية.

٢- راجع: الفصل ٢٧، من الباب ١١.

٣- راجع: الفصل ٢٧، من الباب ١٢، فقرة «ح».

٤- راجع: الفصول ٤٥ و ٤٦ و ٤٧، من الباب ١١.

٥- وإنَّ من تلكِ المؤَشَّرَاتِ والحُلُولِ، ما حوَّاهُ هذانِ البابانِ.

لَجَنَةٍ كَبِيرَةٍ مِنْ عَدَّةٍ مِنْ عِلْمَاءِ الْاِقْتِصَادِ الْاِخْصَائِيِّينَ، وَجَمْعٍ مِنَ الْفُقَهَاءِ الرَّسَالِيِّينَ الْمُتَضَلِّعِينَ وَالْمُتَفَتِّحِينَ، فَإِنَّا عَبَّرْنَا تِلْكَ الْمُحَاوَلَةَ الْفَنِّيَّةَ الْمُسْتَوْعِبَةَ الْجَادَّةَ، بِبَدْتِكَ الْجَنَّةِ الْمُرَكَّبَةِ النَّابِهَةِ الْمَذْكُورَةِ، نَحْضُلُ عَلَى صُورَةٍ صَحِيحَةٍ وَنَاضِجَةٍ وَشَامِلَةٍ، لِمَذْهَبِ الْاِسْلَامِ الْاِقْتِصَادِيِّ، فِي حَيَاةِ الْاِنْسَانِ الْحَدِيثِ. لَكِنَّ الْاَمْرَ الَّذِي يَجِبُ أَنْ نَكُونَ وَاقِفِينَ عَلَيْهِ، نَابِهِينَ لَهُ، وَمُهْتَمِّينَ بِهِ، هُوَ أَنَّ الْمَوْلُفِينَ وَالْمَفْكَرِّينَ الْمُسْلِمِينَ، الَّذِينَ حَاوَلُوا أَنْ يَسْتَخْلِصُوا الْمَذْهَبَ الْاِقْتِصَادِيَّ لِلْاِسْلَامِ مِنْ خِلَالِ التَّعَالِيمِ الْاِسْلَامِيَّةِ، وَصَلُوا إِلَى نِظَرَاتٍ بِنَاءٍ - شَكَرَ اللهُ سَعْيَهُمْ - لَمْ يَعْمِدُوا إِلَى جَمْعِ وَتَرْتِيبِ مَا هُنَاكَ مِنْ اَصُولٍ عَامَّةٍ، وَمَبَادِيٍّ اَوَّلِيَّةٍ، وَتَعَالِيمٍ رِئِيسِيَّةٍ، وَنِقَاطِ نِظَرٍ كَلِيَّةٍ، وَتَأْشِيرَاتٍ مُوجَّهَةٍ، مِنْ الَّتِي تَرَسُّمُ اَمَامِنَا صُورَةً جَلِيَّةً وَسَدِيدَةً لِلْمَبَانِي الْاِقْتِصَادِيَّةِ فِي الْاِسْلَامِ. وَكَذَلِكَ لَمْ يَعْمِدُوا إِلَى كَشْفِ تِلْكَ الصَّلَاتِ الْجَوْهَرِيَّةِ بَيْنَ الْاَصُولِ وَالْاِحْكَامِ بِصُورَةٍ مُرَكَّبَةٍ وَشَامِلَةٍ؛ فَهَمُّ لَمْ يَتَوَفَّرُوا عَلَى اسْتِخْرَاجِ الْهَيْكَلِ الْعَامِّ وَالْخُطُوطِ الْبِنَائِيَّةِ الَّتِي رَسَمَتْهَا الْمَعَالِمُ الْاِسْلَامِيَّةُ لِصُورِ الْمَالِ وَالْمَلِكِيَّةِ، وَلِتَعْرِيفِ «الْمَالِ» وَأَطْرِ الْاِسْتِفَادَةِ مِنْهُ، وَلِشَكْلِ تَدَاوُلِهِ بَيْنَ النَّاسِ، وَلِطُرُقِ اسْتِثْمَارِهِ، وَلِكَيْفِيَّةِ الْاِنْتِاجِ وَالْاِسْتِيرَادِ وَالتَّوْزِيعِ وَالْاِسْتِهْلَاكِ، بِشَكْلِ تَتَطَلَّبُهُ مَوْضُوعِيَّةٌ هَذَا الْبَحْثِ الْمَصِيرِيُّ الْهَامُّ، فِي الْحَيَاةِ الْمَعَاصِرَةِ؛ مَعَ أَنَّ هَذَا الْجَمْعَ وَالتَّرتِيبَ وَالْكَشْفَ، اَمُورٌ ضَرُورِيَّةٌ لِكُلِّ مَنْ يَقْضُدُ أَنْ يَسْتَخْلِصَ مِنَ التَّعَالِيمِ الْاِسْلَامِيَّةِ صُورَةً نَاضِجَةً لِمَذْهَبِ الْاِسْلَامِ الْاِقْتِصَادِيِّ.

وبكلامٍ آخَرَ: يَجِبُ عَلَى اَيِّ فُقِيَّةٍ وَعَالِمٍ اِسْلَامِيٍّ يَرُومُ أَنْ يُصَدِّرَ فِتْوَى اِقْتِصَادِيَّةً، اَوْ اَيِّ بَاحِثٍ وَاِقْتِصَادِيٍّ اِسْلَامِيٍّ - اِخْصَائِيٍّ وَغَيْرِهِ - يُرِيدُ أَنْ يَسْتَنْبِطَ الْمَسَائِلَ الْاِقْتِصَادِيَّةَ، وَأَنْ يَضَعَ مُخَطَّطًا اِقْتِصَادِيًّا فِي مَجْتَمَعٍ اِسْلَامِيٍّ، أَنْ يَقُومَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، بِاسْتِخْلَاصِ نِظَرَاتِ الْاِسْلَامِ الرَّئِيسِيَّةِ - الشَّامِلَةِ وَالْعَادِلَةِ - حَوْلَ اَمُورٍ مِنْهَا مَا يَلِي :

١ - مع رعاية الجهتين : «المركز» و«الترايط» في كل حكم، مما سنشير اليه، في الفقرة ١٦.

- أ - دعوة الاسلام الناس الى القسط والقيام به.
- ب - حصه المجتمع على الحاق الفقراء والمحرومين بمستوى معيشة الآخرين.
- ج - نظرته الى المال والملكيّة، حيث لا يُعطي المال نفسه وملكيته اصالة، ولا يُقرُّ أن يكون دولةً بين الاغنياء.
- د - نظرته الى الاراضي وما يتعلّق بامتلاكها وعدمه.
- هـ - تأكيدُه الدائب على انفاق المال بصورة مستمرة، لتداوله ايدي الجماهير.
- و - جعله المال ذا موضعٍ قواميٍّ لحياة الفرد.
- ز - عدّه المال ذا طابعٍ اجتماعيٍّ في حياة المجتمع.
- ح - نظرته الى استثمار الاموال وكيفيتها ورفضه المال الساكن.
- ط - نظرته الى الإنتاج.
- ي - نظرته الى الاستيراد.
- يا - نظرته الى التوزيع.
- يب - الحدود الكيفيّة والكميّة التي يجعلها للامتلاك، برفضه للتكاثر.
- يج - الحدود الكيفيّة والكميّة التي يجعلها للاستهلاك، برفضه للمعيشة الترفيّة.
- يد - كفاحه ضدّ الاسراف وعدّه المرففين آكلين ما ليس لهم.
- يه - عدّه الفقراء شركاء الاغنياء في اموالهم.
- يو - عدّه الفقراً امرأً مفروضاً على الفقراء والمحرومين، من جرّاء ظلم الاغنياء وامتصاصهم.
- يز - عدّه ارزاق الفقراء مسروقةً بايدي الاغنياء.
- يح - ما قام به من الحرب ضدّ الفقر والاستضعاف الاقتصاديّ.
- يط - سحقه كثرة المال بتاتا وتصريحه بأنّ المال الكثير لا يجتمع من حلال.

ك- إسنادُه بقاء المجتمع وفناءه الى الاموالِ وكيفية تداولها والتصرف فيها، من صالحة او فاسدة.

فبعدَ وعيِ هذه المسائلِ الحياتيةِ الهامةِ وما اليها والوقوفِ عليها بصورةٍ مُركَّزةٍ ودقيقةٍ وشاملة، يتسنى للعالمِ المُستنبطِ الاقتصادي، أن يستنبطَ المذهبَ الاقتصاديَّ الاسلاميَّ بصورةٍ مطمئنةٍ وناضجةٍ ومعاصرة؛ ويُتاحُ للفقهِه المجتهدِ أن يُفسيَ في قضايا الملكيةِّ ومايُمَّت اليها، بصورةٍ مطمئنةٍ وناضجةٍ ومعاصرة.

وهذا الذي ذكرناه، هو ما رأيناهُ لازماً في الوصولِ الى ذلك المقصد. لأجلِ ذلك قمنا بتلك المحاولةِ التي يشاهدها القراء في هذين البابين، وهي:

- تبيينُ الارضياتِ العامةِ الرئيسيةِ.
- كشفُ الصّلاتِ الجوهريةِ بينِ الاصولِ والاحكام.
- ابداءُ النظراتِ البنائيةِ للاسلامِ وتأشيراته الصّامدةِ لجعلِ الاموالِ قواماً للناسِ واخراجها من كونها دُولَةً بينِ الاغنياء.
- بيانُ المواقفِ الحاسمةِ التي اتّخذها امامَ الغنى والفقر.
- الحلولُ البناءةُ التي جاء بها حولَ القضاياِ الماليّةِ والاقتصاديةِ.
- ما يُوجبُه لكلِّ احد، من امكانياتِ المعيشةِ وتلبيةِ حاجاتِ الحياةِ الطبيعيّةِ وادواتِ الرّفاهِ والصّحةِ والتربيةِ والتعليمِ.
- ما يُبديه من رفضِ الفقرِ وعدمِ الاعترافِ به، وما يشترعُ للقضاءِ عليه.
- وما يقومُ به من مُنافحةِ التكاثرِ والاكتنازِ والاستهلاكِ الباذخِ..

١٤ - في ضوءِ هذه المؤشراتِ (القرآنيةِ والحديثيةِ)، نشاهدُ أنّ الاسلامَ يجعلُ الانسانَ نقطةَ الهدفِ في جميعِ ما يشرّعهُ من طُقوسٍ واحكام، لا المالَ والملكيّةِ؛ فالانسانُ وكرامتهُ هما المحورُ في نظرِ الاسلامِ حتّى في المسائلِ المعيشيةِ والقضاياِ الماليّةِ؛ فلاكيانَ للمالِ مستقلاًّ تجاهَ الكيانِ الانسانيِّ وكيانِ

المجتمع الانساني، فلا كرامة للمال اذا لم تُضمَن به كرامة الانسان والانسانية، ولا يكون لأي شيء - نفيسٍ او رخيص - تقدُّم على ما للانسان من قيمة وكرامة .

١٥ - من هنا يَشْتَبُ الاسلامُ بقلمِ عريض، اي نوعٍ من انواع الثراء والتموُّلِ او آيةٍ صورةٍ من صورِ الملكية، اذا اديا الى تحطيمِ قدرِ الانسان ودَحْضِ المرامي الانسانية، وهدمِ اساسِ العدلِ والقسط، وتمزيقِ البناءِ الاجتماعي والاقتصادي المتوازن، وتَفْشِي الفقرِ والمسكنةِ بين الناس. وهما الثراء التكاثري والملكيَّة الحرة غير المحدودة، او الغنى والملكيَّة اللذان لم تُراعَ فيهما حقوقُ الله وحدوده وحقوقُ الناس - في مراحلِ الامتلاك والاستهلاك - ولم يُؤدَّ اصحابُهما ما عليهم من الحقوق، ظاهرةً وباطنة.

ولا فرق في تلكم المفايد المدمرة، اكانت في جانبِ الاغنياء والمالكين (باخراجهم من الفضائل الخلقية والمستوى الانساني الرفيع وجرهم الى مهاوي التغرُّس والاستكبار والظلم، واغتصاب الاموال واستغلال الكادحين، وتَسَيِّبِ معنوياتهم التي بها يكونون اناسي)، ام كانت في جانبِ المحرومين والمساكين (بجرهم الى هوة الضعة وتسليمهم الى مساقط الانهيار)؛ فلا كرامة ولا قداسةً لملكية تُوجبُ هدماً لاسسِ العدل والاحسان، وتَغْطُرساً في الاترياء، او مهانةً في المُقْلين، آيةً كانت، ولا شرعيةً لامتلاكٍ او استهلاكٍ يُوجبانِ اِفْقارَ الناسِ فاكْفارَهم - كما ورد في الحديث النبوي الشريف^١ - فليست القواعدُ حجةً على الاسلام ومثاليته، بل الاسلامُ حجةٌ على القواعد. وليست القيمُ القرآنية المثلثي خاضعةً للتدهور في هوات الميول والنزعات والتقاليد والتحيز، ولو اتسمت باسمِ صالح؛ بل يجبُ على كل قاعدهٍ او تقليدٍ ان يكون خاضعاً امام مقاصد الاسلام الرئيسية، واتجاهاته الصامدة في بناء المجتمعات وتكوين الافراد، مواكباً لمثاليته الفذة في

١ - الكافي ١ / ٤٠٦؛ راجع: الفصل ٣٢، من الباب ١١ .

العالمِ البشريِّ كله.

لم يَجِءْ دِينُ الْإِسْلَامِ لِأَن تَعِيشَ تَحْتَ هُتَافَاتِهِ وَبِاسْمِ أَحْكَامِهِ شَرِذْمَةٌ قَلِيلُونَ مِنَ الْمُتَكَثِّرِينَ الْمُتَغَطِّرِينَ وَالْمُتَرَفِّينَ الْمُسْرِفِينَ، وَهَنَّاكَ فِي النَّاسِ قِطَاعَاتٌ وَقِطَاعَاتٌ يَتَكَبَّدُونَ آوَامَ الْجُوعِ وَالْإِقْلَالِ وَيُقَاسُونَ أَوْجَاعَ الْمَسْكِنَةِ وَالْحَرْمَانِ! فَإِن كَانَ هَذَا، فَأَيْنَ الْقِسْطُ الَّذِي جَاءَ الْإِنْبِيَاءُ لِيُقَوْمَ بِهِ النَّاسُ؟! لَمْ يَجِءْ دِينُ الْإِسْلَامِ لِأَن تَعِيشَ فِي مَجْتَمِعِهِ فِتْنَةٌ تَسْكُنُ قُصُورًا شَاهِقَةً وَدُورًا مُزْخَرَفَةً ذَاتَ جَنَاتٍ وَنَهَرٍ، وَفِي النَّاسِ زَرَافَاتٌ تَسْكُنُ الْإِكْوَاخَ وَالْأَعْشَاشَ، بَلْ هَنَّاكَ أُنَاسٌ لَا يَجِدُونَ إِلَى ظِلَّةٍ سَبِيلًا! فَإِن كَانَ هَذَا، فَأَيْنَ الْقِسْطُ الَّذِي جَاءَ الْإِنْبِيَاءُ لِيُقَوْمَ بِهِ النَّاسُ?!

لَمْ يَجِءْ دِينُ الْإِسْلَامِ لِأَن يَعِيشَ فِي مَجْتَمِعِهِ أُنَاسٌ يَنْغَمِسُونَ فِي الْوَانِ التَّرَفِ وَالنَّعِيمِ، وَيَسْتَهْلِكُونَ لِلْأَلْبَابِ صِبْيَانَهُمْ أَمْوَالًا طَائِلَةً، وَالْإِلَى جَنِبِهِمْ أُنَاسِيٌّ لَا يَجِدُونَ لِطِفْلِهِمْ الْمَشْرِفِ عَلَى الْمَوْتِ دَوَاءً زَهِيدًا! فَإِن كَانَ هَذَا، فَأَيْنَ الْقِسْطُ الَّذِي جَاءَ الْإِنْبِيَاءُ لِيُقَوْمَ بِهِ النَّاسُ?!

لَمْ يَجِءْ دِينُ الْإِسْلَامِ لِأَن تَعِيشَ فِي مَحِيطِهِ قِطَاعٌ يَتَمَتَّعُ بِأَبْنَائِهِ وَبَنَاتِهِ بِجَمِيعِ امْكَانِيَّاتِ التَّرْبِيَةِ وَالتَّعْلِيمِ وَنِيْلِ الْمَدَارِجِ الْعَالِيَةِ فِي الْعِلْمِ وَالْإِحْتِصَاصِ، وَهَنَّاكَ فِي أَبْنَاءِ النَّاسِ وَبَنَاتِهِمْ كَثِيرُونَ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى الْإِلْتِحَاقِ بِالتَّعْلِيمِ الْإِبْتِدَائِيِّ! فَإِن كَانَ هَذَا، فَأَيْنَ الْقِسْطُ الَّذِي جَاءَ الْإِنْبِيَاءُ لِيُقَوْمَ بِهِ النَّاسُ?!

لَمْ يَجِءْ دِينُ الْإِسْلَامِ لِأَن يَمْتَصَّ الْأُمَّةُ أَشْرَارَهَا^١، وَلِأَن يَغْرُقُوا فِي الْوَانِ اللَّذَاتِ وَاللَّهُوِ، وَيَسْتَهْلِكُوا أَمْوَالَ الْجَمَاهِيرِ الْمَغْضُوبَةِ هُنَا وَهَنَّاكَ - فِي أَنْحَاءِ الْعَالَمِ الْمُتَرَفِّ وَالسَّوَاوِحِلِ النَّضْرَةِ وَالْأَرْيَافِ الْخَضْرَى - وَيَتَقَلَّبُ أَبْنَاؤُهُمْ وَبَنَاتُهُمْ فِي بِحَارٍ مِنَ الْجِدَّةِ وَالتَّعْلِيمِ الطَّائِلِ، مِمَّا سَرَقَ آبَاؤُهُمْ وَأَغْتَصَبُوهُ مِنْ أَمْوَالِ الْآخِرِينَ - بِأَسْمٍ صَالِحَةٍ وَمُؤَهَّةٍ - وَكُلُّ ذَلِكَ فِي أَحْوَالِ تَفْعُمِ الْبِلَادِ - حَتَّى

١ - راجع لعرفان هؤلاء الاشرار: النصوص النبوية التي جاءت في الفصل ٨، من الباب ١١.

الاسلامية منها - جماهيرٌ وجماهيرٌ تربةٌ مُستسلمةٌ لضَغَطاتِ العوزِ المُبِيرِ.. فإنَّ كان هذا، فإنَّ القسطَ الذي جاءَ الانبياءُ ليقومَ بِهِ الناسُ؟! إنَّ الاسلامَ - كما قالوا - «دينٌ تجديدٍ، واقدامٍ، وبناءٍ، وانشاءٍ، وقوَّةٍ، وامنٍ، وسلامٍ، ومحبةٍ، وإخاءٍ، وتأميمٍ»؛ وإنَّ ديناً كهذا لا يُواكبُ - بجوهره واحكامه - تلكم الخُطَطَ الجهنميَّةَ بوجه .

كلمة عن المنهج وتطبيقه

١٦ - من المناسب أن نُشيرَ هنا أيضاً، الى المنهج الذي اتَّخذناه في هذه الدِّراسة والعرض، بصورةٍ مختصرة (أما التفصيلُ فتجده في صفحاتِ الكتاب)، وهو على ما يلي :

أ - الرَّجوعُ الى كتابِ الله تعالى، مع رعاية المنطقِ الذي يَخُصُّه، كما اشرنا اليه في مُستهلِّ الجزءِ الأوَّل.

ب - الرَّجوعُ الى الحديث، فإنَّه مُستقى من القرآن وشارحٌ له، ومُبينٌ لمغازيه الكميَّة والكيفيَّة، ومُؤشِّرٌ لأطره الفكريَّة والعملية. وهو ما أفيضُ على الأُمَّة - خلالَ سبعينَ ومِئتينَ عاماً - من تعاليمِ النَّبيِّ «ص» واوصيائه المعصومين «ع»، حيث أوضحوأما جاءَ في القرآنِ بجِدارةٍ وعلم.

ج - النَّظرُ في ما جاءَ في القرآنِ والحديثِ من التَّعاليمِ والاحكام، بصورةٍ منظومةٍ وموضوعيةٍ، والفحصُ عنها في حالةِ صلةٍ بعضها ببعض - بعدَ كشفِ تلكم الصَّلَاتِ، ما تيسَّرَ لنا الكشف - وذلك لِأَنَّ وَعِيَّ صِلَاتِ الاحكامِ المتشابكةِ والمِلاكاتِ الفرديَّةِ والاجتماعيةِ الملحوظةِ فيها، من أهمِّ ما يُعينُ على بَلُورَتِها ويمنعُ من الفهمِ المنحرفِ - او الضَّئيلِ، او المُتخلفِ - لها؛ بل لا نصلُّ الى فهمٍ صحيحٍ لايِّ تعليمٍ او حكمٍ بدونِ الوَعْيِ المذكورِ، فليُكلِّ حكماً جهتان :

(١) - المركز.

(٢) - الترابط.

يعني : أَنَّ لكلِّ حكمٍ مركزاً في حدِّ ذاته، وترابطاً مع سائرِ الاصولِ^١ والاحكام، فيجبُ أَنْ يُشخَّصَ ذلك «المركز» (المحور)، ويوعى ذلك «الترابط»، ويُطبَّقَ الحكمُ مع المحافظةِ على المركزِ الاصيليِّ له مترابطاً مع سائرِ الاحكام والاصول. وبذلك يَتِمُّ التَّفَقُّهُ في كلِّ حكمٍ او تعليمٍ، وَيَلْتَحِمُ كلُّ حكمٍ او تعليمٍ مع نظامِ الاسلامِ الشَّامِلِ العامِّ^٢.

د- جعلِ الاصولِ الرَّئِيسِيَّةِ الَّتِي جَاءَ بِهَا الْقُرْآنُ، ملاكاً اصلياً لسائرِ الاحكامِ الاصيليةِ والفرعيةِ، ومقياساً باتاً للقبولِ او الرَّفْضِ. خذُ اليك في هذا الموقفِ ثلاثةِ امثلة :

(١) - اصلُ تجسيدِ العدالةِ والقسطِ.

(٢) - اصلُ شَجْبِ التَّكَاثُرِ وَالْاِتْرَافِ.

(٣) - اصلُ حمايةِ المستضعفينِ.

أما الاصلُ الاوَّلُ (القائمُ على الميزان، الدَّاعي الى التوازن)، فهو اصلُ قرآنيٍّ رِئِيسِيٍّ، فيُصْبِحُ لا محالة مقياساً لكلِّ الاحكامِ الاسلاميةِ - الاقتصاديةِ منها او غيرها - فكلُّ حكمٍ او فتوى كان مناقضاً لهذا الاصلِ الرَّئِيسِيٍّ، او مُعَيِّقاً عن

١ - نريدُ بالاصولِ هنا، الاصولَ العقيديةَ والاصولَ العامةَ الَّتِي جَاءَ بِهَا الدِّينُ لِصُنْعِ الْفِرْدِ وَالْمَجْتَمَعِ. أما الاصولُ العقيديةُ فِصلُها القويمُ بالاتجاهاتِ الفقهيةِ والاحكامِ واضحة، فَإِنَّ دِيناً يَكُونُ الْعَدْلُ مِنْ اَصُولِهِ وَيَعْتَقِدُ بَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَادِلٌ، لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَوْجَدَ فِيهِ حُكْمٌ او تَشْرِيْعٌ يَسْتَتِيعُ الظُّلْمَ (كما في التَّكَاثُرِ وَالْفَقْرِ). فالفقيهُ الْمُجْتَهِدُ الْعَدْلِيُّ لَا يَسْعُهُ أَنْ يُعْضِضَ الْعَيْنَ فِي الْاِسْتِنْبَاطِ عَمَّا يَرْجِعُ اِلَى تَجْسِيْدِ الْعَدَالَةِ وَيُزِيْعُ الْعَقَبَاتِ عَنْ سَبِيلِهَا، فَهُوَ لَا يَتَّخِذُ فِي الْفُتْيَا مَوْقِفاً يَضَادُّ الْعَدْلَ وَيَسْحَقُ الْقِسْطَ فِي النَّاسِ. فالقولُ بِالْعَدْلِ لَهُ تَأْثِيْرٌ عَظِيْمٌ وَتَأْثِيْرٌ كَبِيْرٌ فِي الْاِتْجَاهَاتِ الْفَقَاهِيَّةِ - كما هو لاجب، وبذلك يَتَلَاخَمُ الْجَانِبَانِ : الْعَقِيْدِيُّ وَالتَّشْرِيْعِيُّ، وَلَا تَنْتَلِمُ الْوَحْدَةُ الدِّيْنِيَّةُ فِي الْمَعْتَقِدِ وَالْفَقَاهَةِ. وأما الاصولُ الْعَمَلِيَّةُ الْبِنَاءُ لِلْاِفْرَادِ وَالْمَجْتَمَعَاتِ، فَهِيَ الَّتِي ذَكَرْنَا عِدَّةً مِنْهَا فِي الْبَابِ ٥، فِي الْجِزْءِ ٢، فَرَاغَهَا.

٢ - راجع ايضاً : النظرة الى الفصل ٢٥، من هذا الباب، الفقرة ١٣.

تجسيده، فهو خارج عن الاطار القرآني بالضرورة. والاصل الثاني، اصل قرآني رئيسي ايضاً، حيث صدع به القرآن الكريم في ايقاعات حاسمة، فهو ايضاً مقياس لكل الاحكام الاسلامية - الاقتصادية منها او غيرها - فكل حكم او فتوى لا يرمى الى غرض تجسيده في المجتمعات، فهو خارج عن الاطار القرآني بالضرورة.

والاصل الثالث ايضاً اصل قرآني رئيسي، فهو ايضاً مقياس لكل الاحكام الاسلامية - الاقتصادية منها او غيرها - فكل حكم او فتوى لا يكون مترابطاً معه، باعثاً على تطبيق مضمونه، فهو خارج عن الاطار القرآني بالضرورة.

ففي هذه الدراسة، يصبح الامران التاليان من عمدة المقياس الاصلية لاستنباط الاحكام الاسلامية وفهمها على وجهها والتفقه الصحيح فيها، اذ بهما تضمن اسلامية الاحكام المستنبطة، بصورة مطمئنة، الالهما:

(١) - جعل الاصول الرئيسية الغائية للدين ملاكاً باتاً لكل الاحكام.

(٢) - التوفر على كشف الصلات الواقعة بين الاحكام.

هـ - العمد الى معرفة حياة الانسان المعاصر، بما فيها من التطورات، في المعيشة والعمل والتربية والثقافة والانتاج والاستيراد والتقنية والفن والسياسة والدفاع، وما يكتنفها من الحاجات المستجدة، مما يختلف عن حياة الانسان الغابر اختلافاً اساسياً. ومن اللاحب ان المعرفة المذكورة ووعي الواقع المتطور الذي يعيشه انسان اليوم، يجب ان لا تكون مغفولةً بوجه، لدى من يروم ان يستنبط الاحكام الاسلامية ويفتي فيها - على حين معرفة بمواضعها وصلاتها ومبانيها - ويعمل على استقائها من القرآن والحديث، الجاريين مع كل زمان.^٢

١ - ولعل التطور الباطن الذي حصل في حقل «العمل» و«الانتاج» و«الاستيراد»، امر لا يغفل عنه اي نابه، ولا يُنكر ضرورة تجديد النظر في الاحكام والمسائل التي ترتبط بها وتمت اليها اي فقيه يقظ، واي متشرع محتاط، لكيلا يبخس حق او يظلم محق.

٢ - لاحظ: الفقر الآتية (٢٢) و (٢٣) و (٢٥)، من هذه المقدمة بامعان.

و- التعامل مع «الحوادث الواقعية الاقتصادية» ووعياها في واقعها، من غير ائى ركون الى سائر ما هنالك من مدارس وافكار. ولئعلم ان اتجأها في هذه الدراسة والعرض، وما رُناه من تبيين احكام الاسلام الاقتصادية، بما لها من «المركز» و«الترباط»، وتأطيرها بصورة جامعة عملية مُلبية لحاجات المجتمعات، ليس رد فعل لاي امر او شيء، بل هو مقتضى الرجوع الى «الثقلين المنشودين»^١ واستقاء تعاليم حياتية منهما لحل مشكلة هي من اعظم مشاكل الحياة الانسانية، وهي مشكلة «الغنى» و«الفقر»؛ وعرضه على المجتمع البشري، في هذه المصائق الحرجة التي يعبرها الانسان المعاصر، وخصوصاً المحرومين والمضطهدين.

١٧ - في هذا الضوء، فالكتاب في مجموعته حصيلة من كتاب الله (القرآن) واحاديث مفسريه العالمين به، وشارحيه الواقعيين، المُبينين لاغراضه، والموضحين لتعاليمه وهداياته.

١٨ - ولُنشرهنا الى ان الآيات والاحاديث التي نوردها في الفصول والمباحث، ليست هي جميع آيات الموضوع واحاديثه بصورة مُستفصاة، بل هي نماذج ولمع نوردها لرسم خطوط البحث وتخطيط حدوده، مُلفتين انظار القراء والباحثين اليها والى مغازيها - ومغازي مثيلاتها - للقيام بدراسة بناء شاملة في حوزة الاسلام وتعاليمه.

١٩ - ان الاحاديث المذكورة واردة في خط الهدى القرآني واطاره، وموافقة له، وشارحة لمغازيه، وراسمة لمنهاج الكتاب السماوي؛ كما يشاهده القارئ حينما يقرأ التنزيل الوارد في مستهل المباحث والفصول. وهذا من اهم الأدلة على

١ - كما يلمسه القارئ باليد، عند رجوعه الى ابواب الكتاب وفصوله.

اعتبار الحديث.

٢٠ - بالاضافة الى ما اشرنا اليه في اعتبار الحديث الوارد في الكتاب، نُلِفْتُ

نظرَ القارئِ الباحثِ الى امور:

أ - أن تلك الاحاديث مُتَقَوِّبَةٌ ببعضها ببعض، ومتناصرة ومتضاربة ومتعاضة بمضا مينها المتكررة - كما سلف الايعاز اليه.

ب - أنها قد رواها مشايخنا العظام - رَحِمَهُمُ اللهُ تعالى - في كتبهم، نُظَرَاءُ:

- الشيخ الحسين بن سعيد الكوفي الاهوازي، في كتبه.

- الشيخ ابي العباس الحِمَيْرِيُّ القمي، في كتبه.

- الشيخ ابي جعفر الكَلِينِي، في «الكافي».

- الشيخ ابي جعفر الصَّدُوق، في «مَنْ لَا يَحْضُرُهُ الْفَقِيه» و سائر كتبه.

- الشيخ الحسن، ابن شعبة الحرّاني، في «تُحْفِ الْعُقُول».

- الشيخ محمد بن النعمان المفيد البغدادي، في كتبه.

- الشيخ ابي جعفر الطُّوسِي، في «التّهذيب» و «الاستبصار» و سائر كتبه.

- الشيخ علي بن ابراهيم القمي، في «التفسير».

- الشيخ ابي النضر العيَاشِي السَّمَرَقَنْدِي، في «التفسير».

- الشّريف ابي الحسن الرّضِي البغدادي، في «نهج البلاغة».

- الشيخ ابي القاسم، ابن قولويه القمي، في كتبه.

- الشيخ ابي علي الطبرسي، في «مجمع البيان» و «إعلام الورى».

- الشيخ احمد، ابن فهد الحلّي، في «عُدَّة الدّاعي» و كتبه الأخرى.

١ - بعد ما حَذَفَ الاسناد، وقد جاءت احاديثه ومنقولاته في «نهج البلاغة»، في كتب المتقدمين عليه والمتأخرين عنه؛ وقد ذَكَرَ كثيرٌ من هؤلاء المؤلِّفين اسنادهم. ولقد أُلِّفَ عن اسناد «نهج البلاغة» واستناده، كتبٌ ورسائل، فراجع.

- السيد رضي الدين، ابن طاووس الحسني الحلبي البغدادي، في كتبه.
- الشيخ فخر الدين، ابن ادريس الحلبي، في «السرائر».
- الشيخ محمد بن مكي، الشهيد الاول، في كتبه.
- الشيخ زين الدين، الشهيد الثاني، في كتبه.
- الشيخ محمد بن علي، ابن شهر آشوب السروي، في «المناقب» و كتبه الأخرى.

- الشيخ ابي منصور الطبرسي، في «الاحتجاج».
 - القاضي نعمان المصري، في «دعائم الاسلام».. و من اليهم ١..
- ولقد اخرجها مشايخنا المتأخرون في كتبهم، عن المشايخ المذكورين وأترابهم ٢..

ج - أن مشايخنا المتقدمين، من الفقهاء والمحدثين، كانوا يعملون بالاحاديث التي يثقون بصدورها - وإن حصل الوثوق بقرائن خارجية غير السند - ويفتون بمقتضاها. ولقد حذا المتأخرون من الفقهاء حذوهم حتى هذا العصر. فاعتبار الحديث والاختذ به اعم عندهم ٣ عملاً مما اصطَلح عليه العلماء، السيد احمد، ابن طاووس الحلبي (م - ٦٧٣)، وتلميذه العلامة الحلبي (م - ٧٢٦)، في أخريات القرن السابع وأوليات الثامن. ولقد عمل بهذه السيرة واشاد بها، شيخنا العالم الرباني، والمُتأله القرآني، الواقف على حقائق معارف القرآن والحديث،

١ و ٢ - وقد ذُكرت اسامي الرواة في كتب هؤلاء الاعلام او في مصادرها.

٣ - وهذه القرائن قد ذكرها عدة من العلماء، منهم صاحب «الوافي»، في مقدمات الجزء الأول. لاحظ أيضاً ما قاله الشيخ حسين بن عبدالصمد العاملي في «الدراية»، عند الكلام عن «الصحيح». وراجع: خاتمة «الوسائل» (الجزء ٢٠)، وما جاء فيها من ذكر كتب الحديث المعتمدة، وشهادة العلماء بصحتها، وذكر القرائن على وثاقه الراوي.

٤ - كما صرح به الاستاذ الاكبر الوحيد البهبهاني بقوله: «إن بين صحيح القدماء وصحيح المتأخرين العموم المطلق» - راجع: مقدمة «الكافي»، لعلي اكبر الغفاري، من طبعة المكتبة الاسلامية، طهران (١٣٨٨ هـ - ق).

السَّيِّحُ مَجْتَبِي الْقَرْوِينِي الْخُرَاسَانِي (م - ١٣٨٦ هـ . ق).
 د - وَنَحْنُ أَتَبَعْنَا هَذِهِ السَّيْرَةَ^١، وَاتَّخَذْنَاهَا مِنْهَا جَانِبًا نَسِيرٌ عَلَيْهِ، إِلَّا إِذَا كَانَ هُنَاكَ
 حَافِزٌ يَدْفَعُنَا إِلَى الْإِعْرَاضِ عَنْهَا، مِنْ دَلِيلٍ عَقْلِيٍّ صَحِيحٍ، أَوْ مُقْتَضَى
 شَرْعِيٍّ بَاتٍ، فَانَّهُمَا مُحَكَّمَانِ لِمَحَالَةٍ. عَلَى أَنَّ الْعَرَضَ عَلَى «الْقُرْآنِ»، مَقْيَاسٌ
 قَوِيمٌ، كَمَا أَمَرْنَا بِهِ أَيْمَنُ الْهَادُونَ «ع»؛ وَفِي كَوْنِ الْمَضْمُونِ الْحَدِيثِيِّ مُطَابِقًا
 لِلْمَغْزَى الْقُرْآنِيِّ، أَكْبَرُ مُسْتَدَدٍ.^٢

٢١ - أَنَّ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثَ الْمُنْقُولَةَ قَدْ يُكْرَرُ أَيْرَادُهَا، وَذَلِكَ لِلِاسْتِفَادَةِ مِنْ
 أَبْعَادِ مَغَازِيهَا الْمُخْتَلِفَةِ وَتَعَالِيمِهَا الْمُتَنَوِّعَةِ، ذَاتِ الْإِعْرَاضِ وَالْأَبْعَادِ، فَهُوَ لَيْسَ فِي
 الْحَقِيقَةِ تَكَرُّرًا بِمَعْنَاهِ. وَنَحْنُ نَحُضُّ الْقُرَّاءَ بِهَذَا التَّذْكِيرِ عَلَى إِعْمَالِ النَّظْرِ فِي تِلْكَ
 التَّعَابِيرِ وَالتَّعَالِيمِ، بِرُوحِ الْمَلَاظَمَةِ.

٢٢ - مِنَ الْمَرْجُوِّ أَنْ تَقَعَ هَذِهِ الْمَجْمُوعَةُ فِي مَتَنَاوَلِ عُلَمَاءِ الْإِسْلَامِ وَفُقَهَائِهِ -
 مَا زَالُوا مُؤَيَّدِينَ مُسَدِّدِينَ - وَتَصِيرَ أَرْضِيَّةً خَصْبَةً لِتَوْسِيعِ دَائِرَةِ الْفِقَاهَةِ وَالْاجْتِهَادِ
 بِالنِّسْبَةِ إِلَى هَذِهِ الْمَوَاضِعِ وَمَا يَرْتَبِطُ بِهَا، مِمَّا يَمَسُّ الْاِقْتِصَادَ وَالْمَذْهَبَ الْاِقْتِصَادِيَّ
 فِي الْإِسْلَامِ، لِأَنَّ اسْتِنْبَاطَ مَذْهَبِ الْإِسْلَامِ الْاِقْتِصَادِيَّ يَحْتَاجُ إِلَى تَمْحِيسٍ وَتَفْقِهِ
 وَاجْتِهَادٍ مِنْ جَدِيدٍ، اجْتِهَادًا يَسْتَوْعِبُ كُلَّ «الْحَوَادِثِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ» بِشَكْلِ

١ - وَهَذِهِ سَيْرَةٌ عَقْلَانِيَّةٌ يَتَعَمَّدُ عَلَيْهَا الْعُقْلَاءُ فِي كُلِّ عَصْرِ وَمِصْرٍ، وَتَقْتَضِيهَا طَبِيعَةُ الْمُعَابَشَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ فِي
 الْمَجْتَمَعَاتِ، عِنْدَ الْإِخْبَارِ وَالِاسْتِخْبَارِ وَالتَّعْلِيمِ وَالتَّعَلُّمِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، كَمَا اعْتَمَدَ عَلَيْهَا فُقَهَاؤُنَا سَلْفًا وَخَلْفًا.
 وَهَذَا لَا يَعْنِي الْاِعْتِمَادَ عَلَى كُلِّ مَا جَاءَ فِي كِتَابِ الْحَدِيثِ أَوْ وَرَدَ بِاسْمِ الْحَدِيثِ - كَمَا هُوَ وَاضِحٌ.

٢ - وَهُنَاكَ طَرِيقَةٌ عِلْمِيَّةٌ هَامَةٌ لِلْوُقُوفِ عَلَى صُدُورِ الْحَدِيثِ وَعَدْمِهِ وَالْاطْمِئِنَانِ بِصَحَّتِهِ. وَهِيَ الَّتِي دَعَمَهَا الْعَالِمُ
 الْقُرْآنِيُّ الْكَبِيرُ، وَالْمُحَقِّقُ الْمُؤَسِّسُ، الْمِيرْزَا مَهْدِي الْغُرُوبِيِّ الْاِصْفَهَانِيِّ (م - ١٣٦٥ هـ . ق)، شَيْخُ شَيْخِنَا
 الْقَرْوِينِيِّ - قَدَسَ اللَّهُ تَعَالَى سِرَّهُمَا - وَهَذِهِ الطَّرِيقَةُ بَحَثٌ عَنْهَا وَخَطَّطَ مَعَالِمَهَا فِي كِتَابِهِ «الْمَعَارِضُ».

مدرس، يَقُومُ به اهلُ النَّظَرِ وَالْوَعْيِ النَّابِهُونَ، من المجتهدين الكبار^١. نعم، إِنَّ المسائلَ الاقتصاديةَ والمعيشيةَ الحديثةَ والمُستجَدَّةَ - بأفانها الفسيحة، وفروعها الكثيرة، وقضاياها المُنوعَة، وبما فيها من آراءٍ ونظراتٍ علمية، وتَعَقُّدٍ وتطوُّر، وبما يلزُمُها من اِخْصائِيَّة - لا يَسُوغُ، بل لا يمكنُ أَنْ تَتَلَقَّها بصورةٍ بسيطةٍ وقديمة، بل علينا أَنْ نُوسِّعَ آفاقَ التَّفَقُّهِ في هذا الحَقْلِ (وخصوصاً بعدما نُشاهدُ كثرةَ التعاليمِ والمُؤشَّراتِ الواردةِ في القرآنِ والحديثِ بهذا الصِّدَد، ذاتِ مَنَاحٍ حياتيةٍ وتوجيهاتٍ مصيريةٍ لا يُستَهانُ بها)، حتَّى نَخْرُجَ برأىٍ مُرَكِّزٍ مُؤَصَّلٍ، ونأْتِي بنظراتٍ قيِّمةٍ راشدةٍ يُتاحُ بها لـ «الفقاهة الإسلامية» أَنْ تُجِيبَ على جميعِ أسئلةِ البشريةِ الاقتصاديةِ، الهامةِ والمُعقَّدة، في هذا العصر^٢.

٢٣ - ومن الواضح أَنَّ التَّفَقُّهَ والاجتهادَ في المسائلِ الحديثةِ و«الحوادثِ الواقعةِ الاقتصاديةِ»^٣ بأغوارها البعيدةِ وشُعَبِها المُعقَّدةِ والأِخْصائِيَّةِ - التي اشرنا إليها - يَمْتازُ عَنِ التَّفَقُّهِ والاجتهادِ في مسائلِ الملكيةِ المعروفةِ السابقة؛ فناموسُ

١ - وهذا لا يُنافي ما قلناه في الفقرة ١٣، من أَنَّ استنباطَ المذهبِ الاقتصاديِّ في الاسلامِ يَتَطَلَّبُ قيامَ لَجْنَةٍ مركَّبةٍ، بمحاولةٍ فَنِيَّةٍ مُوسَّعةٍ ومُستوعِبة، وذلك لِأَنَّ على المجتهدين الكبارِ أَنْ يقوموا بقسمِ يَخُصُّهم من هذا الامر، مُستفِرِّغين الوُسْعَ، مُتَّبِعِينَ الدَّلَائِلَ والنُّصوصَ، حتَّى يَتَمَكَّنُوا من تزويدِ تلكِ اللَجْنَةِ وتطعيمها.

٢ - فنحن اصوليون لا نقولُ الاً بالاجتهادِ، ولا نَجْنَحُ في نظامِ الاجتهادِ الى «التبديل»، بل نَجْنَحُ الى «التوسيع». وذلك لحكمةٍ واضحة، وهي أَنَّ التبديلَ في نظامِ الاجتهادِ هَدْمٌ لِأَساسِهِ، وَأَنَّ التَّوسِيعَ في حقوله ضَمَانٌ لِمَقايِدِهِ وشمولِهِ وتجسيدِهِ. وهذا امرٌ لا يُعدُّوعنه - بعدَ الوقوفِ عليه - ائِي نايهٍ يَفْهَمُ الزَّمَنَ والعصريةَ، وَيَتَطَلَّعُ الى المستقبلِ.

٣ - وخصوصاً في هذه الموضوعات:

- أ - العمل.
- ب - الانتاج.
- ج - الاستيراد.
- د - التسعير.
- هـ - التوزيع.

التطوُّر في الحياة الانسانية والصِّلات الاقتصادية، وتحوُّل الموضوعات الحكيمية ولزوم وَعِيها المناسب (الذي هدانا اليه الائمة الهادون «ع» بالتعبير بكلمة «الحوادث»)،^١ إنما هي امورٌ لامحيدَ عن الرُّكون اليها، والتوفُّر عليها. إذ «الحوادث الواقعة»، غيرُ «الوقائع السابقة» - كما هو واضح؛ ومعرفة الزمان بأبعاده ومحتوياته رمزُ للبقاء - كما هو بين؛ والتخلف والجمود وضيق الأفق، او الانخداع بتمويهات الاغنياء والمترفين، امورٌ تهدمُ الدين والدنيا - كما هو لاجب.

٢٤ - فنحن لم نقصد بهذا العرض والتصنيف، الا:
- خدمة الدين واهله.

- احياء عدَّة من القيم والتعاليم والاصول مما هو ضروريُّ لصنع المجتمع الاسلامي.

- تزويد الفقهة الاسلامية بهذه التعاليم المحيية، تابعين في كل ذلك ما يُقرُّه الاجتهادُ النابه الواعي الرساليُّ المُلتزم - كما اشرنا اليه.

- اعزاز المسلمين وبلادهم بتطبيق هذا المؤشرات والاصول.

- عرض ما جاء في الاسلام للدفاع عن الجماهير المُستضعفة والمُضطهدة المحرومة، ولاسترداد حقوقهم ورفع مستواهم المعيشي والحقهم بالآخرين.

- تشجيع ناشئة المسلمين والشباب والثوار على الالتفافِ دول المركزِ الدينيِّ

لإنقاذ الجماهير، وتحصينهم ضدَّ الجنوح الى المدارس الاحاديية والمُضلة.

- شجَب الطَّاغوتية الاقتصادية.

- اعلاء كلمة الحق والعدل، وارساء قواعد القسطِ القرآنيِّ في المجتمع

١ - بالاضافة الى ما جاء في تعاليمهم في الحث على معرفة الزمان ومحتوياته، وقولهم: «العالمُ بزمانه لا تهجُم عليه اللوايس» (تحف العقول / ٢٤١). وهذا التعليم يعني ان غير العالم بزمانه ومافيه، تلتبس عليه الامور التباساً. وهذا ما يقتضيه الحكم العقلي والتجريبي ايضاً.

والاقتصاد، كل ذلك بفضل ما أسداه الاسلام (كتاباً وحديثاً)، الى الانسان والانسانية.

- دعوة القوم الى رد الاموال الى مواضعها الالهية القوامية.

- اصلاح المجتمع بإزاحة الداهيتين، التكاثر والفقر، من ساحاته.

- ايجاد تربة صالحة لتجسيد القسط الذي جاء الانبياء «ع» لان يقوم به الناس.

- دُعاء مُفكّري العالم الى دراسة القيم والتعاليم الاسلامية من جديد.

٢٥ - كذلك نرجو ان ينصهر طلاب العلوم الاسلامية بروح هذه التعاليم القرآنية والحديثية - المحيية المطورة - فيقوموا باشاعة العدل، واحقاق الحق، وتركيز أسس القسط القرآني في المجتمعات الاسلامية، وبمناخحة التكاثر والفقر؛ فإنهم الذين تأمل الأمة المسلمة ان يكونوا في المستقبل علماء عاملين، وفقهاء رساليين، وزعماء متفتحين قائدين للحركات البناء، واعين لكل ما هنالك من تطور ومفهوم، عارفين بمضامين الزمن ومتطلباته، غير ناكبين عن الحضور في طلائع الحركات التقدمية للمسلمين، مُمهدين لحكومة العدل العالمية التي تملأ آفاق الحياة البشرية وجميع مناطق الارض ..

فالغاية القصوى التي يتبناها هذان البابان من كتاب «الحياة»، هي ان يتبلور امام القارئ النابه، ولا سيما الفقهاء والمجتهدين والاساتذة المحققين والباحثين المثقفين وطلاب العلوم الاسلامية الواعين، مواضع الكلم الاقتصادي الالهي والاحكام الاقتصادية الاسلامية بجميع تأشيراتها، في حالة صلتها بكل ما هنالك من حكم، اقتصادي وغير اقتصادي؛ وان يتضح ان هذه الصلة هي التي لا

١- وهي حركات يجب عليهم تجسيدها، لتخليص دينهم وقيمتهم وكيانهم وبلادهم وثوراتهم وعلومهم وثقافتهم واخلاقهم، من برائن الاستعمار والاستكبار العالمي .

يَسْعُ الباحثُ الفقيهَ والمجتهدَ المستنبطَ الجهلُ بها، أو غَضُّ الطَّرْفِ عنها واهمالها، إذ برعايتها يُتَأَمَّرُ لآيِّ مستنبطٍ أن يَصِلَ الى نظراتِ الاسلامِ الاصليةِ المطمئنةِ الى المالِ ومواضعِهِ وحقائِقِهِ، وحُلُولِ الاسلامِ الجذريةِ لقضايا الاموالِ وتداولها بين الناسِ، ومالها من الأطرِ والمسائلِ، وما يُعَدُّ تحريفاً لموضعِ المالِ وما لا يُعَدُّ؛ فبِوَعْيِ الصَّلَةِ المذكورةِ ورعايتها يُتَأَمَّرُ أن تُسْتَنْبَطَ المسائلُ الماليةُ استنباطاً اسلامياً مستوعباً، لا يَشُدُّ عن مجموعةٍ ما قاله الاسلامُ بحقِّ الاموالِ، وعن الغاياتِ الفرديةِ والاجتماعيةِ الصحيحةِ للاستفادةِ منها في شتى المجالاتِ. وبهذه الصَّورةِ تُصَيِّحُ المسائلُ المستنبطةُ قابلةً للتجسيدِ هنا وهناك، من غيرِ آيِّ تخلفٍ أو عُرْلةٍ.

٢٦ - لم نَرَأِنا محتاجين، في تدوينِ مقاصدِ الكتابِ الى الاستفادةِ من المصطلحاتِ الحديثةِ، بعدَ ما جاءت في القرآنِ الكريمِ كلماتٌ حيةٌ غنيةٌ تفي بالمضامينِ المقصودةِ باحسنِ وجهٍ وأوعاه؛ فكلمةُ «التكاثر» (الواردةُ في القرآن) و كلمةُ «الإتراف» (المتخذةُ من التعبيراتِ القرآنيةِ)، تكفيانِ لالقاءِ المفاهيمِ التي نرومها في مقاصدِ الفصولِ، بصورةٍ جليةٍ ومستوعبةٍ؛ ففي هذا الضوءِ، اذا جئنا بكلمةٍ من المصطلحاتِ الحديثةِ، انما نجيءُ بها لاستيناسِ الازهانِ بها، بشكلٍ تأكيديٍّ وتوضيحيٍّ، لا تأسيسيٍّ.

ومن المعلومِ اننا لا نَقْصُدُ بالتكاثرِ تلكَ الرأسماليةَ المصطلحة، بل نَقْصُدُ المعنى القرآنيَّ للكلمةِ^١ وهو واسعٌ رَحْبٌ، فَيُعْمُ هذه المصطلحاتِ ايضاً، وإن كان بعضها فرعاً لذلك المعنى، أو شعبةً من شُعْبِهِ، أو نتيجةً له.

وإذا ضَمَمْنَا الى كلمةِ «التكاثر»، كلمةَ «الإتراف» - كما فعلناه - تَبَلُّورُ سَعَةٍ

١ - لقد أتينا بشيءٍ من الايضاحِ حولَ كلمتي «التكاثر» و «الإتراف»، في مُسْتَهَلِّ الفصلِ ٨، من البابِ ١١، فراجع.

نطاق الكفاح القرآني ضد الغنى الوافر والمعيشة الترفية، ويرتقي الى مستوى عالٍ لم يرتق اليه أي مذهب او مدرسة؛ إذ القرآن لا يخص كفاحه بمجابهة الغني التكاثري والاغنياء فقط، بل ينافح معيشتهم الترفية ايضاً - كما اشرنا اليه - وبذلك يكمل هذا الكفاح ويُسْمِر^١، لأنهما من اهم العوامل المُدمِّرة والمعاول الهدامة لكيان المجتمعات، السَّاحقة لصلاح البشرية وسعادة ابنائها.

٢٧ - بعد ما وصل الجزءان الأول والثاني، من كتاب «الحياة»، الى ايدي الناس، ورأهما العلماء والمحققون والاساتذة والمتقنون وطلاب العلوم الاسلامية وطلاب الجامعات وغيرهم، ونظروا في الكتاب بعين الحب والتشجيع، طلب منا البعض أن نبسط الكلام فيما نعلق على الآيات والاحاديث، من إلفاتٍ ونظرات، وأن تأتي في تضايفِ الفصول والمسائل بيانٍ اوفى وشرحٍ ايسر، لاستيفاء الافكار وتحقيق الاهداف. ونحن في هذين البابين قمنا ببعض الاستجابة لهذا المقصود في حدود مناسبة. ولأجل ذلك قدّمنا النظرات، فحجنا بـ «النظرة الى الفصل»، بدل «النظرة الى الباب»^٢. ومع هذا فإننا لم نخرج عن وضع الكتاب خروجاً كلياً، فبسطنا النظرات عندما رأينا البسط مناسباً، واقتضيناها في مواضع أخرى بقدر ما يحتمل الاقتضاب، فلم نسترسل في الكلام عن المسائل المطروحة هنا وهناك، لئلا نبتعد عن الغرض الذي نرمي اليه، وهو عرض الآيات والاحاديث عرضاً مجموعياً متشابكاً موضوعياً «منظوماً»، مرتباً ضمن ابواب،

١ - اضف اليه: كفاح الاسلام ضد الاسراف والمسرفين، من الذين يغضبون ما للآخرين، حيث يأكلون ما ليس لهم، ويشربون ما ليس لهم، ويلبسون ما ليس لهم، وينكحون ما ليس لهم، ويسكنون ما ليس لهم، ويركبون ما ليس لهم - على ما جاء تأشيرُهُ في القرآن والحديث - ولا تجد منافحاً للاسراف والمسرفين مثل الاسلام، غير أن من المؤسف أن هذه المنافحة لم تتجسد بعد في الفتوى والتربية والاقتصاد والبرمجة والتطبيق، حتى تستتبع شيئاً كثيراً من احقاق حقوق المحرومين والمغضوبين وصيانتها.

٢ - مع أن هذين البابين قد توسع نطاقهما، فلوجئنا بالنظرات في ختام الباب، لتقع بمنأى عن متناول القارئ.

لمقاصد رئيسية اشرنا اليها في افتتاحية الجزء الأول.

فعلى ما ذكرناه، نُرجى استرسال البحث حول هذه الموضوعات والتعاليم والهدايات والمضامين البناءة، الى كتاب «تفسير الحياة» - إن شاء الله تعالى - الذي أضمرنا أن نخرجه لتحقيق تلك الرغبة، التي نراها نحن ايضاً امرأً لازماً. فمن الله تعالى نستمد أن يوفقنا لانجازه واخراجه.

وابتاعاً لما قلناه، نطلب من القراء الكرام الذين يريدون شيئاً من التفصيل، ان يراجعوا النظرات الى الفصول، وأن يُمعنوا فيها النظر، مواصلين معنا السير؛ فلقد جاء فيها شيء من التفصيل حول مغازي الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة وتعاليمها وهداياتها.

٢٨ - ونحن نأمل أن تحظى هذه الاجزاء ايضاً، عند العلماء والفقهاء والمفكرين والمصلحين التغييريين والمنقذين والاقتصاديين الملتزمين وحماة المستضعفين والمؤمنين الصادقين والاستاذة النابهين و الطلاب الاحرار والكتاب والفنانين وغيرهم، خطوة الجزئين الاولين، وان تنجز بعض آمالنا المعلقة بنشر العدالة الاجتماعية والاقتصادية في الناس، وارساء قواعد دين الله الحنيف، وسائر ما ألمحنا اليه في الفقرة الرابعة والعشرين، وأن تسوق المؤمنين الصامدين^٢ الى الكفاح ضد الطاغوتية الاقتصادية، حيث لاتزال تحكم قطاعات واسعة لحد الآن ..

١ - وهناك أمل كبير في شبيبة طلاب العلوم الاسلامية المتفتحين، لشق هذا الطريق المصري المنشود.

٢ - والمتعبدين المحتاطين المتحرجين ايضاً، الذين تقتضي طبيعة موقفهم وتديبهم واحتياطهم، ان لا يرضوا بهذه

المظالم المالية والمعيشية الكبيرة التي تلحق المغصوبين والمُعديمين والفقراء والمساكين وترض عظامهم،

مما يوجب الشبهة في سائر التصرفات ويقضي على كل تقوى واحتياط.

٢٩ - ولعلَّ المصلحين الذين يُريدون إصلاح المجتمع بصدقٍ وإخلاص، والمُتَنَوِّلين لهذه المناحي والاعراض، لا يخفى عليهم أَنَّ المؤشَّرات التي جاءت في هذين البابين، ترسُّمٌ منهاجاً عملياً (خاضعاً للتجسيد)، لحلِّ المشاكل الاقتصادية، ودَعْمِ نظامِ ماليِّ قواميِّ متوازن، وتركيزِ مبدأ «القسطِ القرآنيِّ» في الجماهير، بشرطِ أَنْ يكونَ العاملون :

- ثأثرين تغييريين ..
- مُتَفَتِّحين غيرِ مُتَخَلِّفين ..
- صامدين في الاتجاه ..
- صادقين في النزعة ..
- صادعين بما أنزلَ اللهُ تعالى وأبأنه أولياؤه ..
- مُتَوَفِّرِينَ على مُرَّ الحَقِّ ..
- سالكين سُبُلَ الحُرِّيَّةِ والصَّراحةِ ..
- مُجِبِّينَ لِلانسان ..
- قرآنيين في اقامة العدل ..
- نبويين في مقاطعةِ الاغنياء والمُتَرَفِّين والالتحامِ مع المحرومين والمغضوبين والمستضعفين (بصورةٍ موضوعيةٍ) ..
- علويين في عدمِ القَرَارِ على كِطَّةِ الظالمين وسَعْبِ المظلومين (في اِرْغامِ القويِّ بأخذِ الحَقِّ منه، وانعاشِ الضَّعيفِ بردِّ الحَقِّ اليه) ..
- جعفريين في دعوةِ النَّاسِ الى تبنيِّ مبدأ «المساواة»، في المعيشة والحياة ..
- غيرِ مُنْخَدِعِينَ بِدَجَلِ المتكاثرين ولاخائفين من شَعْبِهِمْ ..
- غيرِ مُسْتَسْلِمِينَ لِأَيِّ ضَعْفٍ، او مَدَاهَنَةٍ، او تَخَلُّفٍ، او مطامع، او انحيازات ..
- وبكلمةٍ قرآنيةٍ قصيرة، اذا كــــانوا «قَوَّامين بِــــالقِسطِ،

شُهداءَ الله» .. ١

وَأَمَّا التَّغْيِيرِيُّونَ الصَّامِدُونَ فَهَمَّ يَجِدُونَ مُبْتَغَاهُمْ فِي هَذِهِ التَّعَالِيمِ، لِمَهْدِ حَرَكَةٍ تَغْيِيرِيَّةٍ هَدَامَةٌ بِنَاءَةٍ، «يُسَاطُ بِهَا الْمَجْتَمَعُ سَوَطَ الْقِدْرِ، حَتَّى يَعُودَ اسْفَلُهُ اعْلَاهُ، وَاعْلَاهُ اسْفَلُهُ» - بِصُورَةٍ يُقْرَأُهَا الْإِسْلَامُ.

٣٠ - وَاللَّهُ تَعَالَى نَسَأَلُ أَنْ يُوقِّقَ الْمُسْلِمِينَ - وَهُمْ الَّذِينَ بَايَدِيهِمْ هَذِهِ التَّعَالِيمُ الْحَيَّةُ الثَّرِيَّةُ الثَّورِيَّةُ - لِأَنْ يَدْرُسُوا تِلْكَ التَّعَالِيمَ مِنْ جَدِيدٍ، دِرَاسَةً مُخْلِصَةً وَدَقِيقَةً وَوَاعِيَةً، لَا يَنْفَكُ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ؛ وَأَنْ يَسْعَوْا لِصُنْعِ مَجْتَمَعٍ إِنْسَانِيٍّ قُرْآنِيٍّ صَالِحٍ مُتَقَدِّمٍ، عَسَى أَنْ يُصْبِحَ أُسْوَةً لِسَائِرِ الْمَجْتَمَعَاتِ الْبَشَرِيَّةِ الَّتِي تَحِيَا عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ، رَافِعَةً مَشَاعِلَ الْهَدَايَةِ لِجَمَاهِيرٍ وَجَمَاهِيرٍ مِنَ الْإِنْسَانِيَّةِ الْمُضْطَّهَدَةِ تَحْتَ نِيرِ التَّكَاثُرِ وَالْإِتْرَافِ، فِي أَكْنَافِ الْآفَاقِ - وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ، وَمَا التَّوْفِيقُ إِلَّا بِاللَّهِ، وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ.

اللَّهُمَّ! صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَعَجِّلْ فَرَجَهُمْ، وَفَرِّجِ الْحَقُّ وَالْعَدْلُ
وَالْإِنْسَانِيَّةَ بِهِمْ ..

اللَّهُمَّ! وَفَّقْنَا لِمَا تُحِبُّ وَتَرْضَى .. وَأَرْضِ عَنَّا أَوْلِيَاءَكَ ..

اللَّهُمَّ! اغْفِرْ لَنَا وَلَا بَائِنًا وَأُمَّهَاتِنَا، وَلَا سَاتِدَتِنَا وَأَسَاتِدَتِهِمْ، وَلَا قَرِبَائِنَا
وَاصْدِقَائِنَا وَجِيرَانِنَا، وَلِمَنْ لَه حَقٌّ عَلَيْنَا، وَلِمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْنَا،
وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ .. وَاجْعَلْنَا مِنَ الْمُصْلِحِينَ.

اللَّهُمَّ! أَعْلِ دَرَجَاتِ عِلْمَائِنَا الرَّبَّائِيِّينَ، وَفَقَهَائِنَا الْعَامِلِينَ، النَّابِهِينَ
الْمُجَاهِدِينَ ..

اللهم! زد في درجاتِ شهداءِ الاسلام، الذين رَفَعُوا بِفِدَائِهِمْ قَدْرَ الحَيَاةِ،
وَلَوْنُوا بِدِمَائِهِمُ الْمُتَوَهِّجَةَ شُرُوقَ الشَّمْسِ، وَالْحِقَّهُمُ بِالْمُسْتَشْهِدِينَ
فِي «بَدْرِ» وَفِي «عَاشُورَاءِ» ..

وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ يَخْدُمُ الْحَقَّ لِدَاتِ الْحَقِّ، وَيَسْعَى لِإِقَامَةِ الْقِسْطِ وَالْعَدْلِ ..
وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ..

شعبان المعظم، من سنة ١٤٠٦ هـ - ق: ١٣٦٥ هـ - ش.

البابُ الحادي عشر

مشهد ريد، كتاب لينا

الباب الحادي عشر: المدخل الى دراسة الاقتصاد الاسلامي (خطوط عامّة)؛ وفيه

فصول :

الفصلُ الأوّل

المال في التّصوّر الاسلاميّ (١)

أ - المؤشّر العامّ

الكتاب

- ١ فإذا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ، وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا، لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ *^١
- ٢ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا..^٢
- ٣ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ..^٣
- ٤ مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى، فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ، كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ..^٤
- ٥ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ..^٥

١ - سورة الجمعة (٦٢) : ١٠.

٢ - سورة النساء (٤) : ٥.

٣ - سورة البقرة (٢) : ١٨٨.

٤ - سورة الحشر (٥٩) : ٧.

٥ - سورة الأنفال (٨) : ٤٦.

- ٦ واقموا الصلّاة وآتوا الزّكاة ..^١
- ٧ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْتُمْ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْتُمْ ..^٢
- ٨ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ، وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ،
وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا *^٣
- ٩ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ *^٤
- ١٠ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ ..^٥
- ١١ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى *^٦
- ١٢ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ *^٧
- ١٣ إَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاتُرٌ فِي الْأَمْوَالِ
وَالْأَوْلَادِ ..^٨
- ١٤ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى *^٩
- ١٥ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ..^{١٠}
- ١٦ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا *^{١١}
- ١٧ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ..^{١٢}

١ - سورة البقرة (٢): ٤٣.

٢ - سورة النساء (٤): ٣٢.

٣ - سورة النساء (٤): ٣٧.

٤ - سورة المعارج (٧٠): ٢٤ - ٢٥.

٥ - سورة الحديد (٥٧): ٧.

٦ - سورة الليل (٩٢): ١٨.

٧ - سورة الانفال (٨): ٢٨.

٨ - سورة الحديد (٥٧): ٢٠.

٩ - سورة الليل (٩٢): ١١.

١٠ - سورة المنافقون (٦٣): ٩.

١١ - سورة الفجر (٨٩): ٢٠.

١٢ - سورة البقرة (٢): ١٩٥.

- ١٨ هَا أَنْتُمْ هُوَلَاءُ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ
فَأِنَّمَا يَبْخُلُ عَنِ نَفْسِهِ، وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ، وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا
غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ *^١
- ١٩ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِكَيْطَعِي * أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْنَى *^٢
- ٢٠ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا زَرَعْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ، فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ..^٣
- ٢١ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ: شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا ..^٤
- ٢٢ لَتُبْلَوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ..^٥
- ٢٣ وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ ..^٦
- ٢٤ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ..^٧
- ٢٥ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ هُمْ الْجَنَّةَ ..^٨
- ٢٦ كَلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ *^٩
- ٢٧ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا ..^{١٠}
- ٢٨ .. إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ *^{١١}

١ - سورة محمد «ص» (٤٧): ٣٨.

٢ - سورة العلق (٩٦): ٦-٧.

٣ - سورة طه (٢٠): ٨١.

٤ - سورة الفتح (٤٨): ١١.

٥ - سورة آل عمران (٣): ١٨٦.

٦ - سورة التوبة (٩): ٤١.

٧ - سورة النساء (٤): ٩٥.

٨ - سورة التوبة (٩): ١١١.

٩ - سورة الاعراف (٧): ٣١.

١٠ - سورة الإسراء (١٧): ١٦.

١١ - سورة الواقعة (٥٦): ٤٥.

الفات نظر

امعن النظر في هذا الآياتِ السّماويّةِ وأقرأها بتعمق، ثمّ اقرأها .. ثمّ خُضْ في غمارِ تعاليمها الحيّاتيّة، الشّارقةِ سُروقِ الشّمس، النّابضةِ نَبْضانِ القلب، المُتدفّقةِ تدفّقِ السّيل، المُنحدرةِ انحدارِ الحياة من قُللِ الوجود .. هل ترى بعدها شيئاً مُدخراً لمذهبٍ ماليٍّ او اقتصاديٍّ لِأَن يَجِيءَ وَبَيْنَهُ حَتَّى يُمَهِّدَ بِهِ لِسَعَادَةِ الانسان ولاقامةِ العدلِ الاجتماعيِّ؟

نعم، إنّ هناك عَقَبَةً صَعْبَةً، وهي العملُ بما في تلك الآيات. واليك عرضاً عابراً - في هذا المُستَهَلِّ - لعدّةٍ من ابوابِ تعاليمها، الاوهي :

- ١ - السّعيّ والانتشارُ في الارضِ للاكتساب ..
- ٢ - الاستمداؤُ من اللّهِ في السّعي والعملِ باكثرِ ذكْرِه .
- ٣ - مُنْعُ السّفهاءِ وغيرِ الآخِصّائيّين عن التصرّفِ في الاموال، والتدخّلِ في البرمجةِ الاقتصاديّة .
- ٤ - عدُّ الاموالِ قيماً للنّاسِ وقواماً .
- ٥ - مُنْعُ اكلِ اموالِ النّاسِ باسبابٍ باطلة .
- ٦ - مُنْعُ ادلاءِ الاموالِ الى الحُكّامِ والطّواغيتِ والعلماءِ المائلين الى الدّنيا .
- ٧ - التّأكيدُ الحاسمِ على ما لليتامى والمساكين وابناءِ السّبيلِ من حقّ .
- ٨ - التّحذيرُ من صيرورةِ الاموالِ دُولَةً بينَ الاغنياء .
- ٩ - الامرُ بايتاءِ الرّكاةِ وجعله كاقامةِ الصّلاة .
- ١٠ - اعطاءُ نصيبٍ لكلِّ مَنْ اُكْتَسَبَ وَتَكَبَّدَ المَشاقَّ في سبيلِ

الاكتساب .

١١ - الكفاح الحاسم ضد البخل والانصهار بروحيات

البُخلاء .

١٢ - البُخلاء وغير المنفقين لا يُمسكون مال أنفسهم بل

يُمسكون ما آتاهم الله من فضله .

١٣ - عدُّ البُخلاء والمُمسكين في عداد الكافرين .

١٤ - التأكيد على إخراج الزكاة الباطنة (وهي الحق

المعلوم)، وتأديتها الى السائلين والمحرومين .

١٥ - جعل الانفاق ردفاً للايمان بالله تعالى .

١٦ - الانفاق عمل استخلافِي، فالذي يُنفق لا يُنفق من مال

نفسه، بل يُنفق مما جعل مُستخلفاً فيه .

١٧ - أن التزكّي لا يُمكن إلا بالانفاق .

١٨ - الاموال في حدّ نفسها فتنة، فلا يستقبطها الانسان الذي

يعتق التوحيد ويدعي الالتزام الديني .

١٩ - شجُب التكاثر والتفاخر بالاموال الحاسم .

٢٠ - تَفَهُ المال في حدّ نفسه وعدم اغنائه المالك اذا تردى في

المهاوي .

٢١ - النظرُ السّاخِطُ الى تراكم الاموال .. لكونها مُلهيةً عن

ذكر الله تعالى .

٢٢ - التّديّد بحبّ المال والتّهالك في اقتنائه .

٢٣ - الامرُ بالانفاق وأن تركه هلاك وتهلكة، وأن البُخلاء إنما

يَخَلون عن أنفسهم، وإن الامر سينتهي الى استبدال قوم مكان

قوم .

٢٤ - التلازم بين الاستغناء والطغيان، وأن الطّاغوت الماليّ

ايضاً طاغوت.

٢٥ - النهي عن الغطرسة والطغيان في الاستمتاع باموال
الله وارزاقه، التي حوّل الناس اياها.
٢٦ - الاموال والهأوها الناس عن القيام بالتكاليف الانسانية
والدينية والاجتماعية .

٢٧ - الاموال ذرائع للتمحيص والاختبار .

٢٨ - الجهاد بالاموال كالجهاد بالنفوس .

٢٩ - الإشادة بفضل المجاهدين بالاموال والانفس .

٣٠ - شراء الله الاموال ممن له قدرة البذل والانفاق .

٣١ - شجب الاسراف والنهي الحاسم عنه .

٣٢ - رفض الحياة الباذخة ومعيشة المترفين .

الحديث

- ١ - النبي «ص» - فيما رواه الامام جعفر الصادق: لم نبعث لجمع المال، ولكن
بُعِثنا لانفاقه.
- ٢ - النبي «ص»: طوبى لمن اكتسب من المؤمنين مالاً من غير معصية، وأنفقه
في غير معصية، وعاد به على اهل المسكنة؛ وجانب اهل الخيلاء والتفاخر
والرغبة في الدنيا، المبتدعين خلاف سنتي، العاملين بغير سيرتي.^٢

١ - مشكاة الانوار / ١٨٣ .

٢ - تحف العقول / ٢٨؛ الكافي / ٨ / ١٦٩ .

٣ النبي «ص»: «أمتي في الدنيا على ثلاثة أطباقٍ، أما الطَّبَقُ الأول، فلا يُحِبُّون جمعَ المالِ وأدخاره، ولا يَسْعَوْنَ في اقتنائه واحتكاره، وإنما رضاهم من الدنيا سدُّ جُوعَةٍ وسرُّ عورةٍ، وغناهم منها ما بَلَغَ بهم الآخرة؛ فأولئك الآمنون الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون.

وأما الطَّبَقُ الثاني، فإنهم يُحِبُّون جمعَ المالِ من أَطْيَبِ وجوهه واحسنِ سُبله، يَصِلُونَ به ارحامهم، وَيَبْرُونَ به إخوانهم، وَيُؤَاسُونَ به فقراءهم، ولَعَضُّ احدِهِم على الرِّضْفِ أَيْسَرُ عليه من أن يكتسبَ درهماً من غيرِ حِلِّه، او يَمْنَعُهُ من حقِّه، او يكونَ له خازناً الى يومِ موته؛ فأولئك الذين إن نُوقِشَ عنهم عُدُّبوا، وإن عُفِيَ عنهم سَلِمُوا.

وأما الطَّبَقُ الثالث، فإنهم يُحِبُّون جمعَ المالِ ممَّا حَلَّ وحرَّم، ومنعَه ممَّا افترَضَ ووَجِبَ؛ إن أنفقوه أنفقوا اسرافاً وبداراً، وإن أمسكوه أمسكوا بخلاً واحتكاراً؛ أولئك الذين مَلَكَتِ الدُّنْيَا مَمَّ قلوبهم، حتى أوردتهم النارَ بذنوبهم^١.

٤ الامام علي «ع»: «يا كميل! البركة في مالٍ من آتى الزكاة، وواسى المؤمنين، ووَصَلَ الاقربين^٢.

٥ الامام الباقر «ع» - فيما رواه الامام جعفر الصادق: هي (الدنانيرُ والدراهم) خواتيمُ الله في ارضه^٣.

٦ الامام الرضا «ع»: إن الله يُبْغِضُ .. إضاعةَ المالِ^٤.

١- البحار ١٠٣/ ٢٣- ٢٤؛ عُدَّةُ الداعي / ٩٢- ٩٣، مع اختلافٍ يسير.

٢- تُحَفُّ العقول / ١٢٠.

٣- امالي الطوسي ٢ / ١٣٣.

٤- تحف العقول / ٣٢٤.

ب - المال، مال الله تعالى

الكتاب

١ وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ..^١

الحديث

١ النبي «ص» - فيما رواه الامام الباقر: قال رسول الله «ص»: «يَأْتِي عَلِي النَّاسَ زَمَانٌ يَشْكُونَ فِيهِ رَبَّهُمْ.. يَقُولُ الرَّجُلُ: وَاللَّهِ مَا رَبِحْتُ شَيْئاً مُنْذُ كَذَا وَكَذَا، وَلَا أَكُلُ وَلَا أَشْرَبُ إِلَّا مِنْ رَأْسِ مَالِي! وَيَحْكُ، وَهَلْ أَصْلُ مَالِكٍ وَذُرْوَتُهُ إِلَّا مِنْ رَبِّكَ؟^٢

٢ النبي «ص»: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُطَاعُ جَبْرًا، وَلَا يُعْصَى مَغْلُوبًا، وَلَمْ يُهْمَلِ الْعِبَادَ مِنَ الْمَمْلِكَةِ، وَلَكِنَّهُ الْقَادِرُ عَلَى مَا أَقْدَرَهُمْ عَلَيْهِ، وَالْمَالِكُ لِمَا مَلَكَهُمْ أَيَّاهُ ..^٣

٣ الامام الصادق «ع» - في حديثٍ عَنْوَانِ الْبَصْرِيِّ الْمَعْرُوفِ: قُلْتُ: يَا أَبَا-عَبْدِ اللَّهِ! مَا حَقِيقَةُ الْعُبُودِيَّةِ؟ قَالَ: ثَلَاثَةٌ أَشْيَاءُ: أَنْ لَا يَرَى الْعَبْدُ لِنَفْسِهِ فِيمَا خَوَّلَهُ اللَّهُ مَلِكًا، لِأَنَّ الْعَبِيدَ لَا يَكُونُ لَهُمْ مَلِكٌ، يَرَوْنَ الْمَالَ مَالَ اللَّهِ،

١ - سورة النور (٢٤): ٣٣.

٢ - الوسائل ١٢ / ٣٤٠.

٣ - تحف العقول / ٣٢.

يَضَعُونَهُ حَيْثُ أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِهِ ..^١

٤ الإمام الصادق «ع» - فيما رواه أبان بن تغلب: أَرَى اللَّهَ أَعْطَى مَنْ أَعْطَى مِنْ كَرَامَتِهِ عَلَيْهِ، وَمَنْعَ مَنْ مَنَعَ مِنْ هَوَانٍ بِهِ عَلَيْهِ؟ لَا، وَلَكِنَّ الْمَالَ مَالُ اللَّهِ يَضَعُهُ عِنْدَ الرَّجْلِ وَدَائِعِ ..^٢

٥ الإمام الصادق «ع» - فيما رواه عيسى بن موسى: يَا عَيْسَى! الْمَالُ مَالُ اللَّهِ ..^٣

الفات نظر

هذا التوجيه الصاعد والتعليم المحيي، يعني عدّ المال مال الله والبخوع به كاصل، قد جاء في التعاليم الإسلامية بكثير، بل هو أصل من أصول الإيمان الإلهي، لأنّ الأشياء بحسب هذا الإيمان كلّها لله تعالى:

- لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ..^٤
- وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ..^٥
- وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ..^٦
- وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ..^٧
- وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ..^٨

١ - البحار ١ / ٢٢٥؛ عن خطّ شيخنا بهاء الدين العاملي .

٢ - تفسير العياشي ٢ / ١٣ .

٣ - المُستدرك ٢ / ٤٢٣ .

٤ - سورة البقرة (٢): ٢٨٤ .

٥ - سورة آل عمران (٣): ١٠٩ و ١٢٩ .

٦ و ٧ - سورة النساء (٤): ١٢٤ و ١٣١ .

وَلِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ .. ١

لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ .. ٢

الى بقيّة الآياتِ النّازلةِ في الكتابِ السّماويّ؛ بل إنّ المُعتقَدَ
الدّينيّ التّوحيديّ يُعدُّ نفسَ المالكِ ايضاً - وهو الانسان - مُلكاً لِلّهِ
تعالى :

أَلَا إِنَّ لِلّٰهِ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَمَنْ فِي الْاَرْضِ .. ٣

ففي ضوءِ هذا المُعتقَدِ التّوحيديّ، تُضحى كلُّ الاموالِ
والاشياءِ والمواهبِ والنّعمِ والامتعةِ والعروضِ التي تُوجدُ عندَ
الانسانِ وتكون في يدهِ ولدى تناوُلِهِ، غيرَ مملوكةٍ له في اصولِها، بل
هي لِلّهِ ومنَ اللهِ ومنَ رزقِهِ ونعمائِهِ، التي خَوَّلَ اللهُ الانسانَ ايّها
ووهبها له هِبَةً وديعةً واستخلاف، واشترطَ عليه ان يَأْكُلَ ممّا هو
حلالٌ طيّبٌ (يا ايّها الناسُ كُلُوا ممّا في الارضِ حلالاً طيباً)؛^١ وأن
لا يتبعَ خُطواتِ الشيطانِ (ولا تتبعوا خُطواتِ الشيطانِ)؛^٢ وأن يشكُرَ
النّعمةَ (وأشكروا نعمةَ الله)؛^٣ وأن لا يسرفَ (ولا تسرفوا)؛^٤ وأن لا
يدعَ التقوى جانباً (فكُلُوا ممّا غنمتم حلالاً طيباً واتقوا الله)؛^٥ وأن
لا يسيرَ فيه بسيرةِ الطّواغيتِ (ولا تطغوا فيه)،^٦ وأن لا يُمسكهُ في
يدهِ بل يُنْفِقَ منه ويُنْفِقَ (وَأَنْفِقُوا .. وَأَنْفِقُوا ..):^٧

١ - ٢ و١ - سورة النّساء (٤) : ١٣٢ و ١٧١ .

٣ - سورة يونس (١٠) : ٦٦ .

٤ و ٥ - سورة البقرة (٢) : ١٦٨ .

٦ - سورة النّحل (١٦) : ١١٤ .

٧ - سورة الانعام (٦) : ١٤١؛ سورة الاعراف (٧) : ٣١ .

٨ - سورة الانفال (٨) : ٦٩ .

٩ - سورة طه (٢٠) : ٨١ .

١٠ - سورة البقرة (٢) : ١٩٥ و ٢٥٤ و ٢٦٧؛ سورة التوبة (٩) : ٥٣؛ سورة الحديد (٥٧) : ٧؛ سورة

المنافقون (٦٣) : ١٠؛ سورة التّغابن (٦٤) : ١٦ .

الفصل الأول: المال في التصور الاسلامي (١)

فبناءً على هذا الاصل العقيدي الاساسي، تُصيح مالكية الله للاشياء والاموال والامتعة ولكل ما يُعدُّ مالاً وله ثمنٌ وقيمة، مالكية حقيقية، ومالكية الانسان لها مالكية مجازية اعتبارية توكيلية، بحسب ما اعطاه الله له وجعله في يده.

وهذا الاصل سار في المصنوعات والمخترعات البشرية ايضاً، وفي سائر ما يُنتجُه الانسان عن طريق الصناعة والزراعة والتجارة واستغلال ثروات الارض وغيرها، لان الصناعات والمخترعين والمُنتجين وكل ما لديهم من حولٍ وطولٍ وفكرةٍ جبارةٍ واستعدادٍ موهوب، والمواد التي يُنجزون فيها الصنعة، والظواهر الطبيعية التي يُتاح لهم بسببها الاختراع والانتاج، وكل شيءٍ صُنع منه شيءٌ آخر، هذه كلها ليست الا لله وحده لا لغيره. فهل يجد الانسان في العالم الفسيح شيئاً اوجده هو من لا شيء؟ وهل يجد من ذاته وبذاته حولاً وقوةً على شيءٍ بالاجاد او بالصناعة والتحويل؟ وهل يقدر هو على ان يخلق مقداراً من الهواء لان يتنفس فيه لحيطات؟ وهل جاء هو بنفسه بذرةٍ من ذرات هذا العالم؟ وهل خلق هو بنفسه خليةً من خلاياه؟ وهل قرر الانسان العائش على ظهر هذه الارض ناموساً من تلك النواميس المُطرّدة في الكائنات، التي بها تتكون الاشياء والظواهر وتنمو وتثمر وتتركب وتتجزى، والتي بمعرفة نبتةٍ منها - معرفة ناقصة - يتوقف هو لاكتشاف او صناعة؟ لا، والف لا. وان الانسان لم يكن هو بنفسه شيئاً حتى يوجد شيئاً آخر (هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً* انا خلقنا الانسان من نطفةٍ امشاجٍ نبتليه، فجعلناه سميعاً بصيراً*)^١، فلم يخلق هو شيئاً (ولن يخلقوا ذباباً ولو

٣ - سورة الدهر (٧٤): ١ - ٢.

اجتمعوا له)،^١ بل «وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه»،^٢ بل ما كان الانسان يعلم شيئاً حتى يقدر عليه (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئاً^٣، وعلم الانسان ما لم يعلم *)^٤ .. نعم، لم يخلق الانسان طبيعة من طبائع العالم ولا قرّر ناموساً من نواميسه، وهو في كل اكتشافاته وصنائه واستغلاته لثروات العالم وتجوّاله في جواء من الفضاء اللامحدود، يستفيد من تلك الطبائع وتلك النواميس. وليس لكل من في الارض جميعاً مقدرة لأن يأتوا يوماً واحداً بالشمس ونورها حتى تنمو الاجسام وتتفجر الانهار وتتكوّن المناجم، «فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب ..»،^٥ «.. والشمس والقمر والنجوم مسخراتٍ بأمره ..»^٦ ..

هذا هو الايمان الالهي، التوحيدّي، الاسلامي. وجوهره هو أن العالم وما فيه، من الطبيعة وما فيها من اشياء ونواميس - والاشياء غير الطبيعية - كلها لله وهي مخلوقاته ومملكه، «له ملك السماوات والارض»،^٧ وانما جعلت المواهب عند الانسان - وهو ايضاً مخلوق الله ومملك له - وديعة، واستخلفه الله لأن يتصرف فيها ويتمتع بها على حسب ما شرع سبحانه ووصى.^٨

وهنا مسائل هامة تتعلق بهذا الموضوع الرئيسي الهدام البناء (الهدام للعدوان المالي والظلم الاقتصادي، والبناء

١ و ٢ - سورة الحج (٢٢): ٧٣.

٣ - سورة النحل (١٦): ٧٨.

٤ - سورة العلق (٩٦): ٥.

٥ - سورة البقرة (٢): ٢٥٨.

٦ - سورة الاعراف (٧): ٥٤.

٧ و ٨ - سورة الحديد (٥٧): ٥.

الفصل الأول: المال في التصور الإسلامي (١)

لمجتمعٍ عادلٍ سالمٍ قائمٍ بالقسط)، سنذكرها بتفصيلٍ - إن شاء الله - في النظرة إلى الفصل، لئلا تبسط هذه الالفتات التي لم نقصد بها إلا الإشارة والإلماح.

ج - الاموال، ودائع وعوار

الكتاب

١ - وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ .. ١

الحديث

- ١ - الامام علي «ع»: المالُ عارية. ٢
- ٢ - الامام الصادق «ع»: اجعل مالك كعارية تردّها. ٣
- ٣ - الامام الصادق «ع» - فيما رواه عيسى بن موسى: يا عيسى! المالُ مالُ الله، جعله وادّع عند خلقه. ٤

١ - سورة الحديد (٥٧): ٧.

٢ - غرر الحکم / ١٥.

٣ - مشكاة الانوار / ٢٤٤.

٤ - المستدرک ٢ / ٤٢٣.

- ٤ الامام الصادق «ع»: إِنَّمَا اعطَاكُمْ اللَّهُ هَذِهِ الْفُضُولَ مِنَ الْأَمْوَالِ لِتُوجِّهُوهَا حَيْثُ وَجَّهَهَا اللَّهُ، وَلَمْ يُعْطِكُمْوهَا لِتَكْنِزُوهَا.^١
- ٥ الامام الصادق «ع» - فيما رواه أبان بن تغلب: أَرَى اللَّهَ اعطَى مَنْ اعطَى مِنْ كَرَامَتِهِ عَلَيْهِ، وَمَنْعَ مَنْ مَنَعَ مِنْ هَوَانٍ بِهِ عَلَيْهِ؟ لَا، وَلَكِنَّ الْمَالَ مَالُ اللَّهِ، يَضَعُهُ عِنْدَ الرَّجُلِ وَدَائِعٍ ..^٢
- ٦ الامام الرضا «ع»: قَالَ جَلَّ وَعَلَا: «وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ، فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى»، إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، فَتَطَوَّلَ عَلَيْنَا بِذَلِكَ امْتِنَانًا مِنْهُ وَرَحْمَةً، إِذْ كَانَ الْمَالُكَ لِلنُّفُوسِ وَالْأَمْوَالِ وَسَائِرِ الْأَشْيَاءِ، الْمِلْكُ الْحَقِيقِيُّ، وَكَانَ مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ عَوَارِي، وَإِنَّهُمْ مَا لَكُونُ مَجَازًا لِحَقِيقَةِ لَهُ؛ وَكُلُّ مَا أَفَادَهُ النَّاسُ فَهُوَ حَقِيقَةٌ غَنِيمَةٌ ..^٣

* راجع: النظرة الى الفصل بهذا الصدد.

د - الاموال، قوام وقيام (الموضع الالهى للمال)

الكتاب

١ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا *^٤

١ - الكافي ٤ / ٣٢.

٢ - تفسير العياشي ٢ / ١٣.

٣ - المستدرک ١ / ٥٥٢.

٤ - سورة الفرقان (٢٥): ٦٧.

الفصل الأول: المال في التصور الإسلامي (١)

* قال الشيخ ابو علي الطبرسي صاحب التفسير: «.. اي وكان إنفاقهم بين الاسراف والإقتار، لا اسرافاً يدخلون به في حدّ التبذير، ولا تضييقاً يصيرون به في حدّ المانع لما يجب. وهذا هو المحمود. والقوام من العيش ما أقامك وأغناك»^١.

٢ ولاتؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياماً..^٢

الحديث

١ الامام الباقر «ع» - فيما رواه الامام جعفر الصادق: أنه سُئِلَ عن الدنانير والدراهم وما على الناس فيها؟ فقال: هي خواتيم الله في ارضه، جعلها الله مصحّةً لخلقه، وبها تستقيم شؤونهم ومطالبهم..^٣

هـ - الاموال، انفاق وبذل

الكتاب

١ .. وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ، فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا، لَهُمْ أَجْرٌ

١ - مجمع البيان ٧ / ١٧٩.

٢ - سورة النساء (٤): ٥.

٣ - امالي الطوسي ٢ / ١٣٣.

كبير *

٢ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ..

٣ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ *

الحديث

١ النبي «ص»: لَمْ تُبْعَثْ لِيَجْمَعْ الْمَالَ وَلَكِنْ بُعِثْنَا لِإِنْفَاقِهِ.

* سَنَفَصِّلُ الْكَلَامَ فِي الْإِنْفَاقِ تَفْصِيلاً، وَنَشْرَحُ تَأْكِدَاتِ
الاسلام الحاسمة على تفریق المال وتوزيعه بين الناس بصور
شَتَّى، فِي الْفُصُولِ الْعَشْرَةِ الَّتِي عَقَدْنَاهَا لِلْإِنْفَاقِ؛ فَرَاغَ: الْفَصْلُ
السَّادِسُ عَشَرَ إِلَى الْفَصْلِ الْخَامِسِ وَالْعَشْرِينَ، مِنَ الْبَابِ الثَّانِي
عَشَرَ.

١ - سورة الحديد (٥٧): ٧.

٢ - سورة المنافقون (٦٣): ١٠.

٣ - سورة آل عمران (٣): ٩٢.

٤ - مشكاة الانوار / ١٨٣.

نظرة الى الفصل

١- المؤثر العام: يتبلور من الآيات والاحاديث الواردة حول الاموال وما يتعلق بها ويمت إليها - وسيمر على القارئ كثير منها في تضاعيف هذين البابين من كتاب «الحياة» - هذه المواضيع:

أ - موقف الاسلام العام من الاموال، ومن اهداف اقتنائه.

ب - اتجاهات الاسلام الاصلية والرئيسية لسياساته المالية والاقتصادية.

ج - المنهج الصحيح لتداول الاموال بين الناس.

د - طابع تفريق المال وتوزيعه، وتعديل امتلاكه واستهلاكه.

هـ - دور الانفاق المركز في سياسة الاسلام الاقتصادية ونظامه المالي المحدد.

فآيات والاحاديث الكثيرة - المتضاربة والمتعاضدة - المترامية الاطراف، المنوعة المضامين والهدايات، التي جاءت بصدد المسائل المالية والمواضيع الاقتصادية، قد اشرت الجانب الاصيلي والحقل العام للمال وحركته في المجتمع الاسلامي. منها تلك الآيات التي مرت في مستهل هذا الفصل وتلك الاحاديث. ولقد الفتنا هناك الانظار الى بعض تعاليمها في اقتضاب. ومنها تلك الكلمة النبوية الموجهة: «لَمْ تُبْعَثْ لِجَمْعِ الْمَالِ..»، فهذه الكلمة - بعمقها وحيويتها وتوجيهها - تشيد باصل حياتي مصري في الحقول الاقتصادية للمجتمعات التابعة للدين، وتعلن بصراحة وضمود: ان رسالة الاديان الالهية ومغزى دعوات الانبياء، مبنية على اصل انفاق المال وبثه وادائه بين الناس وتفريقه عليهم، لاعلى

جمعه واكتنازه وحبسه، وامتلاك جمعٍ قليلٍ من الناسِ الكثيرِ الهائلِ منه. وهم الذين يَسْتُرُونَ عُدْوَانَهُم المَالِيَّ على النَّاسِ ومظالمهم الباهظة في المصانع والمعامل والمزارع بسُتُورٍ مختلفةٍ ومُوهَّهٍ وِبرُّونٍ استيلاءهم على تلك الثرواتِ الطائلةِ بأنَّه حصيلتهُ مواهبهم ومساعدتهم ومراساتهم .. ولقد أَلْمَحْنَا الى تزييفِ هذا الزَّعمِ في الالفاتِ الثاني من هذا الفصل. وسيأتي تفصيلُ الكلامِ في الكشفِ عن هذا الدَّجَلِ والتَّمويه.

وممَّا ينبغي أَنْ نَنْظُرَ فيه بامعان، أَنَّ كلمةَ «الانفاق» في الحديثِ المذكور، قد جاءتِ مقابلَ كلمةِ «الجمع»، للتأكيدِ على نفيِ جمعِ المالِ وشجبه. فالمفهومُ اللَّاحِبُ من التَّعاليمِ الالهيةِ الدِّينيةِ - القرآنيةِ منها او الحديثيةِ - في القضاياِ المتعلقةِ بالاموال، هو أَنَّ الاساسَ في المالِ انفاقه وتفريقه بينِ الناسِ وايصاله الى الايدي، لِيَسْتَدَاوَلَ في عرصاتِ حياةِ الشُّعوبِ، لا تكديسه عندَ حَفْنَةٍ وحبسه على فِتَّةٍ وحصره في يدِ شِرْذِمَةٍ قليلةٍ من الأثرياء، لِيَكُونَ دَوْلَةٌ بَيْنَهُمْ ووقفاً عليهم.

وهناك آراءٌ لا تَرَى وازعاً لجمعِ المالِ وادِّخاره، بل تميلُ الى تحبيذِ التَّكاثِرِ واهمالِ جانبِ التَّعْدِيلِ المَالِيِّ، واطلاقِ ايديِ اصحابِ الاموالِ لِأَن يَعْملُوا كيفما شاؤوا، في استغلالِ النَّاسِ، وتعيينِ الاجور، والتَّسعيرِ الحُرِّ، والحريةِ في الامتلاكِ والاستهلاكِ، وفي سائرِ التَّصرفاتِ المَالِيَّةِ، وتَحَمُّسِ للموسرين والاغنياءِ المتكاثرينِ باسمِ صالحة. عندئذٍ يُصْبِحُ مانورده في الكتابِ من المبانيِ الموضوعيةِ الاسلاميةِ في الحقلِ المَالِيِّ، مُشَجَّعاً لِلنَّابِهينِ والواعين، على ان يَحْكُمُوا على امثالِ تلكِ الآراءِ المُتَحَيِّزَةِ بِأَنَّها خارجةٌ عن المُؤَشَّراتِ الاسلامية، منحرفةٌ عن الواقعِ الدِّينيِّ.

ولافرقَ في الانحرافِ المذكورِ وابتعادِ تلكِ الآراءِ عن الطُّقوسِ الجوهريةِ للدِّينِ، وقوعه بايِّ داعٍ وحافزٍ، فلقد نَدَّدُ الدِّينُ بجمعِ المالِ

وتكديسه، أيما تنديد؛ قال شيخنا احمد بن فهد الحلي: «... قد عرفت ما يجب على المكتسب وصاحب العيال، من الاقتصار في الاكتساب والأخراج، وهذا هو القانون الكلي الذي أمر به الشرع على العموم». ولقد عقد شيخنا النوري، صاحب «المستدرک»، باباً بهذا العنوان: «عدم جواز جمع المال وترك الانفاق منه». ^٢ فعلى اساس هذه التعاليم الحقّة الحية، تصبح اقامة الثورات في وجه السلطات المالية من اهمّ الوظائف الدينية؛ ولا تنحصر الثورات التكليفية في الثورات في وجه السلطات السياسية فحسب، فانّ نبيّ الله موسى «ع» قد بعث - في ثورته المعروفة التاريخية - الى فرعون وهامان وقارون - كما مرّت الاشارة اليه - وهو كما كافح فرعون فقد كافح قارون ايضاً، وكما ان فرعون قد غرق في البحر، فإن قارون ايضاً قد خسف به الارض .

وكذلك كانت ثورة الاسلام الكبرى، فإن نبينا محمداً «ص»، كما أنّه بعث لان يحارب كفر قريش و شركها، كذلك قد بعث لان يجابه ارسقراطية قريش وامتلاكاتها المُستبّهة، وحياتها المُترفة الجابرة،^٣

١ - عُدّة الداعي / ٨١ .

٢ - المستدرک ٢ / ٤٤٥؛ راجع ايضاً: الوسائل ١٥ / ٢٤٥ .

٣ - فيجب على كل من يدرس الاسلام ان يعي تاريخ حياة النبي الاعظم «ص»، بما فيها من الكفاحات العظيمة والدامغة، ضدّ جميع الطواغيت والمستكرين، من الاقتصاديين والسياسيين . ولقد كانت مكنة المكرمة - مهبط الوحي السماوي - اِبَان البعثة الكريمة، مُركَز قواعد طواغيت الثروة والمال، من كبار المستوردين والعقارين وآكلي الربا الكانزين . وكان المُنيقُ الالهي «ص» يُنافيحهم ويُدّدُ جُموعهم، ويقرعُهم بالآيات الصارخة القارعة، لكي يُخلص الجماهير من برائتهم التي تقطر منها دماء المضطهدين والمحقوقين والمسيئين .

وإذا كانت هذه سيرة النبي الأُسوة «ص» - وهي كانت - فعلى كل حكم او مجتمع او فقهية يدعي الاسلام والاسلامية، ان يتخذها سيرة حاسمة مُجسّدة لامحيد عنها، حتى لا يُيهم دين الله الحنيف - العباد بالله - بالجنوح الى الطاغوتية الاقتصادية وامضاء الثروات الكبيرة، المستلزم جمعها وامتلاكها لمحو القسط وسحق العدل ورفض الحق وهدم الدين وخذلان الانسانية والانسان .

وثقافاتِها النخراقيّة الجاهليّة.

ومما هو لاجِب، أنّ النّظامَ الماليّ إذا كان قائماً على دِعامَةِ انفاقِ المالِ وتفريقه، لا على جمعه وتكديسه، لا يُوجدُ في المجتمعِ فقيرٌ بائس، ولا غنيٌّ مُتَرَف.

ولا يظنُّ ظانٌّ أنّ الاحاديثَ الواردةَ بهذا الشّأنِ واحدٌ او اثنانِ او ثلاثة، فيخُدشَ في السّنَدِ او الدّلالة، لِأنّ هذا الامرَ الرّئيسيّ قدورد فيه القرآنُ والحديثُ معاً (كباقي المسائلِ الرّئيسيّة والموضوعاتِ التي طرَحناها في كتاب «الحياة»)، وأنّ الآياتِ القرآنيّة الرّاميّة الى هذا الغرض حاسمةٌ دامغةٌ لا محيدَ عن البُخوعِ بها والعملِ على طبقها. فايُّ رَدَعٍ يكونُ اشدَّ وطأً على التّكاثِرِ والمتكاثِرينِ من «سورة التّكاثِر» بلحنها الدّامغ: «ألهاكم التّكاثِرُ * حتّى زُرتمُ المَقابِرُ * كلاً سوفَ تَعلمون * ..»^١. وآيةٌ دعايةٌ تكونُ اقوى للإطاحةِ بقواعدِ التّمولِ الكثيرِ والأرستقراطية، من التّصريحِ القرآنيّ بِأنّ الغايةَ من ارسالِ الرُّسلِ وانزالِ الكتابِ والميزانِ معهم، هي قيامُ الناسِ بالقسطِ؟^٢ وايُّ حَضٍّ بالغٍ يُوجدُ أكد لنفيِ الفروقِ المعيشيّةِ الباهظةِ من هذا البلاغِ الرّنان: «إنّ اللهَ يأمُرُ بالعدلِ والاحسان»^٣ هذه هي الخطوطُ التي يخطُها القرآنُ الكريمُ لبناءِ مجتمعٍ قرآنيّ . واما الاحاديثُ التي تُصرِّحُ بالاصولِ المذكورة، فهي كثيرةٌ متضافرةٌ ومتعاضة، كما اشرنا اليه؛ وسَتَمُرُّ على القارئِ شذرةٌ سالحةٌ منها في تضاعيفِ هذينِ البابين.

هذا أوّلاً؛ واما ثانياً فنقول: إنّ هذا الامر (اي بثّ المالِ وتفريقه)، هو روحُ الاسلامِ وجوهره في تنظيمه الحياتيّ للمجتمعِ الانسانيّ وتشريعِهِ

١ - سورة التّكاثِر (١٠٢) : ١ - ٣ .

٢ - سورة الحديد (٥٧) : ٢٥ .

٣ - سورة النّحل (١٦) : ٩٠ .

المعتدل العام. وإنَّ الاصلَ الاساسيَّ المذكور، هو أحدُ الاصولِ الالهيةِ والمبانيِ الاسلاميَّةِ في حقولِ السِّياسةِ الماليَّةِ، التي تُستفادُ من الأدلَّةِ الاسلاميَّةِ من الآياتِ والاحاديثِ (على تَعَدُّدِ تعابيرها وتَنوعِ بياناتها)، ومن التقاريرِ العمليَّةِ التي صَدَرَت من النبيِّ الهادي «ص» والائمةِ الهادين «ع»؛ فكلُّ هذه المذكوراتِ تَدَعُمُ اصلاً رئيسياً في القضاياِ الماليَّةِ، يُؤدِّي الى قوامِ المجتمعِ في حدِّ متناسبٍ من العدالة، متوازنٍ من القسط، متعادلٍ من القصد، متكافلٍ من الاحسان، متساندٍ الى الحق، مُتَجَنِّبٍ للتَّكاثُرِ والاطرافِ والمُحَابَاةِ والاثَرَّةِ، ومكافحٍ ضَدَّ الفقرِ وسلبيَّاته. والى القارئِ اِشعاعاً على هذا الموضوع :

إنَّ القرآنَ الكريمَ قد عَدَّ المواهبَ الطبيعيَّةَ والنَّعمَ الالهيةَ، رزقاً للانسانِ وذريعةً تبقىُّ بها حياتهُ ويدومُ بها عيشه، وسبباً لبقائه وحركته الى الخيرِ والتَّكاملِ، ومتاعاً له ولا نعامه، ومُؤوَنَةً لمعيشته، وموادَّ لأكليه وشربه؛ ولم يجعلِ المالَ وجمعه هدفاً غائياً للانسان، وغايةً متوخَّاةً من هذه الحياةِ ومواهبها، فقال تعالى : «والارضَ مَدَدْنَاها وَالْقِيْنَما فيها رِوايِسيْ وَأَنْبَتْنا فيها من كُلِّ زوجٍ بَهيِجٍ * .. وَنَزَّلْنا منَ السَّماءِ ماءً مَبْرابِكاً فَأَنْبَتْنا بهِ جَناتٍ وَحَبِّ الحَصِيدِ * وَالنَّخْلَ باسِقاتٍ لَها طَلْعٌ نَضيدٌ * رِزقاً لِلعِبادِ ..»^١؛ وقال : «ثُمَّ شَقَقْنا الارضَ شَقاً * فَأَنْبَتْنا فيها حَباً * وَعِنباً وَقَضِباً * وَزَيْتِوناً وَنَخْلاً * وَحَدائقَ غُلْباً * وفاكِهَةً وَأَباً * متاعاً لَكُمْ ولا نعامِكُمْ *»^٢.

ثم إنَّ الله - جَلَّتْ آلاؤُهُ - حيثُ خلقَ تلكَ النَّعمَ والمواهبَ للانسان، نهاه من تحريمِ الطَّيِّباتِ على نفسه، بل أمره بأن يأكلَ منها وَيَشْرَبَ وَيَرْتَقِ. وإنَّ هذا الخطابَ ليس مختصاً بِشِرْذِمَةٍ من الاغنياءِ المُتَرَفِّينِ وذَويهم، وبِحَفْنَةٍ من المتكاثرينِ الموسرينِ، بل الخطابُ عامٌ موجَّهٌ الى جماهيرٍ وجماهيرٍ

١ - سورة ق (٥٠) : ٧ و ٩ - ١١.

٢ - سورة عَبَسَ (٨٠) : ٢٦ - ٣٢.

من ابناء آدم «ع» - كما أنّ النُّظْمَ التَّكْوِينِيَّةَ ايضاً تفتضي ذلك، لَأنَّ لِكُلِّ ذِي رَمَقٍ قُوَّةٌ^١ - ولاجلِ ذلك، يعني أَنَّ نِعَمَ اللَّهِ مُهَيَّأَةٌ لِكُلِّ، فقد مَنَعَ اللَّهُ الاغنياءَ من الطَّغْيَانِ والاسرافِ والتَّعَدِّيِ عن الحدود، حتى تَغْمَرَ النُّعْمُ الجميع، وحتى تَعَمَّ الارزاقُ النَّاسَ، فقال: «يا ايُّها الَّذين آمنوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ ما أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ ولا تَعْتَدُوا»،^٢ وقال: «كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ ما رَزَقْنَاكُمْ ولا تَطْغَوْا فِيهِ»،^٣ وقال: «كُلُوا وَاشْرَبُوا ولا تُسْرِفُوا».^٤

ثمَّ إِنَّ الْمُنْعِمَ - لَأنَّ يَحْضُرَ الْإِنْسَانَ فِي إِطَارِ التَّمَتُّعِ الْمُقْتَصِدِ مِنَ المَواهِبِ وَيَرَدُّعُهُ مِنَ التَّجَاوُزِ وَالاعْتِدَاءِ - قد أَنْزَلَ الآياتِ الْمُؤَكِّدَةَ عَلَى التَّقْوَى الاقْتِصَادِيَّةِ وَالْمَعِيشِيَّةِ فقال: «وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ ..»^٥.

ومِمَّا هُوَ مَعْلُومٌ، أَنَّ الاسْتِفاَدَةَ مِنَ النُّعْمِ الْإِلَهِيَّةِ، عَلَى التَّهَجُّجِ الْمَذْكُورِ، إِنَّمَا تَتَأْتِي ضَمْنَ امُورٍ اربعة:

- (١) - سدُّ حاجاتِ الحَيَاةِ وَمُؤَنِّها بِالْمَالِ، فِي حَدِّ مَناسِبٍ مُقْتَصِدٍ.
- (٢) - مِجانِبَةُ التَّكاثُرِ فِي طَلْبِ الْمَالِ وامتلاكِهِ وادِّخارِهِ.
- (٣) - الْابتِعادُ عَنِ الْإِترافِ وَالاسرافِ وَالتَّبذيرِ فِي صَرْفِ الْمَالِ واستهلاكِهِ.

- (٤) - انْفاقُ فَضْلِ الْمَالِ عَلَى سائِرِ النَّاسِ .
- أَمَّا الْأُمْرُ الْأَوَّلُ، فَلأنَّ مِجاوِزَةَ حَدِّ الْقَصْدِ وَالاعتدالِ فِي الاستهلاكاتِ المَعِيشِيَّةِ، تَدْفَعُ الْإِنْسَانَ إِلَى الْأَمْرَيْنِ الثَّانِي والثَّالِثِ: التَّكاثُرِ وَالاسرافِ .
- أَمَّا الْأُمْرُ الثَّانِي، فَلأنَّ الْإِكْتِثارَ فِي طَلْبِ الْمَالِ وادِّخارِهِ وامتلاكِهِ

١ - الكافي ٨ / ٢٣، من حديثِ الامامِ علي «ع»، من خُطْبَةِ «الوسيلة».

٢ - سورة المائدة (٥): ٨٧.

٣ - سورة طه (٢٠): ٨١.

٤ - سورة الاعراف (٧): ٣١.

٥ - سورة المائدة (٥): ٨٨.

نظرة الى الفصل الأول ..

الكثير منه وتكديسه، هو من أجلى مصاديق التعدي عن الحدود الضرورية والإطارات الدينية للمال . وهو مظهر من مظاهر الطغيان . سواء أكان ذلك في الامتلاك (وهو التكاثر) ام في الاستهلاك (وهو الإتراف). وهذه الحالة بقطع النظر عما توجبه من الطغيان الاقتصادي والاجتماعي - والسياسي أيضاً - توجب الطغيان النفسي والغطرسة الروحية وتستتبع الهلاك والفساد في نفسية الفرد المتكاثر والمترف وخلقياته، فيجره الى مهاوي السقوط والدمار - كما سيأتي. وهذا أيضاً ضرر كبير عائد على المجتمع مآلاً، وخروج عن المخطط الذي رسمته المعالم الدينية . ومن الصحيح أيضاً أن نعد التكاثر المالي من مصاديق الاسراف، لأنه مجاوزة الحد في الامتلاك . والاسراف منه في جميع صورته ومظاهره - كما هو واضح .

أما الأمر الثالث، فلان الإتراف والاسراف والتبذير لا تلائم الحدود الالهية للمال، فلا يكون المترف والمسرف والمبذر تابعين للمخطط الاسلامي في الحقل الاقتصادي.

وأما الأمر الرابع، فلان بذل المال وانفاقه هو المجانبه عن التعدي والطغيان في جانب الامور المالية عملاً، وان تفريق المال وانفاقه وعدم التباري في امتلاك الكثير منه، هو المنهج الاسلامي الذي تؤكد التعاليم - كما مر .

فعلى ما عرضنا، ينحصر الهدف الغائي من المال واقتنائه، في منطق التعاليم الاسلامية، في امرين :

- (١) - تأمين معيشة مقصدية حد الكفاف، وما يقترب منها .
- (٢) - بذل فضل المال وانفاقه وتفريقه بين الناس، حتى لا تكون دولة بين ذوي الثروة، وحتى لا تتجمد حركات الناس المعيشية والرفاهية والحياتية والتربوية والتكاملية .

١- مضافاً الى أنه قيام باداء المسؤولية امام أعواز الناس وحاجات المجتمع.

وفي ظلّ هذا المنطقِ القرآنيّ البناء، نُشاهدُ أنّ صلّة الانسانَ بالمال هي كصلّته بالطبيعة ومواهبها ونعمها الالهية، وليست هي الاصلّة التذرّع لاصلّة الاستقطاب . وهذه الصلّة بوصفها المذكور، تكون تابعة للقوانين العامّة الحاكمّة على الكائنات المتلاحمة معها . وعلى ضوء هذا التّعليم - الذي لا نجدُه في مدرسة او مذهب - نُشاهدُ أنّ صلّات الانسانِ جميعاً تكون صلّاتٍ متماسكةً ومتلائمةً ومتجاوبةً . فصلّة الانسانِ بالمال، وصلّته بالطبيعة، وصلّته بمواهبها، وصلّته بالحياة، وصلّته بالحركة والنشاط، وصلّته بكلّ ما هنالك، إنّما هي صلّاتٌ متجاوبةٌ متجانسةٌ منسجمةٌ انسجاماً كاملاً؛ وماهي الا صلّة عادلةٌ وقاصدةٌ وهادفةٌ .

ولقد جاء في تفسيرِ شيخنا عليّ بن ابراهيم القمي، في شرح هذه الآية .. «وقدّر فيها أوقاتها في اربعة ايامٍ سواءً للسّائنين» هذا البيان : «يعني في اربعة اوقات . وهي التي يُخرجُ الله فيها اقوات العالمِ من الناسِ والبهائمِ والطيرِ وحشراتِ الارضِ وما في البرِّ والبحرِ من الخلق، والثّمارِ والنباتِ والشّجر، وما يكونُ فيه معاشُ الحيوانِ كلّهُ، وهو الرّبيعُ والصّيفُ والخريفُ والشّتاءُ، ففي الشّتاءِ يرسلُ الله الرّيحَ والامطارَ والانداءَ والطلّولَ من السّماء، فيلقحُ الارضَ والشّجر، وهو وقتٌ باردٌ . ثمّ يجيءُ من بعده الرّبيع، وهو وقتٌ معتدلٌ حارٌّ وباردٌ، فيخرجُ الشّجرُ ثمارَهُ والارضُ نباتها فيكونُ أخضرَ ضعيفاً، ثمّ يجيءُ من بعده وقتُ الصّيف، وهو حارٌّ، فينضجُ الثّمارُ ويصلبُ الحبوبُ التي هي اقوات العالمِ وجميعِ الحيوانِ . ثمّ يجيءُ من بعده وقتُ الخريفِ فيطيبُهُ ويبرّده . ولو كان الوقتُ كلّهُ شيئاً واحداً لم يخرجِ الثّباتُ من الارضِ، لانه لو كان الوقتُ كلّهُ ربيعاً لم تنضجِ الثّمارُ ولم تبلغِ الحبوبُ، ولو كان الوقتُ كلّهُ صيفاً لا حترقُ كلُّ شيءٍ في الارضِ ولم يكن للحيوانِ معاشٌ ولا قوتٌ؛ ولو كان الوقتُ كلّهُ خريفاً ولم

يَتَقَدَّمُهُ شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ الْأَوْقَاتِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ يَتَقَوَّتُ بِهِ الْعَالَمُ . فَجَعَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْأَوْقَاتَ فِي هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ الْأَوْقَاتِ فِي الشِّتَاءِ وَالرَّبِيعِ وَالصَّيْفِ وَالخَرِيفِ، وَقَامَ بِهِ الْعَالَمُ وَاسْتَوَى وَبَقِيَ . وَسَمَّى اللَّهُ هَذِهِ الْأَوْقَاتَ أَيَّامًا سَوَاءً لِلنَّاسِ، يَعْنِي الْمَحْتَاجِينَ، لِأَنَّ كُلَّ مُحْتَاجٍ سَأَلَ . وَفِي الْعَالَمِ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْأَلُ وَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنَ الْحَيَوَانِ كَثِيرٌ، فَهَمَّ سَائِلُونَ وَإِنْ لَمْ يَسْأَلُوا^١ . ف «قَدَّرَ (اللَّهُ) فِي الْأَرْضِ أَرْزَاقَ أَهْلِهَا عَلَى حَسَبِ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا، فِي قَوَامِ أِبْدَانِ النَّاسِ وَسَائِرِ الْحَيَوَانِ»^٢

ففي هذا الضوء، إن الواجب على الانسان أن يعترف بهذه الحقيقة الرائعة، وهي أن الله القادر الحكيم، قدّر الأشياء والأوقات والأمور والطبائع والخواص على نظام دقيق، لمنافع الكل، ولأن يستفيد الانسان والحيوان من المواهب، وأن تكون صلة الانسان بها صلة لا تُضُرُّ بالآخرين .

وهذا مبدأ عظيم لحركة الانسان التكاملية، لأن تجاوز صلات الانسان مع الكائنات - في سلسلة الكون العظيم - يوجب أن ينخرط الانسان في سلك التكامل الكلي العالمي، وأن لا يتطرف ولا يقع في شذوذ أو تهاو أو سقوط . ولكن الانسان اذا خرج من هذا الإطار العام الطبيعي الذي رسمه له الدين الالهي، بجنونه الى تكديس المال وجمعه والطغيان فيه وترك انفاقه والاسراف في استهلاكه، فهو يتردى في مهاوي الهلاك الفردي والاجتماعي، ويتدهور في هوات الدمار؛ قال الله تعالى : «كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي، وَمَنْ يَحِلُّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ *»^٣، وقال : «وَانْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا

١ - تفسير القمي ٢ / ٢٤٢ - ٢٤٣ .

٢ - مجمع البيان ٩ / ٥ .

٣ - سورة طه (٢٠) : ٨١ .

بأيديكم الى التهلكة ..^١، وقال الامام عليّ «ع»: «مَنْ يَسْتَأْثِرُ مِنَ الْاَمْوَالِ
يَهْلِكُ».^٢

فالطغيان في الأكل، او في الجمع، كلاهما يُطغيان الانسان وَيُسُدّانِ
به عن الصراطِ السويِّ، وَيَسْتَبِعانِ غضبَ الله عليه (فَيَجِلُّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي)،
وَيَجْرَانِهٖ اِلَى الْمَهَالِكِ (وَلَا تُلْقُوا بِاَيْدِيكُمْ اِلَى التَّهْلُكَةِ).
ومن هنا نَشَاهِدُ أَنَّ الْاِنْسَانَ كَمَا يَحْرُمُ عَلَيْهِ اَنْ يُفْسِدَ الثَّرَوَاتِ وَالْمَنَابِعَ
الطَّبِيعِيَّةَ، يَحْرُمُ عَلَيْهِ اَيْضاً اَنْ يُضَيِّعَ الْمَالَ وَاَنْ يُسْرِفَ فِيهِ، وَاَنْ يَمْنَعَهُ مِنَ
التَّدَاوُلِ . وهذا اَيْضاً يُدُلُّ عَلَى تِلْكَ الصَّلَاتِ الْمَذْكُورَةِ، الْهَامَّةِ وَالْمُتْرَابِطَةِ .

*

وجاء في الحديثِ الثَّانِي - مِنْ نَبَوِيَّاتِ هَذَا الْفَصْلِ - تَعْلِيمُ بِنَاءِ، وَهُوَ
يُصْرِّحُ بِأَنَّ اِمْسَاكَ الْمَالِ وَالرَّغْبَةَ فِيهِ، اَمْرٌ مُضَادٌّ لِّلسَّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ،
وَالنَّبِيُّ «ص» هُوَ الْاُسْوَةُ . وَمِنْ هُنَا نَعْلَمُ اَنَّ كَثِيْرًا مِنَ الْمَفْسِدِ الْاِجْتِمَاعِيَّةِ،
وَالاِنْحِطَاطِ الْمَفْرُوضَةِ عَلَى الْمَجْتَمَعَاتِ الْاِسْلَامِيَّةِ، تَنَبِئُ مِنْ :
أ - خُرُوجِ مُثْرِيهِمْ وَاغْنِيَاءِهِمْ مِنَ السَّيْرَةِ الْاِسْلَامِيَّةِ فِي الْاِقْتِنَاءِ
وَالاِمْتِلَاكِ، بِجَمْعِهِمُ الْمَالَ وَالتَّوْفُّرِ عَلَيْهِ وَجُنُوحِهِمْ اِلَى التَّكَاثُرِ وَالتَّفَاخِرِ
بِالْمَالِ .

ب - تَسَاهُلِ عِلْمَائِهِمْ فِي مَقَاطِعِ الْمَتَكَاثِرِيْنَ وَاصْحَابِ الْاَمْوَالِ
الطَّائِلَةِ وَالْمَعِيْشَةِ التَّرَفِيَّةِ، وَحَظْرِ الْغِنَى التَّكَاثُرِيِّ وَالْعُدُوَانِ الْاِقْتِصَادِيِّ .
ج - تَقَاعُسِ حُكْمِهِمْ وَرِجَالِهِ عَنْ مَكَاْفِحَةِ هُوْلَاءِ الْمُدَّخِرِيْنَ
الْمَتَكَاثِرِيْنَ وَالْاِغْنِيَاءِ الْمُتْرَفِيْنَ، بَلْ جُنُوْحِهِ اِلَيْهِمْ وَكُوْنِهِ مِنْهُمْ فِي كَثِيْرٍ مِنَ
الْاِحْيَانِ .

د - مَحَامَاةِ الْبَعْضِ، مِمَّنْ يَسْمَعُ النَّاسُ كَلَامَهُمْ، عَنْ الْاِغْنِيَاءِ

١ - سورة البقرة (٢) : ١٩٥ .

٢ - تحف العقول / ١٥٥ .

نظرة الى الفصل الأول ..

والمُدخِرِينَ وتبرير أعمالهم .

هـ - تطوير التقنين والبرمجة الاقتصادية الى حيث ينفع الاغنياء الكبار والآثرياء .

اما على اساس التعليم النبوي وسائر ماجاء بهذا الصدد في الاسلام، فيكون تضخم المال عند حفنة وخلو ايدي الجماهير منه، خروجاً من الموازين الدينية، وتعدياً على المقاييس الاسلامية؛ وكذلك دفاع المحامين عن هذا السلوك الاقتصادي وتحمس المتحمسين له، يعد قياماً في وجه السيرة المقدسة ومجانبة لتعاليم الاسلام البناءة.

وفي هذا الحديث المرشد الموجه، والتعليم الموقظ، مقاطع حية هامة، في بيان كيفية اكتساب المال، وحدوده المشروعة، وطرق صرفه الصحيحة، نود أن نلفت اليها الانظار، لما فيها من الاثر الحاسم في بناء مجتمع اسلامي سالم، اذا عمل بمفادها ومؤشراتها. وهذه المقاطع متكررة متعاضدة، بتعاليمها ومضامينها، في الآيات والاحاديث :

أ - اكتساب المال من غير معصية: «طوبى لمن اكتسب من المؤمنين مالا من غير معصية»؛ هذا المقطع من الحديث يشير الى أن اكتساب المال وتحصيله يجب أن يكون مبتعداً عن المعصية، مجاناً للذنوب، اقتصادياً كان الذنب او غير اقتصادي؛ مع التيقظ الى أن الذنب الاقتصادي هو من اكبر الذنوب الاجتماعية واوسعها مضرّة، واوخمها مغبة. فالذنوب التي يعدّها الامام جعفر الصادق «ع»^٢ قواعد الانهيار، وعللاً اساسية لفقر الفقراء، وجوع الجائعين، وعري العراة، هي الذنوب الاقتصادية في الغلب، وكذلك المعاصي التي يرتكبها الاغنياء المترفون، حيث

١ - تحف العقول / ٢٨. نذكر مصدر الحديث وكذلك رقم الآية، أثناء النظرة ايضاً - وان كانا مذكورين

في الفصل - تسهيلاً على القارئ الكريم.

٢ - الوسائل ٤ / ٦؛ راجع ايضاً: الفصل ٣٨، من هذا الباب.

يَسْتَهْلِكُونَ الاموالَ والبضائعَ الطَّائِلَةَ كما تَشَاءُ لَهُمْ مِيُولُهُمُ الَّتِي لَا تُحَدُّ،
وبطونُهُمُ الَّتِي لَا تَشْبَعُ؛ والمسْرِفُونَ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ مَا لَيْسَ لَهُمْ، وَيَلْبَسُونَ مَا
لَيْسَ لَهُمْ، وَيَأْكُلُونَ مَا لَيْسَ لَهُمْ ..^١ ومن تلك الذنوب، الامساكُ والبخلُ
والاحتكارُ والاجحافُ بالاسعار، وظلمُ الأجراءِ والعَمالِ والكادحين
وَبَخْسُ حَقْوِقِهِمْ، وسائرُ ما هنالك من الذنوبِ والعُدوانِ .

ب - انفاقُ المالِ في غيرِ معصية: «.. وَأَنْفَقَهُ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ»^٢؛ هذا
المقْطَعُ يَشِيرُ إِلَى أَنَّ صَرْفَ الْمَالِ وَإِنْفَاقَهُ، يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مَبْتَعِدِينَ عَنِ
المَعْصِيَةِ وَالذَّنْبِ، فَلَا اسْرَافَ وَلَا تَضْيِيعَ . وكذلك لا وجهَ لصرْفِ المالِ في
المقاصِدِ الفاسِدةِ وفي وجوهِ الشَّرِّ والتَّمَيُّعِ . فالمسْلِمُ الْمُؤْمِنُ هُوَ الَّذِي
يَكْتَسِبُ الْمَالَ مِنْ غَيْرِ مَعْصِيَةٍ، وَيُنْفِقُهُ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ، فَلَا امسَاكَ عَنِ الْخَيْرِ
وَالصَّالِحِ، وَلَا انْفَاقَ فِي الشَّرِّ وَالْفَسَادِ .

ج - العودُ بالمالِ على البُؤساءِ والمساكينِ: «.. وَعَادَ بِهِ عَلَى أَهْلِ
الْمَسْكِنَةِ»^٣؛ فالمقدارُ الزائدُ على عيشةِ سالمَةِ اسلاميَّةٍ مقتصدَةٍ، يعودُ به
الغنيُّ المسلمُ على ذوي الحاجاتِ من اهلِ المَسْكِنَاتِ، او على
المشاريعِ الخيريَّةِ العامَّةِ، بَصُورِهَا المَنوعَةِ، المتلاحمةِ مع حاجياتِ كلِّ
عصرٍ ومصر، حتَّى يعمَّ نفعُهُ النَّاسَ .

وهذا الاصلُ هو اصلُ الانفاقِ، الَّذِي أَشْرَهُ الْاسْلَامُ اصْلاً رَئِيسِيًّا،
وَحَضَّ عَلَيْهِ كُلُّ مَنْ يُتَأَمَّرُ لَهُ انْفَاقُ شَيْءٍ، حَصًّا جَذْرِيًّا بَعِيدَ الْمَدَى، فَسِيحَ
الْآفَاقِ، بِحَيْثُ لَمْ نَشَاهِدْ مِثْلَهُ فِي حَقْلِ التَّرْبِيَةِ وَالْاِخْلَاقِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ فِي آيَةٍ
فِكْرَةٍ او مَدْرَسَةٍ او دِينٍ . وفلسفةُ الانفاقِ الاصليةِ هي تداولُ الاموالِ بين
النَّاسِ حتَّى تَسْتَمِرَّ حَرَكَةُ الْمَالِ الْقَوَامِيَّةِ، وَيُشَجَّبَ الْاِكْتِنَازُ وَالتَّكَاثُرُ

١ - الخصال ١ / ١٢١ .

٢ - تحف العقول / ٢٨ .

٣ - تحف العقول / ٢٨ .

والإتراء والاسراف . وهو يشملُ فضلَ المال (وفضلُ مالِه مبدولٌ) ^١ أيًا كان، فلا يَخْتَصُّ بمقدارِ طعامِ يومٍ أو أسبوعٍ، بل يَعْمُ جميعَ ما هنالك من المُؤنِّ والمصارفِ ، كَمُؤنِّ طلبِ العلمِ، ومُؤنِّ الاكتسابِ والامتحانِ، ومُؤنِّ الاكتشافاتِ العلمِيَّةِ والصَّحِيَّةِ، ومُؤنِّ الزَّواجِ، ومُؤنِّ السَّكَنِ، ومُؤنِّ تربيةِ الاطفالِ والنَّاشئةِ، ومُؤنِّ سفرِ الحجِّ او زيارةِ النَّبيِّ «ص». ^٢ وكلُّ ذلك يُؤدِّي الى حركةِ المالِ في المجتمعِ بصورةٍ قَوامِيَّةٍ اسلامِيَّةِ .

فعلى اسبابِ هذا المبنى التَّربويِّ، يجبُ اقتناءُ المالِ وتحصيلُه لتأمينِ المعاشِ، تأمينَ كفايةٍ، لتأمينِ توسُّعٍ وبَدخٍ وترَفٍ . وستمرُّ عليك تفاصيلُ هذا الموضوعِ في فصولِ هذينِ البابينِ . فالمستفادُ من الحديثِ، هو تصويرٌ حيٌّ نابضٌ، للحياةِ الاجتماعيَّةِ الاقتصاديَّةِ، المقبولةِ عندَ الاسلامِ، المرضِيَّةِ عندَ النَّبيِّ الاكرمِ «ص». ولاجلِ اَن يتبلَّورَ الواقِعانِ الماليَّانِ، الصَّالحُ والفاقدُ، في حقلِ التَّعاليمِ الشَّرعيَّةِ، يَعْمَدُ النَّبيُّ «ص» بعدَ إعطائه التَّصويرَ الاقتصاديَّ السَّالمَ للمجتمعِ الاسلاميِّ، الى بيانِ مايضادُّ ذلك التَّصويرِ، فيرسمُ صورةً أُخرى من الامتلاكِ والتموُّلِ :

د - الخِيلاءُ والتَّفَاخُرُ بالمالِ : «.. وجانبَ اهلِ الخِيلاءِ والتَّفَاخُرِ» ^٣؛ هذا المقطعُ ينددُ بهذا الشَّكلِ من الحياةِ الماليَّةِ والاقتصاديَّةِ، ويعلنُ ابتعادها عن المنهجِ القويمِ والمُهَيِّجِ الاسلاميِّ اللَّاحِبِ . فاهلُ الخِيلاءِ المُحِبُّونَ للمالِ المتفَاخرونَ به، هم المُجانبونَ للتَّعاليمِ الدِّينيَّةِ، والمبتعدونَ عن السَّيرةِ الاسلاميَّةِ، لانَّ المالَ في حياةٍ كهذه ليس ذريعةً لتأمينِ المُؤنِّ وسدِّ الحاجاتِ اللّازمةِ لحياةٍ سليمةٍ، بل هو ذريعةٌ يتدَّرَعُ بها الاثرياءُ الى التَّفَاخُرِ والاستكبارِ والتَّعاقُبِ مع الدُّنيا وملاذِّها .

١ - تحف العقول / ٢٨٧، من حديثِ الامامِ موسى الكاظمِ «ع».

٢ - راجع : فصولُ «مستوى العيشِ للجماهير»، من البابِ ١٢ .

٣ - تحف العقول / ٢٨ .

هـ - الابتداعُ خلافُ السُّنَّةِ والعملُ بغيرِ السُّيرةِ : «.. المُبتدِعِينِ خلافَ سُنَّتِي، العَامِلِينَ بغيرِ سِيرَتِي»^١؛ لَمَّا تَبَيَّنَ أَنَّ السُّيرَةَ النَّبَوِيَّةَ - وهي سيرةُ الاسلامِ المَحْضِ، الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ تَتَجَلَّى فِي عَمَلِ الْمُسْلِمِينَ - هي اكتسَابُ المَالِ مِنْ غَيْرِ مَعْصِيَةٍ، وَاِنْفَاقُهُ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ، وَالْعُودُ بِمَا فَضَّلَ مِنْهُ عَلَى الْمَحْرُومِينَ وَاهْلِ الْمَسْكِنَةِ، وَمَجَانِبَةُ أَهْلِ الْخِيَلَاءِ وَالْفِرْعَانَةِ، يَتَضَحُّ بِجَلَاءِ أَنَّ السَّائِرِينَ عَلَى غَيْرِ هَذِهِ الْوُثِيرَةِ هُمُ الْمُبْتَدِعُونَ خِلَافَ السُّنَّةِ وَالْعَامِلُونَ بِغَيْرِ السُّيرَةِ . وَهَذَا التَّعْبِيرُ النَّبَوِيُّ هُوَ الْحَدُّ الْفَاصِلُ بَيْنَ الْحَيَاةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْحَيَاةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، فِي إِطَارِ التَّمَوُّلِ وَالْإِمْتِلَاكِ .

وَأَنْ مِمَّا يُكْبِرُ الْهَمَّ وَيَقْصِمُ الظَّهْرَ، مَا جَاءَ فِي كَلَامِ النَّبِيِّ الْإِكْرَمِ، فِي الْحَدِيثِ الثَّلَاثِ، بِحَقِّ الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ أَغْنِيَاءِ الْأُمَّةِ؛ أَمَا الطَّبَقَةُ الْأُولَى فَهُمُ الْمَفْلِحُونَ، وَهَمُ أَقْلَاءُ؛ وَالطَّبَقَةُ الثَّلَاثَةُ هُمُ الْهَالِكُونَ؛ لَكِنَّ الطَّبَقَةَ الثَّانِيَةَ (وَهُمُ الَّذِينَ يَجْمَعُونَ الْمَالَ مِنْ أَطْيَبِ وَجُوهِهِ وَأَحْسَنِ سُبُلِهِ، وَيَصِلُونَ بِهِ إِلَى الْأَرْحَامِ، وَيَبْرُونَ بِهِ الْإِخْوَانَ، وَيُؤَاوِسُونَ بِهِ الْفُقَرَاءَ، وَلَعَضُّ أَحَدِهِمْ عَلَى الرُّضْفِ أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَكْتَسِبَ دَرَهْمًا مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ، أَوْ يَمْنَعَهُ مِنْ حَقِّهِ، أَوْ يَكُونَ لَهُ خَازِنًا إِلَى يَوْمِ مَوْتِهِ) فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ «ص» فِي حَقِّهِمْ : إِنَّهُمْ «إِنْ نَوَقِشَ عَنْهُمْ عُدُّوا»^٢ .. فَالِإِلَهِيِّ الْمَعَادِ .

٢ - الْمَالُ مَالُ اللَّهِ تَعَالَى : لَقَدْ أَلْمَحْنَا فِي الْأَلْفَاتِ السَّالِفَةِ بِهَذَا الصَّدَدِ، إِلَى أَنَّ عَدَّ الْمَالَ مَالَ اللَّهِ وَالْبُخُوعَ بِهِ كَاصِلًا ، لَيْسَ إِلَّا مِنْ صُلْبِ التَّعَالِيمِ وَالْمَعْتَقَدَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ . وَهَذَا نَزِيدُ إِشْعَاعًا عَلَى الْمَوْضُوعِ، وَنُشِيرُ إِلَى أَنَّ حَرَكَةَ الْمَالِ الْإِلَهِيِّ فِي الْمَجْتَمَعِ مَا هِيَ وَكَيْفَ هِيَ؟ فَنَقُولُ :

إِنَّ حَرَكَةَ الْمَالِ الْإِلَهِيِّ، فِي الْمَجْتَمَعِ الْإِنْسَانِيِّ، هِيَ حَرَكَةٌ جَمَاهِيرِيَّةٌ

١ - تحف العقول / ٢٨ .

٢ - البحار ١٠٣ / ٢٣ - ٢٤ .

نظرة الى الفصل الأول ..

شعبية بالضرورة، لأن المقصود من أن «المال لله» و«المال مال الله»، أنه يجب أن يكون جارياً في أيدي الناس والخلائق عامة - على حسب ما جاء في دين الله - لا مُتَكَدِّساً عند قِيةٍ ومحسوساً عند قِطاع .. وذلك لأن الخلق كلهم عيال لله تعالى - كما جاء في الاحاديث ١ - والمال مال الله - كما مرّت احاديثه - ومال الشخص ليعاله . إن الله خلق الخلق كعائلة له وضمن ارزاقها، وخولها الطبيعة وموآبهها، فجعل المنايع والاموال لتكون ذرائع لحياة عائلته، وموئناً لمعيشتها . فهؤلاء الاثرياء المتكاثرون المتسلطون على الاموال هم الذين يخونون الله في امواله، ويجهبونه في تقاديره، حيث يستأثرون بالاموال ويخرجونها من مداراته الالهية المقررة لها الى غيرها، ويصدون عباد الله ووعاله من أن يصلوا اليها ويديروا معاشهم بها؛ وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ٢ .

ولقد جاء القرآن الكريم، في كثير من آياته البينات، بتصرّيات ناصّة على ملكية الله لجميع الاشياء والمواهب والنفوس - كما مرّت لمعة منها - وأنه تعالى يملك الفرد والمجتمع وحياتهما وكل مايمت إليها مما يوجد في الطبيعة وما يكون بأيدي الناس؛ وذلك لأن يحكم الاصل المذكور ويدعمه، ويلفت النظر الى هذه القاعدة الرئيسية ٣ . ولاجل ذلك تشهدون القرآن الكريم يصرّح مراراً بأن الاكل من «رزق الله» و «رزق ربكم»، و «من طبيبات ما رزقناكم». فالذي يأكله الناس - ومنهم البائسون الذين يطعمهم غيرهم - ليس هو رزق بعضهم لبعض، في المنطق القرآني، بل هو رزق الله الذي اعدّه للجميع وخولهم اياه «فهم فيه سواء» ٤ ، غير أنه

١ - نهج البلاغة / ٢٣٠: عبده ١ / ١٥٩؛ الكافي ٢ / ١٩٩.

٢ - سورة الشعراء (٢٦): ٢٢٧.

٣ - لقد اوردنا رأي ثقة الاسلام الكليني، في نفي ملكية الناس عامة عن الاموال، فراجع: النظرة الى الفصل ٢٥، من الباب ١١، الفقرة ١٢؛ «الكافي» ١ / ٤٠٧ و ٥٣٨.

٤ - سورة النحل (١٦): ٧١.

يَصِلُ اليه البعضُ بنفسه، والبعضُ الآخرُ بوساطةٍ غيره، من الاشخاص،
او الحكم، او المؤسساتِ الاجتماعيّةِ المُعدّةِ للتأمينِ الاجتماعيّ .
وتلكمُ التّعابيرُ والتّصريحاتُ الناصّةُ إنّما جاءت في الكتابِ
السّمائي، لِيَعْلَمَ الانسانُ :

١ - أنّ صلّتهُ بالمالِ ليست صلةً باموالٍ شخصيّة، بل باموالِ الهيّةِ
وبارزاقِ اللهِ ونعمائه .

٢ - أنّ صلّتهُ بالمالِ ليست صلةً مستقلّة، بل صلةً استخلافيّة .

٣ - أنّ الانسانَ الذي ترَبّعَ على مائدةِ اللهِ العُظمى وسُفرتِهِ
الفسيحة، ليس هو المختصُّ بتلك النّعم، وليست هي مختصّةً به، بل هو
واحدٌ من عبادِ اللهِ وعياله، المرزوقين بهذا الرّزق، المحتاجين اليه . فان
أسرفَ هو او بذّر، او جاوزَ حقهَ وحدّه، فأكلَ ما ليس له أكله، فقد أضرَّ بمالِ
الجميع، وتعدّى على حقوقِ الناسِ عامّة .

وإذا صُرِفَ المالُ - وهو مالُ الله - في سبيلِ الله، وهي سبيلُ الناسِ،
تتَفَتَحُ آفاقُ الحياة، وتَبْلُورُ المواهبُ الانسانيّة، وتَحَقِّقُ ارضيَّاتِ النُّموِّ
والرُّقيّ في الحياةِ الماديّةِ والمعنويّةِ لكلِّ الافرادِ والقِطاعات، ويسلُكُ كلُّ
احدٍ سبيلَ العُروجِ الى الله تعالى، حيثُ يُتاحُ للكلِّ أن يَحْصُلَ على
حاجيَّته في سبيلِ العلمِ والعمل^١. وبذلك يظهرُ تلاحُمٌ باهرٌ في اجزاءِ
المجتمعِ وقِطاعاتِهِ، فلا فقيرَ بائساً هناك لا يَجِدُ الى القوتِ سبيلاً، ولا غنيّ

١ - من الواضح أن للعلمِ وطلبهِ حاجيَّات، وكذا للعملِ واداءِ التكاليفِ الدّينيّةِ ايضاً حاجيَّات، «فلولا
الخبزُ ماصِلينا ولا ضمنا ولا اديننا فرائضَ ربنا»، كما جاء في الحديثِ النَّبويّ - (الكافي ٥ / ٧٣).
والاسفُ المُميت من أنّه لا تُوجدُ تربيّةٌ صالحَةٌ وتجسديّة، لِانقِاذِ حقوقِ المحرومين
وردّها اليهم (سوى الهتاف)، حتى يَتِمَكَّنَ هؤلاء ايضاً من اداءِ واجباتِهِم التي تفوتُهُم من جرّاءِ
الفقرِ المُدقعِ والزّمانَةِ والحرمانِ الصّحّيِّ والتّربويّ . ولقد قال الامامُ ابوالحسنِ عليّ بنُ موسى
الرضا «ع» في بيانِ علّةِ تشريعِ الزّكاةِ : «.. وتقوية الفقراءِ والمعونةُ لَهُم على امرِ الدّين» - (عللُ
الشّرايع / ٣٦٩).

مَغْطِرًا يَلْعَبُ بِالْإِنْسَانِ وَمَصَالِحِهِ وَبِالْمَجْتَمَعِ وَتَسَامِيهِ؛ نَعَمْ، لَا وَتَنْ
لِلوَتَبِينَ المَالِيِّينَ بِاسْمِ «المال»، وَلَا وَازَعَ لَطْلَابِ التَّكَامُلِ مِنْ جِهَةِ
الحاجة والفقر. فالمالُ مالُ الله، والخلقُ عيالُ الله، وقد صُرفَ المالُ
للعِيَالِ .

٣- الاموال ودائع وعوار: إِنَّ التَّعَالِيمَ الاسلامِيَّةَ الَّتِي وَرَدَتْ فِي هَذَا
المَقَامِ، تُؤَشِّرُ أَمَامَ المَجْتَمَعِ مُنْطَلَقَاتِ الدِّينِ الاسلامِيِّ فِي المَسَائِلِ المَالِيَّةِ
وَالسِّيَاسَةِ الاِقْتِصَادِيَّةِ، وَتُحَدِّدُ الارْضِيَّاتِ الَّتِي يُمَهِّدُهَا الْإِسْلَامُ لِتَخْطِيطِ
بِرَامِجِ قِيَمَةٍ عَادِلَةٍ لِلْمَالِ وَكَيْفِيَّةِ التَّصَرُّفِ فِيهِ، وَلرَّسَمِ خُطُوطِ كَلِيَّةٍ لِمَذْهَبِ
الْإِسْلَامِ الاِقْتِصَادِيِّ . هَذِهِ التَّعَالِيمُ تُؤَكِّدُ عَلَى أَنَّ المَالَ عَارِيَةٌ فِي أَيْدِي
الْإِغْنِيَاءِ^١، وَوَسِيلَةٌ صَالِحَةٌ يُقْضَى بِهَا عَلَى الْفَقْرِ وَالْمَسْكِنَةِ، وَيُضْمَنُ بِهَا
النَّفْعَ الْعَامَّ؛ وَهِيَ تَسْتَتِيعُ الْقَضَاءَ الْحَاسِمَ عَلَى أَيِّ لَوْنٍ مِنَ الْوَانِ اسْتَقْطَابِ
المَالِ وَتَبْنِيهِ غَايَةً لِلنَّشَاطَاتِ الْحَيَاتِيَّةِ، أَوْ ذَرَائِعَ لاسْتِغْلَالِ النَّاسِ .

إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ وَجَعَلَهُ خَلِيفَتَهُ فِي الْأَرْضِ (أَنْتِي جَاعِلٌ فِي
الْأَرْضِ خَلِيفَةً)^٢. وَهَذِهِ الْخِلَافَةُ رِسَالَةٌ الْهَيْبَةِ الْعَظِيمَةِ، تَفْرُضُ عَلَى الْإِنْسَانِ
أَنْ يَعْمَلَ فِي الْأَرْضِ كَخَلِيفَةٍ لِلَّهِ، وَأَنْ يَسْتَفِيدَ مِنْ مَوَاهِبِ الْأَرْضِ وَنِعْمَاتِهَا
وَأَنْ يَتَصَرَّفَ فِيهَا كَخَلِيفَةٍ لِلَّهِ تَعَالَى .

وهذا التعلیم القويم، لايسوغ للانسان حرية التصرف في ممتلكاته

١ - لقد بحثنا عن الغنى بقسميه (الكفاي والاترافي) في الفصل ٢١، من هذا الباب، وشرحننا هناك أنَّ
الغنى والمال الكثير (التكاثر) لايرتضيه الاسلام ولايقره ولايراه حاصلًا من وجه حلال مشروع،
كما شجبه القرآن الكريم شجبا حاسما . فالغني الذي يقبله الاسلام ويوجه اليه تكاليفه ليس بذاك
الرأسمالي - في المصطلح الحديث - او المتكاثر الممتلك لمقادير كثيرة، بل هو الامين فيما بايديه،
المقتصد في الامتلاك والاستهلاك، البار الوصول، ممن تسميهم التعاليم الاسلامية: «أمناء على
المحاييج» - (الكافي ٢ / ٢٦٥). وستأتي الاشارة الى هذا الموضوع في المتن ايضا .

٢ - سورة البقرة (٢): ٣٠ .

مطلقاً، لَأنّه لا يرى الانسانَ العائشَ على ظهر الارض، موجوداً مستقلاً في امتلاكه، حرّاً لا محدوداً في تصرّفاته واستمتاعه من النعمِ والمواهبِ - كماً وكيفاً - بل يراه خليفةَ اللهِ ووكيله الذي استخلفه لَأنّ يعملَ على النهجِ المشروعِ الذي وصّاه به . فالمالُ الذي يستقرُّ في يدِ المستخلفِ (بالتفتح) ليس ملكه حقيقةً، بل هو ملكُ المستخلفِ (بالكسر) اودعها عنده لتصرّفاتٍ صالحةٍ مشروعةٍ ومحدودةٍ بحدودِ الشرعِ الالهيّ. وهذا هو المعنى الذي نطق به الكتابُ السماويّ: «وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهَا»، اي: «الاموالِ التي جعلكم اللهُ خلفاءَ في التصرفِ فيها، فهي في الحقيقة لهُ لآلكم»^٢. وفي هذا التعبيرِ الذي جاء في الآية نكتة هامةٌ ينبغي ان لا تذهبَ علينا وان لا تغفلَ عنها . وهي في ضميرِ الخطابِ المجموعِ في «جعلكم»، فهذا التعبيرُ خطابٌ عامٌّ للمجتمعِ بأسره،^٣ فيفهمُ منه بالتالي هذه الحقيقة، يعني: أنّ الله قد جعلَ الناسَ كلهمُ مُخفّين في الاموالِ والاستفادةِ منها . ولازمُ هذا المعنى ان تكونَ المجموعةُ الماليّةُ والثروةُ الموجودةُ في المجتمعِ موردَ الاستخلافِ، وأن يكونَ التصرفُ فيها بصورةٍ استخلافيةٍ . وذلك لا يكونُ الا بسريانها في الايدي وتداولها بينَ الناسِ وخرجها من كونها دُوْلَةً بين الاغنياء؛ فصلاّتُ الانسانِ بالاموالِ والثرواتِ - وكذلك التبادلاتُ - لا تكونُ الا استخلافيةً، فيجبُ ان تتداولَ الاموالُ في سبيلِ الله وحيث وجَّهها الله طبقاً لشرعيته تعالى .

واذا كان تداولُ الاموالِ بينَ الناسِ هكذا، يُصبحُ التداولُ بالضرورة تداولاً قوامياً، يعني: يكونُ المالُ على هذا الاساس سبباً لقوامِ الحياةِ الفرديّةِ والاجتماعيّةِ، وباعتنا على تفتحِ القُدراتِ والمواهبِ لاغير .

١ - سورة الحديد (٥٧) : ٧ .

٢ - تفسير الصّافي ٥ / ١٣٣ .

٣ - راجع: الفصل ٣٦، من هذا الباب: والفصل ٣، من الباب ١٢ .

فالنظام المالي التكاثري - الذي يقوم على ترف الاقلية وحرمان الاكثرية - ليس نظاماً استخلافياً واسبامياً؛ اذ القرآن والحديث يجابهان ذلك النظام ويرفضانه، ويؤكدان على كون الاموال مصححة للخلق وقواماً لحياتهم، ويريان الانفاق (وهو اجراء المال وادالته بين الناس) امراً طبيعياً، اذ المنفق لا ينفق الا مما جعل مستخلفاً فيه؛ فالتعاليم الاسلامية تقول للناس: «انفقوا مما لستم مالكين له، بل انتم حراسه ووكلاء المالك الحقيقي فيه، ولكم حق التصرف. والتصرف قد حدد بالاستهلاك المقتصد من غير اسراف، وبالانفاق من غير امساك .. وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة». فامساك المال الزائد امر لا يعترف به الدين، ولا يبرره ناموس العدالة والحق، لانه مضاد للجهة الاستخلافية في المال، وتعد عن حده الودعي الالهي، وسبب لهلاك الافراد وتلاشي المجتمعات.

٤ - الاموال قوام وقيام (الموضع الالهي للمال) : لِنَشْرَحَ هذا الموضوع الهام الحياتي ضمن مسائل :

الاولى : ان موضع المال الالهي - وهو القوام (.. وكان بين ذلك قواماً) ^١، والقيام (.. اموالكم التي جعل الله لكم قياماً) ^٢ - يوجب نفي افساد المال وتضييعه في كل صورته واشكاليه، جزئية وكلية، فرعية واصلية، في الانتاج والاستيراد والتوزيع والاستهلاك، كما وكيفاً، في كل ذلك. لان افساد المال يضاد موضعه القوامي الالهي، يقول الامام الباقر «ع» : «ان رسول الله «ص» نهى عن .. فساد المال .. وقال : "ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياماً"» ^٣.

١ - سورة الفرقان (٢٥) : ٦٧.

٢ - سورة النساء (٤) : ٥.

٣ - تفسير البرهان ١ / ٣٤٢.

الثانية: أنّ موضعَ المالِ الالهيّ، يرفضُ اكلَ المالِ بالباطلِ بالوانه، لأنَّ حركةَ المالِ الباطلةَ تضادُّ حركته القواميّة الصّحيحة وتؤدّي الى فسادِه . فالربّاً مثلاً - وقد عدّ من أبرزِ مصاديقِ اكلِ المالِ بالباطلِ - قد جاء في عِللِ تحريمه بأنّه يقتضي فسادَ الاموالِ وتلفّها، يقولُ الامام ابوالحسن الرضا «ع»: «... فَحَرَّمَ اللهُ - تبارك وتعالى - الرّبّاً لعلّةِ فسادِ الاموالِ، كما حُظِرَ على السّفيةِ أن يُدفعَ مالُه اليه، لِمَا يُتَخَوَّفُ عليه من إفسادِه ..»^١.

وفي هذا التعلّم الرضويّ، نكتة هامة استدلالية، وهي في قوله «ع»: «كما حُظِرَ على السّفية ..». هذه النكتة تُفيدنا بأنّ قواميّة المال كما تُوجبُ أنْ لا نُسَلِّمَهُ الى السّفية - لأنّ السّفية لا يميّزُ القوامَ عن غيره ويُضَيِّعُ ما هوا القوامُ تضييعاً - كذلك تُوجبُ أنْ لا نأخذَ به الرّبّاً، لأنّ هذين الامرين كليهما يُخرِجانِ المالَ عن مدارِه القوامي .

الثالثة: أنّ الموضعَ المذكورَ يرفضُ حركةَ المالِ التكاثرية في المجتمع ايضاً. وذلك لنفسِ العلّةِ المذكورة، لأنّ المالَ يخرُجُ في المستوى التكاثريّ عن موضعه القوامي، إذ التكاثرُ يضادُّ القوامَ، يقولُ الامامُ الصادق «ع»: «القوامُ وضدهُ المُكاثرة»^٢.

الرابعة: أنّ الموضعَ المذكورَ، هو موضعُ المالِ الانسانيّ والجماهيريّ، وذلك لمايلي :

أ- أنّ تحقّقَ الموضعِ المذكورِ إنما يكونُ بتوزيعِ الاموالِ والثرواتِ وإدالتها بينَ الناسِ واخراجها عن كونها «دولةً بين الاغنياء» - كما حصّ عليه القرآن الكريم^٣ - اذ المالُ في هذه النظرة (النظرة الالهية القواميّة)،

١ - عيون اخبار الرضا ٢ / ٩٤.

٢ - الكافي ١ / ٢٢.

٣ - سورة الحشر (٥٩): ٧.

نظرة الى الفصل الأول ..

لا يكون الا ما تقوم به حياة الفرد والمجتمع (وحياة الاسلام والمسلمين)،^١ لا ما يدخر للتكاثر والتفاخر (.. وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال)^٢، ولا ما يؤكل ربوياً (.. ليربوا في اموال الناس)^٣، ولا ما يؤخذ اضعافاً مضاعفة (.. لا تأكلوا الربا اضعافاً مضاعفة)^٤.

ب - أن الموضوع المذكور، هو الموافق للحاجة الانسانية وتأمين معيشة الافراد في حد القصد بلا تكاثر ولا فقر، ولا فرق ولا تبعيض بصورة باهظة. وهذا الموضوع وتجسيده سيدفع المجتمع الى تبني مبدأ «المؤاساة» و «المساواة» الاسلاميتين،^٥ ويسحق الفروق اللانسانية واللااسلامية. وعلى هذا:

(١) - يصبح الانتاج انتاجاً قوامياً تابعاً لموازن الاعتدال والاجابة على حوائج الجماهير، فيرفض الانتاج الكماي والترفي المبيد لحقوق الآخرين، الا عندما غطى الجميع في حدود مناسبة.

(٢) - يصبح الاستيراد استيراداً قوامياً لا يزيد على المقدار اللازم للكل، فيرفض استيراد الامتعة الكمايية والترقية، مما يوجب «التبعية الاقتصادية» ويهدر حقوق الآخرين ايضاً.

(٣) - يصبح التوزيع توزيعاً قوامياً يتبع سنن العدالة والحق، ويتبع مواضع الحاجة الصحيحة.

(٤) - يصبح الامتلاك امتلاكاً قوامياً لا اکتناز فيه ولا تكاثر.

(٥) - واخيراً يصبح الاستهلاك استهلاكاً قوامياً، فيرفض كل ما

١ - وسيأتي تعريف المال في الاسلام، في الفصل ٢٤، من هذا الباب.

٢ - سورة الحديد (٥٧) : ٢٠.

٣ - سورة الروم (٣٠) : ٣٩.

٤ - سورة آل عمران (٣) : ١٣٠.

٥ - راجع للوقوف على الاحاديث المهمة الواردة بصدد «المؤاساة» و«المساواة»: الفصل

٤٦ و ٤٧، من هذا الباب.

هنالك من مُضَلَّاتِ الاستهلاكِ التَّرفِيّ وَمَضْرَآتِهِ، سواءً أكان ذلك عانداً الى نفسِ المستهلكِ ام الى غيرِه، من الوانِ الضَّلَالِ والضَّررِ .
وبذلك يُصِحُّ الانتاجُ طَبِيعياً وكذلك الاستيرادُ والتَّوزِيعُ والامتلاكُ والاستهلاكُ . وهذه صورةٌ يَقْرُها الاسلامُ، لَأنَّها تُواكِبُ مَوْضِعَ المالِ القَواميِّ والالهِيِّ . والخلاصةُ أَنَّ المَوْضِعَ المذكورِ، يَسْحَقُ - سِوَى ما ذُكِرَ - كلَّ افراطٍ او تفريطٍ ماليٍّ وكلَّ اسرافٍ او تبذيرٍ او تقتيرٍ، في مرحلةِ الاستفادةِ من الطَّبيعَةِ والمَنَاجِمِ الى الانتاجِ والاستيرادِ والتَّوزِيعِ والامتلاكِ والاستهلاكِ .

الخامسة : ننتهي من كلِّ ما ذُكِرَ الى اصلِ رِئِيسِيِّ وحياتيِّ هَامٍّ، وهو أَنَّ المالَ اذا أُخْرِجَ من مَوْضِعِهِ القَواميِّ و حدودِهِ الطَّبيعيَّةِ، يوجبُ ذلكَ الهلاكَ والدَّمَارَ للفردِ والمجتمعِ، سواءً أكان ذلك :

أ - بطريقِ اكلِ المالِ باسبابٍ باطلة، وهو انتحارٌ اجتماعيٌّ (ولا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ)؛^١

ب - ام بطريقِ الرِّبا (إذا ارادَ اللهُ بقومٍ هلاكاً ظَهَرَ فِيهِمُ الرِّبا)؛^٢

ج - ام بطريقِ التَّكاثُرِ والاستِنثارِ بالمالِ (مَنْ يَسْتَأْثِرْ مِنَ الاموالِ يَهْلِكْ)^٣؛

د - ام بطريقِ البُخْلِ وعدمِ الانفاقِ (أَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا تَلْقُوا بايديكم الى التَّهْلُكَةِ)^٤؛

هـ - ام بطريقِ الاكْتِنازِ والتَّكديسِ (وصاحبُ الثَّلاثينِ الفأ هالك)^٥؛

١ - سورة النساء (٤) : ٢٩ .

٢ - الوسائل ١٢ / ٤٢٧، من حديثِ الامامِ الصَّادِقِ «ع» .

٣ - تحف العقول / ١٥٥، من حديثِ الامامِ عليِّ بنِ ابي طالب «ع» .

٤ - سورة البقرة (٢) : ١٩٥ .

٥ - تحف العقول / ٢٧٩، من حديثِ الامامِ الصَّادِقِ «ع» .

نظرة الى الفصل الأول ..

و - ام بطريق الاسراف والتبذير (مَنْ لَمْ يُحْسِنِ الْاِقْتِصَادَ أَهْلَكَهُ
الاسراف)^١، وما الى ذلك .

وإنَّ الامورَ المذكورةَ تُؤكِّدُ بالضرورةِ على وجوبِ صيانةِ موضعِ
المالِ القَواميِّ والتَّحْفُظِ عليه بتطبيقه في القِطاعاتِ، في كلِّ من
المجتمعاتِ . أَضِفْ الى ذلكَ أَنَّ الامورَ التي اشرنا اليها، هي مصاديقُ
الظلمِ والجورِ والاعتداء، فيجبُ ان تُكَافَحَ وتُتَفَاعَحَ في مختلفِ الوانها،
حتى ينتهي الامرُ الى سيادةِ العدالةِ الاقتصاديةِ على كلِّ المُستَوِيَّاتِ؛
وَأَنَّ العدلَ إِنَّمَا يُطَبَّقُ اذا رُوِيَ موضعُ المالِ القَواميِّ، كما يقولُ الامامُ
الباقر «ع» : «والَّذينَ إِذا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا،
الْقَوَامُ الْعَدْلُ وَالْإِنْفَاقُ فِيمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ»^٢. وبهذا العدلِ الماليِّ والاقتصاديِّ
يُسْحَقُ كلُّ ظلمٍ او اعتداءٍ او حيفٍ في حقولِ المعيشةِ والحياةِ
الاقتصاديةِ .

ثم إنَّ المسائلَ المذكورةَ تُرشدنا ايضاً الى حقائقَ تُمَّتْ الى مذهبِ
الاسلامِ الاقتصاديِّ، لا بأس بالاشارةِ اليها :

(١) - تبرزُ القرآنُ العلميُّ في المسائلِ الاقتصاديةِ وحلوله الجذريةِ
العميقةِ والمصلحةِ .

(٢) - انسجامُ نظامِ الاسلامِ الاقتصاديِّ الكاملِ، وتجاوبه البعيدِ
المدى مع النواميسِ التكوينيةِ الحاكمةِ على حياةِ الفردِ والمجتمعِ .

(٣) - الصِّلةُ الطَّبِيعِيَّةُ العميقةُ بينَ موضعِ المالِ الالهيِّ وسائرِ مباني
الاسلامِ واصوله الاقتصاديةِ .

(٤) - التعريفُ ببواعثِ بقاءِ المجتمعاتِ الانسانيةِ ورشدِها
وتكاملِها، او زوالِها وفنائِها ودمارِها .

١ - غُرُّ الْحِكْمِ / ٢٧٤ .

٢ - تفسير نور الثقلين ٤ / ٢٧ .

(٥) - تعيينُ أصلِ قَوامِيَّةِ المالِ وحركتِهِ القِيَامِيَّةِ كشَاخِصٍ لِنِظَامِ

الاسلامِ الاقتصاديِّ والماليِّ في صميمه وبالنسبةِ الى غيره :

* - أَمَّا فِي صَمِيمِهِ فَإِنَّ هَذَا الْأَصْلَ يَفْرِزُ هَذَا النِّظَامَ مِنْ سَائِرِ الْأَنْظِمَةِ، فَاقْتِصَادُ الْإِسْلَامِ لَيْسَ اقْتِصَادًا شَرْقِيًّا (اشْتِرَاقِيًّا)، وَلَا اقْتِصَادًا غَرْبِيًّا (رَأْسَمَالِيًّا وَامْبِرِيَالِيًّا)، بَلْ هُوَ اقْتِصَادٌ قَوَامِيٌّ . وَإِنَّ عَدَمَ الْأَعْتَادِ بِهَذَا الْأَصْلِ، هُوَ السَّبَبُ الْأَصْلِيُّ لِانْحِرَافِ النِّظَامِ الْمَالِيِّ وَالْاِقْتِصَادِيِّ فِي الْإِسْلَامِ . فَمَنْ يَرُومُ أَنْ يَطْرَحَ - ضَمْنَ رَفْضِ النِّظَامَيْنِ الشَّرْقِيِّ وَالْغَرْبِيِّ - مَعْجُونًا مَرْكَبًا مِنْهُمَا كَمَذْهَبِ اقْتِصَادِيٍّ لِلْإِسْلَامِ، لَا يَنْجَحُ بِهَذَا الصَّدَدِ، أَيَّ بَصَدِّ تَبْيِينِ اقْتِصَادِ الْإِسْلَامِ الْقَوَامِيِّ الشَّامِلِ الْمَصْلِحِ الْبِنَاءِ .

* - وَأَمَّا بِالنَّسْبَةِ إِلَى غَيْرِهِ، فَكُلُّ رَأْيٍ أَوْ فِتْوَى أَوْ نَظَرٍ أَوْ تَقْنِينٍ يُخْرِجُ الْمَالَ عَنْ كَوْنِهِ قَوَامِيًّا وَيُبْعِدُهُ عَنْ مَدَارِهِ ذَلِكَ، وَيَشُقُّ الطَّرِيقَ إِلَى صَيْرُورَةِ الْأَمْوَالِ دَوْلَةً بَيْنَ حَفَنَةٍ أَوْ حَفَنَاتٍ، فَهُوَ وَهْمٌ وَخُرُوجٌ عَنِ طُورِ الْمَالِ الْإِلَهِيِّ وَالْإِطَارِ الْإِسْلَامِيِّ، فَهُوَ مَرْدُودٌ مَرْفُوضٌ .

(٦) - أَنْ رِعَايَةَ الْأَصْلِ الْمَذْكُورِ، لَا تَسْحَقُ الْفَقْرَ نَفْسَهُ فَقَطْ، بَلْ تَسْحَقُ أَسْبَابَ الْفَقْرِ وَعَلَلَهُ، وَهِيَ الْإِفْرَاطُ فِي الْأَمْرَيْنِ: الْإِمْتِلَاكِ وَالِاسْتِهْلَاكِ، فَإِنَّ قَوَامِيَّةَ الْمَالِ تَقْضِي عَلَى الْإِفْرَاطِ الْمَذْكُورِ بِالْوَاوَةِ - كَمَا سَلَفَ الْقَوْلُ - نَعَمْ، إِنَّ حَرَكَةَ الْمَالِ الْقَوَامِيَّةَ تُضَادُّ الْفَقْرَ مُضَادَّةً جَوْهَرِيَّةً . وَالْفَقْرُ إِنَّمَا يَنْشَأُ مِنْ حَيْثُ تَنَحَّرَفُ حَرَكَةُ الْمَالِ فِي الْمَجْتَمَعِ وَيَخْرُجُ مِنْ مَدَارِهِ الْقَوَامِيِّ . وَسَيَتَّضِحُ هَذَا الْمَوْضُوعُ جَلِيًّا فِي تَضَاعُفِ فُصُولِ هَذَيْنِ الْبَابَيْنِ .

إِنَّ مَوْضِعَ الْمَالِ الْقَوَامِيِّ، مَوْضِعٌ أَنْسَانِيٌّ يَتَنَاسَبُ مَعَ وَجُودِ الْإِنْسَانِ وَوَأَقِعِهِ الْحَيَاتِيِّ، لِأَنَّ «كُلَّ تَقْصِيرٍ بِهِ مُضَرٌّ، وَكُلُّ إِفْرَاطٍ لَهُ مُفْسِدٌ» - عَلَى حَدِّ تَعْبِيرِ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ «ع» .

نظرة الى الفصل الأول ..

(٨) - أن موضع المال القوامي، موضع اخلاقي أيضاً وثقافي وسياسي ودفاعي .. لأن تفتح الاخلاق والثقافة، ووضج السياسة والادارة الاجتماعية، وشدة القوة الدفاعية، إن كل ذلك رهين حركة المال في المجتمع بصورة صحيحة عادلة، بلا حضور فقر مقعد ولا تكاثر مله . وإن الفساد الاقتصادي يفسد سائر جوانب الحياة الانسانية ايضاً - كما فصل في مواضع من فصول هذين البابين - فعلى هذا إن التجاوب اللآزم لأبعاض المجتمع في حياته، في نواحيها المختلفة، من الاخلاقية، والثقافية، والسياسية، والادارية، والدفاعية، وحتى الفنية وما الى ذلك، إنما يوجد ويتجسد اذا دار المال مداره الصحيح القوامي، التابع للمقاييس العادلة .

(٩) - برعاية الموضوع المذكور للمال، تنفى ايضاً الحوافز النفسية والارضيات الباطنة لانحراف المال وطلبه بصور زائفة . وتلك الحوافز هي عد المال وجمعه قيمة ذاتية، اذ الموضوع القوامي لا يعطي المال قيمة ذاتية ابداً، بل يعطيه قيمة اداتية لتأمين معاش الجماهير .

(١٠) - أن القوام الاجتماعي - وهو الركن في بناء المجتمع وصنعه - إنما هو معلول التوازن الاقتصادي ، وهذا التوازن لا يحصل الا باعطاء المال موضعاً قوامياً كما أكد عليه القرآن . وبذلك تتحقق الاخوة الاسلامية بمعناها الواقعي لا اللفظي . وهذه مسائل سنتكلم عنها، فيما يأتي من الفصول، في هذين البابين : الحادي عشر والثاني عشر، باذن الله تعالى ومشيئته .

الفصلُ الثاني

المال في التّصوّر الاسلاميّ (٢)

أ - الاموال، تصرّفات محدودة

الكتاب

- ١ كُلوْا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ ..^١
- ٢ يَا أَيُّهَا النَّاسُ، كُلوْا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ..^٢
- ٣ مَا آفَأَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى، فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ، كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ..^٣

الحديث

١ - سورة طه (٢٠) : ٨١.

٢ - سورة البقرة (٢) : ١٦٨.

٣ - سورة الحشر (٥٩) : ٧.

الفصل الثاني: المال في التصور الاسلامي (٢)

١ الامام الصادق «ع» - فيما رواه عيسى بن موسى : يا عيسى! المال مال الله، جعله ودائع عند خلقه . وأمرهم أن يأكلوا منه قصداً، ويشربوا منه قصداً، ويلبسوا منه قصداً، وينكحوا منه قصداً، ويركبوا منه قصداً؛ ويعودوا بما سوي ذلك على فقراء المؤمنين . فمن تعدى ذلك كان أكله حراماً، وما شرب منه حراماً، وما لبسه منه حراماً، وما أنكحه منه حراماً، وما ركبوا منه حراماً.^١

٢ الامام الصادق «ع» - فيما رواه أبان بن تغلب : المال مال الله، يضعه عند الرجل ودائع، وجوز لهم أن يأكلوا قصداً، ويشربوا قصداً، ويلبسوا قصداً، وينكحوا قصداً، ويركبوا قصداً؛ ويعودوا بما سوي ذلك على فقراء المؤمنين ويلبسون به شعتهم . فمن فعل ذلك كان ما يأكل حلالاً، ويشرب حلالاً، ويركب حلالاً، وينكح حلالاً؛ ومن عدا ذلك كان عليه حراماً . ثم قال : «ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين»^٢، أتري الله أتمن رجلاً على مال خول له، أن يشتري فرساً بعشرة آلاف درهم، ويجزيه فرس بعشرين درهماً؟.. وقال : «ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين»^٣ ؟

* نفهم من صريح هذا الحديث، أن الله تعالى يخول الرجل المال، حيث أتمنه عليه؛ فمن الواجب على صاحب المال أن يعمل فيه كأمين الله المؤمن . راجع بهذا الصدد ايضاً : الفصل السادس والعشرين، والفصل الثامن والعشرين، من هذا الباب .

١ - المستدرک ٢ / ٤٢٣ .

٢ - سورة الانعام (٦) : ١٤١؛ سورة الاعراف (٧) : ٣١ .

٣ - تفسير العياشي ٢ / ١٣ .

ب - من بواعث بقاء المجتمع وفنائه

١ - بقاء المجتمع والمال (إذا كان عند من يعرف فيه الحقّ)

الكتاب

١ ولا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا..^١

الحديث

١ الامام الصادق «ع»: «إِنْ مِنْ بَقَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَبَقَاءِ الْإِسْلَامِ، أَنْ تَصِيرَ الْأَمْوَالُ عِنْدَ مَنْ يَعْرِفُ فِيهَا الْحَقَّ وَيَصْنَعُ الْمَعْرُوفَ. وَإِنْ مِنْ فَنَاءِ الْإِسْلَامِ وَفَنَاءِ الْمُسْلِمِينَ، أَنْ تَصِيرَ الْأَمْوَالُ فِي أَيْدِي مَنْ لَا يَعْرِفُ فِيهَا الْحَقَّ وَلَا يَصْنَعُ فِيهَا الْمَعْرُوفَ.»^٢

الفات نظر

قد أشرَ هذا التعلُّيمُ الصّادقِيّ - على اختصاره - أهمّ الاصولِ الاجتماعيّةِ واعمّقها، وأسَدَّ القوانينِ الاقتصاديّةِ وأقوّمها، واليك

١ - سورة النّساء (٤) : ٥.

٢ - الوسائل ١١ / ٥٢١ : الوافي ٢ (٦ م) / ٦٢.

البيان :

أ - أن جريانَ المالِ في المجتمع يكون على نوعين :

(١) - جريانٌ قواميٌّ سالم، في إطارِ نظامٍ ماليٍّ صحيحٍ ملتزم،

وتحت إدارةٍ نابهةٍ مسؤولة .

(٢) - جريانٌ استهلاكيٌّ غيرُ سالمٍ وضدَّ قواميٍّ، في نظامٍ

ماليٍّ زائفٍ ساقط، وتحت إدارةٍ غيرِ نابهةٍ وغيرِ مسؤولة، او خائنة .

ب - أنَّ المُهمَّ في الاموالِ وتداولِها بينَ النَّاسِ، هو كَيْفِيَّةُ ذلكِ

التَّداولِ، لا كَمِيَّةُ المالِ الموجودِ في المجتمع؛ فليس مقدارُ المالِ

من حيثُ القَلَّةِ والكثرةِ هو الملاكُ الباتُّ للمصالحِ والمفاسدِ

الاجتماعيَّةِ ولتركيزِ العدالةِ واقامةِ القسطِ، بل الملاكُ هو كَيْفِيَّةُ

جريانِ المالِ في الايدي وتداولِه بين الافراد، فبقاءُ المجتمعِ وفناؤُه

من جهةِ الاموالِ ليسا رَهينَي مقدارِ ما بايدي النَّاسِ منها، بل هما

رَهينا معيارِ ما بايديهم من القَراراتِ الماليَّةِ والتَّشريعِ الاقتصاديَّةِ

والبرامجِ الصَّحيحةِ والاحوالِ الحاكمةِ في الاستثمارِ والتَّمتيةِ

والتوزيعِ والاستهلاكِ .

ج - أنَّ صَحَّةَ تداولِ المالِ في المجتمعِ وجريانه القَواميُّ،

انما يتوقَّفُ على اصليين رئيسيين :

(١) - الاهتمامُ بالأخصائيَّةِ في المسائلِ الاقتصاديَّةِ والامورِ

المتعلِّقةِ بالاموالِ، والعلمُ بما هناكِ مِنَ الدَّقائِقِ والمسائلِ، بان

تكونَ الاموالُ عندَ مَنْ يَعْرِفُ فيها الحقَّ ويعمَلُ فيها بالعلمِ

والاختصاصِ . وهذا الاصلُ يَفْرَضُ على ايِّ مجتمعٍ اسلاميٍّ، أنَّ

تكونَ هَيْئَتُهُ الحاكمةُ واعضاؤها المسؤولون عارفين بحقوقِ

الاموالِ، واقفين على دَورِ المالِ الحياتيِّ، مطلَّعين على نظريةِ

الاسلامِ الى المالِ، عالمين بالاهميَّةِ الكيفيَّةِ لحركةِ المالِ في

قِطَاعَاتِ النَّاسِ، وَلِأَشْكَالِ تَدَاوُلِهِ بَيْنَ الْإِفْرَادِ، نَابِهِينَ لِمَا هُنَاكَ
مِنَ الطَّوَارِئِ وَالْأَحْوَالِ، وَأَخْصَائِيَّيْنِ فِي جَمِيعِ مَا يَرْجَعُ إِلَى قَضَايَا
الْأَمْوَالِ وَحَقُولِهَا الْمَتَشَعِّبَةِ، وَلَا سِيَّمَا فِي الْاِقْتِصَادِ الْحَدِيثِ .
(٢) - الْإِلْتِزَامُ وَعِرْفَانُ الْمَسْئُولِيَّةِ، بَأَن يَكُونَ الْحُكْمُ
الْإِسْلَامِيُّ وَأَعْضَاؤُهُ مُلْتَزِمِينَ بِمَا عَرَفُوا، وَعَامِلِينَ بِمَا وَعَوْا، بِتَصَلُّبٍ
وَالْتِزَامٍ، وَمَعْرِفَةٍ وَاحْسَاسٍ .

* راجع : النظرة الى الفصل ايضاً.

٢- فناء المجتمع والمال (اذا كان عندهم لا يعرف فيه الحق)

الكتاب

- ١ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً، أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا، فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ،
فَدَمَّرْنَا تَدْمِيرًا *^١
- ٢ .. وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ *^٢

الحديث

- ١ النبي «ص»- فيما رواه الامام علي بن ابي طالب : الدُّنْيَا رُؤُوسُ الدَّرَاهِمِ أَهْلَكَهَا

١ - سورة الإسراء (١٧) : ١٦ .

٢ - سورة الانبياء (٢١) : ٩ .

- ١- من كان قبلكم، وهما مهلكاكم.^١
- ٢- الامام علي «ع»: هَلَكَ خَزَانُ الاموالِ وهم احياء.^٢
- ٣- الامام الصادق «ع»: .. اِنَّ مِنْ فناءِ الاسلامِ وفناءِ المسلمين اَنْ تصيرَ الاموالُ في ايدي مَنْ لا يعرفُ فيها الحقَّ، ولا يصنعُ فيها المعروف.^٣

٣- هلاك المجتمع بأيدي المستأثرين

الكتاب

- ١- وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ..^٤
- ٢- كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي، وَمَنْ يَحْلُلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى *^٥

الحديث

- ١- الامام علي «ع»: مَنْ يَسْتَأْثِرُ مِنَ الاموالِ يَهْلِكُ.^٦

١- الوسائل ٦ / ٢٦.

٢- نهج البلاغة / ١١٥٦: عبده ٣ / ١٨٧.

٣- الوسائل ١١ / ٥٢١: الوافي (م) ٦ / ٦٢.

٤- سورة البقرة (٢): ١٩٥.

٥- سورة طه (٢٠): ٨١.

٦- تحف العقول / ١٥٥.

٢ الامام علي «ع»: إِنَّ الدُّنْيَا كَالشَّبَكَةِ تَلْتَفُّ عَلَى مَنْ رَغِبَ فِيهَا، وَتَتَحَرَّرُ عَمَّنْ أَعْرَضَ عَنْهَا؛ فَلَا تَمِلْ إِلَيْهَا بِقَلْبِكَ، وَلَا تُقْبِلْ عَلَيْهَا بِوَجْهِكَ، فَتُوقِعَكَ فِي شَبَكَتِهَا، وَتُلْقِيَكَ فِي هَلَكَتِهَا ١.

٣ الامام علي «ع»: .. فَخَفِّضْ فِي الطَّلَبِ، وَأَجْمِلْ فِي الْمُكْتَسَبِ .. وَإِيَّاكَ أَنْ تُوَجِّفَ بِكَ مَطَايَا الطَّمَعِ فَتُورِدَكَ مَنَاهِلَ الْهَلَكَةِ ٢.

٤- هلاك المجتمع بأيدي المترفين

الكتاب

- ١ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً، أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا .. ٣
- ٢ وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً، وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ * فَلَمَّا أَحْسَبُوا بِأَسْنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ * لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِينِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ * ٢

الحديث

- ١ النبي «ص» - في وصاياہ لابن مسعود: يَا ابْنَ مَسْعُودِ! سَيِّئَاتِي مِنْ بَعْدِي

١ - غرر الحكم / ١١٧.

٢ - نهج البلاغة / ٩٢٩؛ عبده ٣ / ٥٧.

٣ - سورة الإسراء (١٧): ١٦.

٤ - سورة الانبياء (٢١): ١١ - ١٣.

اقوامٌ يأكلون طيباتِ الطعامِ والوانها، ويركبون الدواب، ويتزينون بزينة المرأة لزوجها، ويتبرجون تبرج النساء، وزيهن مثل زي الملوك الجبارة؛ هم منافقوا هذه الأمة في آخر الزمان، شاربوا الفهوات، لا عبون بالكعب، راكبون الشهوات.. يبنون الدور، ويشيدون القصور، ويخرقون المساجد.. يا ابن مسعود! محاربيهم نساؤهم، وشرفهم الدراهم والدنانير، وهمتهم بطونهم. اولئك [هم] شرُّ الاشرار، الفتنة منهم واليهم تعود.^١

٢ الامام علي «ع»: المال للفتن سبب..^٢

٣ الامام علي «ع»: كثرة السرف يدمر.^٣

الفات نظر

من اللاحب المسلم به، ان الاستقرائية وطلب الرفاه ورغادة العيش والترف، من اهم العوامل الرئيسية لفساد الانسان فهلاكه فرداً ومجتمعاً، لان تلك الظواهر والاحوال تفضي الى الفساد وتشيعه بطرق متعددة، جلية وغير جلية، وتمهد ارضية خصبة للتسيب وشيوعه بين الناس في شتى النواحي. وسنقدم الى القارىء نبذة من تلك الطرق والجهات في النظرة الى الفصل.

ج - اكل اموال الناس بالباطل و شجبه

١- الأكل بالباطل باسباب عامة

١ - مكارم الاخلاق / ٥٢٥ - ٥٢٦.

٢ - غرر الحكم / ٣٤.

٣ - غرر الحكم / ٢٤٥.

الكتاب

١ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ..

الحديث

١ الامام الصادق «ع»: .. اما وجوه الحرام من البيع والشراء، وكل امرٍ يكون فيه الفساد مما هو منهي عنه، من جهة اكله وشربه، او كسبه، او نكاحه، او ملكه، او امساكه، او هبته، او عاريتته، او شيء يكون فيه وجه من وجوه الفساد نظير البيع بالرّبا - لما في ذلك من الفساد - او البيع للميتة، او الدّم، او لحم الخنزير، او لحوم السباع من صنوف سباع الوحش، او الطير، او جلودها، او الخمر، او شيء من وجوه النجس، فهذا كله حرام ومحرم، لان ذلك كله منهي عن اكله وشربه ولبسه وملكه وامساكه والتقلّب فيه، بوجه من الوجوه - لما فيه من الفساد - فجميع تقلّبه في ذلك حرام . وكذلك كل بيع ملهو به، وكل منهي عنه، مما يتقرّب به لغير الله، او يقوى به الكفر والشرك، من جميع وجوه المعاصي؛ او باب من الابواب يقوى به باب من ابواب الضلالة، او باب من ابواب الباطل، او باب يوهن به الحق، فهو حرام محرم، حرام بيعه وشراؤه وامساكه وملكه وهبته وعاريتته وجميع التقلّب فيه، الا في حال تدعو الضرورة فيه الى ذلك .^٢

١ - سورة النساء (٤): ٢٩ .

٢ - تحف العقول ٢٤٥ - ٢٤٦ .

* قد وردت تفاصيل «المكاسب المحرمة» واكل اموال الناس بالباطل بتلك الاسباب، في كتب فقهاءنا - رضوان الله عليهم - فراجع .

٢- الأكل بالباطل باسباب خاصة

الكتاب

١ إن كثيراً من الأخبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل ..١

الحديث

١ الامام علي «ع»: طلبتُ هذا العلم على ثلاثة اصناف .. وصنف منهم يتعلمون للاستطالة والختل .. فانه يستطيل على اشباهه من اشكاليه، ويتواضع للاغنياء من دونهم، فهو لحلوائهم هاضم، ولدينه حاطم ..٢

٢ الامام الصادق «ع»: طلبتُ العلم ثلاثة، فأعرفهم باعيانهم وصفاتهم .. وصنف يطلبه للاستطالة والختل .. وصاحب الاستطالة والختل، ذوخب وملق، يستطيل على مثله من اشباهه، ويتواضع للاغنياء من دونه، فهو لحلوائهم هاضم، ولدينه حاطم ..٣

١ - سورة التوبة (٩): ٣٦.

٢ - روضة الواعظين / ٩: الخصال / ١ / ١٩٤، طبعة الغفاري. راجع لضبط كلمة «حلوائهم»، او «حلوائهم»: ما جاء في هامش الصفحة المذكورة من «الخصال».

٣ - الكافي / ١ / ٤٩.

د - اموال اليتامى والتأكيد على صيانتها

الكتاب

١ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا، إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا، وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا*^١

الحديث

١ النبي «ص» - فيما رواه الامام الصادق: لَمَّا أُسْرِيَ بِي إِلَى السَّمَاءِ، رَأَيْتُ قَوْمًا يُقَذَّفُ فِي أَجْوَابِهِمُ النَّارُ وَتَخْرُجُ مِنْ أَدْبَارِهِمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرَيْلُ؟ فَقَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا.^٢

٢ الامام الصادق «ع»: إِنَّ آكَلَ مَالِ الْيَتِيمِ يَخْلُفُهُ وَبِأَلْ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، أَمَا فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: «وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ، فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ»^٣؛ وَأَمَا فِي الْآخِرَةِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: «إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا، إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا، وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا»^٤.

١ - سورة النساء (٤): ١٠.

٢ - الوسائل ١٢ / ١٨٢.

٣ - سورة النساء (٤): ٩.

٤ - الوسائل ١٢ / ١٨١.

٣ الامام الرضا «ع»: .. وَحَرَّمَ اللَّهُ أَكْلَ مَالِ الْيَتِيمِ ظُلْمًا، لَعَلَّ كَثِيرَةً مِنْ وَجْهِ
الْفَسَادِ. أَوَّلُ ذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا أَكَلَ الْإِنْسَانُ مَالَ الْيَتِيمِ ظُلْمًا، فَقَدْ أَعَانَ عَلَى قَتْلِهِ،
إِذَا الْيَتِيمُ غَيْرُ مُسْتَعْنٍ وَلَا مُحْتَمِلٍ لِنَفْسِهِ وَلَا قَائِمٍ (عَلِيمٍ - خ ل) بِشَأْنِهِ،
وَلَا لَهُ مَنْ يَقُومُ عَلَيْهِ وَيَكْفِيهِ كَقِيَامِ وَالِدَيْهِ، فَإِذَا أَكَلَ مَالَهُ فَكَأَنَّهُ قَتَلَهُ وَصَيَّرَهُ
إِلَى الْفَقْرِ وَالْفَاقَةِ؛ مَعَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَجَعَلَ لَهُ مِنَ الْعُقُوبَةِ فِي قَوْلِهِ عَزَّ
وَجَلَّ: «وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ،
فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ». وَكَقَوْلِ أَبِي جَعْفَرٍ «ع»: «إِنَّ اللَّهَ أَوْعَدَ فِي آكْلِ مَالِ
الْيَتِيمِ عِقُوبَتَيْنِ: عِقُوبَةً فِي الدُّنْيَا وَعِقُوبَةً فِي الْآخِرَةِ».

ففي تحريم مال اليتيم استبقاء (استغناء - خ ل) اليتيم واستقلاله
بنفسه؛ والسَّلامَةُ للعقبِ أَنْ يُصِيبَهُمْ مَا أَصَابَهُ، لِمَا أَوْعَدَ اللَّهُ فِي الْعُقُوبَةِ .. ١

هـ - لا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي احسن

الكتاب

- ١ - لا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ .. ٢
- ٢ - لا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ، وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ،
إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا * ٣

١ - الوسائل ١٢ / ١٨١.

٢ - سورة الانعام (٦) : ١٥٢.

٣ - سورة الاسراء (١٧) : ٣٤.

الحديث

- ١ الامام الباقر «ع» : من الفاظِ رسولِ الله «ص» : «شَرُّ الْمَأْكَلِ أَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ».
- ٢ الامام الصادق «ع» : .. مَنْ عَالَ يَتِيمًا حَتَّى يَنْقَطِعَ يَتَمُّهُ، أَوْ يَسْتَغْنِيَ بِنَفْسِهِ، أَوْجَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ الْجَنَّةَ، كَمَا أَوْجَبَ النَّارَ لِمَنْ أَكَلَ مَالَ الْيَتِيمِ.

و - القيام لليتامى بالقسط

الكتاب

- ١ .. وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ ..
- ٢ وَأَتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ، وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ، وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ، إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا *

الحديث

١ و ٢ - الوسائل ١٢ / ١٨١ .

٣ - سورة النساء (٤) : ١٢٧ .

٤ - سورة النساء (٤) : ٢ .

الفصل الثاني: المال في التصور الاسلامي (٢)

١ الامام الصادق «ع» - في تعيين حدود الاقتراب من مال اليتيم: إن كان في دخولكم عليهم منفعة لهم فلا بأس^١. وان كان فيه ضرر فلا.. «بل الانسان على نفسه بصيرة»، فانتم لا يخفى عليكم. وقد قال الله عز وجل: «والله يعلم المصلح من المفسد»^٢.

٢ الامام الصادق «ع» - في تفسير قوله تعالى: «ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف»^٣: من كان يلي شيئاً لليتامى وهو محتاج ليس له ما يقيمه، فهو يتقاضى اموالهم ويقوم في ضيعتهم، فليأكل بقدر ولا يسرف. وان كانت ضيعتهم لا تشغله عما يعالج بنفسه، فلا يرزأ من اموالهم شيئاً^٤.

ز - رفض السلطات المالية والاسترقاق الاقتصادي، الفردي والاجتماعي.

الكتاب

١ .. وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ، وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ*^٥

١- وفي التأكيد على صيانة مال اليتيم ونهي الاقتراب منه ان لم يكن نافعاً له. دلالة واضحة على أنّ «الاقتصاد، اصالةً اسلاميةً». راجع: الفصل ٤٤، من هذا الباب.

٢ - الوسائل ١٢ / ١٨٤.

٣ - سورة النساء (٤): ٦.

٤ - الوسائل ١٢ / ١٨٥ - ١٨٦.

٥ - سورة القصص (٢٨): ٧٧.

- ٢ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطانٍ مبين * الى فرعون وهامان وقارون ..
٣ .. ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من أغرقنا، وما كان الله ليظلمهم،
ولكن كانوا أنفسهم يظلمون *^٢

الحديث

- ١ الامام علي «ع»: وما أخذ الله على العلماء، أن لا يُقاروا على كِظّة ظالمٍ
ولا سغبٍ مظلومٍ ..^٣
- ٢ الامام الحسين «ع»: «إعتبروا أيها الناس بما وعظ الله به اوليائه، من سوء
ثنائه على الأخبار إذ يقول: «لولا ينهاهم الربانيون والأخبار عن قولهم
الإثم» ..^٤ وانما عاب الله ذلك عليهم لأنهم كانوا يرون من الظلمة الذين
بين أظهرهم المنكر والفساد فلا ينهونهم عن ذلك، رغبة فيما كانوا ينالون
منهم ورهبة مما يحذرون، والله يقول: «فلا تخشوا الناس وأخشون»^٥،
وقال: «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف
وينهون عن المنكر»^٦، فبدأ الله بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر
فريضة منه، لعلمه بأنها اذا أدت وأقيمت استقامت الفرائض كلها، حينها
وصعبها . وذلك ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر دعاء الى الاسلام،

١ - سورة غافر (٤٠): ٢٣ - ٢٤ .

٢ - سورة العنكبوت (٢٩): ٤٠ .

٣ - نهج البلاغة / ٥٢: عبده / ١ / ٣٢ .

٤ و ٥ - سورة المائدة (٥): ٦٣ و ٤٤ .

٦ - سورة التوبة (٩): ٧١ .

الفصل الثاني: المال في التصور الاسلامي (٢)

مَعَ رَدِّ الْمَظَالِمِ، وَمُخَالَفَةِ الظَّالِمِ، وَقِسْمَةِ الْفِيءِ وَالْغَنَائِمِ، وَاخِذِ الصَّدَقَاتِ مِنْ مَوَاضِعِهَا وَوَضِعِهَا فِي حَقِّهَا .. وَاسْتَسَلَّمْتُمْ أُمُورَ اللَّهِ فِي أَيْدِيهِمْ، يَعْمَلُونَ بِالشُّبُهَاتِ وَيَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ؛ سَلَطَهُمْ عَلَى ذَلِكَ فَرَارُكُمْ مِنَ الْمَوْتِ وَاعْجَابُكُمْ بِالْحَيَاةِ الَّتِي هِيَ مُفَارِقَتُكُمْ، فَاسَلَّمْتُمْ الضُّعْفَاءَ فِي أَيْدِيهِمْ، فَمِنْ بَيْنِ مُسْتَعْبِدٍ مَقْهُورٍ، وَبَيْنِ مُسْتَضْعَفٍ عَلَى مَعِيشَتِهِ مَغْلُوبٍ ..^١

* نَشَاهِدُ أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ يَنْهَى الطَّاعُونَ الْاِقْتِصَادِيَّ

(قَارُونَ) عَنِ ابْتِغَاءِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ، وَعَنِ اسْتِعْبَادِ النَّاسِ وَاسْتِغْلَالِهِمْ. كَذَلِكَ نَشَاهِدُ أَنَّ شَارِحِي الْقُرْآنِ، الْإِمَامَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ «ع» وَالْإِمَامَ الْحُسَيْنِ بْنَ عَلِيٍّ «ع»، يُعَلِّمَانِ ذَلِكَ الْغُرُضَ الْقُرْآنِيَّ الْمُنْشُودَ وَيُؤَكِّدَانِهِ؛ وَهُوَ الْكِفَاحُ ضَدَّ الْاِسْتِغْلَالَ وَالْاِسْتِرْقَاقِ، وَيُوقِظَانِ الْمَجْتَمَعَاتِ الْاِسْلَامِيَّةَ حَتَّى لَا تَقَعَ فِي شِبْكَاتِهِمَا وَلَا تَدُلَّ تَحْتَ نِيرِهِمَا، وَلَا تَطْهَرَ فِيهَا أَيْ سُلْطَةَ مَالِيَّةٍ أَوْ اِسْتِرْقَاقٍ اِقْتِصَادِيٍّ .

ح- لا ضرر ولا ضرار

الكتاب

١ .. وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ *^٢

١ - تحف العقول / ١٧١ - ١٧٢.

٢ - سورة البقرة (٢): ١٩٠؛ سورة المائدة (٥): ٨٧.

- ٢ .. لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِهِ ..^١
- ٣ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ، وَلَا تَضَارُّوهُنَّ لِتَضَيَّقُوا عَلَيْهِنَّ ..^٢
- ٤ .. وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ، وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ..^٣
- ٥ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ..^٤

الحديث

- ١ النبي «ص»: .. خِصْلَتَانِ لَيْسَ فَوْقَهُمَا مِنَ الشَّرِّ شَيْءٌ: الشَّرْكَ بِاللَّهِ، وَالضَّرُّ لِعِبَادِ اللَّهِ .^٥
- ٢ الامام الصادق «ع»: من أَخْرَجَ مِيزَابًا، أَوْ كَنِيفًا، أَوْ أَوْتَدَ وَتِدًا، أَوْ أَوْثَقَ دَابَّةً، أَوْ حَفَرَ شَيْئًا فِي طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ، فَاصَابَ شَيْئًا فَعَطَبَ، فَهُوَ لَهُ ضَامِنٌ .^٦
- ٣ الامام علي «ع» - فيما كتب الى عُمَّالِهِ: أَدِفُوا أَقْلَامَكُمْ، وَقَارِبُوا بَيْنَ سَطُورِكُمْ، وَاحْذِفُوا مِنْ فُضُولِكُمْ، وَأَقْصِدُوا قِصْدَ الْمَعَانِي؛ وَإِيَّاكُمْ وَالْإِكْتَارَ، فَإِنَّ أَمْوَالَ الْمُسْلِمِينَ لِأَتَحْتَمِلُ الْإِضْرَارَ .^٧

١ - سورة البقرة (٢): ٢٣٣.

٢ - سورة الطلاق (٦٥): ٦.

٣ - سورة البقرة (٢): ٢٨٢.

٤ - سورة التوبة (٩): ١٠٧. راجع أيضاً: «منايع فقه» / ١٢٢ - ١٢٣، للعالم المفكر، الشيخ محمد تقي الجعفريّ التبريزي، طبعة طهران (١٣٤٩ هـ . ش).

٥ - تحف العقول / ٣١.

٦ - الفصول المهمّة في أصول الأئمّة «ع» / ١٢٤، للمحدّث الكبير، الشيخ الحرّ العاملي، الطبعة الحجرية (١٣٠٤ هـ . ق).

٧ - مُسْتَدْرِكُ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ / ١١١، طبعة بيروت.

٤ الامام الباقر «ع»: «ان سمرَةَ بنَ جُنْدَبٍ كانَ له عِدْقٌ في حائِطٍ لرجلٍ من الانصار، وكانَ منزلُ الانصاريِّ ببابِ البستان، وكانَ يَمُرُّ به الى نَخْلَتِهِ ولا يَسْتَأْذِنُ، فكلَّمَهُ الانصايُّ اَن يَسْتَأْذِنَ اذا جاء، فابى سمرَةَ . فلما تَأَبَّى جاءَ الانصاريُّ الى رسولِ اللهِ فشكى اليه وخبرَهُ الخَبِرَ، فأرْسَلَ اليه رسولُ اللهِ وخبرَهُ بقولِ الانصاريِّ وماشكى وقال: «ان اَرَدْتَ الدُّخولَ فَاسْتَأْذِنِ»، فابى . فلما أبى ساومَهُ حتى بَلَغَ بِهِ مِنَ الثَّمَنِ ماشاء اللهُ فابى اَن يبيِعَ، فقال: «لَكَ بِها عِدْقٌ يَمُدُّ لَكَ في الجَنَّةِ»، فابى اَن يَقْبَلَ؛ فقال رسولُ اللهِ للانصاريِّ: «اِذْهَبْ فَاقْلَعْها وارْمِ بِها اليه، فَإِنَّهُ لا ضَرَرَ ولا ضِرارَ»^١.

٥ الامام الصادق «ع»: قضى رسولُ اللهُ «ص» بين اهلِ المدينةِ في مَشَارِبِ النَّخْلِ، أَنَّهُ لا يُمْنَعُ نَفْعُ الشَّيْءِ . وقضى بين اهلِ البادية، أَنَّهُ لا يُمْنَعُ فَضْلُ ماءٍ لِيُمْنَعَ بِهِ فَضْلُ كَلِّاءٍ؛ وقال: لا ضَرَرَ ولا ضِرارَ^٢.

٦ الامام الصادق «ع»: الجارُ كالنفسِ، غيرُ مُضارٍّ ولا آثمٍ^٣.

٧ الامام العسكري «ع»:- مُحَمَّدُ بنُ الحَسِينِ قال: كَتَبْتُ الى ابي مُحَمَّدٍ «ع»: رجلٌ كانت له قناةٌ في قريةٍ فارادَ رجلٌ اَن يَحْفَرَ قناتاً أُخْرى الى قريةٍ له، كم يكونُ بينهما في البُعدِ حتى لا يُضِرَّ بالأخرى في الارض، اذا كانت صُلْبَةً او رَحْوَةً؟ فَوَقَّعَ «ع»: «على حَسَبِ اَن لا يُضِرَّ احدهما بالأخرى - اِنْ شاء اللهُ». قال: وكتبتُ اليه: رجلٌ كانت له رُحىٌ على نَهْرِ قريةٍ، والقريةُ لرجلٍ، فارادَ صاحبُ القريةِ اَن يَسوقَ الى قريتهِ الماءَ في غيرِ هذا النهرِ ويُعْطِلَ هذه الرُحى، اَللهُ ذلكَ ام لا؟ فَوَقَّعَ: «يَتَّقِي اللهُ، وَيَعْمَلُ في ذلكِ

١ و ٢ - الكافي ٥ / ٢٩٢ و ٢٩٤.

٣ - الفصول المهمة / ١٢٠.

بالمعروف، ولا يُضُرُّ أخاه المؤمن»^١.

* راجع: «باب الضرار»، من الكافي ٥ / ٢٩٢ - ٢٩٤.

تذييل

الدِّينُ واهميّة اداائه

الكتاب

١ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَكُتِبَ لَهُ .. وَلِيُمِلَّ
الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ، وَلِيَتَّقِيَ اللَّهَ، وَلَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْئًا^٢.

الحديث

١ الامام الباقر «ع»: «أَوَّلُ قَطْرَةٍ مِنْ دَمِ الشَّهِيدِ كَفَّارَةٌ لِذُنُوبِهِ إِلَّا الدِّينَ، فَإِنَّ
كَفَّارَتَهُ قَضَاؤُهُ^٣.

٢ الامام الباقر «ع» - عن ابي ثمامة قال: دخلتُ على ابي جعفر «ع» وقلتُ له:

١ - الكافي ٥ / ٢٩٣.

٢ - سورة البقرة (٢): ٢٨٢.

٣ - الفصول المهمّة / ١٠٩.

الفصل الثاني: المال في التصور الاسلامي (٢)

جُعِلْتُ فِدَاكَ! إِنِّي رَجُلٌ أُرِيدُ أَنْ أَلْزِمَ مَكَّةَ، وَعَلَيَّ دَيْنٌ لِلْمُرْجِئَةِ، فَمَا تَقُولُ؟
قال: فقال: «إرجع إلى مؤدّي دينك، وأنظر أن تلقى الله عزّ وجلّ وليس
عليك دين، فإنّ المؤمن لا يخون»!

٣ الامام الصادق «ع» - عن معاوية بن وهب قال: قلت لأبي عبد الله «ع»: «بلغنا

أن رجلاً من الانصار مات وعليه دين، فلم يصلّ عليه النبي «ص» وقال
«لا تصلّوا على صاحبكم حتى يقضى عنه الدين»؟ فقال: «ذلك حقٌّ».^٢

٤ الامام الصادق «ع»: «من استدان ديناً فلم ينو قضاءه، كان بمنزلة السارق».^٣

٥ الامام الكاظم «ع» - قيل لأبي الحسن «ع»: رجل يهودي أو نصراني كانت

له عندي اربعة آلاف درهم، فمات الى أن أصلح ورثته، ولا أعلمهم كم
كان؟ قال: «لا يجوز حتى تخبرهم».^٤

٦ الامام الكاظم «ع»: «إن أهل الأرض لمرحومون، ما تحابوا، وأدوا الأمانة،

وعملوا بالحق».^٥

١ - البحار ٩٧ / ١٤٢ - ١٤٣، عن «علل الشرايع».

٢ - البحار ٩٧ / ١٤٣، عن «علل الشرايع».

٣ - الفصول المهمة / ١٠٩ - ١١٠.

٥ - مشكاة الانوار / ٥٢.

نظرة الى الفصل

١ - الاموال تصرفات محدودة: إن امعان النظر في قاموس الاسلام الاقتصادي، وما جاء فيه من النصوص الرئيسية، يُرشدنا بوضوح الى محدودية التصرف في الاموال والملكيّات - بالنسبة الى المالك وغيره - والتأكيد عليها كاصل، لا الى حرية التصرف واطلاق ايدي المتصرفين فيها؛ فهذا الصّد لا يحظّ هذه التعابير: «الأكل»، «الشرب»، «الرزق»، «المعيشة»، «المتاع»، «المدد»، «القيام» و«القوام»، فهل تدلّ هذه التعابير الا على ما ذكرناه من التحديد؟ ان التعابير المذكورة وامثالها تُلين بوضوح أن المال لا يكون الا ذريعة للمعيشة، ورزقاً للناس، ومدداً للحياة، وقواماً للمجتمع الانساني. وطبع الحال في الذريعة والمدد والرزق والقوام، أن لا يكون التصرف فيها والتمتع بها مسوغين الا بقدر ما يحتاج اليه المتدّرع والتمتع، هذا. ونجد بالاضافة الى ما ذكرنا تعابير قاطعة تحدّد جوانب التصرف الماليّ ببيان حاسم، حتى بالنسبة الى تصرف الشخص فيما يملكه، كهذه التعابير: «لا تسرفوا»، «لا تعتدوا»، «لا تطغوا فيه» و«لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل».

هذه تعابير الاسلام وتأشيرته الاقتصادية في موضوع المال والاستهلاك، التي تشمل كل شيء ومتاع له قيمة وصلاحية للاستفادة والاستهلاك. فالاسلام وإن لم يكن داعياً الى سياسة التقشف ومروراً لها، غير أنه لا يصبّ حرية التصرف بصورة مطلقة. وتعاكس هذه التعابير والحدود، تلك التي نجدّها متداولة في قاموس المتكاثرين والموسرين والرأسماليين، امثال «رأس المال»، «التمير»، «التنمية»، «الربح»، «تكثير

نظرة الى الفصل الثاني ..

الربح وتوفيره»، «التنافس الحر»، «الحصر الاستيرادي»، «الحصر الانتاجي»، «الحصر التوزيعي» وما الى ذلك، من الكلمات والمصطلحات المتداولة عندهم. كل هذه التعبيرات والمصطلحات تعكس روحية التكاثر وطلب الانحصار، وتكشف عن القيم الاصلية التي تدور عليها رُحى التكاثر والرأسمالية بين الافراد والفئات المتكاثرة.

إن بناء الاسلام الاقتصادي مؤلف من محورية الانسان واستقطابه، لا محورية المال واستقطابه، فلذلك يجعل الامتعة والمحاويل كلها - سواء الطبيعية منها او المصنوعة - ذرائع لخدمة الانسان وسد اعوازه وصيانة كرامته. واما بناء التكاثر والرأسمالية فمؤلف من محورية المال واستقطابه، فهو يجعل المال غرضاً يرمي اليه ويضحى الانسان والانسانية في سبيله؛ وبذلك الاتجاه المادي الساقط يخرج المال من مداره السالم القوامي المفيد للحياة الانسانية ويجعله الغاية الاصلية، ويجعل الانسان فداءً للمال واقتنائه، بدل أن يجعل المال فداءً للانسان.

وللاهمية التي يحوزها هذا الموضوع، في تصحيح مسيرات الاموال في المجتمع الديني، نزيد الكلام شيئاً من البسط، حول ستة مباحث:

أ - محورية الانسان واستقطابه: إن استقطاب الانسان وجعله محوراً واصلاً، هي الروح الحاكمة على تعاليم الاسلام كلها، ومنها تعاليمه الاقتصادية. إن الاسلام يستقطب الانسان ويجعله محوراً واصلاً لا تبعاً وفرعاً. ولاجل ذلك يجعل الانسان مقياساً للمال ومناطقاً لحركته وتداوله كما وكيفا، لامن جهة حياته المادية والجسمية فقط، بل من جهة حياته الروحية والمعنوية ايضاً، ومن جهة معتقده وفطرته وخصائله الانسانية. ولذلك نرى أن الامام علياً «ع» يقول: «وَأَعْلَمُوا أَنَّ كَثْرَةَ الْمَالِ مَفْسَدَةٌ لِلدِّينِ، مَفْسَاةٌ لِلْقُلُوبِ»^١؛ فهذا التعليم يكشف الستار عن الصلات العميقة

١ - تحف العقول / ١٤١.

بين كثرة المال وبين حالات الانسان المعنوية واحواله القلبية. وواضح أنّ الامر في المذهب الاقتصاديّ التكاثريّ والرأسماليّ على العكس من هذا، فإنّ الانسان ومعنويّته ليسا مُعتدّاً بهما في ذلك المذهب بوجه من الوجوه. فالمتكاثر يُحبُّ المالَ حبّاً جَمّاً وَيَسْتَكْبِرُ مِنْهُ، بلا اية مبالاة بما هناك من انطباعات التكاثر السيئة في النفس الانسانية، مع أنّ كثرة المال والغنى المفرط والرأسمالية هي بنفسها مُفسداتُ العقل ومُضيعاتُ الفطره ومُبيداتُ الدين والضمير. وحيثُ كان الاسلامُ مُهتماً بمعنويات الانسان - حتى في مذهبه الاقتصاديّ - يفرضُ عليه حدوداً في الامتلاك والتصرف، لكي ينظرَ الى المالِ كذريعةٍ لسدِّ الأعواز لا كغايةٍ لمساعي الحياة.

ومن المسائل المهمة التي يجبُ أن تُلفتَ اليها الانظار، أنّ الاسلامَ يطلبُ من الانسان أن يحدَّ استهلاكاته المادية تبعاً لحاجاته المعنوية. وذلك لأنّ صفات الانسان المعنوية واحواله الروحية تفرّضُ عليه الحدودَ والمحدوديةَ ايضاً. والمحدوديةُ الناشئة من الاحوال المعنوية امرٌ تكويني، اذ القوانينُ الحاكمةُ على فطرة الانسان وعلى واقعه الوجوديّ تحدّه وتصدّه عن التجاوز والتكاثر والطغيان، لأن الفطرة السليمة فطرة الهية، وهي داعية الى القصد والتوازن. والخصلة التكاثرية امرٌ ضدّ الهيّ وضدّ فطريّ، لأنها طاغية ومعتدية، فهي امرٌ شيطانيّ ونفسانيّ يستلزمُ مسخّ الهوية الانسانية ويستتبعُ طمسَ انوار الفطرة.^١

وكذلك الطغيان الاستهلاكيّ والتجاوز عن الحدود المعينة للاستهلاك ايضاً، خروجٌ عن مقتضيات الفطرة وسببٌ لهلاك الفرد والمجتمع، وقد منعهما الشرع، لأنّ النظامَ التشريعيّ مُبتنً على النظام الفطريّ؛ والنظام الفطريّ لا يعترفُ بما يوجبُ الهلاك والدمار، اي الحرية

١ - راجع بهذا الصدد: الفصلين ١٧ و ١٨، من هذا الباب.

نظرة الى الفصل الثاني ..

المطلقة في الاستهلاك، بالنسبة الى المأكَلِ والمَشْرَبِ والمَلْبَسِ والمسكن وما يرتبطُ بهذه الجملة وغيرها مما يُؤدِّي الى استهلاك .
ب - الاكل والاستهلاك في المذهبين : إنَّ الأكلَ والتَّمَتُّعَ اللذين يُسَوِّغُهُما القرآنُ والاسلامُ ليسا الا ما كان منهما بقدرِ الحاجة، جاريًا على سُنَنِ القصدِ والاعتدال، واقعًا موقعَ القوامِ والكِفَافِ . وذلك لَانَ اللهُ تعالى قد امرَ بالاكلِ بصورةٍ طَبِيعِيَّةٍ (كُلُوا)؛ والطَّبِيعَةُ تقتضي الأكلَ الطَّبِيعِيَّ، وهو ما يحتاجُ اليه الانسان ولا تقتضي اكثرَ من الحاجةِ بل تدفعُه . فالأكلُ الطَّبِيعِيُّ والشَّرْعِيُّ محدودٌ بحدودِ الحاجةِ الطَّبِيعِيَّةِ كَمَا وكيفًا، اي المقدارِ اللازمِ للحياةِ وادامتها وابقاءِ نَشَاطِهَا . فالأكلُ والاستهلاكُ التَّرَفِيَّانِ الخارجانِ عن الحدِّ المذكورِ، المتضادَّانِ لآحوالِ الانسانِ الفطريَّةِ والباعثانِ على الهلاكِ والدمارِ، لا يُسَوِّغُهُما الاسلامُ بالضرورة، وان سَوَّغَهُما مذهبُ الاقتصادِ التكاثريِّ الإترافيِّ .

ج - ارضياتِ وبواعثِ على التحديد : إنَّ هناك ارضياتِ وبواعثِ اصليَّةً تحُدُّ استهلاكاتِ الانسان ومصارفَه وتفرضُ عليه مراعاةَ الشُّروطِ الطَّبِيعِيَّةِ . ولقد جاء في تضاعيفِ هذا الكتاب ما يوضحُ للقارئِ حقيقةَ هذا الموضوعِ ويَجَسِّدُهُ اَمَامَهُ، غيرَ اَنَّا نَشِيرُهُ هنا باختصارٍ الى امرينِ مما يُعَدُّ مِنْ اهمِّ الارضياتِ المُحدِّدةِ للاستهلاكِ الانسانيِّ :

(١) - اَنَّ المالَ في نظريةِ الاسلامِ هو وديعةُ اللهِ عندَ الانسان - كما سَلَفَ القول - فليس له اَن يتصرَّفَ فيه الا بحسَبِ ما قرَّرَهُ المودِعُ فيما شرَّعَهُ؛ وما هو الا المقدارُ الذي يحتاجُ اليه الانسان في اعتدالٍ وقصد .
(٢) - لَمَّا كانَ المالُ مالَ اللهِ تعالى - كما اتَّضح - فهو مالُ النَّاسِ وللناسِ مِلَاكًا، وهم عبادهُ ومخلوقوه، فالطَّغْيَانُ فيه امتلاكًا واستهلاكًا انما هو اعتداءٌ على حقوقِ السَّائرينِ وغصبٌ لمعايشِ الآخريين .

وبكلامٍ آخر: إنَّ الاستهلاكَ الإترافيِّ والاسرافِيَّ، في الاموالِ

والأمتعة والارزاق والملابس والمسكن والمراكب وسائر ما هنالك، ليس استهلاك الشخص لمال نفسه، وإن كان المُستهلك مالكا، بل هو تصرف فيا يتعلّق بالغير بحسب الملاكات الاسلاميّة، كما يقول الامام عليّ بن ابي طالب «ع»: «للمسرف ثلاث علامات: يأكل ما ليس له، ويلبس ما ليس له، ويشترى ما ليس له». وهذا غير سائغ.

د - حقوق المجتمع في الملكيات الشخصية: من اللاّجب أنّ الانسان مدين للمجتمع في جميع ما يكسبه ويحصل عليه. وذلك لأنّ المجتمع - بما له من المساعي الكثيرة المتوفّرة والاعمال الباهظة والصّلات والافكار والمواهب والتّجارب وما يُعده من الامكانيات - قد أمكّن الفرد من أن يحصل على ما حصل عليه، فلو لم تكن تلك المواهب والافكار والتّجارب والكفاءات والاعمال، ولم توجد تلك المساعي والجُهود، لم يُتح للإنسان أن يحصل على شيء.

في هذا الضّوء، تُضحى مالكيّة الانسان محدودة، من جهتي الواقع والشّمول، إذ المجتمع شريك الفرد - الشريك الاعظم - فيما بيده، وأنّ الاسراف والاطراف ليسا في الواقع الاّ التّعدي عن حدّ القصد وتناول مال الآخرين من نعمة اورزق او حق. وما هو الاّ اكل الانسان ما ليس له، ولبسه ما ليس له، وسكنه ما ليس له، كما ورد في الاحاديث الواردة بحقّ المسرفين. فتبعاً للآيات والاحاديث المتعدّدة، تُصبح الملكية في الاسلام ملكيّة فردية - اجتماعية واجتماعية - فردية. ولاجل ذلك نشاهد أنّ القرآن الكريم يري الاموال اموال الجميع - ملاكاً - حيث يُعبّر هكذا: «ولا تُؤثّوا السّفهاء اموالكم»^٢، «التي جعل الله لكم»^٣، «لاتأكلوا اموالكم»^٤ ..

١ - الخِصال ١ / ٩٨؛ راجع: الفصل ٢٧، من هذا الباب.

٢ و ٣ - سورة النساء (٤): ٥.

٤ - سورة النساء (٤): ٢٩؛ راجع ايضاً: الفصل ٣٦، من هذا الباب.

نظرة الى الفصل الثاني ..

إن هاتين الآيتين - كما نلها الكثير - لهما نسج اقتصادي واجتماعي . وكذلك ما جاء في الاحاديث من الدلالة على شركة الفقراء في اموال الاغنياء : **وَيَتَأَكَّدُ هَذَا الْمَوْضُوعَ وَيَنْحِتُهُ تَجْسِيدُهُ الْفِعْلِيُّ إِذَا لَاحِظْنَا أَنَّ الْإِسْلَامَ يُعْطِي الْمَجْتَمَعَ هُوِيَّةً مُسْتَقَلَّةً .**

هـ - المحدودية التكوينية للانسان وصلتها بالاستهلاك : الانسان محدودٌ - بحسب تكوينه - فيما يحتاج اليه من الامكانيات الطبيعية وحوائج الحياة، فهو يشبع بمقدار محدودٍ من الغذاء، ويروى بمقدارٍ محدودٍ من الماء، ويتستر بمقدارٍ محدودٍ من اللباس، ويأوي الى مساحةٍ محدودةٍ من الارض، فالحد الطبيعي (التكويني) والشرعي في كل ذلك هو حد القصد، يعني أن يكون الانسان واجداً لما يحتاج اليه في الحد المذكور، بأن لا يكون فاقداً له فيصبح معدماً بائساً، ولا يكون مجاوزاً عنه فيصبح مسرفاً ومترفاً . واذا جاوز الانسان المقدار المحدد وتعداه، يضره وبصحته ونشاطه وبمعنوياته واخلاقه، كما أنه اذا لم ينل ذلك المقدار، يضره وبصحته ونشاطه وبمعنوياته واخلاقه . وهذه الحكمة الواقعية المعاشية، هي التي يشير اليها مولانا امير المؤمنين «ع» في قوله : «... فكل تقصير به مضر، وكل افراط له مفسد»^٢ .

فالحالة الاقتصادية الصالحة للانسان، هي التي تلائم الطبيعة التكوينية، والتخطيط الشرعي؛ وهي ملازمة حد القصد، وهذه الحالة الاقتصادية الصالحة هي التي يطلبها الامام علي بن الحسين السجاد «ع» ويدعو الله لها : «... وَأَسْأَلُكَ مِنَ الْمَعِيشَةِ مَا أَبْقَيْتِي، مَعِيشَةً أَقْوَى بِهَا فِي جَمِيعِ حَالَاتِي، وَأَتَوَصَّلُ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا إِلَى آخِرَتِي، عَفْوًا لَا تُتْرَفُنِي فَاطْعِي، وَلَا تُقْتَرَّ عَلَيَّ فَاشْقِي»^٣ .

١ - راجع : الفصل ٣٧، من هذا الباب .

٢ - الكافي ٨ / ٢١ .

٣ - البحار ٩٠ / ٨٧، عن كتاب «مصباح المنهجد» و«جمال الأسبوع» .

وَيُفْهَمُ من هذا التعليمِ الدُّعائيِّ، أَنَّ المعيشَةَ التي يَقْوَى بها الانسانُ في جميعِ حالاتِهِ، ويتوصَّلُ بها الى تأمينِ حياتِهِ الخالدةِ الابديةِ، هي المعيشَةُ المقتَصدةُ المتوسّطةُ، بلا تَرَفٍ مُطغٍ ولا تَقْتِيرٍ مُشَقِّ . وإنَّ هذا الهوِ الواقِعُ الحقُّ، فالحدُّ المناسبُ للواقِعِ الانسانيِّ هو الحدُّ المعتدلُ . وهو ما يَجِبُ أَنْ يكونَ في مُتناوَلِ الكُلِّ، حتى لا يُوجَدَ في المجتمعِ محتاجٌ شَقِيٌّ ولا مُتْرَفٌ طاغٍ، وحتى لا يُعوَلُ في الجماهيرِ عائلٌ، على حدِّ قولِ مولانا امير المؤمنين (ع) : «.. ما عالَ فيكم عائلٌ»، في بيانِ مواصِفَاتِ الحُكْمِ الاسلاميِّ .

وهذا هو المنهاجُ الاقتصاديُّ الذي رَسَمَهُ الاسلامُ للناسِ، يعني المنهاجَ المتوازنَ الذي لا يبقى في المجتمعِ بعدَ تجسيدهِ بأَسُّ ومحتاجٌ يُعاني الشَّقَاءَ، ولا مُتْرَفٌ ومتكاثرٌ يَجْتَرُ الشَّقَاءَ على الناسِ . ولا يسعُ الناسُ أَنْ يَصِلُوا الى هذا الحدِّ الصَّالحِ، الا اذا خَضَعُوا لمحدوديَّةِ الاستهلاكِ والاستمتاعِ، فلا يَسْتَهْلِكُونَ أَزِيدَ ممَّا يحتاجون اليه حتى لا يُتَلَفَ بذلك ما للسَّائرين من حقِّ ورزقٍ وسَكَنٍ ولباسٍ .. فالاسلامُ لا يَأْذَنُ لايِّ انسانٍ في مجاوزَةِ الحدِّ المذكورِ بالاسرافِ والاترافِ ولا يرضى لآخرَ بالفقرِ والعوزِ؛ فلا مجالَ في مذهبِ الاسلامِ الاقتصاديِّ للتكاثرِ والغنى المفرطِ والاستهلاكِ الترفيِّ الزائدِ، ولا للفقرِ والبؤسِ والمسكِنَةِ والشَّقَاءِ .

و- تأكيد على موقع المال : لقد سَلَفَ القولُ بأنَّ للمالِ موقعيَّةَ الهَيْئَةِ، وماهي الا موقعيَّةٌ قواميَّةٌ وقياميَّةٌ (جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِيامًا) . فالمالُ لا يُنْظَرُ اليه بصورةِ غايةٍ مستقلةٍ، بل بصورةِ ما يكونُ قواماً لحياتِ الناسِ وقياماً لهم ولشؤونهم . والقوامُ والقيامُ الماليانِ لا يتحققان بالتصرفاتِ الباهظةِ والاستهلاكاتِ اللامحدودةِ - كما هو واضح - بل يتحققان اذا كانَ تصرفُ

١ - الكافي / ٨ / ٣٢: مستدرک نهج البلاغة / ٣٦ .

٢ - سورة النساء (٤) : ٥ .

نظرة الى الفصل الثاني ..

الكل في الاموال تصرفاتٍ محدودةٍ مشروعة، غنيهم وفقيرهم، حتى يصل بها الناس كلهم الى ما يحتاجون اليه من معاشٍ وحياةٍ بصورةٍ قوامية، لا بصورةٍ سدِّ جوعٍ وكسا عريّة، فان ذلك لا يُمثلُ الاقتصادَ الاسلاميَّ الجماهيريَّ بوجه . وذلك لان اقتصاد الاسلام الجماهيري هو الذي يُتاح به اثارَةُ دَفائنِ العقول - التي جاء لها الانبياء والمرسلون «ع» - وتفتحُ المواهب والاستعدادات، من التي يسعى لها الاسلامُ بجديّةٍ وصدور . وفي حالة العوزِ والمسكنة انى تُثارُ دفينَةُ عقل، او تُشقُّ الطريقُ الى تفتحِ موهبةٍ واستعداد؟!

راجع بهذا الصدد: الفصل السادس والعشرين، والفصل السابع والعشرين .

٢- بقاء المجتمع بالمال : لقد سلف قولٌ مقتضب، في الالفات المتقدّم في تضاعيفِ الفصل، عن هذا الموضوع المستفاد من القرآن والحديث، المسلم به بحسبِ الحسِّ والتجربة . والآن نزيدُ إشعاعاً على ما سلف فنقول :

يَجِبُ على المجتمعِ الاسلاميِّ - بناءً على التعاليمِ الدينيّة - ان يُكافِحَ كِفاحه وأن يسعى سعيه، لتخطيطِ برامجٍ اقتصاديةٍ راقيةٍ مثمرةٍ وملتزمةٍ، تقومُ بتعديلِ الطّاقاتِ الاقتصاديةِ وتطويرِها، وباجراءِ الاموالِ في طُرُقِ تأمينِ الحياةِ الانسانيّةِ وتصعيدها، وتموينِ جميعِ الافرادِ والنّقطعاتِ، من المدنّيين والقرويين والرّحالةِ وجالياتِ البراري ورُعاةِ الاحشامِ في السّفوح والجبال .. وبسدِّ اعوازِ الناسِ المختلفةِ - المربيّةِ وغيرِ المربيّةِ - وتأمينِ اسبابِ التّربيةِ والتّعليمِ لكلِّ احد، وموْنِ السّكنِ والصّحةِ والزّواجِ والعملِ .. وليكن من اهمّ الموادّ الواردة في صلبِ ذلك التّخطيطِ، الشّجْبُ الحاسمُ للتفريطِ الماليِّ المُضرِّ (الفقر)، والافراطِ

الماليّ الاضّرّ (التكاثر)، بحيث لا يرى لهما في المجتمع أي أثر، كما هو مطلوب الشّارع الاسلامي، وغاية كلّ مجتمع سعيد، ومقتضى القسط الذي جاء الانبياء «ع» ليقوم به الناس . وبالقيام الجادّ بهذا الامر يضمن للمجتمع بقاءه وامنه، وتسدُّ طرق فئائه وتلاشيه .

وبهذا التداول الايجابي للمال، يُنَافِحُ تداول المال السلبيّ ايضاً، يعني حركته في اضداد الحدّ الوسيط، التي تسلب المال قيمته الاصلية وتفتصله عن أن يكون ذريعةً صالحةً لحياة الانسان المادية والروحية، وقواماً للناس وقياماً، وسلاماً لنموّ الشعب وانمايه في مناحي العيش وجوانب الشخصية الانسانية عامّة . وفي ضوء ما عرضنا يتجلّى للقارئ موضع المال وموقعه في نظر الاسلام تجلياً كاملاً لامعدى عنه .

وهناك في التعليم الصادقي المنقول، جملاتٌ موجهة، لا ينبغي أن نمرّ عليها غير واعين :

أ- «.. أن تصير الاموال ..»؛ هذه الجملة تُشير الى لزوم حركة المال في المجتمع وتداوله بين الناس، وعدم كثره وادخاره وحبسه عند بعض، واختصاص حفته به؛ وتصرّح ايضاً باصل اقتصادي واجتماعي هام، وهو أن الجريان العام للمال في المجتمع إنما يكون بيد النظام الحاكم، على حسب المذهب الاقتصادي السائد، فإن كان النظام السياسي والاقتصادي نظاماً تابعاً للعدالة والحق، عاملاً بموازين القسط، ساعياً لتطبيقها، مكبباً على اقامة المجتمع على التوازن، مواكباً لحدود الميزان والعدل التي يتبنّاها الدين الالهي القائم على الكتاب والميزان (وانزلنا معهم الكتاب والميزان)^٢، فإن كان النظام هكذا فهو يسوق المجتمع الى العدل والقسط، ويوجد التوازن الاجتماعي والاقتصادي في عرصات حياة

١ - راجع: الفصلين ١٩ و ٢٠، من هذا الباب ايضاً.

٢ - سورة الحديد (٥٧): ٢٥.

نظرة الى الفصل الثاني ..

الناس ومساعدتهم، ويُجابه طَرْفِي الحدِّ الوسطِ وهما الفقرُ والتكاثرُ،
ويُطِيعُ بهما ويُزيحُهما عن ساحاتِ الحياة . وعندَ ذلكَ يَصِحُّ له أن يُسمِّيَ
نفسَه نظاماً اسلامياً قرآنياً ..

ففي نظري الاسلام وعلى طبقِ تعاليمه، إنَّ اهمَّ العواملِ الرَّئيسيةِ
لقوامِ المجتمعِ ودوامه، هو القسطُ واقامته والدَّأبُ على مراعاته . وليس
القسطُ الا ايجادُ التوازنِ الاقتصاديِّ والاجتماعيِّ في كلِّ القِطاعاتِ .
وهذا من واجباتِ الحُكمِ الاسلاميِّ الاصليةِ، لأنَّ الفقهَ الاسلاميَّ يجعلُ
الأنفالَ والأراضيَ ومنايعَ الثرواتِ والمَناجِمَ وأنواعَ استغلالها، كماً وكيفاً،
بيدِ الحُكمِ، وكذلك ما يكونُ بيده بالعناوينِ الثانويَّةِ والاحكامِ الولائيَّةِ،
فعلى هذا، إنَّ القيامَ بتعديلِ الارضياتِ الماليَّةِ وازاحةِ الفقرِ عن مسيرةِ
المجتمعِ، وإماتةِ التكاثرِ والأدخارِ، انما يكونُ بيدِ الحُكمِ . والحُكمُ إن كان
صالحاً يَعْمَلُ كما وصفناه، وان كان غيرَ صالحٍ ووقعتِ الاموالُ والمَناجِمُ
والاستيرادُ والتَّوزيعُ والتَّسعيرُ بأيدي شَرِذمةٍ من المتكاثرينِ والمُتَرَفِّينِ،
يَخرُجُ المَالُ من مستواه الالهيِّ وموقعه الحياتيِّ وحدَه القواميِّ وكيانه
التوازنيِّ الى غيرِها، ويُفضي الحالُ الى سيادةِ اضدادِ التَّوازنِ والتَّعادلِ
الماليِّ . وتلكِ الاوضاعُ اذا سادت في مجتمعٍ، تَبَرُّزُ فيه ظاهرتان هما
الاستضعافُ والاستكبارُ الماليَّانِ، فيقسِمَانِ الناسَ الى فقراءِ بائسينِ (وهمُ
الاکثريةِ) وأغنياءَ مُتَرَفِّينِ (وهمُ الاقليةِ) . ومن المعلومِ أنَّ هذه الكيفيَّةَ
المنحرفةَ الشيطانيةَ، تَسُفُّ بالمجتمعِ الى مهاوي الانحلالِ والتَّمزُّقِ،
وتدفعُ المسلمين الى مساقطِ الاضمحلالِ والدِّمارِ- كما مرَّ في الحديثِ .
وستمرُّ عليك فصولٌ بصددِ هذا المبحثِ ايضاً .

ب- «... يعرف فيها الحق ..»؛ هذه الجملةُ تُبيِّنُ أقومَ الصَّلَاتِ الموجودةِ
بينَ الحقِّ والمالِ وأعمَقَها، فهي باطلاقها تَشْمُلُ ماهيةَ الحقِّ وصورَه التي

١ - وقد يكونُ بعضُ تلكِ الشَّرِذمةِ من أجهزةِ الحُكمِ ومن اليها، فلا تَغْفَلُ.

يَجِبُ أَنْ يَكُونَ وُلاَةُ الاموالِ على معرفةٍ بها : الاموالُ في ايدي من يَجِبُ أَنْ تكون؟ في ايدي من يَعْرِفُ فيها الحق . وهل يَسْتَوِي مَنْ يَعْرِفُ الحقَّ في الاموالِ ومن لا يَعْرِفُ؟ لا، لا يستويان . وما هو الحقُّ في الاموالِ، اهو تركيزُها في حدّها القواميِّ ام تسليطُ فئَةٍ عليها؟ وجوابُ الاسلامِ على هذا السُّؤالِ واضح .

ج - «.. وَيَصْنَعُ المعروف ..»: هذه الجملة تُصَرِّحُ بأنَّ الذين يُديرون المجتمعَ في الجانبِ الاقتصاديِّ والماليِّ يجبُ أَنْ يَصْنَعُوا المعروف، وان يعملوا في الاموالِ - في جميع ما يتعلَّقُ بها من البرمجةِ و المراحلِ والشؤونِ - بما هو خيرٌ للناسِ كلِّهم ولجوانبِ حياتهم المختلفة، من الماديَّةِ والروحيَّةِ، والفرديةِ والاجتماعيةِ، بلا أثرٍ وانحياز، حتى يَصِحَّ أَنْ يُعَدَّ عملُهم معروفًا في مصطلحِ الشرع، لامنكرًا وزورًا . ومن المسلمِّ به أنَّه لاشيءٌ في الحقولِ الماليَّةِ اعرفُ من وضعِ الاموالِ في مواضعها الالهيةِ ورعايةِ العدالةِ والحقِّ فيها .

وانما قُدِّمَ - في الحديث - قوله «ع» : «يَعْرِفُ فيها الحق»، على قوله : «يَصْنَعُ المعروف»، للتدليلِ على أَنَّ الاساسَ الهامَّ في الامورِ الماليَّةِ والاقتصاديَّةِ - كسائرِ الامورِ والحوادثِ - هو العلمُ والمعرفةُ والاختصاصيةُ، اذ بدونِ المعرفةِ الواعيةِ لما هنالك، والخبرةِ الدقيقةِ بالمسائلِ الماليَّةِ، المتوفرةِ والمتنوعةِ، والاختصاصيةِ في شعبِ العلومِ الاقتصاديَّةِ، لا يتاحُ لِأَيِّ احدٍ - كائنًا مَنْ كان - ان يصنعَ المعروفَ في الاموالِ، وأن لا يُحَرِّفَها عن مواضعها ولا يَصْرِفَها عن حقائقها، ولو كان مؤمنًا ملتزمًا، اذ الايمانُ والالتزامُ غيرُ الاختصاصِ، وكلاهما غيرُ النَّبِيِّ والوَعِيِّ، وياحبذا لو اجتمعت ..

والتعدّي عن صنيعِ المعروفِ في المالِ انما يأتي من ثلاثِ نواحٍ :
(١) - عدمُ العلمِ بالمسائلِ الاقتصاديَّةِ والاختصاصِ فيها .

نظرة الى الفصل الثاني ..

(٢) - عدم معرفة «الحوادث» الواقعة الاقتصادية والاجتماعية المعاصرة . وهذا من الواضحات، لأن من ليس له خبرة بمسائل العمالة والزراعة والارض والصناعة والاستيراد والانتاج والتوزيع، في اشكالها المعاصرة، ومن لا يعرف النظم الرأسمالية ومآلها من الأبعاد والأغوية، في المستويات العصرية، كيف يمكنه أن يأتي فيما يتعلق بهذه القضايا والمسائل برأي راشد يقرب من الصواب، فضلاً عن ان يُصيبه؟

نعم، لقد صدق المعلم الأكبر، الامام جعفر الصادق «ع» حيث قال :
«العالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس»^١. وواضح أن المراد بالزمان، هو الزمان بمضامينه ومحتوياته وحوادثه وثقافته، لا بتاريخه وإيامه .

(٣) - عدم الالتزام والصلاحية، فإن غير ملتزمين من الافراد لا يفكرون بمنافع الناس، بل يفكرون بمنافعهم فيساومون الطواغيت الاقتصادية على حساب الجماهير .

فبناءً على ما سلف من البحوث، ومع النظر الى الصلات الاقتصادية والاجتماعية المعقدة في هذا العصر، اذا اراد مجتمع أن يركز المال تركيزاً صحيحاً وأن يجعله في المسيرات السالمة البناءة، يجب عليه أن يدعم نظاماً اقتصادياً اسلامياً علمياً تتوفر فيه عناصر الاختصاصية، مع ادارة نابهة ومؤمنة وملتزمة، حتى يكون الامر بيد من يعرف الحق في الاموال فيصنع فيها المعروف .

ولأن نصل الى دعم نظام اقتصادي علمي ملتزم - طبقاً للمواصفات المذكورة - نحتاج الى المعارف العشرة التالية :

- (١) - معرفة الفقه والمباني الاجتهادية .
- (٢) - معرفة التفقه وامكانياته المتوفرة وسعة حقله الاصيل وجوانبه، حتى نصل الى استنباط الاحكام الشرعية، بصورة نظام مجموعي

«منظوم»، لا ابوابٍ مُبَعَّرَةٌ.

(٣) - معرفة الحوادثِ الواقعة، بوصفها العامّ.

(٤) - معرفة «الحوادثِ الواقعة» بوصفها الخاصّ في الحقلِ الاقتصاديِّ ومايُمْتُ الى ابعادها الشّاسعة الاجتماعيّة والاقتصاديّة، كالعلمِ بمسائلِ الاستيراد المستحدثة، وجريانِ المالِ في الاقتصادِ الحديث، والانتاج، والتّوزيع، والبنك، والعمالة ومسائلهَا، والزّراعة، الى مئاتِ المسائلِ الأخرى المتعلّقة بهذا الحقل، ممّا لم يكن له أثرٌ في العصورِ السّالفة بهذه الصّورة الحاضرة.

(٥) - معرفة السّننِ الالهية في الأبعادِ الاقتصاديّة والمجتمعيّة.

(٦) - معرفة «تعريفِ المال» في الاسلام، وسيره التكوينيّ والفطريّ، وصلة ذلك السّير كماً وكيفاً بهويّة الانسان وفطرته ووجوده وبهويّة المجتمعِ المستقلّة.

(٧) - معرفة سلبيّاتِ الفقرِ والتّكاثرِ وآثارهما الموضوعيّة الباهظة

في حالة صلتيهما بكيانِ الفردِ والمجتمع.

(٨) - معرفة حكمةِ حرمةِ المالِ و فلسفتها الحقيقيّة، التي

ابانتها الاحاديثُ الواردة في تبينِ «عِللِ الشّرائع» وحكمِ الاحكام.

(٩) - معرفة منزلةِ المالِ ودوره في المجتمع، وانه للجسدِ الاجتماعيّ

كالدمِ لجسدِ الفرد، وما يُمْتُ الى تجسيدِ ذلك من الاحكامِ الولائيّة.

(١٠) - معرفة النسبة الموضوعيّة بين العلاقاتِ التكاثرية وقداصةِ المال،

وأن تلك النسبة هي التّضادُّ الجوهريّ. وذلك لأنّ التّكاثر ينفى قيمةِ المالِ

القوامية ويحوّله الى عاملِ هلاكٍ وفسادٍ في القطاعاتِ المرفّهة والمترفة،

وعاملِ شقاءٍ وحرمانٍ في القطاعاتِ البائسة، على ما فصلناه تفصيلاً، في

الفصولِ المناسبة لهذه المباحث من هذين البابين.

٣ - فناء المجتمع من المال : إن المجتمعات البشرية مركبة من مادةٍ وصورةٍ وروحٍ ومعنى، ولكلٍّ منهما كمالٌ ونقص، وبقاءٌ وزوال . وإن فناء أي مجتمعٍ من المجتمعات يُمكنُ أن يكونَ فناءً صورياً ومادياً او روحياً ومعنوياً، فكما أنَّ الضَّلالاتِ العقيديةَ والتَّميعاتِ الخلقيةَ والانهياراتِ الروحيةَ تصيرُ اسباباً لفناءِ الشعوبِ والمجتمعاتِ ولدمارِها، كذلك الضَّلالاتُ الاقتصاديةُ والتَّعدياتُ الماليَّةُ والمظالمُ المعيشيةُ تصيرُ اسباباً لزوالِ الشعوبِ والمجتمعاتِ وفنائِها وتلاشيها، ولا سيَّما مع النَّظرِ الى ما هنالك من صلواتٍ وثيقةٍ مؤكَّدةٍ ومُرَكَّزةٍ وجذريةٍ بين الامكانياتِ الماديةِ والظواهرِ الروحيةِ والمعنويةِ، وتفاعلِ هذه الصَّلَاتِ بصورةٍ مستمرة . ولقد كشفَ القرآنُ الكريمُ عن هذين الاصلين في بيانِ قويم، فقال فيما يُسبِّبُ الضَّلَالَ العقيدِيَّ لهلاكِ المجتمعِ : «فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً ..»^١ و«ما آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ»^٢؛ فالهَلَاكُ هنا مُسَبَّبٌ عَمَّا جَاؤُوا بِهِ مِنْ تَكْذِيبِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْإِعْرَاضِ عَنْ قَبُولِ الْحَقِّ وَالانصهارِ بِهِ . وقال فيما يُسبِّبُ الضَّلَالَ الماليَّ والعدوانُ الاقتصاديُّ لهلاكِ المجتمعِ : «وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ»^٣ و«وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا»^٤ .

فعلى هذا، إنَّ النِّظَامَ الماليَّ الاقتصاديَّ اذا كان بيدِ اُناسٍ يُعْدُونَ المالَ غايةً، وَيَسْعَوْنَ وراءَ الحُرِّيَّةِ في الاستغلالِ والملكيَّةِ، وَيَسْوَعُونَ لانفسِهِم التَّكاثُرَ والاكْتِنَارَ والآثِرَةَ، تُسِفُّ تلكَ الحالةُ بمعنوياتِ المجتمعِ ونفسياتِ الشَّعْبِ الى مهاوي السَّقْوطِ والتَّلاشي، وتورِدُهُم مَساقِطُ التَّسبِيبِ والانحطاطِ، وتَخْلُقُ في النُّفوسِ خِصائلَ لا تَسْتَتِيعُ الاَّ الانهيارَ والتَّدنِّي،

١ - سورة الشعراء (٢٦) : ١٣٩ .

٢ و ٣ - سورة الانبياء (٢١) : ٩ و ٦ .

٤ - سورة الاسراء (١٧) : ١٦ .

وتُربّي في الطّبائع صفاتٍ غير انسانيّةٍ تورّد الشعب موارد البوار والفناء، كما قال الامام علي «ع»: «وأيّك أن توجف بك مطايا الطمع فتوردك مناهل الهلكة»^١. ولقد عدّ الامام عليّ «ع»، الطمع والحرص، في كلامه هذا، عاملاً للهلاك والدّمار - وهو صفة نفسانيّة - فالمعنى والصّورة في الفرد والمجتمع ليسا بمنفكّين في الحياة والتفاعل، فاذا فسدت الصّورة فسد المعنى وكذلك العكس. وانّ ثنائيّة المجتمع وتركّبه من الصّورة والمعنى، حقيقة راهنة تبرز في صميم الواقع الانساني وحقّ جوهر الحياة البشريّة. والمجتمع ليس الا تجمع افرادٍ من الانسان في بيئته واحدة، لمصالح مشتركة.

فبعد هذه المقدّمة الموجزة نقول: إنّ تداول المال في ايدي الناس اذا كان زائفاً منحرفاً، يكون سبباً لفناء المجتمع وهلاك الشعب، اذ المال للجسد الاجتماعيّ يكون كالدم للجسد الفرديّ. وانّ الدم اذا دار في الجسد الانسانيّ دوراناً سالماً متعادلاً موزوناً يكون سبباً لحفظ الحياة ودوام العيش واستمرار العمر وحصول النشاط، واما اذا اعتلّ الدوران وتجاوز حدّ التوازن والاعتدال وتراكم في عضوٍ وتضخّم، اكثر ممّا يلزمه، فيصيح سبباً لفساد الجسد فالموت.

وكذلك المال، فانه اذا دار في مجموعة جسد المجتمع بأسرها - على حسب ما يحتاج اليه كل عضو من اعضاء هذا الجسد المجتمعيّ - وتمنّع منه جميع الاعضاء والخلايا، كان سبباً لحياة المجتمع حياةً نشيطةً متكاملة. واما اذا لم يدّر في مجموعة هذا الجسد دوراناً سالماً متوازناً، بأن مصّ بعض الاعضاء مقداراً اكثر، وتضخّم لديه تضخماً تكاثرياً، فيقتضي ذلك على الحياة ورميقها في سائر الاعضاء ويدرّها فاقدة لايّ دمٍ وحيويّة ونشاطٍ ونموّ. وهذه الحالة تُسفّ بكلتا الطائفتين (المتكاثرة والمُعديمة)

نظرة الى الفصل الثاني ..

الى حضيض التّعس والانهيار. وبهذا يتبدّل المال من عاملٍ قوامٍ
وكيانٍ ونشاطٍ الى عاملٍ زوالٍ وسقوطٍ وتلاشٍ. ففي هذا الضوء،
لا يكون هلاكُ المجتمع وفناؤه وتسيبه وانحطاطه منوطاً بجهاتٍ الانتاج
والاستهلاك في المرتبة الاولى، بل هو منوطٌ بالمذهب الاقتصاديّ السائد
فيه، ومنتهجٍ من طريقة التوزيع غير العادل وغير المتوازن، ومن فسادِ
التداول الماليّ بين الناس وزيفه.

وهذه الحقيقة الاجتماعية، هي التي يُشرّها القرآن الكريم ببيانٍ
صامدٍ حيٍّ، حيث يقول: «لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل، إلا أن تكون
تجارة عن تراضٍ منكم، ولا تقتلوا انفسكم..»^١؛ فهذه الخطابات الستة الواردة
في هذه الآية السماوية: «لا تأكلوا» و«اموالكم» و«بينكم» و«منكم» و
«لا تقتلوا» و«انفسكم»، خطاباتٌ عامّةٌ تشملُ مجموعة المجتمع الانسانيّ
وتعمّها وتجعلها كشيءٍ واحد، وتصورها جسداً واحداً إذا اشتكى عضو
تداعى له سائر الجسد بالاشتكاء حتى في الحوائج الاقتصادية، بل هذه
من اهمّ مصاديق تداعي الاشتكاء في حياة المجتمعات. وهذا التصوير
القرآنيّ يؤكد على امور:

١ - أن جميع أعضاء الجسد الاجتماعيّ وقطاعاته وأجنحته وأقسامه
لها صلاتٌ وثيقةٌ بالنظام الماليّ والاقتصاديّ، حياتها بحياته وانهيأها
بانهيأه.

٢ - أن الاهمية المصيرية للقضايا المالية انما هي لكيفية تداول
المال في ايدي الناس وصور التمتع به وبمقاديره، بأن يكون باسبابٍ
حقّة، وصور معتدلة متوازنة، ومقادير غير مجحفة ولا مترفة، لا غيرها.

٣ - أن صحّة الصّلات التبادلية مُبتنية على «التراضي»، وهو امرٌ
بين طرفين، فيجب أن يكون طرفا المبادلة راضيين، لا أن يكون البائع

١ - سورة النساء (٤): ٢٩.

راضياً، والمشتري مفروضاً عليه الرضا لحاجته وظروفه. كما ان التصوير الحديثي للمجتمع الاسلامي (وهو قول الامام الباقر «ع»): «المؤمنون في تبارهم وتراحيمهم وتعاطفهم كمثل الجسد، اذا اشتكى تداعى له سائرُه بالسهرِ والحُمى»^(١)، يؤكد ايضاً على امور، تشمل القضايا المالية بوضوح وصراحة، فاي مجتمع يسعه ان يدعي انه مجتمع مسلم محمدي، مع ان الناس فيه يتفاوتون في المعايير تفاوت الثرى والثريا، وفيه اعضاء كثيرة تعاني آلام الفقر والعُدم^٢ وتشتكي بجمع وجودها، ومع هذا لا يتداعى لها سائرُ الجسد؟!!

٤- هلاك المجتمع بايدي المستأثرين: إن الأثرة والمحاباة المالية هما من أهم العوامل المؤدية الى التفاوت المعيشي والعدوان الاقتصادي. ومن اللاحب أن التالي لهذه الكيفية الزائفة في حياة اي مجتمع كانت، ليس الا فساد الافراد وسقوط المجتمع وهلاك الشعب، وهذا واضح إن لم يكن هناك بواعث تعمل على اضرار وعي الجماهير واسكاتهم وإخضاعهم، وعلى تبرير ما يصيبهم من الضغوط الاقتصادية، وتحييد اعمال المسببين لها بالوان التشبث.

وحيث عنونا هذا المبحث بـ «هلاك المجتمع بايدي المُستأثرين»، نحب أن نورِد ايضاً حول معنى «الهلاك». إن الهلاك بالنسبة للانسان هو بطلان موجوديته الواقعية وهويته الاصلية ودخض مواهبه واستعداداته. وإن الهلاك للمجتمع هو بطلان موجوديته المستقلة الشاخصة وقوامه الصامد النشط.

١ - البحار ٧٤ / ٢٣٤.

٢ - ولا تنس قول النبي «ص»: «ما آمن بي من بات شبعان وجاره طاوي، ما آمن بي من بات كاسياً وجاره عاري» - (المستدرک ٢ / ٨٠).

نظرة الى الفصل الثاني ..

إنَّ الفردَ او المجتمعَ اذا انحرَفَ عن مسيرَةِ السُّنَنِ التكوينيَّةِ التكامليَّةِ، والنواميسِ التشريعيَّةِ الحقَّةِ، يقعُ في مَهاوي التَّدنيِّ والانهيارِ، كما قال الامامُ عليّ «ع»: «مَنْ لَمْ يُنْجِهِ الْحَقُّ أَهْلَكَهُ الْبَاطِلُ»^١. والحقُّ لا يَخُصُّ القضايا النظريةَ والعقائدَ، بل يَشْمَلُ الاعمالَ والاتجاهاتِ ايضاً، ومنها الاتجاهاتُ الماليَّةُ والممارساتُ الاقتصاديَّةُ، ففيها ايضاً حقٌّ وفيها ايضاً باطلٌ. ومن تبعَ الباطلَ من الاتجاهِ الاقتصاديِّ بالآثَرَةِ والمُحاباةِ، فقد حادَ عن الحقِّ. ومن حادَ عن الحقِّ لم يُنْجِهِ الْحَقُّ فَيُهْلِكُهُ الْبَاطِلُ بالضرورة. واذا أَرَدْنَا ان يَتَبَلَّوَرِ اِمامنا هذا الواقعَ الرَّاهنَ، يجبُ علينا ان نُمعِنَ النظرَ في صلةِ الانسانِ بالمالِ وبالملكيَّةِ، فنقولُ انَّ صلةَ الانسانِ بالمالِ (وكلُّ ما يُعدُّ مالاً ومتاعاً)، صلةٌ تكوينيَّةٌ واقعيَّةٌ، وانَّ صلتهُ بالملكيَّةِ صلةٌ اعتباريَّةٌ، فهناك صلةُ الانسانِ بالمالِ:

١ - صلةٌ اعتباريَّةٌ، وهي الملكيَّةُ.

٢ - صلةٌ واقعيَّةٌ، وهي التصرفيَّةُ والاستهلاكيَّةُ.

والصلةُ الثانيةُ ليست - بحسبِ واقعها - الاصلةُ الانسانِ بمعيشتِهِ التي ترتبطُ بحياتهِ وشرائطِها وحاجياتِها ومُقوماتِها. وهذه الصلةُ اذا كانت صحيحةً، تكونُ تابعةً للأنظمةِ الالهيةِ والقوانينِ العامَّةِ الحاكمةِ على عالمِ الوجودِ وعلى المجتمعاتِ والافراد^٣. ومن اهمُّ تلك الأنظمةِ والقوانينِ في

١ - غررُ الحِكم / ٢٧٣.

٢ - هذه الصلةُ امرٌ تكوينيٌّ كصلةِ الانسانِ بالغذاءِ، ولها في كلِّ من الجانبين (الامتلاكِ والاستهلاكِ) ثلاثةُ حدودٍ: حدُّ الافراطِ وحدُّ التفريطِ وحدُّ القصدِ والوسطِ. ولكلُّ منها آثارٌ طبيعيَّةٌ واخلاقيَّةٌ واجتماعيَّةٌ واقتصاديَّةٌ، تكلمنا عن عدَّةٍ منها في الفصلين ١٧ و١٨، والفصل ٣١، ولاحظ ايضاً: الفصل ٤، كُلُّها من هذا الباب.

٣ - انَّ الصلتينِ المذكورتينِ بين الانسانِ والمالِ، من الاعتباريَّةِ والواقعيَّةِ، تنقسمانِ الى قسمينِ: (١) - صلةٌ تابعةٌ للأنظمةِ الالهيةِ العامَّةِ الحاكمةِ على عالمِ الوجودِ وعلى المجتمعاتِ والافراد. وهذه الصلةُ موافقةٌ للشرائعِ الالهيةِ بالضرورة.

←

عرصات الحياة، هو قانون التوازن والتعادل، فكلُّ شيءٍ يوجد في العالم إنّما يوجد في طبيعة متعادلة وإطارٍ موزون، بحيث إذا اختل ذلك التوازن اختل ذلك الشيء في أصله أو في خواصّه وآثاره وملازمه. فالعالم إذاً - مع ما فيه من الكائنات العظيمة والآفاق الفسيحة والحقائق المتوفرة - موجود متوازن لا قوام له بدون التوازن كما يقول القرآن الكريم: «والسَّمَاءُ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ»، فرفع السَّماءِ ووضع الميزان امران متساويان.

وهذا الميزان الذي وضعه الله مع رفع السَّماءِ وخلق الكون، ليس الاميزان العدل وناموس التوازن، وجعل كلُّ شيءٍ في موضعه وقدره اللائق به، الضروري له ولقوامه وحياته. وهذه الكيفية الحكيمة هي أساس التقادير الكونية العظيمة الجارية في أكبر المجرات الى اصغر الذرات، قال الامام عليّ «ع»: «العدلُ أساسُ به قوامُ العالم»^٢.

وهذا الميزان العادل الحاكم على العالم الكبير، حاكمٌ - بحسب الموازين التكوينية - على العالم الصغير ايضاً، وهو الانسان والمجتمعات الانسانية، وبذلك يتلاحم العالمان، فيتجاوبان في مسيرتهما ومآلهما من الغايات الكمالية. ومن هنا فاذا ترك الانسان رعاية الميزان (التوازن) وتطبيقه وتعداه الى غيره، ينسحب عن الركب الوجودي العام، ولا يلحق - في مسربه التكاملي - بمجموعة الكون الاعظم المتكامل.

أضف الى ذلك، أنّ الانسان بخروجه عن هذا الميزان، الحاكم على وجوده تكويناً، يسعى لهلاك نفسه، فإن خروج الجزء عمّا هو حاكم على الكل، يؤدي الى هلاك الجزء. فالعدل ناموس يسود الكون، فيجب أن

(٢) - صلة تابعة للنظم الشيطانية والنفسانية والطاغوتية، التي تفرض على المجتمعات والافراد. وهذه الصلة مضادة للشرائع الالهية بالضرورة.

١ - سورة الرحمن (٥٥): ٧.

٢ - البحار ٧٨ / ٨٣، عن «مطالب السؤل».

يسود حياة الانسان وحياة المجتمع الانساني، حتى لاتخرجنا عن ميزانية الوجود وقوام العالم وشرائط الحياة .

ففي هذا الضوء، إنَّ اهمَّ ما يجبُ على الافراد أن يتابعوه في كلِّ افعالهم وتروكهم وحركاتهم ونشاطاتهم واتجاهاتهم ومواقفهم - طلباً لحياة سليمة طبيعية - هو ذلك الميزانُ التَّعادلِيُّ العامُّ، حتى ينخرطوا بذلك في سلكِ التَّكاملِ الوجوديِّ والتَّلاحُمِ الانسانيِّ، كلُّ فردٍ مع الآخر، بل ومع سائرِ الموجودات . والمجتمعُ ايضاً يجبُ عليه^٢ أن يطبِّقَ ذلك التَّعادلَ في جميعِ قطاعاته وفئاته، حتى لايشذَّ عن حركة الحياة الصَّاعدة، وحتى لايقترَبَ من مهاوي الاستبدالِ والسَّقوطِ .

ومن هنا نشاهدُ أنَّ من اهمَّ رسالاتِ الانبياء «ع» ونشاطاتهم - وهم الذين بُعثوا لان يجعلوا حياة الافراد والمجتمعات تابعة للنظام الوجودي التَّعادلِيِّ العامِّ، خاضعة لسُننِها ونواميسها - هو تصحيحُ مسيرةِ المجتمعات والافراد بكفِّهم عن الانحرافِ والشذوذِ وردِّعِهِم عن العدوانِ والبغيِ والاسرافِ والتَّكاثُرِ، وايصالهم الى حدِّ التَّعادلِ والتَّوازنِ العامِّ الدقيقِ، كما صرَّح به القرآن الكريم: «لقد أرسلنا رُسُلنا بالبيناتِ وأنزلنا معهم الكتابَ والميزانَ ليقومَ الناسُ بالقسطِ»^٣؛ فقيامُ الناسِ بالقسطِ هو المقصدُ الاقصى . فالعالمُ لَمَّا كانَ تابعاً للميزانِ قائماً بالقسطِ، وكانَ وضعُ الميزانِ ورفعُ السَّماءِ مقرونين، يجبُ أن يكونَ الناسُ ايضاً تابعين للميزانِ قائمين بالقسطِ.^٤

وإنَّ هذا الاصلَ التَّكوينيَّ العامِّ، يُؤكِّدُ بصورةٍ خاصَّةٍ وجدِّيةٍ، على

١ و٢- وهذا الواجبُ الالهَمُّ والسَّعيُّ البالغُ لتطبيقه، يقعُ على عاتقِ الحُكمِ الاسلاميِّ ورجالِ الدِّينِ وعلمايهِ بصورةٍ أكَدَ واشدَّ.

٣ - سورة الحديد (٥٧) : ٢٥.

٤ - تجد تفصيلَ الكلامِ عمَّا جئنا به في هذه الفقرة، في النظرة الى الفصل ٤٦، من الباب ١٢، فراجعها.

ضرورة ايجاد التوازن في الحياة الاجتماعية ورعايته كاصل مفروض . وهذا امرٌ لا يمكن تطبيقه الا باقامة التوازن المالي والمعيشي بين الناس ، فيه يُضمّن بقاء المجتمع بقاءً صالحاً لا حيف فيه ولا عدوان ، ولا تميع فيه ولا ملاشاة . كما أنّ عدم العدل الاقتصادي يُؤدّي الى حرمان الاكثريّة وأملاقتها . وهذا من اهمّ بواعث هلاك الناس مادياً ومعنوياً ، اذ عدم التوازن المعيشي وفقد العدل الاقتصادي هو بمعنى فقدان القسط في المجتمع ، بل من اجلي مصاديقه . واذا فقد القسط كيف يقوم الناس بالقسط؟ واذا لم يُقَم الناس بالسقط كيف تتحقّق آمال الانبياء ومقاصدهم الرسالية؟ واذا لم تتحقّق آمال الانبياء ومقاصدهم من رسالاتهم كيف يكون دين الله قائماً ، واحكامه مطبقةً وشرائعه نافذة؟ واذا لم يكن دين الله قائماً مطبقاً كيف يقع المجتمع في مسيرة الحركة التكامليّة الالهية ولا يتعدّد عن الميزان الذي قرّن برفع السماء واقامة الوجود وادامة الحياة .

ومن هنا يتضح معنى العنوان : «هلاك المجتمع بايدي المُستأثرين» ؛ نعم ، إنّ المُستأثرين هم الذين يدحضون مرامي العدالة ويصدّون عن سبيل التوازن والتلاحم ، ويسحقون النواميس السارية في الوجود والحياة - ومنها حياة المجتمع ووجوده - فيجترون الى الناس ويلات الدمار والفناء ، لماذا؟ لانّ النواميس العالمية العامّة لا تستسلم لأهواء هؤلاء ، فلا تخضع لهم ولميولهم ، بل تكبر عليهم وعلى ايديهم وتبيدُهم وتجعلهم كأعجاز نخل خاوية . وعند ذلك تعمّ البلوى الناس ، ويحترق الرطب واليابس معاً ، فيكون فيه هلاكهم وهلاك ضياعهم واموالهم ، وهلاك سائر الناس من جهتهم . وهذه نتيجة لخروج المجتمع عن المسيرة الكليّة للعالم ، كما أنّ الكوكب اذا خرج عن مسيره وتعدّى مداره ، يتسرّب اليه السقوط . والمجتمع يبقى نشيطاً حياً سالكاً سبيل التقدم ، اذا دار على مداره ؛ ويتعرّض للزوال وتموت مواهبه اذا حاد عنه ، كما جاء في القرآن

نظرة الى الفصل الثاني ..

الكريم: «... وإن تَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ، ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ»^١. ومعنى «ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ»، أَنَّهُمْ يُقِيمُونَ الْعَدْلَ وَيُشِيدُونَ قَوَاعِدَ الْقِسْطِ الْاجْتِمَاعِيِّ بِخِلَافِ مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ إِسَاءَةِ الظُّلْمِ وَالْحَيْفِ .
فعلى هذا المبنى القرآني، يَجِبُ أَنْ تُحَدَّ الحَرِيَّاتُ الاِقْتِصَادِيَّةُ، حَتَّى لَا تَكُونَ الْاِمْوَالُ دَوْلَةً، بَلْ تُصْبِحَ مَتَدَاوِلَةً بَيْنَ النَّاسِ وَيَصِلَ الْمَجْتَمَعُ بِهَا إِلَى حَدِّ التَّعَادُلِ وَالْقِسْطِ، فَيُضْمَنَ بِذَلِكَ بَقَاؤُهُ، وَلَا يُخْشَى عَوَاقِبُ اسْتِبْدَالِهِ وَسُقُوطِهِ .

ومِمَّا يُؤَكِّدُ مَا ذَكَرْنَا، أَنَّ لِلْمَالِ طَبِيعَةً اجْتِمَاعِيَّةً لِفَرْدِيَّةِ، كَمَا يَقُولُ الْاِمَامُ الْبَاقِرُ (ع): «هي (الدنانير والدراهم) خواتيم الله في ارضه، جعلها الله مَصْحَةً لَخَلْقِهِ، وَبِهَا تَسْتَقِيمُ شُؤُنُهُمْ وَمَطَالِبُهُمْ»^٢. فَالاسْتِنَارُ بِالْمَالِ يُخْرِجُهُ مِنْ طَبِيعَتِهِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ الْعَامَّةِ إِلَى الطَّبِيعَةِ الْفَرْدِيَّةِ الْخَاصَّةِ الْمَفْرُوضَةِ، وَهُوَ خُرُوجٌ عَنِ مَسِيرَةِ النُّوَامِيسِ الْوُجُودِيَّةِ الْعَامَّةِ اِيضًا .
وهناك نَوْعٌ آخَرٌ مِنَ الْهَلَاكِ الْاجْتِمَاعِيِّ تَسْتَبِيعُهُ الْاَثَرَةُ وَالْمُحَابَاةُ وَالتَّبَعِيضُ . وَهَذَا النُّوعُ لَيْسَ اَقْلَّ ضَرَرًا مِنَ النُّوعِ الْاَوَّلِ، بَلْ ضَرَرُهُ اَكْثَرُ وَخَسْرَانُهُ اعْظَمُ، وَهُوَ الْهَلَاكُ الرَّوْحِيُّ وَالْمَعْنَوِيُّ . وَذَلِكَ لِأَنَّ الْاسْتِنَارَ مِنَ اِهْمِ الْبِوَاعِثِ عَلَى اسْتِغْلَالِ الْاِنْسَانِ وَسَحْقِ مَوَاهِبِهِ عَلَى طَرِيقِ مَصَالِحِ الْاسْتِغْلَالِ، حَيْثُ أَنَّ الْمُسْتَأْتَرِينَ يَحْتَاجُونَ إِلَى دُخُولِ تَكَاثُرِيَّةٍ مُتَرَفَّةٍ، وَنِسْبَةِ اسْتِهْلَاكِ عَالِيَةٍ . وَكُلُّ ذَلِكَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اسْتِغْلَالِ السَّائِرِينَ اسْتِغْلَالًا لَا يَتْرُكُ لَهُمْ مَجَالًا لِانْمَاءِ مَوَاهِبِهِمْ وَاِخْرَاجِهَا إِلَى عَالِمِ الْوَاقِعِ وَالْفَعْلِيَّةِ .

إِنَّ الْمُسْتَأْتَرِينَ يُفْقِرُونَ النَّاسَ وَيَفْرُضُونَ الْحَاجَةَ وَالْفَقْرَ عَلَيْهِمْ، وَيَسْرِقُونَ زَادَهُمْ - عَلَى حَدِّ قَوْلِ الْاِمَامِ الْعَسْكَرِيِّ (ع) - وَيَنْتَهُونَ بِهِمْ

١ - سورة محمد (ص) (٤٧) : ٣٨ .

٢ - امالي الطوسي ٢ / ١٣٣ .

الى حضيض الإملاق والجهل والفاقة، عن طريق امتصاص نتائج أعمالهم مقابل اجر زهيد. وهذه الحالة تُميت الانسانية وتغلق على الانسان ابواب التفتح العقلي والنمو الفكري والثقافي. وبذلك يهلك المجتمع بايدي هؤلاء هلاكاً معنوياً، مع أنهم انفسهم ايضاً هالكون، لاجل ما يفتقدونه من الشرف الانساني والالتزام الديني والمسؤولية الاجتماعية والخصائل السامية، حيث لا تحيا تلك الخصائل في نفوس المستأثرين^١. فهؤلاء يهلكون ويهلكون ويميتون ويميتون^٢. ولا ينسجم شيء من عمل هؤلاء ومسيرتهم وغاياتهم مع الاسلام، لان الاسلام ومذهبه المالي الاقتصادي، يدعو ان الى احياء الناس بالعدل والقسط والمساواة المعيشية والاستهلاكية في حدود متقاربة للجميع، والى تحكيم الصلات الانسانية السامية.

٥ - هلاك المجتمع بايدي المترفين: إن الترف والبذخ والارستقراطية وطلب الرفاه الواسع والعيش الناعم الرغد، من أكد الارضيات التي تؤدي الى فساد الانسان وهلاكه. وتلك التادية انما تتحقق من طرق شتى وباساليب عديدة. والى القارئ نبذة منها:

أ - وفرة الامكانيات المادية: إن توفر الامكانيات، وارتفاع نسبة الاستهلاك التجملي الزائد على حد الاعتدال والقصد، يدفع الانسان الى طلب اللذات والتهاكك على المتع الالهية والملهية، ويصده عن اي تهذيب وخير واقتصاد. والانصهار بالمتع الجسمية لا يدع للانسان اي مجال للتصعيد الروحي، فيفوت عليه الفرص لأي تأمل وارتداع، ويغطي القلب والضمير باغطية الشهوات والملاذ المهياة له، ويجره الى اعتناق

١ - راجع: الفصل ١٦، من هذا الباب.

٢ - راجع: الفصلين ١٧ و ١٨، من هذا الباب.

نظرة الى الفصل الثاني ..

مذهب «أصالة اللذة»، والنأي عن أي اتجاه صالح .

ب - التلذذ والاستمتاع: التلذذ والاستمتاع والاستغراق فيهما
والمداومة عليهما - حيث يُلَازِمَانِ الحياةَ الإِترافيةَ الاستهلاكيةَ - يهدمان
قواعدَ المعنى وركائزَ الرُّوحِ والاخلاقِ . وهذا من أهمِّ الاسبابِ المؤديةِ
الى انواعِ الفجورِ والخيانةِ والظلمِ وتفسيها في قطاعاتِ المجتمعِ
المختلفةِ .

ج - شيوع التمتع الخُلقي: من آكدِ لوازمِ الارستقراطيةِ والحياةِ
المُترَفَةِ وبرزِ آثارهما، شيوعُ الاخلاقِ الارستقراطيةِ واعمالِ المترفينِ
ومنهجِ سلوكِهِمُ المعيشيِّ في الناسِ وسريانها في سائرِ القِطاعاتِ . إنَّ
الفئةَ المُترَفَةَ المسرفةَ لها نفوذٌ كبيرٌ في سائرِ الطبقاتِ الاجتماعيةِ، لما
تتمتعُ بهِ من القدرةِ والجاهِ والمالِ . والناسُ ينظرونَ الى هؤلاءِ ويتخذونهم
قُدوةً في السُّلوكِ والاعمالِ والحركاتِ والأزياءِ، ويحبونَ أن يتشبهوا بهم
ولو بصورةٍ ناقصةِ . وهذه الحالةُ هي التي تترقَّبها تلكَ الحفنةُ ايضاً، لأنَّها
تُحبُّ أن يكونَ المجتمعُ مُكبَّلاً بأغلالِ التَّبعيةِ العمياءِ، كاداً لكسبِ ما
تفرُّضُه عليه حياته التَّبعيةُ واعباؤها الباهظةُ، حتى لا تجدَ هي امامَ مسيرتها
الاستغلائيةَ وحياتها المُترَفَةَ عراقيلَ .

وهذا واضح، لأنَّ المجتمعَ الذي انهارتْ قواعدهُ المُركَّزةُ وتَميَّعتْ
اخلاقه القويمةُ، لا سبيلَ بل لاقدرةَ له على الكفاحِ والمقاومةِ في وجهِ أيِّ
تعدٍّ وعدوانٍ، اقتصادياً كان او غيرَ اقتصاديِّ . والتَّميُّعُ الخُلقيُّ الذي اشرنا
اليه، والذي يُغشي المجتمعَ بسرايتهِ من حياةِ المترفينِ وسلوكهم المعيشيِّ
والاستهلاكيِّ، انما يأتي من طريقين :

(١) - طريقُ معتاد، وذلك لأنَّ الحياةَ المُترَفَةَ تستلزمُ - بطبيعتها
الافراطيةَ - المفاسدَ الاخلاقيةَ والغرقَ في الاستهلاكِ والاستمتاعِ،

١ - راجع ايضاً: الفصل ٤٠، من هذا الباب.

ونسِيانَ المُثَلِّ العالِيَةِ، والتَّغافلَ عن واقعِ الانسان وجوهرِهِ الوجودِيّ، والاحْلالَ الى الارضِ والى ما يوجَدُ فيها من مُتَعٍ وِزْخارفٍ . فاذا عاشت فئَةٌ هذه الحياةَ، فلا بَدَّ من اَن تَتَسرَّبَ تلكَ الرُّوحِياتُ المُتَميِّعَةُ الى سائرِ الفِئاتِ وتُنْفَذَ فيها، حتى تَتجاوَبَ معها وتَصْطَبِغَ بصِبغِها .

(٢) - طَريقُ مفروضٍ، وهو ما يسعَى اولئك المترَفونَ لفرضِهِ على الناسِ بِجميعِ قُدْرَتِهِم، حيثُ يسعونَ لتطبيعِ المجتمعِ على تلكِ التَّاسِياتِ المُميِّعَةِ، المنسجِمَةِ مع اَحواءِ معيشتِهِم المترَفَةِ، فيلوثونَ البيئَةَ الاجتماعيَّةَ بالشَّكْلِ الَّذِي يُغَيِّرُ المقاييسَ والمُثَلِّ، فيَقْضونَ على قوامِ الأُمَّةِ المعنويِ، ويُشيعونَ الهوانَ والانهيارَ الخُلُقِيَّ فيها، حتى تَتَسَنَّى لَهُم بِذلكِ ادامَةُ حياتِهِم الحيوانيَّةِ الارستقراطيَّةِ . والى هذه الحقيقةِ تُشيرُ الآيةُ القرآنيَّةُ : «وَإِذَا ارْتَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرِيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا ..»^١ .

د - الحياةُ المُتَطَفِّلةُ ولوازمُها المفروضةُ على المجتمعِ : إنَّ حياةَ البَذخِ والتَّرَفِ حياةٌ مُتَطَفِّلةٌ غارقةٌ في البَطالَةِ والفِراغِ، وفي استغلالِ الآخرينِ بِجميعِ صورِ الاستغلالِ . إنَّ المُستَهْلِكينَ الباذخينَ يَسْتفيدونَ دائماً من النِّعمِ الموفورةِ التي تكونُ في مُتناوَلِهِم، وليست هي الآ من جِراءِ اغتصابِ حقوقِ الناسِ وتكُدُّسِ اموالِ الفقراءِ والمحرومينِ والعُمَّالِ والفلايحِ والكادحينَ لَدَيْهِم، كما قال مولانا اميرُ المؤمنينِ : «ما جاعَ فقيرٌ إلا بما مَنَعَ غنيٌّ»^٢، وقال مولانا الامامُ الحسنُ العسكريُّ : «اغنياؤُهُم يَسْرِقونَ زادَ الفقراءِ»^٣ ..

ومن لوازمِ تلكِ الحياةِ وشروطِ بقائِها واستمرارِها أن يَبقى الناسُ جاهلينَ بِحقوقِهِم، تائهينَ في الفتنةِ والفَسادِ، غارقينَ في الغفلةِ والبساطَةِ

١ - سورة الاسراء (١٧) : ١٦ .

٢ - نهج البلاغة / ١٢٤٢ : عبده ٣ / ٢٣١، وفي هذه النسخة : «الآ بما مُنِعَ به غنيٌّ» .

٣ - المستدرك ٢ / ٣٢٢ .

نظرة الى الفصل الثاني ..

والتشاجر والتباغض، غير مفكرين بمصيرهم ومصير شعبهم، غير مباليين بحقوقهم وقيمهم، غير واقفين على ما جاء في تعاليمهم الدينية بصدور احقاق الحق وشجب الظلم والجور، وأن يكونوا كوسائل ومعدات في ايدي المقتدرين الماليين وكالأعيب في خدمة الاقتصاديين وميولهم .

إن الناس اذا حادوا عن مسيرة الفطرة الانسانية الالهية بتوغلهم في الدنيا والمفاسد، وبتمرغهم في استهلاك المواهب والنعم، واذا نبذوا الحق والعدل والفضيلة وراء ظهورهم، لا يحسبون بالمساوي والشُرور ولا يفرقون بين التقوى والفجور، فيصبحون امام المفاسد والمفسدين والمظالم والظالمين، لامباليين ولا ملتزمين، لا يُفكرون بثورة لعدل، ولا يصدون الى قيام لحق، فعند ذلك تنهار النفوس، وتخور العزائم، وتشيع المفاسد والمظالم، وينشط المفسدون والظالمون، حيث لا يجدون امامهم رادعاً، فيهلكون الحرث والنسل . وحينئذ يفسو الكسل في الافراد ويسود الحرمان، ويتعس اكثر قطاعات المجتمع .

واذا كان الناس على ما وصفنا من الحالات، فلو فرض أنهم أحسوا يوماً بعض ما هنالك من الفساد والظلم، مما يجنيه اصحاب الحياة الباذخة والمترفة، فلا يقدرون على مكافحتهم والقيام في وجههم . وذلك لامور :

(١) - أن الناس في تلك الحالات قد أسروا في شبكات المفاسد الخلقية والشهوات المميعة، التي أشاعها اولئك المترفون فتغلغلت في النفوس، حتى صارت عقبة امام ظهور آية ثورة او مجابهة، فلا شهامة هناك للاقدام، ولا ايثار للفداء، مثل ما يوجد عند الاحرار المكافحين للظلم والظالمين؛ فلا تصل الايدي الى عروة وثقى من الثقافة الحقبة والتعاليم الدينية الحرة الصريحة الدافعة الى النهضة والكفاح . وعندئذ تصبح حياة مجتمع كهذا سبباً لادامة تلك الحياة المتطفلة، التي يعيشها اولئك المترفون، بدل أن تكون قاطعة لدائهم .

(٢) - أن المترفين المتكاثرين، يظفرون ببقاء الناس في غمارٍ من السّداجة والجهل والجمود، بما يخلقونه في المجتمع من الأزّامات ومن اضلال الافكار، فيقدرون بذلك على هدرِ قدراتِ الافرادِ الجسميّة وقواهم الكفريّة، وعلى دفعها الى مسيراتٍ منحرفّةٍ توجبُ ابتعادَ الناسِ عن الانتباهِ وعن وعيِ عللِ تلكِ المفاسدِ وذلكِ الحرمانِ، وكيفيّةِ مما يكتنّفهم من الاستهتارِ والظلمِ، فيشتغلون بما لا يُهمُّ حياتهم ودينهم وانسانيّتهم من الحوادثِ والمسائلِ الفرعيّة. ولاجلِ ذلكِ فإن المترفين والارستقراطيّين هم اهلُ الفتنةِ واصلُها، منهم تَبَدُّ الفتنِ واليهم تَعودُ - كما ورد في الحديثِ النَّبويِّ الشَّرِيفِ ١.

(٣) - أن المترفين الباذخين يَقْضُونَ على مآربِ المجتمعِ الانسانيِّ من ناحيةٍ اخرى، ويبثون الفتنَ وَيَقْلِبُونَ للناسِ الامورَ ٢. وذلكَ لأنهم لا يُعْطُونَ الجماهيرَ حقوقهم الحقة، فيهدرون مواردَ المستضعفين الماليّةَ وَيُدْمِرُونَ بُنيَتهم الاقتصاديّةَ، ويَتَلْفُونَ مالهم من فُرْصِ واستعداداتِ، لاقتناءِ الاموالِ وسدِّ الاعوازِ. وانما يعملون هكذا لِأَنَّ تَبَقَى الجماهيرُ بحاجةٍ الى ما في ايدي هؤلاءِ فَيَعْمَلُونَ لهم كالرقيقِ. وهل يجدُ المحرومون والكادحون عندَ ذلكِ سبيلاً للمجابهةِ الصّامدةِ ضدّ ميولِ المعتدين الاقتصاديّين واهوائهم التي لا تُحَدُّ، ونفوذهم الى جميعِ المستوياتِ الاجتماعيّةِ والدينيّةِ والسياسيّةِ والاعلاميّةِ والثقافيّةِ والماليّةِ، والتشريعيّةِ والقضائيّةِ والعسكريّةِ، وخصوصاً بعدَ ما نشأهه من الصّاقِ الاغنياءِ انفسهم بالدينِ ورجاله وانخراطهم في سلوكهم؟

هـ - تحكيم السّيطةِ السياسيّةِ والعسكريّةِ على الجماهيرِ: من اللّاحِبِ أَنَّ السّيطةَ الماليّةَ والاقتصاديّةَ على الجماهيرِ لا تتحقّقُ ولا تدومُ الاّ

١ - مكارم الاخلاق / ٥٢٦؛ يأتي الحديث في الفصل ١٩.

٢ - راجع: الفصل ١٩، من هذا الباب.

بالسيطرة السياسية. وهذه السيطرة لا تبقى ولا تدوم الا بالسيطرة العسكرية - في الاغلب - ولاجل ذلك نرى ان من اهم الاهداف التي يتبناها المتكاثرون والمترفون لفرض سلطتهم الاقتصادية على الجماهير واستمرارها، هو السعي الجاد لاكتساب السلطة السياسية وفرضها. ومما هو واضح ان الحياة الارستقراطية تهدد بالزوال، اذا لم يكن النظام السائد حافظاً لمنافع الارستقراطيين او عميلاً لهم، سائراً مع ميولهم ونزعاتهم في كل وردٍ وصدر. فالنظام الحاكم في المجتمعات التي لا يسودها القسط ولا ترفٌ عليها اعلام العدل والاحسان، إما ان يكون بايدي المترفين والارستقراطيين انفسهم، وإما ان يكون ربيهم وعميلاً لهم.

ومن هنا نشاهد - عبر التاريخ - ان الفئة المترفة والارستقراطية إما ان تكون هي المالكة ظاهراً وباطناً، وإما ان تكونها باطناً بنفوذها ونفوذ افرادها الى الطبقة الحاكمة، ولاسيما في المصادر الاقتصادية^١.

ومن الواضح ان الحكم العميل - او المتحيز - لا طاقة له بنفسه لدفع الثورات التي يخلقها وعي الجماهير، وتتسع رقعتها بيد المصلحين والمفكرين والكتاب والناهين. ومن هنا نرى الارستقراطيين والمترفين يسعون سعيهم دوماً، ليرساء قواعد الحكومات العميلة وصياتها عن الفتور والتلاشي، ونشاهدهم ممارسين للأحوال والاعمال التالية:

١ - يجابهون الحركات التحررية والثورات التغييرية اشد المجابهة.

٢ - يشجبون طلاب الحرية والعدل اشد الشجب.

٣ - يحاربون قدرات القطاعات المحرومة والمستضعفة أقطع

المحاربة، من طريق توسيع سلطتهم الاقتصادية والاخلال بنظام المجتمع الاقتصادي.

٤ - يقومون في وجه الدعاة المحييين، ويريقون دماء شيعه الفضيلة

١- راجع: الفصل ٢٠، من هذا الباب.

والعدل .

٥ - يَتَّهَمُونَ النَّابِهِينَ الْأَبْرِيَاءَ، لِكَيْ يَسْقُطُوا فِي أَعْيُنِ الْجُمَاهِيرِ، فَلَا يُتَّاحَ لَهُمْ تَدْمِيرُ قَوَاعِدِ الْأَرِسْتِقْرَاطِيَّةِ وَالْإِتْرَافِ، وَيَزْدُرُونَ الْمَفْكَرِينَ الْمَصْلِحِينَ وَافْكَارَهُمُ النَّيِّرَةَ وَالْمَوْقِفَةَ لِلشُّعُوبِ، وَيَنْسَبُونَ لَهُمْ إِلَى الْيَسَارِيَّةِ مَرَّةً، وَالْإِتْرَافِ أُخْرَى، وَالْإِتْرَافِ ثَلَاثَةَ .

٦ - يُلْصِقُونَ أَنْفُسَهُمْ بِالَّذِينَ وَرَجَالِهِ، حَرْبًا لِمَنْ يُنَاوِيهِمْ مِنَ النَّاسِ الثَّانِيْنَ وَطُلَّابِ الْحُرِّيَّةِ وَالْعَدْلِ .

٧ - يَدْفَعُونَ نَفَقَاتٍ زَهِيدَةً - بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا بِيَدِيهِمْ وَمَا اِعْتَصَبُوهُ مِنْ حَقُوقِ الْجُمَاهِيرِ وَارزَاقِهِمْ - هُنَا وَهُنَا بِاسْمِ أَعْمَالِ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ، لِتَكُونَ غَطَاءً لِاسْتِغْلَالِهِمْ وَجَشَعِهِمْ .

٨ - يَقُومُونَ بِأَوْسَعِ مَا يَكُونُ مِنَ الدَّعَايَةِ وَالْإِعْلَامِ، عِنْدَ دَفْعِ نَفَقَةٍ أَوْ صَرْفِ مَالٍ، حَتَّى يُغَطُّوا عَلَى ضَمِيرِ الْجُمَاهِيرِ .

٩ - يُقَدِّمُونَ عَلَى إِيجَادِ التَّنْظِيمَاتِ السِّيَاسِيَّةِ وَالْإِجْتِمَاعِيَّةِ وَالْحَزْبِيَّةِ لِاحْتِلَالِ الْمَجْلِسِ الشَّعْبِيِّ، حَتَّى يَتَدَخَّلُوا فِي التَّشْرِيْعِ عَلَى حِسَابِ الْجُمَاهِيرِ .

١٠ - يَتَسَلَّلُونَ إِلَى مَخْتَلَفِ مَنَاحِي الْحَيَاةِ الْإِجْتِمَاعِيَّةِ، وَلَا سِيَّمَا عِنْدَ التَّصْوِيتِ، حَتَّى يَظْفَرُوا بِغَايَاتِهِمْ الْمُنْشُودَةَ .

وَمِنْ هُنَا وَهُنَا، نَقَفَ عَلَى سِرِّ كَبِيرٍ فِي حَيَاةِ الْأَنْبِيَاءِ الْإِلَهِيِّينَ «ع» وَتَارِيخِ ثَوْرَاتِهِمْ، حَيْثُ نَرَاهُمْ عَاكِفِينَ عَلَى مَقَاطِعِ هَؤُلَاءِ الْأَرِسْتِقْرَاطِيِّينَ وَالْمُسْتَكْبِرِينَ الْاِقْتِسَادِيِّينَ وَالْمَتَكَاتِرِينَ وَالْمَتَرَفِّينَ، وَاقْفِينَ فِي مَنَافِحَتِهِمْ عَلَى سَاقٍ، فَكَانُوا لَا يَدْعُونَ لِهَذِهِ الْمَجَابَهَةِ إِلَّا أَنْتَهَزُوهَا وَيُنَادُونَ: «يَا قَوْمُ! لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا»^٢. وَذَلِكَ لِأَنَّ التَّضَادَّ بَيْنَ الْإِدْبَانِ الْإِلَهِيِّ

١ - راجع: الفصل ٥٠، من هذا الباب.

٢ - سورة هود (١١): ٢٩.

نظرة الى الفصل الثاني ..

وبين اولئك المذكورين، تضادٌ جوهريٌّ جذريٌّ مستمرٌّ، استمرارَ الظلم والطغيان من جهة، والحرمان والاستضعاف من جهةٍ اخرى، في تاريخ الانسان الطويل، الملميء بالاضطهاد والحيثاء!
والآيات السماوية التي نزلت بشأن الانبياء ورسمت نشاطاتهم، تتلو علينا انباءً حيةً من ذلك الصراع الطويل المرير الرحب: «وما أرسلنا في قريةٍ من نذيرٍ الا قال مترفوها اننا بما أرسلتم به كافرون»^١.

تنبيه وابقاظ

مما يجب أن نلتفت إليه، وأن نكون منه على انتباه، وأن لا نغفل عنه أذننى غفلة، هو أن تلكم العوارض والاسباب الهدامة لأسس العدالة والحق، الشاجبة لركائز الشرف الانساني، المضادة للمثل والفضائل، الساحقة لقيم الأخوة الايمانية والتبار والتعاطف الانساني، من التي نراها ونشاهدها ونلمسها في المجتمعات التكاثرية والارستقراطية، ليست هي مختصة بالمجتمعات غير الاسلامية وحكوماتهم، بل تتسرب الى اي مجتمع سادته الارستقراطية والتكاثر والغنى المفرط والترف والاسراف والآثرة والتبعض وأضداد العدالة الاجتماعية، وإن اتسم باسم الاسلام^٢.
إن قيم الاسلام واخلاقه ومقاييسه وضوابطه تدور على محور، وقيم

١ - سورة سبأ (٣٤): ٣٤.

٢ - نعم، إن الاسم لا يعني من الحق والعدل شيئاً، إلا إذا اقترن بالتجسيد. والتجسيد ايضاً لا يعني من الحق والعدل شيئاً، إلا إذا كان بكل الاحكام والتعاليم الاسلامية لا يقسم منها. وإن الاسلام المحيي للبشرية لا يظفر بذلك الاحياء، إلا اذا كانت احكامه كلها مجسدة، ومفاهيمه بأسرها مطبقة.

المجتمع التّكاثريّ والحياة الارستقراطية واخلاقها ومقاييسها وضوابطها تدور على محور، وشتان ما بين المحورين. إن المحور في الحياة الاسلاميّة ليس الا الكفاف والعدل، وبهما يقوم كلُّ شيءٍ ويصلح. وإن المحور الاصليّ للحياة التّكاثريّة والارستقراطية الاترافيّة ليس الا المال وامتلاك الكثير منه والمعيشة المترفة الاستهلاكيّة بجميع ابعادها.

ولما كان المحور الاصليّ عند المتكاثرين والارستقراطيين هو المال، وهو المقياس الوحيد عندهم لكلّ شيء، فإنهم يستخدمون الاشخاص والاشياء والقيم - آية كانت - لاقتناء المال ولحفظه وتكثيره، ويدور كلُّ شيءٍ عندهم حول ذلك المحور، حتى الدين والمعنويات، فإنك تراهم يتندرعون بالدين الى الغايات التّكاثريّة والاترافيّة ويستغلّونه كأداة لمنافعهم ومصالحهم. وبذلك تحرف تعاليمه المكافحة للعدوان الماليّ وتفسر بصورة تلائم تلك المنافع والمصالح، وتبقى منها صورتها، او ما كان منها فاقداً لضرر لهم او جالب النفع اليهم. وبالتالي يتبدل عامل الثورة الكبير (اي الثورة الدنيّة النبويّة القائمة في وجه الطاغوتين: السياسيّ والاقتصاديّ) والعلم الخفاق لحركات المستضعفين والمحرومين، الى عامل تخدير الازهان وإخماد مشاعر التحرر؛ وينقلب التّصور الداعي الى الكفاح الصّامد في وجه الظلم والعدوان، الى التّصور الداعي الي المسالمة والقيود والرّضا بانواع الظلم والحيث وقول الزور.

وبعد الذي عرضناه، يتبلور امامنا واقع مؤسف؛ وهو أنّ من اكبر اضرار الانظمة التّكاثريّة والاترافيّة للدين، هو هذا التحريف والتبديل اللذان تفرّضهما تلك الانظمة على طقوس الدين واحكامه الرساليّة، فإنها بهذا التحريف تسدّل الستار على إحدى رسالات الدين الحنيف الجذريّة، وهي محاربة التّكاثر والارستقراطية، وانقاذ المحرومين من مخالبيهما، واستيفاء حقوقهم المضيعة.

نظرة الى الفصل الثاني ..

نعم، إن المتكاثرين والارستقراطيين باستعمالهم الاساليب السياسية والاقتصادية وباستغلالهم الشعائر المذهبية، يُفسرون المذهب وتعاليمه تفسيراً مُحرّفاً يُلائم غاياتهم المادية والاجتماعية، ويؤوّلونه بحيث يصيرُ محامياً لهم ولاكتنازهم الاموال. فالمذهبُ عندهم - في الاغلب - وسيلةٌ واداةٌ تُستعملُ لتلك الغايات والمقاصد. وهذا من اخطرِ الاضرارِ الفادحةِ التي تُهددُ المذهبَ الحقَّ، وتُستتبعُ اِخمادَ شعلِ الافكارِ، ويأسُ الناشئة من :

(١) - مُقارعةُ الدينِ للظالمين والمُستغلّين .

(٢) - استجابة الدين لحاجاتِ الانسانِ والمجتمعِ الاصلية .

(٣) - فتح كوى النورِ على عرصاتِ الحياةِ وآفاقها .

٦ - اكل الاموال بالباطل : من اهمّ الغاياتِ التي يتبناها الاقتصادُ الاسلامي، هو تمويلُ المجتمعِ وتأمينُ ما به قوامه وادامته كيانه الراقي والنشيط . إن الاسلامَ لا ينظرُ الى ظاهرِ وجودِ الانسانِ فقط، بل اليه والى اعماقه، فيعتدُّ بجميعِ جهاته واستعداداته، ويشاءُ له سلامةُ جسمه وروحه، ويتبغى له النموّ في حياتية المادية والمعنوية . الاسلامُ لا يفرّقُ بينَ انسانِ وانسانٍ وبيئته وبيئته، بل يُهمُّه كلُّ انسانٍ وسعادته المنشودة من آية بيئته كان، فيخطّطُ لاسعادته، ويسعى لمصالحِ الجماهيرِ البشرية، من غيرِ تمايزٍ بينَ فئةٍ وفئة، وقومٍ وقوم، وجنسيةٍ وجنسية .

وهذه النظرةُ الاسلاميةُ العميقةُ الى الانسانِ بصورةٍ عامّةٍ وغيرِ مُفرّقة، قد تجلّت في تعاليمه هنا وهناك . ومن المواقفِ التي قد تجلّت تلكِ النظرةُ الانسانيةُ العامّةُ فيها بوضوحٍ كبيرٍ، هو الموقفُ الاقتصادي؛ فإنَّ اتّجاهَ الاسلامِ الاقتصاديّ هو اتّجاهُ انسانيّ عامٌّ لا يخصّصُ بامرٍ . فالانسانُ مخلوقُ الله تعالى، هو خلقه وهو ضمنَ رزقه وقسمَ معاشه .

إنّ الاتّجاهاتِ الرّئيسيّة لمذهبِ الاسلام الاقتصاديّ تُترأى بجلالٍ، عبّر التّعابير الواردة في القرآن الكريم، فالآيات الاقتصاديّة الواردة في القرآن، ترمي الى غاياتٍ جماهيريةٍ شاملة، وتشملُ افرادَ الانسان عامّة والمجتمعاتِ البشريّة عامّة. وهذا الشُّمولُ والعموميّة يمتنعان - كما يرسمها القرآن - بصبغةٍ انسانيّة ساميةٍ ومثاليّة، قلّما يوجد نظيرها في ايّ مذهبٍ اجتماعيٍّ او اقتصاديٍّ آخر. من تلك الآياتِ المشار اليها هذه الآية الكريمة: «يا أيّها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل، الاّ ان تكون تجارةً عن تراضٍ منكم ولا تقتلوا انفسكم...»^١.

أنظروا الى هذه الآية وخطابها العامّ الحنون، إنّها تُخاطبُ المجتمع وتجعله واحداً مستقلاً ذاهويّةً مستقلّةً، كجسدٍ واحد، وتعدُّ الخللَ الوارد على قضايا المالِ والتبادلِ والملكيّة (كالقمار، والاحتكار، والغرر، والتطفيف، والإجحافِ بالأسعار، واستغلالِ الأجراءِ والعُمال، وبخسِ حقوقِ الكادحين وسائر ما هنالك من الاسبابِ الباطلة لاقتناءِ الاموال والتّصرفِ فيها)، سبباً للانتحارِ الاجتماعيّ ولقتلِ النفوسِ الانسانيّة. إنّ القرآنَ الكريم، قد تصدّى في نبذةٍ من آياته - بأسلوبه الخاصّ -

لبيان كثيرٍ من المسائلِ المستحدثة للبشرية في حياتها الجديدة، في عصرٍ لم تكن تلك المسائلُ معروفةً ولا مطروحةً، فتبنّاها في شكلٍ عامٍّ وأشار الى حُلُولها والتخلُّصِ منها بصورةٍ ثلاثم مصالحِ الجماهير؛ منها الآية المذكورة، فتعبيرُ «الباطل» فيها (لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل)، عامٌّ وله معنى عامٌّ مستوعب، وقد فسّر بـ «اسبابٍ باطلة». وقد بحث عن الآية في الفقه الاسلامي، وأشار الى اسبابٍ باطلةٍ كانت معروفةً في العصرِ السالف، غير أنّ الاسبابَ الباطلة لا كلِّ الاموال والطُّرق غير المشروعة للتبادلاتِ الاقتصاديّة لا تكونُ منحصرةً فيما عُرِفَ في سالفِ الزمان.

١ - سورة النساء (٤): ٢٩.

نظرة الى الفصل الثاني ..

فهنالك «حوادث واقعة» في هذا الحقل، واسباب جديدة، وطرق للتبادلات واقتناء الاموال مستحدثة، تُضِرُّ بالفرد والمجتمع ايما ضرر، وتمهد السبيل للعدوان الاقتصادي، وتسحق القسط والعدل، وتهدد كيان المجتمع الاسلامي وموقع الدين الحنيف. وفي «الحوادث الواقعة» الاقتصادية، اشياء تُفرض الظلم الفادح على الاجراء والعمال والفلاحين والطبقة السفلى، بل المتوسطة، من الذين يرتزقون بالعمل والكد، في المعامل والمصانع والمزارع او في غيرها من الكادحين، ممن تقتحمه العيون - على حد تعبير مولانا امير المؤمنين «ع» - وهم الذين يتجرعون كاسات الفقر والمسكنة والاملاق غير المرثية. والنهي القرآني يشمل جميع هذه النماذج والموارد ايضا، كما انه يشمل نماذج وموارد سوف يبرزها الزمان والمستقبل.

فعلى ما عرضنا، يجب ان نضيف - اما توضيحا واما تأسيسا - الى الاسباب الباطلة، ما استجد منها في هذه العصور من حياة الانسان الحديث، وفي الاقتصاد الحديث، بما له من المسائل المعقدة والشعب المختصة، التي لايسع الفقه والفقهاء الجهل بها وبتأثيراتها، في حين انهم يفتون في الاموال وفي جميع ما يتعلق بها ويمت اليها. والى القارىء - تذكرة - نماذج من الاسباب الباطلة المستحدثة - في جميع صورها او بعضها - حيث تغفل الاذهان عنها:

(١) - الامتلاك من طريق انتاج ما يضر بالافراد او المجتمع ضرراً جسيماً، او روحياً ومعنوياً، او سياسياً، او ثقافياً، او اجتماعياً، او دفاعياً، او يضر استهلاكه بحيثية الانسان المسلم او المجتمع الاسلامي.

(٢) - الامتلاك من طريق المؤامرات الاقتصادية، واتحاد الشركات الرأسمالية العالمية، وتأسيس الشركات التجارية والمنتجة والمورعة

المنحصرة، وحصر الاستيراد والانتاج والتوزيع بها، مما يوجب أن يكون تعيين الاسعار بيد اصحاب المصانع والمعامل او المستوردين الكبار، فيجعلون للمواد الخام اسعاراً زهيدة وللعمل أجرة زهيدة، ثم يجحفون بالاسعار كيفما يشاؤون .

(٣) - الامتلاك من طريق انتاج البضائع الكمالية واستهلاك المواد لانتاجها، مع ما هنالك من حاجات ضرورية في كثير من القطاعات الى البضائع الاولية للمعيشة .

(٤) - الامتلاك من طريق الدعايات الاستيرادية، المموهة الخلافة، لاجاد الطلب الكاذب لمختلف السلع لانباء الشعب .

(٥) - الامتلاك من طريق الاستيراد الحر، من غير رقابة عليه .

(٦) - الامتلاك من طريق الانتاج الحر، من غير رقابة عليه .

(٧) - الامتلاك من طريق التوزيع والتسعير الحرين، بلارقابة عليهما .

(٨) - الامتلاك من طريق الوساطة بين المتبايعين (وخصوصاً ما كان بين بلدين)، مما يخلق بالسعر بصورة باهظة، على حساب الجماهير . فكل ذلك من اسباب اكل الاموال بالباطل، وان كان جديد الظهور في جميع صورته او بعضها . وكل ذلك من تبعات الاقتصاد الرأسمالي الحديث والتكاثر المعاصر، اللذين يسعى اصحابهما لأن يفرضوا على الفقه الاسلامي امضاءهما وقبول صحتهما، وهيئات الامر .

إن منهج الانتاج والاستيراد والتوزيع والاستهلاك في الاقتصاد التكاثري، يؤدي الى تضخم المال بصورة تكاثرية . وهذا من اقوى الاسباب لاجاد الخلل في حركة المال ولتسيب المجتمع الاقتصادي وانتحاره المالي والمعيشي . فعلى هذا ان ماهية الاقتصاد التكاثري مبتنية على اكل الاموال باسباب باطله، والحال ان الاستيراد والانتاج الاسلاميين، انما هما امران قواميان ذوا موقف ضد تكاثري مبتن على

اقتناء الاموال بالحق . وهذا ما استثناه القرآن بقوله : «إلا أن تكون تجارةً عن تراضٍ»؛ واليه يُشير الامام عليّ «ع» في قوله : «التاجرُ فاجرٌ، والفاجرُ في النار، إلا من أخذ الحقَّ وأعطى الحقَّ»^١.

وأخذ الحقَّ واعطؤه لا يكون إلا في سبيلِ تأمينِ حياةٍ سليمة، بانتاجِ قواميٍّ او استيرادِ قواميٍّ، لافي تكديسِ الاموالِ والدُّخولِ (اضعافاً مضاعفة)، والآثرة التي تهلك الفردَ والمجتمع، وتقومُ على منعِ الحقِّ وعدمِ اعطائه والركونِ الى الباطلِ الاقتصاديِّ (من لم يُنجِهِ الحقُّ أهلكهُ الباطل)؛^٢ فالاقتصادُ التكاثريُّ اقتصادٌ مهلكٌ انتحاريٌّ يقومُ على اكلِ المالِ بالباطل، وينبعُ من سلوكِ سبيلِ الشيطان، كما قال النبيُّ «ص»: «.. وان كان يسعى تفاعراً وتكاثراً فهو في سبيلِ الشيطان»^٣.

وهناك في الآية نقطةٌ نظريّةٌ أخرى - ولعلنا لم نُشيرَ اليها - وهي في خطابِ الجمعِ في قوله تعالى : «ولا تقتلوا أنفسكم»، فهذا الخطابُ يُعلمنا بأنَّ تداولَ المالِ في المجتمع، اذا لم يكْم على القانونِ الحقِّ وناموسِ العدلِ وميزانِ التوازن، ينتهي الى قتلِ النفوسِ وإبادتها، فالتلاحمُ الحاكِمُ على الآيةِ الكريمة (النسجُ الأيوبي)، يُشعرُ بأنَّ فسادَ تداولِ المالِ عندَ فئمةٍ وقطاع، يوجبُ الفسادَ العامَّ والقتلَ الشاملَ للنفوس؛ فبفسادِ فئمةٍ تفسدُ الفئات، وبعُدوانِ قطاعٍ يُقتلُ المجتمعُ كله .

وهذه اللَّمحةُ في الآيةِ هي من مواردِ تبرزِ البيانِ القرآنيِّ، في المسائلِ المتعلقةِ بالمجتمعِ الانسانيِّ من ناحيةِ الاموالِ والاقتصاد . ولمزيدِ البيانِ وضوحاً نُشيرُ الى آياتٍ أُخرى؛ منها قوله تعالى «وانفقوا في

١ - الكافي ٥ / ١٥٠ .

٢ - غرر الحكم / ٢٧٣ .

٣ - المَحَجَّةُ البيضاء ٣ / ١٤٠ . والتفاخرُ بالمالِ والتكاثرُ مرفوضانِ بنصِّ القرآنِ ايضاً . وما كان

مرفوضاً فليس مرضياً لله تعالى وفي سبيله، فهو في سبيلِ الشيطانِ بالضرورة .

سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة»^١. تُفيد هذه الآية بصراحة أنّ انفاق المال وتفريقه بين الناس يوجب قوام المجتمع وسدّ أعوازه ويمنع من هلاكه. فالانفاق الذي تقوم به حياة الافراد، يوجب سدّ أعواز الناس. وسدّ أعواز الناس يوجب قوام المجتمع واستغناء المالي، كما أنّ البخل والامساك وحبس المال، يوجب كلُّ منها اطلاق المجتمع وفقره، فيؤدّي الى الهلاك الاجتماعي.

وحيث إنّ القرآن قد عدّ المال سبباً لقيام المجتمع وكيانه (ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياماً)^٢، يتضح لنا أنّ امتلاك المال اذا كان منحرفاً عن الاصول الصحيحة العادلة يكون سبباً لضدّ القيام والكيان. وهذا امرٌ واضحٌ صحيح، لأنّ الشيء الذي يكون به قوام الناس وقيام حياتهم، لا يكون كذلك إلا اذا كان جارياً على اصوله الصحيحة وموازينته الحقّة. فامتلاك الاموال اذا كان باسباب باطلّة ومن طرق غير مشروعة، سيصير سبباً لما هو ضدّ القوام، وهو الهلاك والدمار.

فلاسلامٌ قد شجّب كلّ ما هنالك من طُرُق الانهيار الاقتصادي للمجتمع، بما أشره من طُقوسٍ وحدّه من حدودٍ، وأشترعه من احكامٍ قيّمةٍ وحكيمة، كالنهي عن الاسراف والتبذير والتقتير وتضييع المال والقمار والرّبا والاكتناز. فهو قد سدّ كلّ طريقٍ منحرفٍ لكسب المال او لاستهلاكه، حتّى أنّه قد نهى عن تصرف الانسان في مال نفسه بالاتلاف او الإتراف أو الإسراف. وذلك كُله تمهيدٌ لأن تقع الاموال في مدار اقتصادي قوامي يعود بالنفع على الناس، ويكون قواماً لكلّ وقياماً، حتّى يقوم الناس بالقسط، وتتحقق الحكمة الاجتماعية والعدالة العامّة.

وبامعان النظر في هذه التعاليم والتعابير المؤشّرة، نفهم بطلان ما

١ - سورة البقرة (٢) : ١٩٥.

٢ - سورة النساء (٤) : ٥.

نظرة الى الفصل الثاني ..

يَظُنُّهُ بَعْضُ النَّاسِ وَيُبَدِيهِ، مِنْ أَنَّ الْإِسْلَامَ لَا يَجِبُهُ الْاِقْتِصَادُ الْحَرَّ وَالتَّكَاثُرَ مِنَ الْمَالِ وَامْتِلَاكَ الْوَفْرِ الْوَفِيرَ مِنْهُ وَحَبْسَ الْأَمْوَالِ الْمُتَكَدِّسَةِ وَالْبِضَاعِ الْجَمَّةِ وَاسْتِهْلَاكَ الْبِضَاعِ الْكِمَالِيَّةِ الْبَاهِظَةِ، فِي حِينِ أَنَّ الْمَجْتَمَعَ لَهُ حَاجَاتٌ ضَرُورِيَّةٌ، لَا، لَيْسَ هَذَا مِنَ الْإِسْلَامِ، الَّذِي يَنْهَى عَنْ صَرْفِ دَرَاهِمٍ بِاسْرَافٍ، أَوْ أَكْلِ دَرَاهِمٍ بِبَاطِلٍ. إِنَّ الْإِسْلَامَ لَا يُبَرِّرُ مِنْهَجًا يُخْرِجُ ثَرَوَاتِ الْمَجْتَمَعِ عَنْ مَدَارِهَا الْإِلَهِيَّةِ، وَيُعَبِّدُ الطَّرِيقَ لِهَلَاكِ الْمَجْتَمَعِ وَدَمَارِهِ، وَلِسُقُوطِهِ الرُّوحِيِّ وَتَمَيُّعِهِ الْمَادِّيِّ. فَهَذَا الْمَذْكُورُ ظَنٌّ بَاطِلٌ لَا يُلِصِقُ بِالْإِسْلَامِ، إِسْلَامِ الْمُسْتَضْعَفِينَ؛ وَلَا بِأَحْكَامِهِ، أَحْكَامِ الصَّادِقِينَ.

٧ - رفض السلطات المالية والاسترقاق الاقتصادي، الفردي والاجتماعي: راجع بهذا الصدد: الفصل السابع ونظرتنا اليه.

٨- لا ضرر ولا ضرار في الاسلام: اذا امعنا النظر في التعاليم الواردة في هذا المبحث (قاعدة «لا ضرر») وفي عموماته، لِنَتَفَقَّهَ فِيهَا، نَعْلَمُ بوضوحٍ أَنَّ النِّظَامَ الْمَالِيَّ فِي الْمَجْتَمَعِ لَا يَصِيرُ إِسْلَامِيًّا إِلَّا إِذَا كَانَ نَشِيطًا فِي الْحُدُودِ الْإِسْلَامِيَّةِ، مُتَوَفِّرًا عَلَى الْمَنَافِعِ الْعَامَّةِ وَمُصَالِحِ النَّاسِ، غَيْرَ مُسْتَتَبِعٍ لِأَيِّ ضَرَرٍ أَوْ إِضْرَارٍ بِالْفَرْدِ وَبِالْمَجْتَمَعِ.

ولافرق في ذلك بين أن يكون الضرر المنفي والمنهي في نظري الاسلام، ناشئاً من ناحية الافراد، او الفئات، او الحكومات، او المؤسسات والشركات التجارية، والعلاقات الاجتماعية والصلات الاقتصادية السائدة في المجتمع. وذلك لأن الاحاديث الواردة في هذا الحقل تنفي الضرر بصورة مطلقة، ولا تسوغ أن تدنس ساحات الاحكام الالهية والتعاليم الدينية بتبرير اي نوع من انواع الاضرار التي تفرضها النظم المالية غير الدينية والشركات التجارية. فاذا وجد في حكم او

مجتمع إسلاميين أيّ ضررٍ أو ضرارٍ، بالنسبة الى فردٍ أو قطاعٍ، يتضح بجلاءً أنّه قد وقع تحريفٌ أو انحرافٌ عن مسيرة الدين الالهي من ناحية فردٍ أو افراد، أو فئةٍ أو فئات، أو من ناحية الحكم أو التقنين؛ أو فهمت احكامُ الدين على غير واقعها. ولقد تصدّى فقهاؤنا - رضوان الله عليهم - في كتبهم لتبيين نبذة من موارد الضرر والضرار ومصاديقهما، في ابوابٍ مختلفة، ولاسيما في ابواب المعاملات والمكاسب المحرمة .

والذي يجب أن لا نغفل عنه - ولو يسيراً - ماورد في الاسلام حول المسائل المتعلقة بأنواع الضرر والضرار، من تعاليم اصولية تفرز الاقتصاد الإسلامي عن سائر النظم الاقتصادية فرزاً جذرياً جوهرياً، وتجعل بينه وبينها حداً لا يمكن أن يهدمه شيء. وذلك كاصل «لا ضرر ولا ضرار»، واصل «النهي عن اكل المال بالباطل»، واصل «حرمة المال الاصلية».

والنهي عن اكل المال بالباطل من ميزات الاقتصاد الإسلامي، إذ الحق والباطل بهذا المعنى وبهذه الحدود لا يؤبّه بهما في سائر النظم المالية. والحق والباطل اللذان يُشير اليهما بعض النظم المالية ليس لهما ذلك الشمول والعمق اللذان يؤشرهما الاسلام في القضايا المالية، ولا سيما اذا نظرنا الى سعة معنى الباطل ومصاديقه في المفهوم الإسلامي عنه، فانه يشمل كل الأسباب الباطلة لكل الاموال، كالاسباب الاخلاقية، والدينية، والثقافية، والسياسية، والاقتصادية، والعسكرية، الفردية والاجتماعية، الشعبية والحكومية .

وكذلك لا نرى معنى ولا مغزى لاصل «لا ضرر» في الاقتصاد الرأسمالي، لأن المقياس السائد على الاقتصاد الرأسمالي والتكاثري ليس منوطاً بنفع الناس اضرارهم، بل الغاية القُصوى للرأسمالية والتكاثرية ليست الا الفائدة التصاعديّة، وهي تتمرّج بالضرر والاضرار

بالنسبة الى السائرين وتوقف عليهما لامحالة .

إن الاقتصاد التكاثري يسعى وراء الفوائد والارباح وارتفاعها مهما
امكن، نفع الناس او ضرهم، ولا يكون الا ضاراً لهم، والا لم يكن تكاثرياً
ولاتضحاً. أجل، إن اضرار التكاثر بسائر الناس وحقوقهم من آثاره
الماهوية، والا لم يكن النبي «ص» خاشياً منه على الأمة .
ففي ضوء ما استفدناه من التعاليم يصبح النظام المالي التكاثري
والاقتصاد الحر والانتاج والاستيراد الحران، من اهم اسباب شيوع
الضرار بين الناس وفي اموالهم وازواقهم ومساكنهم والبستهم وصحتهم
وتعليمهم وتربيتهم . وعلة ذلك ان هذه الحالة اذا ظهرت في المجتمع
الاسلامي وسادته وسيطرت عليه وعلى مديره ومبرمجه، تجتر الى
القطاعات اذح الاضرار واسوأها، وتستتبع الفقر والحرمان والاستغلال
بالنسبة لاكثر الناس .

إن الطابع الاساسي للتكاثر والرأسمالية، اخراج المال عن مداره
النافع وعن كونه في خدمة الناس اجمعين، قواماً لهم وقياماً، الى المدار
الضار لهم المضر بهم . ولقد اشارت التعاليم الحديثية الموجهة - بالاضافة
الى التعاليم القرآنية - الى ماهية التكاثر والاقتصاد الرأسمالي الضارة
المضرة، وواقعه الاستهلاكي المبيد بتعابير موقظة وحاسمة كهذه : «هَلَك
خُرَانُ الْاَمْوَالِ ..»^٢، و«مَنْ يَسْتَأْتِرُ مِنَ الْاَمْوَالِ يَهْلِكُ»^٣، و«يَأْكُلُ عَزِيْزَهَا
ذَلِيْلَهَا»^٤، ..

وليس من المعقول أن يعمد الاسلام الشاجب للضرر والضرار

١ - كما جاء في بعض المجاميع قوله «ص» : «ما أخشى عليكم الفقر، ولكن أخشى عليكم التكاثر» .
وهذا تدليل على المحتوى القرآني المنصوص . وجاء في «الخصال» (١ / ١٦٤) حديث بهذا
الصدد، اوردناه في الفصل القادم، فقرة «ز»، فلاحظ .

٢ - نهج البلاغة / ١١٥٦؛ عبده ٣ / ١٨٧ .

٣ و ٤ - تحف العقول / ١٥٥ و ٥٧، من حديث الامام علي «ع» .

والنّافي لهما، الى موارد جزئية ومصاديق صغيرة في حياة الفرد - كحديث سَمْرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ - ثُمَّ يَغْفَلُ وَيَتَسَاهَلُ عَمَّا هُنَاكَ مِنَ الْمَوَارِدِ الْهَامَّةِ الْعَامَّةِ الْمُجْتَمَعِيَّةِ وَالْإِنْسَانِيَّةِ وَالْمَصَادِيقِ الْمُطَوَّرَةِ الْبِنَائِيَّةِ، وَالْمَرَكَزِ وَالْقَوَاعِدِ الْإِسْلَامِيَّةِ لِهَا تَيْنِ الظَّاهِرَتَيْنِ: الضَّرْرُ وَالضَّرَارُ، فِي حَيَاةِ الْمُجْتَمَعِ الْكَبِيرِ؛^١ مَعَ أَنَّ الْإِسْلَامَ دِينُ الْعَقْلِ وَالْمَنْطِقِ، وَدِينُ الْإِنْسَانِيَّةِ الْعَامَّةِ، وَأَنَّ أَحْكَامَهُ رَصِينَةٌ مُبْتَنِيَّةٌ عَلَى الْحِكْمَةِ وَالْعَدْلِ. فَتَعَمُّ مَا هُوَ هُمْ بِطَرِيقِ أُولَى^٢.
ولقد جاء في الاحاديث ما يدلُّ على ذلك، كالذي اوردناه في الفصل . وهو قولُ الامامِ المَعْلَمِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ «ع»: «قَضَى رَسُولُ اللَّهِ بَيْنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ فِي مَشَارِبِ النَّخْلِ: أَنَّهُ لَا يُمْنَعُ نَفْعُ الشَّيْءِ . وَقَضَى «ص» بَيْنَ أَهْلِ الْبَادِيَةِ: أَنَّهُ لَا يُمْنَعُ فَضْلُ مَاءٍ لِيُمْنَعَ بِهِ فَضْلُ كُلِّ أَهْلٍ؛ فَقَالَ: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضَرَارَ»»^٣.

وهناك ناحيةٌ أُخرى لشَجَبِ الضَّرْرِ وَالضَّرَارِ، قَدْ تَصَدَّتِ التَّعَالِيمُ الْإِسْلَامِيَّةُ لَهَا؛ وَهِيَ تَحْدِيدُ الْأَرْبَاحِ فِي الْمَكَاسِبِ وَالْبُيُوعِ،^٤ إِذْ تَحْدِيدُ رِبْحِ الْفَرْدِ لِدَفْعِ الضَّرْرِ عَنِ سَائِرِ الْأَفْرَادِ - لِحِفْظِ مَنَافِعِ الْمُجْتَمَعِ الْعَامَّةِ - يُمْتُّ إِلَى نَفْيِ الضَّرْرِ، مُضَافًا إِلَى مَا هُنَاكَ مِنَ الْأَصُولِ. وَيَدْخُلُ فِيهِ التَّسْعِيرُ إِذَا لَزِمَ. وَلَا تَخْفَى الْأَضْرَارُ الَّتِي تَلْحَقُ بِالْجَمَاهِيرِ، مِنْ نَاحِيَةِ «التَّسْعِيرِ الْحُرِّ»، فِي هَذِهِ الْأَزْمَانِ وَفِي هَذِهِ الْأَسْوَاقِ!
ففي هذا الضوء، إِنَّ قَاعِدَةَ «نَفْيِ الضَّرْرِ» وَاصِلُهُ، لِمَا يَسْحَقُ عَدَّةً كَبِيرَةً مِنْ عِلَلِ الْفَقْرِ وَالْحَرَمَانِ وَالْإِسْتِضْعَافِ الْاِقْتِصَادِيِّ، إِنَّ فَهْمَتَ عَلَى صَوَرَتِهَا الْعَمِيقَةَ وَالشَّامِلَةَ، وَثُوبَرَ عَلَى تَجْسِيدِهَا فِي جَمِيعِ أَبْعَادِهَا وَمَنَاحِيهَا.

١ - وَلَا تَنْسَ مَا هُنَاكَ مِنْ عَمُومِ قَاعِدَةِ «لَا ضَرَرَ» وَشَمُولِهَا.

٢ - وَلَقَدْ بَسَطَ الْفُقَهَاءُ الْقَاعِدَةَ عَلَى حَقُوقِ الْحَيَوَانَ إِضْرَاحًا: الْجَوَاهِرُ ٣١ / ٣٩٦ - ٣٩٧.

٣ - الْكَافِي ٥ / ٢٩٤.

٤ - رَاجِعْ: الْفَصْلُ ١٣، مِنَ الْبَابِ ١٢، فُقْرَةٌ «د».

تنبيه هام

شجب الضرار السياسي في قواعده

إنَّ مِمَّا تَصَدَّى لَهُ الْإِسْلَامُ، فِي حَسْمٍ وَصَرَاخَةٍ، هُوَ هَدْمُ قَوَاعِدِ الضَّرَارِ السِّيَاسِيِّ وَمَرَكَزِهِ حَتَّى لَا يَتَّخِذَ ذَرِيعَةً لِسَائِرِ الْوَانَ الضَّرَارِ، وَمِنْهَا الْاِقْتِصَادِيُّ بَلْ مِنْ أَهْمِّهَا. وَذَلِكَ لِأَنَّ أَصْحَابَ الثَّرَوَاتِ وَالْأَمْوَالِ وَالذُّخُولِ وَفِرَاعِنَةَ الْمَالِ وَظَوَاغِيتِ الْاِسْتِغْلَالِ يَسْعَوْنَ - أَوَّلَ مَا يَسْعَوْنَ، فِي كُلِّ نِظَامٍ - لِتَأْسِيسِ قَاعِدَةٍ سِيَاسِيَّةٍ وَحِزْبٍ وَتَجْمَعٍ، لِكَيْ يَتَدَرَّعُوا بِهَا إِلَى مَقَاصِدِهِمْ، وَيَجْعَلُوهَا سُلْمًا لِلنُّفُوزِ إِلَى التَّقْنِينِ وَالتَّجْسِيدِ وَأَجْهَزَةِ الْإِدَارَةِ وَالْحُكْمِ وَخُصُوصًا عِنْدَ التَّصْوِيتِ وَمَا إِلَى ذَلِكَ، صِيَانَةً لِمَنَافِعِهِمْ وَرَغْبَةً فِي اسْتِمْرَارِ عِدْوَانِهِمْ عَلَى النَّاسِ وَفِرْضًا لِغَايَاتِهِمْ الْجَهَنَّمِيَّةِ عَلَى الْجَمَاهِيرِ .

وَإِنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ قَدْ حَارَبَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضَرَارًا .. وَقَضَى عَلَى تَوَطُّتِهِمْ وَسَحَقَهَا سَحَقًا؛ وَإِنَّ النَّبِيَّ «ص» قَدْ بَعَثَ إِلَى الْمَسْجِدِ عَمَّارَ ابْنَ يَاسِرٍ وَآخَرَ فَحَرَقَاهُ حَرْقًا، وَأَمَرَ بَانَ يُتَّخَذَ كُنَاسَةً تَلْقَى فِيهِ الْجِيفَ .^١ وَهَذَا جَزَاءُ كُلِّ قَاعِدَةٍ أَوْ مَرْكَزٍ أَوْ تَجْمَعٍ أَوْ حِزْبٍ أَوْ مَنْظَمَةٍ تَوْسَسُ لِأَنَّ تَضْرَبَ بِالْمُسْلِمِينَ، وَلَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ تَأْسِيسُهَا بِيَدِ الطَّوَاغِيتِ الظَّالِمِينَ - مِنَ الْاِقْتِصَادِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ - عَلَى حِسَابِ الْمُحْرَمِينَ وَالْمُظْلَمِينَ . فَلْيَعْمَلِ الْمُسْلِمُونَ النَّابِهُونَ عَلَى ضَوْءِ الْهُدَى الْقُرْآنِيِّ، وَلْيَتَأَسَّوْا بِالنَّبِيِّ الْمُتَّقِدِ «ص»، لِأَنَّ لَهُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسُوةً حَسَنَةً .

الفصل الثالث

المال في التصور الإسلامي (٣)

أ - حرمة المال والتأكيد عليها (الأمن الاقتصادي)

الكتاب

- ١ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل، إلا أن تكون تجارةً عن تراضٍ منكم، ولا تقتلوا أنفسكم، إن الله كان بكم رحيماً *^١
- ٢ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً، إنما يأكلون في بطونهم نارا، وسيصلون سعيراً *^٢

الحديث

- ١ النبي «ص»: حرمة ماله (المؤمن) كحرمة دمه.^٣

١ و ٢ - سورة النساء (٤): ٢٩ و ١٠.

٣ - الاختصاص / ٣٣٩؛ و ٣٤٣، من طبعة قم، بتصحيح علي أكبر الغفاري.

- ٢ النبي «ص»: المؤمن حرامٌ كُلُّهُ، عَرَضُهُ وَمَالُهُ وَدَمُهُ ١.
- ٣ الامام علي «ع»: اعظمُ الخطايا اقتطاعُ مالِ امرئٍ مسلمٍ بغيرِ حقٍّ ٢.
- ٤ الامام الرضا «ع»: .. حُرِّمَ اَكْلُ مالِ اليتيمِ ظِلْمًا لِعَلَلٍ كثيرةٍ من وجوهِ الفسادِ، اولُ ذلك أَنَّهُ اذا اَكَلَ الانسانُ مالَ اليتيمِ ظِلْمًا، فقد اَعَانَ على قَتْلِهِ، اذا اليتيمُ غيرُ مُستغْنٍ ولا مُحْتَمِلٍ لِنَفْسِهِ ولا عليمٍ (قائم - خ ل) بشأَنِهِ، ولا له مَنْ يَقومُ عَلَيْهِ ويكفيه كقيامِ والدِيهِ، فاذا اَكَلَ مالَهُ فكانَ قد قَتَلَهُ وصيْرَهُ الى الفقرِ والفاقة ٣..

الفات نظر

من اهمّ الاصول التي اكد الاسلام عليها في القضايا الاقتصادية بوجه خاص، هو اصل «حرمة المال»، بيد ان العلة لهذا الاصل ربما فهمت على غير واقعها. ونحن الآن نلمح الى هذا الموضوع مقتضبين:

ان القرآن الكريم قد اوضح علة هذا الاصل بجلاء حيث قال: «... جعل الله لكم قياماً»^١، فالمال له حرمة لانه سبب لحياة الانسان المادية والمعنوية ومدد وقوام لها. وقد جعل القرآن «الاموال» و«الانفس» رديفين في آيات متعددة («اموالكم وانفسكم»، «اموالهم وانفسهم»^٥). وهذا يدل ايضاً على قيمة المال الحياتية في

١ - تحف العقول / ٤٦.

٢ - البحار / ٧٨ / ٥٥.

٣ - عيون اخبار الرضا / ٢ / ٩٢.

٤ - سورة النساء (٤): ٥.

٥ - سورة آل عمران (٣): ١٨٦؛ سورة التوبة (٩): ٤١؛ سورة الصف (٦١): ١١، سورة النساء (٤):

٩٥؛ سورة الانفال (٨): ٧٢؛ سورة التوبة (٩): ٢٠ و ٤٤ و ٨١ و ٨٨ و ١١١؛ سورة الحجرات

(٤٩): ٥١.

التّعليم الاسلاميَّة .

ولعلَّ القارئ لا يَغْفُلُ عن الامعانِ في التّعبيرِ الواردِ في الحديثِ النَّبويِّ الشّريفِ : «حرمةُ مالِهِ كحرمةِ دمه»، فإنَّ هذا التّعبيرِ، يعني تشبيهَ حرمةِ المالِ بحرمةِ الدّم، يَدُلُّ على ذلك الدّورِ الحياتيِّ للمالِ بالنّسبةِ الى كلِّ فرد، واما ما جاء في التّعليمِ الرّضويِّ فناهيك به موضحاً لِمَا للمالِ، من الدّورِ الاساسيِّ في حياةِ الانسان .

وإذا خرج المأل عن كونه قياماً وقواماً، فهل تبقى تلك الحرمةُ ثابتةً له؟

ب - شجب كون المال دولة بين الاغنياء

الكتاب

١ ما آفَاءَ اللّٰهُ عَلَى رَسُوْلِهِ مِنْ اَهْلِ الْقُرَى، فَلِلّٰهِ وَلِلرَّسُوْلِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِيْنِ وَابْنِ السَّبِيْلِ، كَيْ لَا تَكُوْنَ دُوْلَةً بَيْنَ الْاَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ..

الحديث

١ الامام علي «ع» : .. وَلَمْ اَجْعَلْهَا (الاموال) دُوْلَةً بَيْنَ الْاَغْنِيَاءِ. ٢

١ - سورة الحشر (٥٩) : ٧.

٢ - الكافي ٨ / ٦١.

الفصل الثالث: المال في التصور الاسلامي (٣)

٢ الامام الرضا «ع» - فيما كتبه للمؤمن في بيان «محض الاسلام»، ونقّم فيه على من غير سنة النبي «ص»: .. وجعل الاموال دولة بين الاغنياء ..

ج - التحذير من تسليط السفهاء و غير الملتزمين على الاموال

* راجع بصددهذا الموضوع: الفصل السابع والثلاثين، من

الباب الثاني عشر.

د - الغايات الصالحة لطلب المال

الكتاب

١ هَا أَنْتُمْ هُوَلَاءَ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ .. ٢

الحديث

١ الامام علي «ع» - من كلام له بالبصرة، حينما دخل على العلاء بن زياد

١ - عيون اخبار الرضا ٢ / ١٢٤.

٢ - سورة محمد «ص» (٤٧): ٣٨.

الحارثي ورأى سعة داره، وهو من اصحابه: ما كنت تصنع بسعة هذه الدار
في الدنيا وانت اليها في الآخرة كُنت أحوَج؟ وبلَى إن شئت بلغت بها
الآخرة تقري فيها الضيف، وتصل فيها الرّحم، وتطلع منها الحقوق
مطالعتها، فاذا أنت قد بلغت بها الآخرة ١.

٢ الامام الباقر «ع»: من طلب الدنيا استغناءً (استغناء - خ ل) عن الناس
وسعيًا على اهله وتعطفًا على جاره، لقي الله عز وجل يوم القيامة ووجهه
مثل القمر ليلة البدر. ٢.

٣ الامام الصادق «ع»: لا خير فيمن لا يحب جمع المال من حلال، يكف به
وجهه، ويقضي به دينه، ويصل به رحمه. ٣.

٤ الامام الصادق «ع»: غني يحجزك عن الظلم، خير من فقير يحملك على
الإثم. ٤.

٥ الامام الكاظم «ع»: من طلب الرزق من حله ليعود به على نفسه وعياله، كان
كالمجاهد في سبيل الله.. ٥.

* غير خاف على الواقف على التعاليم الإسلامية، أن
الاحاديث التي تحض على الغنى وطلبه، إنما تقصد الغنى الكفاي
الحاصل من الحلال، لمقاصد صالحة ذكرت في الاحاديث، ككف
الوجه، وقضاء الدين، وصلة الرّحم، لا الغنى التكاثري المتوقف

١ - نهج البلاغة / ٦٦٣؛ عبده ٢ / ٢١٣.

٢ - الوسائل ١٢ / ١١.

٣ - الكافي ٥ / ٧٢.

٤ - الكافي ٥ / ٧٢.

٥ - الوسائل ١٢ / ١١.

الفصل الثالث : المال في التصوّر الاسلامي (٣)

حصوله على الظلم والامتصاص . فالغني الذي يحبّز الانسان عن
الظلم غير الغني الذي يحيل الانسان على الظلم - كما هو واضح .

هـ - الردع عن ترك طلب المال والتأكيد على اهمية الكسب وصيانة
المال

الحديث

١ الامام علي «ع» : تعرّضوا للتجارات، فإنّ لكم فيها غنىّ عما في ايدي
الناس . وانّ الله عزّ وجلّ يحبّ المحترف الامين . المغبون غير محمود
ولا ماجور^١.

* يقصد بالتجارة في الاحاديث مطلق البيع والشراء
والكسب والحرفة، لغاية الاستغناء عن الناس ولعمل الخير .

٢ الامام الصادق «ع» : من طلب التجارة استغنى عن الناس . (قال الراوي :)
قلت : وإن كان معيلاً؟ قال : وإن كان معيلاً^٢.

٣ الامام الصادق «ع» - قال راوي الحديث : كنا جلوساً عند ابي عبدالله «ع»،
اذ أقبل علاء بن كامل، فجلس قدام ابي عبدالله «ع» فقال : أدع الله أن

١ - الوسائل ١٢ / ٤ .

٢ - الوسائل ١٢ / ٤ .

- يَرْزُقَنِي فِي دَعَةٍ . قَالَ : لَا أَدْعُوكَ ، أُطَلِّبُ كَمَا أَمَرَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ .^١
- ٤ الامام الصادق «ع» - كَلَيْبُ الصَّيْدَاوِيِّ قَالَ : قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ «ع» : أَدْعُ اللَّهَ لِي فِي الرِّزْقِ فَقَدْ التَّائَتْ عَلَيَّ أُمُورِي ، فَأَجَابَنِي مُسْرِعًا : لَا ، أُخْرِجُ فَأَطْلُبُ .^٢
- ٥ الامام الصادق «ع» - قَالَ فَضِيلُ بْنُ يَسَارٍ : قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ «ع» : أَيُّ شَيْءٍ تُعَالِجُ؟ قُلْتُ : مَا أُعَالِجُ الْيَوْمَ شَيْئًا . قَالَ : كَذَلِكَ تَذْهَبُ أَمْوَالُكُمْ ، وَاشْتَدَّ عَلَيْهِ .^٣
- ٦ الامام الصادق «ع» : لَا تَخْرُجْ فِي رَمَضَانَ إِلَّا لِلْحَجِّ أَوْ الْعُمْرَةِ ، أَوْ مَالٍ تَخَافُ عَلَيْهِ الْفُوتَ ، أَوْ لِزَرْعٍ يَحِينُ حِصَادُهُ .^٤
- ٧ الامام الصادق «ع» - قَالَ أَبُو بَصِيرٍ : سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ «ع» عَنِ الْخُرُوجِ إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ قَالَ : لَا ، إِلَّا فِيمَا أُخْبِرُكَ بِهِ : خُرُوجٍ إِلَى مَكَّةَ ، أَوْ غَزْوٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، أَوْ مَالٍ تَخَافُ هَلَاكَهُ .^٥
- ٨ الامام الصادق «ع» : .. اِحْتَفِظْ بِمَالِكَ ، فَإِنَّهُ قَوَامُ دِينِكَ .^٦

و- بعض آثار المال الايجابية

١- الآثار الفردية

١ و ٢- الوسائل ١٢ / ١٠ - ١١ .

٣ - الكافي ٥ / ١٤٨ .

٤ - الوسائل ٧ / ١٣٠ .

٥ - الكافي ٤ / ١٢٦ .

٦ - امالي الطوسي ٢ / ٢٩٢ .

الكتاب

١ الذي يُؤتي ماله يتزكى* ١

الحديث

- ١ النبي «ص»: إنَّ النَّفْسَ إِذَا أَحْرَزَتْ قُوَّتَهَا، اسْتَقَرَّتْ. ٢
- ٢ الامام علي «ع»: المأل .. للحوادثِ سَلْبٌ. ٣
- ٣ الامام الصادق «ع» - الْمُعَلَّى بْنُ حُنَيْسٍ قَالَ: رَأَيْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ «ع» وَقَدْ تَأَخَّرْتُ عَنِ السُّوقِ، فَقَالَ: أُغْدُّ إِلَى عِزِّكَ. ٤
- ٤ الامام الصادق «ع» - قَالَ لِمَوْلَى لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ احْفَظْ عِزَّكَ. قَالَ: وَمَا عِزِّي جُعِلْتُ فِدَاكَ؟ قَالَ غُدُّوكَ إِلَى سُوقِكَ وَإِكْرَامُكَ نَفْسِكَ. وَقَالَ لِأَخْرَجَ مَوْلَى لَهُ: مَا لِي أَرَاكَ تَرَكْتَ غُدُّوكَ إِلَى عِزِّكَ؟ قَالَ: جِنَازَةٌ أَرَدْتُ أَنْ أَحْضَرَهَا. قَالَ: فَلَا تَدْعِ الرِّوَاحَ إِلَى عِزِّكَ. ٥
- ٥ الامام الرضا «ع»: أَفْضَلُ الْمَالِ، مَا وُقِيَ بِهِ الْعِرْضُ. ٦

١ - سورة الليل (٩٢): ١٨.

٢ - مَنْ لَا يَحْضُرُهُ الْفَقِيهَ ٢ / ٥٥: الوسائل ١٢ / ٣٢٠.

٣ - غرر الحكم / ٣٤.

٤ - الوسائل ١٢ / ٣ و ٥.

٥ - البحار ٧٨ / ٣٥٢.

٢ - الآثار الاجتماعيّة

الكتاب

١ يسألونك ماذا ينفقون؟ قل: ما أنفقتم من خير فليلوالدين والأقربين واليتامى
والمساكين وابن السبيل، وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم* ١

* قال الشيخ ابو عليّ الطبرسي: «ما أنفقتم من خير» اي
مال، فدّل على أن له مقداراً وأنه ممّا ينتفع به، لأن ما لا ينتفع به لا
يسمى خيراً. «ليلوالدين والأقربين»، والمراد بالوالدين: الاب
والأمّ والجدّ والجدة وان علوا، لأنهم يدخلون في اسم الوالدين.
والمراد بالأقربين اقارب المعطي. «اليتامى»، اي كل من لا اب
له مع صغره. «والمساكين»، الفقراء. «وابن السبيل»، المنقطع
به. واختلفوا في هذه النفقة، فقال الحسن: «المراد به نفقة
التطوع على من لا يجوز وضع الزكاة عنده. والزكاة لمن يجوز
وضع الزكاة عنده»، فهي عامّة في الزكاة المفروضة وفي التطوع.
وقال السدي: «الآية واردة في الزكاة ثم نسخت ببيان مصارف
الزكاة» والأول اظهر، لأنه لا دليل على نسخها. واتفق العلماء على
أنه لا يجوز دفع الزكاة الى الاب والأمّ والجدّ والجدة والى الاولاد،
فأمّا النفقة فلا خلاف في أن النفقة على الوالدين اذا كانا فقيرين

واجبة ..» ٢.

١ - سورة البقرة (٢): ٢١٥.

٢ - مجمع البيان ١ / ٣١٠.

ولقد مرَّ من الآيات والاحاديث ما يدلُّ على اهمية المال الاجتماعية وآثاره العظيمة في قوام الناس وكيانهم، فراجع.

ز - بعض آثار المال السلبية

١ - الآثار الفردية

الكتاب

- ١ فَمَا مَن طَغَى * وَأَثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى *^١
- ٢ مَنَّاغٌ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ *^٢
- ٣ وَيَلُّ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٌ * الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ *^٣

الحديث

- ١ الامام علي «ع»: المال مادة الشهوات.^٤

١ - سورة النازعات (٧٩): ٣٧ - ٣٩.

٢ - سورة القلم (٦٨): ١٢.

٣ - سورة الهُمزة (١٠٤): ١ - ٢.

٤ - نهج البلاغة / ١١١٣: عبده ٣ / ١٤٦.

٢ الامام علي «ع»: المال يُفْسِدُ المَالَ، وَيُوسِّعُ الآمَالَ.

٢ - الآثار الاجتماعية

الكتاب

- ١ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ..
- ٢ .. لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى، كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ ..

الحديث

- ١ النبي «ص»: - انَّمَا اتَّخَوْفُ عَلَى أُمَّتِي مِنْ بَعْدِي ثَلَاثَ خِصَالٍ: أَنْ يَتَأَوَّلُوا الْقُرْآنَ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ، أَوْ يَتَّبِعُوا زَلَّةَ الْعَالَمِ، أَوْ يَظْهَرَ فِيهِمْ الْمَالُ حَتَّى يَطْغَوْا

١ - غُررُ الْحِكْمِ / ٣٣.

٢ - سُورَةُ الْأَنْفَالِ (٨): ٣٦.

٣ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ (٢): ٢٦٤.

٤ - تَنْبِيْهِه: تُدَلُّ هَذِهِ الْجُمْلَةُ مِنَ الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ، عَلَى أَنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ تَقَعَ مِنَ الْعُلَمَاءِ زَلَّةٌ وَأَنْ يَتَّبِعَهَا النَّاسُ. وَهَذَا مُقْتَضَى الْأَصْلِ الضَّرُورِيِّ فِي مَذْهَبِنَا، وَهُوَ اخْتِصَاصُ الْعَصْمَةِ بِأَهْلِهَا الْمَعْلُومِينَ الْمَعْدُودِينَ. فَعَلَى هَذَا يَجِبُ عَلَى الْعَالَمِ الدِّيْنِيِّ - أَيَّا كَانَ - أَنْ لَا يَسْتَبِدَّ بِرَأْيِهِ، وَلَا يَغْتَرَّ بِاسْتِعْدَادِهِ وَفَهْمِهِ، وَلَا يَتَّخِذَ بِأَحْسَابِهِ، بَلْ عَلَيْهِ أَنْ يُقْبَلَ عَلَى الْمَشَاوَرَةِ فِي الْأُمُورِ، وَالْمَشَارَكَةِ فِي الْعُقُولِ - كَمَا وَرَدَ فِي الْأَحَادِيثِ بِالتَّأَكِيدِ - وَأَنْ يَسْتَمِدَّ مِنْ عُقُولِ كِبَارِ الْعُلَمَاءِ وَالْمُؤْمِنِينَ، وَمِنْ



وَيَبْطَرُوا ١..

٢ الامام علي «ع»: اَنَا يَعْسُوبُ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْمَالُ يَعْسُوبُ الْفُجَّارَ. ٢

٣ الامام علي «ع»: اِنْ اَعْطَاءَ هَذَا الْمَالِ قُنِيَّةً، وَاِنْ اَمْسَاكَه فِتْنَةً. ٣

* ليس المال ذا أثر سلبي بذاته، بل هو قوأم لامر الانسان وحياته، غير أن الانسان يجعله سلبياً بجمعه المقدار الكثير منه، او بتصرفاته غير الصالحة فيه واستهلاكاته الفاسدة.

ح - العمل والتأكيد عليه بوصفه منشأ للإملاك

الاخصائيين وذوي التجارب واصحاب العقول الراجحة والحلوم الناضحة والمراسات السابقة والشعور الحي والنبيه الاجتماعي والفهم الاقتصادي الناضج الحديث .. وكذلك يجب على الناس أن لا يعدوا «زلة العالم» اذا وقعت منه، من الاسلام واحكامه، حتى لا يصير دين الله مهجوراً. والامر الذي اشرنا اليه، يعم كل مسؤول في المجتمع الاسلامي، ولا سيما اذا كان منتظماً الى الدين بشكل خاص.

واما المعنى الذي جاء في الجملة الأولى من الحديث، يعني الخصلة الأولى التي كان النبي الهادي «ص» يتخوف منها على الأمة من بعده، وهي تأول القرآن وتفسيره بالآراء والمصطلحات، فلقد وقعت أيضاً بصورة مؤسفة، وخصوصاً في المعارف العقلية والمباني العقيدية، حيث تأولوه وحملوا آياته على ما فهموه من هنا وهناك ورَسَبَ في عقولهم وسيطرَ على نفوسهم، ولم يقبلوا بكلمهم على وعي «حكمتها اليمانية» وما جاء بصددها من حَمَلَةِ الكتاب الاصليين، وهم العترة «ع»، بذهنٍ مُستخلصٍ من غواشي المصطلحات الاجنبية عن القرآن وروح تعاليمه. وأنا لله وأنا اليه راجعون.

١ - الخصال / ١ / ١٦٤.

٢ - نهج البلاغة / ١٢٣٦؛ عبده ٣ / ٢٢٩.

٣ - غرر الحكم / ١٠١.

الكتاب

- ١ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى * ١
- ٢ .. لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا لَهُمْ، وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا لَهُنَّ .. ٢

الحديث

- ١ النبي «ص»: «كُلُوا مِنْ كَدِّ أَيْدِيكُمْ» ٣
- ٢ النبي «ص» - سُئِلَ النَّبِيُّ «ص»: «أَيُّ كَسْبِ الرَّجُلِ أَطْيَبُ؟ قَالَ: «عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ» ٤
- ٣ الامام علي «ع» - فيما كَلَّمَ بِهِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ زَمْعَةَ، وَهُوَ مِنْ مَنْ شِيعَتِهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ قَدِمَ عَلَيْهِ فِي خِلاَفَتِهِ يَطْلُبُ مِنْهُ مَالًا: «إِنَّ هَذَا الْمَالَ لَيْسَ لِي وَلَا لَكَ، وَأِنَّمَا هُوَ فِيءٌ لِلْمُسْلِمِينَ وَجَلِبُ أَسْيَافِهِمْ، فَإِنَّ شَرِكَتَهُمْ فِي حَرْبِهِمْ كَانَ لَكَ مِثْلُ حَظِّهِمْ، وَالْأَفْجَانَةُ أَيْدِيهِمْ لَا تَكُونُ لغيرِ أَفْوَاهِهِمْ» ٥
- ٤ الامام الباقر «ع» - قَالَ رَاوِي الْحَدِيثِ: سَأَلْتُهُ عَنِ الرَّجُلِ يَتَقَبَّلُ الْعَمَلَ فَلَا يَعْمَلُ فِيهِ وَيُدْفَعُهُ إِلَى آخَرَ، يَرِبِحُ فِيهِ؟ قَالَ: لَا ٦

١ - سورة النجم (٥٣): ٣٩.

٢ - سورة النساء (٤): ٣٢.

٣ - البحار ٦٦ / ٣١٤.

٤ - مجمع البيان ٢ / ٣٨٠.

٥ - نهج البلاغة / ٧٢٨: عبده ٢ / ٢٥٣.

٦ - الوسائل ١٣ / ٢٦٦.

٥ الامام الباقر «ع»، او الصادق «ع» - محمد بن مسلم، عن احدهما، قال: سألتُه عن الرجلِ الخياطِ يتقبَّلُ العملَ فيقطِّعه ويُعطيه مَنْ يخيِّطُه وَيَسْتَفْضِلُ، قال: لا بأس، قد عَمِلَ فيه ١.

٦ الامام الباقر «ع»، او الصادق «ع» - عن محمد بن مسلم، انه سُئِلَ عن الرجلِ يتقبَّلُ بالعملِ فلا يَعْمَلُ فيه وَيَدْفَعُه الى آخَرٍ، فيرَبِّحُ فيه؟ قال: لا، إلاَّ انْ يَكُونَ قد عَمِلَ فيه شيئاً ٢.

الفات نظر

هذه الاحاديث تُرشِدُنَا بوضوحٍ الى الاصلِ المدعومِ في «التصوِّرِ الاسلاميِّ»، وهو أنَّ القيمةَ الاصليةَ انما هي للعملِ والسعيِ (وأن ليس للانسان الا ما سعى) ٣، وأن قيمةَ المالِ انما تنشأ من جهةِ ما عَمِلَ لكسبه. وبذلك يتلاحمُ النظامان: التشريعيُّ والتكوينيُّ، اذ الامرُ في النظامِ التكوينيِّ ايضاً مُبتَنٍ على السعيِ والكسبِ. يقولُ الامامُ جعفرُ الصادقُ «ع» بهذا الصدد: «... وخلق له الوبرَ لكسوته، فكُلَّفَ نَدْفَهَ وِغَزَلَه ونسجه. وخلق له الشجرَ فكُلَّفَ غرسها وسقيها والقيامَ عليها.. وترك عليه في كلِّ شيءٍ من الاشياء موضعَ عملٍ وحركةٍ لما في ذلك من الصَّلاحِ.. وجعل الخبزَ متَعَدِّراً لا يُنَالُ الا بالحيلةِ والحركة، ليكون للانسان في ذلك شغلٌ يكفُّه عما يُخرِجُه اليه الفراغُ من الاشرِ والعبثِ» ٤.

وهذا الاصل - الذي يجعلُ المالَ محصولَ السعيِ الانسانيِّ وعمله - اذ رُوِيَ حقَّ الرعايةِ، يستأصلُ شأفةَ النظمِ الاستغلايةِ

١ و ٢ - الوسائل ١٣ / ٢٦٥ - ٢٦٦.

٣ - سورة النجم (٥٣): ٣٩.

٤ - البحار ٣ / ٨٦ - ٨٧، عن «توحيد المُفضَّل».

بالوانها . وعلى هذا الاصلِ إِنَّ الرِّبْحَ ايضاً يَجِبُ أَنْ يَكُونَ حَاصِلاً
 مِنْ جِهَةِ السَّعْيِ وَالْعَمَلِ كَمَا رَأَيْنَا فِي الْحَدِيثِ : «.. وَبَدَفَعَهُ إِلَى
 آخَرَ فَيَرَبِّحُ فِيهِ ؟ قَالَ : لَا إِلَّا أَنْ يَكُونَ قَدْ عَمَلَ فِيهِ شَيْئاً» .
 وَهَذِهِ التَّعَالِيمُ كُلُّهَا تُضَادُّ الْأَنْظِمَةَ التَّكَاثُرِيَّةَ وَالْقِيَمَ السَّائِدَةَ
 فِيهَا الْحَاكِمَةُ عَلَيْهَا ، إِذَا الْمَالُ فِي تِلْكَ الْأَنْظِمَةِ أَمَّا يَحْصُلُ - فِي
 الْأَغْلَبِ - مِنَ الْمَالِ لَا السَّعْيِ وَالْجِدِّ . وَهَذَا هُوَ الْبَاعِثُ الْأَصْلِيُّ
 عَلَى تَفْشِي الظُّلْمِ الْأَقْتِصَادِيِّ فِي الْمَجْتَمَعَاتِ الْبَشَرِيَّةِ . نَعَمْ ، إِنَّ
 تِلْكَ الثَّرَوَاتِ الطَّائِلَةَ الَّتِي يَمْتَلِكُهَا الْمُتَكَثِرُونَ لَيْسَتْ حَصِيلَةً
 مَسَاعِيهِمْ وَكُدُودِهِمْ ، أَوْ مَسَاعِي وَكُدُودِ ذَوِيهِمْ ، أَوْ أِبْنَائِهِمْ وَبَنَاتِهِمْ ،
 الْغَارِقِينَ فِي التَّرَفِّهِ وَالنَّعِيمِ ، الْفَارِغِينَ مِنْ أَيِّ سَعْيٍ وَأَهْتِمَامٍ ، بَلْ
 هِيَ حَصِيلَةُ كُدُودِ الْأَجْرَاءِ وَالْعُمَّالِ وَالْفَلَاحِ وَالْعَمَلَةِ
 الْمُسْتَضْعَفِينَ ، الْمُسْتَغْلَبِينَ وَالْمُمْتَصِّينَ (بصيغة المفعول) ، فَهِيَ
 مَغْضُوبَةٌ فِي أَكْثَرِ الْمَوَارِدِ وَالْمَقَادِيرِ .

وعلى اساسِ الاحاديثِ المذكورة - وما يُفِيدُ مَغْزَاهَا مِنْ
 الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ - يَتَّضِحُ الْأَمْرُ بِالنَّسْبَةِ إِلَى تِلْكَ الْأَضْعَافِ الْمَضَاعِفَةِ
 مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَرْبَاحِ الَّتِي تَحْصُلُ لِأَهْلِهَا بِاتِّصَالِ هَاتِفٍ أَوْ نَحْوِهِ .
 فَإِنَّ الْجِرْيَانَ التَّضَخُّمِيَّ لِلأَرْبَاحِ وَالذُّخُولِ بِهَذِهِ الصُّورَةِ مِمَّا
 لَا يَسْتَصَوِّبُهُ الْإِسْلَامُ ، نَظراً إِلَى كَلِيَّةِ تَعَالِيمِهَا ، الَّتِي تَشْجُبُ جَمِيعَ
 صُورِ الْجَوْرِ وَالْحِيْفِ .

ط - حفظ الاموال العامة وبيت المال والتأكيد الحاسم عليه

الكتاب

١ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا..^١

الحديث

١ الامام علي «ع» - من كتاب له الى عماله : أدقوا اقلامكم، وقاربوا بين سطوركم، وأخذفوا من فضولكم، وأقصدوا اقصد المعاني، وآياكم والإكتار، فإن أموال المسلمين لا تحتمل الإضرار.^٢

* لقد ورد في كتاباته الى عماله في ذلك تعاليم كثيرة، فراجع :
«نهج البلاغة»، باب الكتب والرسائل . وقاعدة «لا ضرر» واحاديثها
ايضاً تعم الموضوع عمماً.

٢ الامام علي «ع» - دخل عليه عمرو بن العاص ليلة، وهو في بيت المال، فطفي السراج وجلس في ضوء القمر . ولم يستحل أن يجلس في الضوء من غير استحقاق.^٣

ي - الاعتدال في طلب المال والحث عليه

١ - سورة النساء (٤) : ٥٨ .

٢ - مستدرک نهج البلاغة / ١١١ .

٣ - المناقب / ٢ / ١١٠ ، من طبعة قم .

الحديث

١ النبي «ص»: فيما رواه الامامُ الباقر، ممّا قاله في حَجَّةِ الْوَدَاعِ: اَلَا اِنَّ الرُّوحَ الْاَمِيْنَ نَفَثَ فِي رَوْعِي، اِنَّهُ لَا تَمُوْتُ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا؛ فَاتَّقُوا اللّٰهَ عَزَّوَجَلَّ وَاَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ. وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ اسْتِبْطَاءُ شَيْءٍ مِنَ الرِّزْقِ اَنْ تَطْلُبُوهُ بِشَيْءٍ مِنْ مَعْصِيَةِ اللّٰهِ، فَاِنَّ اللّٰهَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - قَسَمَ الْاِرْزَاقَ بَيْنَ خَلْقِهِ حَلَالًا وَلَمْ يَقْسِمْهَا حَرَامًا؛ فَمَنْ اتَّقَى اللّٰهَ عَزَّوَجَلَّ وَصَبَرَ، اَتَاهُ اللّٰهُ بِرِزْقِهِ مِنْ حِلٍّ، وَمَنْ هَتَكَ حِجَابَ السُّتْرِ وَعَجَّلَ فَاخَذَهُ مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ، قُصَّ بِهِ مِنْ رِزْقِهِ الْحَلَالِ، وَحُوسِبَ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ١.

٢ الامام علي «ع»: وَاعْلَمْ يَقِيْنًا اَنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ اَمْلَكَ، وَلَنْ تَعْدُوَ اَجْلَكَ، وَاَنَّكَ فِي سَبِيْلِ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ؛ فَخَفِّضْ فِي الطَّلَبِ، وَاَجْمِلْ فِي الْمُكْتَسَبِ .. وَايَّاكَ اَنْ تُوَجِّفَ بِكَ مَطَايَا الطَّمَعِ فَتُوْرِدَكَ مَنَاهِلَ الْهَلَكَةِ ٢.

٣ الامام الصادق «ع»: الرِّزْقُ مَقْسُوْمٌ عَلٰى ضَرِيْبِيْنَ: اَحَدُهُمَا وَاَصْلٌ اِلَى صَاحِبِهِ وَاِنْ لَمْ يَطْلُبْهُ، وَاَلْآخَرُ مُعَلَّقٌ بِطَلْبِهِ، فَالَّذِي قُسِمَ لِلْعَبْدِ عَلٰى كُلِّ حَالٍ اَتِيَهُ وَاِنْ لَمْ يَسْعَ لَهُ، وَاَلَّذِي قُسِمَ لَهُ بِالسَّعْيِ فَيَنْبَغِيْ اَنْ يَلْتَمِسَهُ مِنْ وَجُوْهِهِ، وَهُوَ مَا اَحَلَّهُ اللّٰهُ لَهُ دُوْنَ غَيْرِهِ، فَاِنْ طَلَبَهُ مِنْ جِهَةِ الْحَرَامِ فَوَجَدَهُ حُسْبَ عَلَيْهِ بِرِزْقِهِ وَحُوسِبَ بِهِ ٣.

٤ الامام الصادق «ع»: لَوْ كَانَ الْعَبْدُ فِي جُحْرٍ لَّاتَاهُ اللّٰهُ بِرِزْقِهِ، فَاجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ ٤.

١ - الكافي ٥ / ٨٠.

٢ - نهج البلاغة / ٩٢٩؛ عبده ٣ / ٥٦ - ٥٧.

٣ - الوسائل ١٢ / ٢٩.

٤ - الكافي ٥ / ٨١.

٥ الامام الصادق «ع»: إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ، خَلَقَ الْخَلْقَ وَخَلَقَ مَعَهُمْ ارزاقَهُمْ حَلالاً طَيِّباً، فَمَنْ تَنَاوَلَ شَيْئاً مِنْهَا حَرَاماً قُصَّ بِهِ مِنْ ذَلِكَ الْحَلالِ .

تنبيه

لا يَصِحُّ أَنْ نَنْظُرَ إِلَى هَذِهِ الْأَحَادِيثِ وَمِثَالِهَا نَظْرَةً عَقَائِدِيَّةً أَوْ اخْلَاقِيَّةً صِرْفَةً، يَعْنِي أَنْ نَقُولَ إِنَّهَا تَرُومُ تَوْعِيَةَ النَّاسِ فِي الْقَضَايَا الْعَقِيدِيَّةَ وَمَا يُمْتُّ مِنْهَا إِلَى الْأَقْدَارِ، أَوْ أَنَّهَا تَرْمِي إِلَى دَعْمِ أَصْلِ اخْلَاقِيٍّ فِي عَقَّةِ النَّفْسِ وَاسْتِغْنَائِهَا وَعَدَمِ جَسَعِهَا فَقَطْ، لَا، بَلْ لَهَا مَغْزَى اِقْتِصَادِيٌّ هَامٌّ بِنَاءً أَيْضاً. وَذَلِكَ لِأَنَّ الَّذِينَ يَقْدِرُونَ عَلَى السَّعْيِ فِي طَلْبِ الْمَالِ وَاقْتِنَاءِ الْكَثِيرِ مِنْهُ، وَلَهُمْ حَذَقٌ بِهَذَا الْأَمْرِ وَاسْتِعْدَادٌ لَهُ، إِنْ كَفُّوا عَنْ ذَلِكَ وَاكْتَفَوْا بِمُسْتَلْزِمَاتِ مَعِيشَةٍ سَالِمَةٍ كَافِيَةٍ، تَصِلُ بَقِيَّةُ الْأَمْوَالِ وَالْأَرْزَاقِ وَالْمُسْتَلْزِمَاتِ الْمَعِيشِيَّةِ إِلَى الْآخَرِينَ، وَخُصُوصاً الضَّعْفَاءَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ ذَلِكَ الطَّلْبُ وَالسَّعْيُ أَوْ الْحَذَقُ وَالِاسْتِعْدَادُ. فَالْإِسْلَامُ يَعْمَدُ فِي كُلِّ تَعَالِيمِهِ إِلَى دَعْمِ أَسَاسِ الْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ، وَإِزَاحَةِ الْفَقْرِ وَالْحَرَمَانِ، بَلِ الْمَنْعِ عَنِ وَقُوعِهِمَا وَبِقَائِهِمَا فِي الْجَمَاهِيرِ.

يا- لا يجتمع المال الكثير من حلال

الحديث

- ١ الامام الباقر «ع»: .. ليس من شيعتنا من له مئة الف، ولا خمسون الفاً، ولا اربعون الفاً، ولو شئتُ أن أقول: ثلاثون الفاً لقلت. وما جمَعَ رجلٌ قطُّ عشرة الآفٍ من جِلِّها. ١
- ٢ الامام الصادق «ع»: المالُ اربعةُ آلفٍ، واثنَا عَشَرَ الفِ درهمٍ كَنْزٌ، ولم يجتمعَ عشرون الفاً من حلالٍ .. ٢

احتياط

ينبغي - بل يُهمّ - على حَسَبِ التَّعاليمِ الَّتِي وَصَلَتْ لَنَا مِنَ
الائِمةِ الهَادِيَةِ «ع»، أَنْ نَنْظُرَ إِلَى الْمَالِ الْكَثِيرِ بِعَيْنِ الْاِحْتِيَاظِ، اِي
النَّشْكِ فِي حِلِّيَّتِهِ وَمَشْرُوعِيَّتِهِ، وَأَنْ نَعَامِلَهُ مَعَامَلَةَ الْمُحْتَاطِينَ . اَجَلْ،
إِنَّ هَذِهِ الْاِحَادِيثَ الْهَامَّةَ الْبِنَاءَ لِسَلَامَةِ الْمَجْتَمَعِ، تَدُلُّ عَلَى أَنَّ
جَوْهَرَ تَعَالِيمِ الْاِئِمَّةِ «ع» وَرُوحَهَا هُوَ رَفْضُ الْمَالِ الْكَثِيرِ، وَطَرْدُ
الْمُتَكَاتِرِينَ وَالْمُتَرَفِّينَ، لَا الرُّكُونَ بِالْهَيْمِ وَالتَّقَلُّبُ مَعَهُمُ وَالانْصِهَارُ
بِرُوحِيَّاتِهِمْ، فَضْلاً عَنِ تَبْرِيرِ اَعْمَالِهِمْ وَ اَمْوَالِهِمْ ٣. وَلَيْسَ هَذَا اَلَّا
جَوْهَرَ تَعَالِيمِ الْقُرْآنِ وَرُوحَهَا، فَلَا تُكَاتِرُ فِي الْاَمْوَالِ وَلَا تُفَاخِرُ بِهَا
فِي الْاِسْلَامِ .

١ - البحار ٧٢ / ٦٦، عن «السرائر».

٢ - تحف العقول / ٢٧٩؛ راجع ايضاً بهذا الصدد: الفصل ٢٥، من هذا الباب.

٣ - ولقد أعلن أحد الجهات المسؤولة العالمية في القضاء، أنه لا يقف حينما يقرأ الإضرابات المتعلقة بالاغنياء المتكاثرين، على حصول تلك الاموال والثروات من طريق حلال مشروع - (خطبة صلاة الجمعة، ١٥ شهر صفر، من هذه السنة ١٤٠٨ هـ. ق، الموافق لـ ١٧ مرداد من ١٣٦٦ هـ. ش).

وكلامه سندٌ وحجّة، لكثرة وقوفه على الإضرابات المذكورة، استناداً الى مسؤوليّة القضاء العالمية. وهذا شاهدٌ فعليٌّ على ما هدى اليه القرآن الكريم ووَرَدَ بكثيرٍ في كلام المعصوم «ع».

الفصل الثالث: المال في التصور الاسلامي (٣)

ومن الواضح أنَّ المقاديرَ المذكورةَ في الاحاديث، تُقدَّرُ
بقَدْرِها، بحَسَبِ كُلِّ عَصْرٍ ومَصْرٍ، بشرطِ أَنْ لا تَبْلُغَ الى ما يُعَدُّ كَثِيراً
في عُرْفِ كُلِّ بِيئَةٍ وزمانٍ، لانَّ المَالَ الكَثِيرَ لا يَجْتَمِعُ من حلالٍ .
والاسلامُ لا يُثَبِّتُ القَداسَةَ الا للمالِ الحلالِ .

يب - التعريف بالمال

الحديث

١ الامام الباقر «ع»: .. هي (الدَّيْنانِيرُ والدَّرَاهِمُ) خواتيمُ اللَّهِ في أرضِهِ، جَعَلَهَا
اللَّهُ مِصْحَةً لِحَلِيقِهِ؛ وبها تَسْتَقِيمُ شُؤُنُهُمْ ومطالِبُهُمْ .. ١

* يَقِفُ القارئُ على «تعريفِ المالِ» في الاسلام، ممَّا مرَّ عليه
الى هنا وما ياتي . ولقد أوردنا التَّعريفَ في الفصلِ الرَّابِعِ
والعشرين من هذا الباب، فراجع .

تذييل هام (١)

تحريف المال عن مواضعه وصرفه عن حقائقه

الكتاب

١- امالي الطوسي ٢/ ١٣٣ .

١ لَتَبْلُونَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ .. ١

الحديث

- ١ الامام علي «ع»: «ألا! وإن إعطاءَ المالِ في غيرِ حقِّه تَبذِيرٌ وِاسْرَافٌ .. ٢
- ٢ الامام السجاد «ع»: «.. وأما حقُّ المالِ، فأنْ لا تأخُذَه إلا من جِلِّه، ولا تُنْفِقَه إلا في جِلِّه، ولا تُحَرِّفَه عن مواضعه، ولا تُصَرِّفَه عن حقائقه، ولا تَجْعَلَه إذا كان من اللّهِ إلا إليه، وسبباً إلى اللّهِ . ٣
- ٣ الامام الصادق «ع»: «.. ورأيتُ الرَّجُلَ يُنْفِقُ المَالَ في غيرِ طاعةِ اللّهِ، فلا يُنْهَى ولا يُؤْخَذُ على يديه . ٤

* راجع: النظرة الى الفصل بهذا الصدد، تلاحظ اشاراتٍ وتنبهاتٍ هامة .

تذييل هامّ (٢)

حرمة اموال المعاهدين في المجتمع الاسلامي

١ - سورة آل عمران (٣): ١٨٤.

٢ - نهج البلاغة / ٣٩٠؛ عبده ٢ / ١٠.

٣ - تحف العقول / ١٩١.

٤ - الكافي ٨ / ٣٨.

الفصل الثالث: المال في التصور الاسلامي (٣)

* إن الآياتِ النَّاهيةَ عن الظلمِ والغصبِ والسَّرقةِ والاعتداءِ
وحفظِ العهدِ وما إليها، تشمُلُ الموضوعَ بوضوحٍ.

الحديث

١ الامام علي «ع» - مما كتبه الى عماله على الخراج: .. ولا تبيعن للناس في الخراج كسوة شتاءٍ ولا صيف؛ ولا دابةً يعتملون عليها؛ ولا عبداً، ولا تضرين احداً سوطاً لمكان درهم؛ ولا تمسن مال احدٍ من الناس - مُصلِّ ولا مُعاهد - الا ان تجدوا فرساً او سلاحاً يعدى به على اهل الاسلام..^١

٢ الامام الصادق «ع» - محمد بن مسلم قال: سألته عن الشراء في ارض اليهودي والنصراني؟ فقال: ليس به بأس.. وما به بأس لو اشتريت منها شيئاً. وأيما قومٍ أحيوا شيئاً من الارض فعمروه، فهم احقُّ به، وهو لهم.^٢

١ - نهج البلاغة / ٩٨٤؛ عبده ٣ / ٩٠ - ٩١.

٢ - من لا يحضره الفقيه ٣ / ١٥١.

نظرة الى الفصل

١ - حرمة المال والتأكيد عليها: لقد سَلَفَ أَنْ قُلْنَا أَنَّ الْمَالَ لِلْجَسَدِ الاجتماعيِّ كَالدَّمِ لِلْجَسَدِ الْفَرْدِيِّ، فعليه يكونُ تَضَخُّمُ الْمَالِ لَدَى حَفَنَةِ متناقضاً مع حركةِ الدَّمِ العامَّةِ، التي بها يحيا جسدُ المجتمع وتُحَفَظُ حياةُ الجماهير. فحرمةُ المال - التي صرَّحت بها التعاليمُ الاسلاميَّةُ وأكَّدت عليها - انما تكونُ لخصوصيَّتهِ القواميَّةِ كالدَّمِ للجسد، فالتعبيرُ التي وردت في الاحاديث كقول النبي «ص»: «حُرْمَةُ مَالِهِ (المؤمن) كحرمةِ دمه»^١، وقول الامام عليٍّ «ع»: «إِنَّ أَمْوَالَ الْمُسْلِمِينَ لَا تَحْتَمِلُ الْإِضْرَارَ»^٢، كلُّ ذلك يرمي الى ذلك الغرضِ المنشودِ من المال، وهو كونه قواماً للناس، ودماً جارياً دائراً في كلِّ جسدِ الجماهير، وإصلاً الى كلِّ خَلِيَّةٍ من خلاياه، تحت رقابةٍ دقيقةٍ وعادلة. والجريانُ التكاثريُّ للمال ليس الاجرياناَ سرطانياً لا تعادلُ فيه ولا قوام، فهو يُفِرِّطُ في الامتلاكِ من جهةٍ وفي الاستهلاكِ من جهةٍ اخرى، فيتضخَّمُ به عضوٌ وتهزُلُ به البقيةُ الباقيةُ من الاعضاء.

وانَّ القسمَ الكبيرَ من الاحكامِ الماليَّةِ في الاسلام، يعمِدُ الى هذا الجانب، اي جانبِ المجابهةِ مع الحركةِ التكاثريَّةِ للمال. فحرمةُ الاسرافِ والتبذيرِ وافسادِ المالِ وتضييعه واكله بالباطلِ والرِّبا والاكتنازِ والاعتصابِ والتطفيفِ والظلمِ والحُكْرَةَ والإجحافاتِ السَّعريَّةِ وامثالِ هذه الاحكامِ انما شرَّعتْ لعللٍ وحكمٍ من عمديتها القضاءُ على الدَّورانِ

١ - الاختصاص / ٣٣٩.

٢ - مستدرک نهج البلاغة / ١١١.

السّرطانيّ للمال في الجسد الاجتماعيّ، وكذلك تحديد الرّيح، لأنّ من يترّيح على المشتري بكثيرٍ يمتصّ من دمه الحيائيّ الذي به يكون قوامه ودوام حياته، ولاجل ذلك يقول الامام الصادق «ع»: «ربح المؤمن على المؤمن ربا، الاّ ان يشتري باكثر من مئة درهم، فأربح عليه قوت يومك، او يشتريه للتجارة فأربحوا عليهم وأرفقوا بهم»^١.

نعم، إنّ المال لا يجوز أن ينصبّ في اكياس الطواغيت الاقتصادية وحلاقيهم فإنّ «لهم اجساداً لا تشبع» كما ورد في الحديث^٢. إنّ الاموال هي دماء الناس وقوام حياتهم، فليس من السّانغ أن تتبدّل الى ذرائع للطغيان والاستكبار الاقتصاديّ، وأن تجرّ بكثير من المسلمين الى معاناة حياة شقيّة تعسّة غير اسلامية، وأن تضجّ مادة للشهوات عند الأثرياء (المال مادة الشهوات)^٣. ومن الواضح أنّ المال الذي يصير مادة للشهوات، ليس هو القدر الذي يقوم به معيشة الفرد في حدّ كفاي وقوامي، او ما هو قوام للناس، بل هو المال الكثير الذي يوجد عند المتكاثرين . فنصل ممّا اوضحناه الى أنّ حرمة المال في الاسلام ليست غاية ذاتية بل هي غاية وسيلية، وانما تثبت للمال حرمة مادام كونه سبباً للحياة وقواماً لها، لا سبباً لفناء المجتمع وخذلان الجماهير . والمال المقدّس عنه فئة لا يكون الا سبباً لخذلان الجماهير . في هذا الصّوء، فإنّ حرمة المال في الاسلام لا تصبّح آلة في يد المتكاثرين والمتحمسين لهم بوجه، لتبرير اعمالهم من الاكتناز والتكاثر والأدخار وتحصين ما حصلوا عليه من اموال طائلة من هنا وهناك مما لا يبرّره الشرع، بل يكون على العكس من هذا .. والاسلام إنّما أكّد على حرمة المال و نافع عنها لغرض محاربة

١- الكافي / ٥ / ١٥٤ .

٢ - مكارم الاخلاق / ٥٢٦ ، من حديث النبي «ص» .

٣ - نهج البلاغة / ١١١٣ ؛ عبده ٣ / ١٦٤ .

التكاثر والاكتناز لا للموافقة عليهما . ولذلك نُشاهدُ أنّ التعاليمَ الحديثيةَ تُسمّي الاغنياءَ هالكين وامواتاً وشرارَ الامّة، لأنّهم يُحوّلون المالَ من صورتهِ الاصليةِ القواميةِ الى صورةٍ غيرِ اصليةٍ ومُهلكة .

ومن هنا نعلمُ أنّ المقاييسَ الرئيسيةَ لقيمةِ المالِ وحُرْمتهِ في النظامِ الاسلاميِّ والنظامِ التكاثريِّ متضادّة؛ ففي الاوّل يكونُ الانسانُ هو المقياسُ، والمالُ انما يُعدُّ محترماً مادام كونهُ في خدمةِ الانسان (وفي خدمةِ المجتمعِ الاسلاميِّ والاسلامِ تبعاً). وفي الثاني يكونُ المالُ هو المقياسُ، والانسانُ انما يُعدُّ محترماً ذا قيمةٍ مادام كونهُ ذامالٍ او في خدمةِ ذوي الاموالِ وفي استغلالهمِ وأسْرهمِ الاقتصاديِّ .

تذييل

الاحتياط في جمع الاموال واستهلاكها

إنّ الاحتياطَ في الاموالِ يَتَضَيّ أَنْ لا يُسْتَهْلَكَ الاموالُ في غيرِ مواضعِها القواميةِ، وأن لا يَجْتَمِعَ المقدارُ الكثيرُ منه عندَ احدٍ - كما مرّت الاشارةُ اليه ايضاً - لكي يتّلاخَمَ امرُ المالِ مع التحديدِ الالهيِّ له، ولا يَخْرُجَ عنه الى ضده، ولا يُحَرَّفَ عن مواضعه، ولا يُصَرَّفَ عن حقائقه - على حدِّ تعبيرِ مولانا الامامِ السّجّادِ «ع» كما يأتي بيانه . ومن هنا، فأين يتّلاخَمُ الاحتياطُ الشرعيُّ في الاموالِ عندَ المحتاطينِ من المُتشرِّعينِ مع تبريرِ تَكُدُّسِ الاموالِ عندَ الطّواغيتِ الماليينِ، او مع غُضِّ البصرِ عنها والتجاهلِ في امرها، باسمِ أنّهم مالكون؟ اين؟

وإذا لاحظنا التعاليمَ الحديثيةَ نراها - وفقاً للتعاليمِ القرآنيةِ - قد نَوّهتْ بقيمةِ المالِ واشادَتْ بها بعنوانِ الودائعِ الالهيةِ التي جعلها قواماً لمعايشِ الناسِ ومِصْحَةً لَهُمْ ولحاجاتهم، فلاجلِ ذلكِ قد صرّحتْ تلكِ التعاليمُ بالتأكيداتِ التالية :

- أ - التأكيد على حفظ الاموال من التلف والضياع .
ب - التأكيد على الاستفادة السالمة الاقتصادية من المال وتجنب الاسراف والتبذير والاستهلاك الزائد على القدر اللازم والاستهلاك الكمايي ..
ج - التأكيد على بذل المال وانفاقه بصور شتى .
د - التأكيد على أن سهام الفقراء إنما هي في اموال الاغنياء .
هـ - التأكيد على حفظ الجهات الشرعية في اقتناء الاموال .

٢ - شجب كون المال دولة بين الاغنياء : إنَّ صيرورة المال دولة امرٌ مرفوضٌ بنص القرآن الكريم والحديث الشريف . وإنَّ التكاثر المالي ليس الا كون الاموال دولاً بين حفنة من الأثرياء - كما هو واضح - وهذا امرٌ لا يُصارُ اليه في الاسلام باي اسمٍ صالحٍ تترس به الموسرون وتسترّوا به .

٣ - بعض مظاهر المال السلبية : إنَّ التعبير والتعاليم الواردة في هذا الفصل، تُرشد الى أن المال كما يكون إمداداً من الإمدادات الالهية، ومادّة للقيام الاجتماعي، وذريعة لتحقيق المصالح العامة، واداة لاداء التكليف الفردية، وعُدّة لِبث الخيرات وعمل الصالحات، وسبباً لبسط النواميس الحقة، وعوناً على نشر المعارف والعلوم وانجاز الاختراعات الناجعة، كذلك يكون سبباً سلبياً يوجب التميع والبطر والغطرسة، ومادّة فسادٍ يجترُّ الانسان الى المهالك، اذا لم تُراع فيه حدود الله سبحانه؛ واذا لم يُتحفظ خلاله على نواميسه واحكامه، ولم يُؤدبه حقوق الناس، ولم يتصرف فيه وفق الصالح العام ..

وسيمرُّ على القارئ الكريم - في هذا الباب - مايدلُّ على أن المال

إذا تَبَدَّلَ من كونه ذريعةً الى كونه غايةً وحَمَلَ صاحبه على الاكتنازِ والتكديسِ والاحتكارِ والاستغلالِ وسائرِ المظالمِ، يَصِيرُ من اكبرِ اسبابِ الشَّقَاءِ والسَّقَوطِ الفرديِّ والاجتماعيِّ . ولكي نأتي بشيءٍ من الايضاحِ نقول :

إِنَّ اللهَ تعالى، جَعَلَ الارضَ للانسانِ مهداً كبيراً هادئاً لَأَن يَعِيشَ فِيهِ وَيَمشِي فِي مَنابِجِهَا وَيَسْتَفِيدَ مِنْ نِعْمِهَا وَيُبْرِزَ مَوَاهِبَهُ . فعلى هذا إنَّ جميعَ ما في الارضِ - من النِّعمِ والمَوَاهِبِ - مُعَدٌّ للانسانِ لَأَن يَسْتَمْتِعَ بِهِ بِفِكْرِهِ السَّالِمِ النَّشِيطِ وَسَعِيهِ الْمَشْرُوعِ الْمُتَوَاصِلِ . والمالُ بهذا المنظارِ ظاهرةٌ ايجابيةٌ لها نتائجها الايجابيةُ للانسانِ، في سُدِّها لِلْعَوَازِ وتأمينِها لِلحاجةِ، لآظاهرةٌ سلبيةٌ ضارةٌ ومُضرةٌ .

والامرُ في واقِعِهِ ايضاً كذلك، لَأَنَّ الْمَالَ وَمَنابِعَهُ فِي النِّظَامِ الكونيِّ والتشريعيِّ، امرٌ ايجابيٌّ مفيدٌ، وله آثارٌ حياتيةٌ هامةٌ للانسانِ وللمجتمعِ الانسانيِّ، وهو من الامداداتِ الالهيَّةِ للانسانِ، الَّذِي يَعِيشُ على ظَهْرِ الارضِ لسدِّ ما يُهمُّهُ مِنَ الْعَوَازِ . بيدَ أَنَّ الانسانَ هو الَّذِي يُخْرِجُ الْمَالَ مِنْ مَوْضِعِهِ الْايجابيِّ النَّافِعِ وَيَسْتَعْمِلُهُ فِي مَوَاضِعٍ سلبيةٍ منحرفةٍ، فَيَبْدُلُهُ الى امرٍ سلبِيٍّ ذي اضرارٍ باهظةٍ . واخراجُ الْمَالِ مِنْ مَوْضِعِهِ الْايجابيِّ، الَّذِي يَقَعُ بِيَدِ الْانسانِ، إِنَّمَا يَقَعُ بِطُرُقٍ عديدةٍ، منها الاربعةُ التَّالِيَةُ :

- ١ - كميَّةُ الامتلاكِ .
- ٢ - كميَّةُ الامتلاكِ .
- ٣ - كميَّةُ الاستهلاكِ .
- ٤ - كميَّةُ الاستهلاكِ .

١ - راجع ايضاً: ما يأتي في آخرِ هذه النِّظرة، عندَ الكلامِ عن «مواضعِ المالِ».

نظرة الى الفصل الثالث ..

(١) - كميّة الامتلاك : إن امتلاك المقدار الباهظ من المال، لِمَا يُخْرَجُ المال من مداره ويبدل العامل الايجابي لتأمين حاجات الناس وحياتهم الى عامل سلبي يبيث الفساد والطغيان .

(٢) - كميّة الامتلاك : إن كميّة الامتلاك ايضاً من عوامل صرف المال عن حقيقته وتبديله الى عامل سلبي، إذ المال إنما خلق لان يمتلك بصورة صحيحة ومحدودة، حتى بالنسبة الى كميّة الامتلاك . فاذا امتلك بانواع الصور الزائفة كاستغلال الكادحين وتطفيف المكايل وبخس الحقوق، وبالاحتكار والاجحاف بالاسعار وبالمكاسب المحرمة وما الى ذلك، لا يكون جارياً في مجاريه الايجابية المعينة له .

(٣) - كميّة الاستهلاك : إن الاستهلاك الانحرافي الكمي ايضاً مما يُخْرَجُ المال من مداره اللائق به ويضر بوجودية المجتمع الماليّة، كالاسراف الكمي وصرف الكثير من المال فيما لا يسوغ .

(٤) - كميّة الاستهلاك : الاستهلاك الانحرافي الكمي مما يبدل المال الى عامل سلبي ايضاً، حيث يُخْرِجُه عن مسيرته الصحيحة، فيُضْرُّ بقيم المجتمع واخلاقه كالاسراف الكمي والتبذير، وتضييع المال واتلافه وصرفه لمقاصد سيئة ومفسدة، وفي الفحشاء والمآثم، وفي إشعال نيران الفتن والويلات، وفي سبيل مجابهة الحق والمُحِقِّين، ولِكَبْتِ دُعاة العدالة والثوار المصلحين، وللصد عن سبيل الله، وكانفاه رياء الناس، وكاستهلاك الامتعة الكمالية في حين ان في الناس من لا يجد أبسط الحاجيات وارخص الاشياء والاطعمة لسد رمق او بقاء حياة .

فعلى هذا البيان - المتخذ من تعاليم الكتاب والسنة - إن اصل المال الجاري في مداره الالهي ليس عاملاً للطغيان ولا مادة للشهوات ولا موجباً لفتنة او مفسدة، بل هو في حده الكفافي والقوامي، من جنود العقل ومن اسباب العفة والسداد، ومن بواعث الرشد الخلق والتفتح

العقلي والرقي الاجتماعي، لكنه اذا جاوز ذلك الحدّ ووقع في المواقع التكاثرية، يتبدّل الى جنود من جنود الجهل، ويصير مادّة للشهوات ومنشأ للفجور والمآثم، ومُنطلقاً للفتن والويلات. كذلك أصل المال، بالوصف المذكور، ليس من اسباب «الاختيال» و «الاغترار»^١ و«الإخلاق» الى الارض»^٢ بل إنّ حُبّه المؤدّي الى جمعه وتكديسه يكون سبباً لتلك الحالات الروحية الدميمة المهلكة^٣ ولاجل ذلك يُندد القرآن الكريم بمن يُحبّ المال حبّاً جمّاً ويأكله اكلًا لَمّاً^٤، ومن جمَعَ المال وعدده، ويحسب أنّ ماله أخلده. ^٥ ويُعدّ الامام عليّ «ع» إمساك المال فتنّة^٦، لا أصل المال واقتناءه المعتدلّ واحرازه من طُرُقِه المشروعة، للانفاق والخير.

وهذا الذي بيّناه، هو من اوضح الدلائل على أنّ الموضع التكاثري والتكديسي للمال، ليس موضعاً الهيئاً اسلامياً مشروعاً بوجه، وكذلك ليس موضعاً طبيعياً للمال، اذ موضع المال الطبيعي لا يخالف موضعه التشريعي، ضرورة تطابق الموضعين في جميع الامور و صحيحها، بل هو موضع تحريفي سلبّي. وهذا ما نصل اليه من معرفة الأثر والمعلول (بالبرهان الإنّي - على حسب المصطلح). فالمظاهر السلبيّة للمال إنّما تتأتى من عمل الانسان وكيفية تصرّفه فيه واعتدائه وطغيانه.

شرح لحديثين

الأول - لقد مرّ علينا قول النبيّ «ص»: «إِنَّمَا اتَّخَوْفُ عَلَى أُمَّتِي

١ و ٢ - ٣ - راجع: الفصل ١٧ و ١٨، من هذا الباب.

٤ - سورة الفجر (٨٩): ١٩ - ٢٠.

٥ - سورة الهُمزة (١٠٤): ٣.

٦ - غرر الحكم / ١٠١.

نظرة الى الفصل الثالث ..

من بعدي ثلاث خصال : أَنْ يَتَأَوَّلُوا الْقُرْآنَ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ، أَوْ يَتَّبِعُوا زَلَّةَ الْعَالِمِ، أَوْ يَظْهَرَ فِيهِمُ الْمَالُ حَتَّى يَطْفُوا وَيَبْطُرُوا^(١). وفقه الحديث يكلفنا بآن نَمَعِنَ النَّظَرَ فِيهِ وَفِي تَعَابِيرِهِ، حَتَّى نَصِلَ إِلَى مَغَازِيهِ وَتَعَالِيمِهِ، خُصُوصاً تِلْكَ الَّتِي تُشِيرُ إِلَى سَلْبِيَّاتِ الْمَالِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ :

إِنَّ قَوْلَهُ «ص» : «أَوْ يَظْهَرَ فِيهِمُ الْمَالُ..»، إِشَارَةٌ إِلَى النَّزَعَاتِ التَّكَاثُرِيَّةِ فِي الْمَجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ وَصِيْرُوَةِ الْمَالِ وَطَلْبِهِ وَامْتِلَاكِ الْكَثِيرِ مِنْهُ أَمْوِراً سَائِئَةً مَشْهُودَةٌ. وَهَذَا الظُّهُورُ لِلْمَالِ يُرَادُ بِهِ جُنُوحُ أَنْاسٍ إِلَى الْحَيَاةِ التَّكَاثُرِيَّةِ وَالتَّرْفِيَّةِ بَتَبْنِي الرِّأْسَالِيَّةِ، وَسِيَادَةِ هَذِهِ الظُّوَاهِرِ الْمُدمَّرَةِ فِي شُؤْنِهِمْ. وَتِلْكَ الْحَالَةُ الْاجْتِمَاعِيَّةُ الْاِقْتِصَادِيَّةُ لِأَسْوَدٍ إِلَّا بَأَنَّ تُسْنَى مَوَاضِعَ الْمَالِ وَتُرْفَعُ الْحُدُودُ عَنْ كَسْبِهِ وَامْتِلَاكِهِ، وَتُزَاحَ الْعُقُبَاتُ عَنْ مَسِيرَةِ تَضَخُّمِهِ عِنْدَ قِطَاعٍ، وَتُطْلَقَ أَيْدِي التَّجَارِ وَالْمُسْتَوْرِدِينَ وَالْمُنْتَجِحِينَ وَأَصْحَابِ الْمَعَامِلِ وَأَهْلِ الْمَوَاهِبِ الْفَعَّالَةِ النَشِيطَةِ فِي الْمَجَالَاتِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ، لِأَنَّ يَجْمَعُونَ مِنَ الْمَالِ مَا يَشَاؤُونَ، وَيَسْتَهْلِكُوا مِنْهُ مَا يُرِيدُونَ، وَيُحِبُّونَ، هُمْ وَذَوَاهِمَ، وَيَسْتَنْدُوا إِلَى الْحُرِّيَّةِ فِي الْاِمْتِلَاكِ وَالِاسْتِهْلَاكِ، وَيَتَحَمَّسَ لِهَذَا الضَّلَالِ الْاِقْتِصَادِيِّ مِنْ يَتَحَمَّسَ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يُوَاجِهُ الْجَمَاهِيرُ خَطراً عَظِيماً يَعُدُّهُ النَّبِيُّ الْهَادِي «ص» سَبَباً لِلطُّغْيَانِ وَالِاسْتِكْبَارِ وَالْبَطْرِ، وَيَجْعَلُهُ فِي عِدَادِ فَادِحَتَيْنِ هُمَا مِنْ اعْظَمِ الْفَوَادِحِ :

١ - تَأْوِيلَ الْقُرْآنِ عَلَى غَيْرِ مَا هُوَ عَلَيْهِ .

٢ - اتِّبَاعَ زَلَّةِ الْعَالِمِ وَخَطَاةَ .

وَذَلِكَ لِأَنَّ هَاتَيْنِ الْفَادِحَتَيْنِ تُسَبِّبَانِ مَسْخَ الْإِسْلَامِ وَفَضَمَ عُرَاهُ - كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ . وَكَذَلِكَ سِيَادَةُ الْمَالِ فِي الْمَجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ وَذِيُوعُ النَّزَعَاتِ التَّكَاثُرِيَّةِ وَالْحُرِّيَّاتِ الْمَالِيَّةِ، فَأَنَّهَا أَيْضاً تُسَبِّبُ وَتُمَهِّدُ لِلْقَضَاءِ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَجُنُوحِ النَّاسِ لِلتَّخَلُّصِ مِنْ مَخَالِبِ الطُّوَاعِثِ الْمَالِيِّينَ

وعدوانهم الى مبادئ وافكار الحاديّة مُغريّة، لا سَمَحَ اللهُ . فالحقُّ مع الهادي الاكبر «ص»، حيث يَخَافُ على الأُمَّة من ظهورِ المالِ فيهم، وصبروتِه اصلاً وغاية .

ومن اللّاحِبِ أن ديناً يُعَدُّ سيادةَ المالِ وإِحرازَه الاهميّةَ خطراً كبيراً مساوفاً لتأويلِ القرآنِ وصرفِه عن مقاصده التّعليميّة والتربويّة وهداياته المقصودة، لا يُسبَبُ هو بنفسه - وباحكامه وفقاهته - لايّ نوعٍ من انواعِ الامكانيّاتِ لهذه السّيادة المُدمّرة، ولا يُبرِّرُ أيّةَ صورةٍ من صورِ التكاثر، ولا يدعّمُ كيانَ المتمولّين والمتكاثرين .

إنّ هذه الاحاديثَ المتعاضدةَ بالقرآن، وما فيها من التّعاليمِ المُشرّقةِ والهُدَى البَنَاءِ، تُرشدُ المجتمعَ الى أن رسالةَ الدّينِ وسياسته الاقتصاديّة ليستا الا تركيزَ الملكيّةِ في إطارها القوامي، والرّقابةَ على إجراءِ المالِ في مسيراتٍ مقتصدةٍ معتدلةٍ في مدارٍ طبيعيّ، يُمَوِّنُ المجتمعَ ويؤمّنُ معاشَ النَّاسِ في جميعِ قطاعاتهم، حتى لا ينتهي الامرُ الى «ظهورِ المالِ» وطُغيانِ اصحابه وبَطْرِهِم، في حالةٍ توجّدُ الى جانبهم زرافاتٌ وزرافاتٌ لا تَجِدُ الاَفْتاتَ العيشِ الزّهيدِ .

فعلى هذا المقياس، يُصِبِحُ كلُّ رأيٍ او نظريّةٍ او فتوىٍ او اتّجاهٍ يَسْتَهْدِفُ تحديداً المالَ وَيَشْجُبُ ظهورَه وتكاثرَه وَيَرَدُّعُ تضخُّمَه وكنزَه، اسلامياً ملتزماً، وكلُّ ما كان على العكسِ من هذا فهو على العكس، من ايّ شخصٍ كان . فلا اعتبارَ لايّ رأيٍ، امامَ القرآنِ وآياته والنبيِّ وسُننِهِ واقوالِهِ . اذا كان النبيُّ «ص» - وهو الأسوة - يَخَافُ على الأُمَّة من ظهورِ المالِ فيها ومن الاتّجاهاتِ التكاثريةِ الاترافيةِ والاستهلاكاتِ اللّاهيةِ الاسرافيةِ، النَّاتِجةُ عن سيادةِ المالِ في المجتمع، فكيف يُمكنُ أن تكونَ هذه الظواهرُ مُسوَّغةً في شريعتهِ الحكيمه؟

الثّاني - واليك نموذجاً آخرَ من التّعاليمِ النّبويّةِ الحاسمةِ والهداياتِ

نظرة الى الفصل الثالث ..

الحكيمة: «ما أَخْشَى عَلَيْكُمُ الْفَقْرَ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمُ التَّكَاثُرَ»^١؛ أَنْظِرْ الى هذا التَّعْلِيمِ نَظْرَ امْعَانِ، وَرَاقِبِ اللَّهَ فِي فَهْمِهِ وَالتَّفَقُّهِ فِيهِ، حَتَّى لَا تَصْرِفَ هَذَا التَّعْلِيمَ وَامْتَالَهُ - السَّائِرَةَ مَعَ الشَّمْسِ فِي الْإِشْرَاقِ عَلَى الْحَيَاةِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَتَنْمِيَةِ الْمَوَاهِبِ الْبَشَرِيَّةِ - إِلَى مَفَاهِيمٍ اخْلَاقِيَّةٍ لِإِضْمَانِ لِتَطْبِيقِهَا الْإِقْلَبَ عَقُولُ أَوْ سَمْعٌ وَاعٍ!

أَيَقُولُ النَّبِيُّ «ص»: «مَا أَخْشَى عَلَيْكُمُ الْفَقْرَ وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمُ التَّكَاثُرَ»^٢، وَنَحْنُ لَا نَكْتَرِثُ لِلتَّكَاثُرِ وَلَا نَجْبَهُ الْمُتَكَاثِرِينَ، وَلَا نَخْشَى عَلَى الْأُمَّةِ - وَلَا سِيَّمَا ضِعْفَاءَهَا - مِنْ مُضَاعَفَاتِ الْغِنَى الْمَفْرِطِ وَالتَّكَاثُرِ وَالحَرِيَّاتِ الْبَاهِظَةِ فِي الْإِمْتِلَاقِ وَالاسْتِهْلَاقِ، الْمُسْتَبْعِبَةِ لِلِاسْتِغْلَالِ وَالِامْتِصَاصِ، وَنَحْسَبُ أَنْفُسَنَا مُتَفَقِّهِينَ فِي الدِّينِ، حَافِظِينَ لِأَحْكَامِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، مُحَامِينَ عَنْ حَقُوقِ الْمَحْرُومِينَ وَالمُسْتَضْعَفِينَ؟!

أَيَقُولُ النَّبِيُّ «ص»: «مَا أَخْشَى عَلَيْكُمُ الْفَقْرَ وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمُ التَّكَاثُرَ»، وَنَحْنُ لَا نَضْعُ أَيَّ قَانُونٍ لِشُجْبِ التَّكَاثُرِ، وَلَا نَكْفُحُ غَاصِبِي أَمْوَالِ النَّاسِ بِاسْمِ الْبَيْعِ وَالِاسْتِيرَادِ الشَّرْعِيِّينَ، وَلَا نَرَى عَلَى عَاتِقِنَا أَيَّ وَاجِبٍ فِي هَذَا الْمَجَالِ؟!

كَمْ وَرَدَتْ فِي الْإِحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ كَلِمَاتٌ دَامَةٌ لِلْفَقْرِ، مُبَيِّنَةٌ لِسُلْبِيَّاتِهِ، وَمَعَ ذَلِكَ يَقُولُ النَّبِيُّ «ص»: «بَلْفِظٍ صَرِيحٍ: «مَا أَخْشَى عَلَيْكُمُ الْفَقْرَ...»، لِمَاذَا؟ لَعَلَّهُ لِكُونِ الْفَقْرِ ظَاهِرَةً غَيْرَ أَصْلِيَّةً فِي الْمَجْتَمَعِ بَلْ هُوَ ظَاهِرَةٌ مَفْرُوضَةٌ يَفْرُضُهَا التَّكَاثُرُ وَالْغِنَى الْمَفْرِطُ. فَإِذَا كُوفِحَ التَّكَاثُرُ وَشُجِبَ لَا يَبْقَى لِلْفَقْرِ عِلَّةٌ. وَمَا لِأَعْلَةٍ لَهُ لَا وَجُودَ لَهُ. نَعَمْ، لَا يَوْجَدُ الْفَقْرُ فِي مَجْتَمَعٍ عَادِلٍ إِسْلَامِيٍّ غَيْرِ تَكَاثُرِيٍّ، كَمَا يَقُولُ الْإِمَامُ عَلِيُّ «ع» فِي وَصْفِ الْحَكْمِ

١ - جاء الحديث في بعض المجاميع الحديثية، وهو مطابق للمحتوى القرآني في «سورة التكاثر».

٢ - والحديث السابق الذي مرَّ شرحه يرمي الى هذا الغرض - كما هو واضح - فهما متعاضدان، مضافاً الى احاديث كثيرة وآيات قرآنية وردت في الموضوع.

الاسلامي السّالم: «لَوْ أَقْبَسْتُمْ الْعِلْمَ مِنْ مَعْدِنِهِ .. وَسَلَكْتُمْ الْحَقَّ مِنْ نَهْجِهِ .. مَا عَالَ فِيكُمْ عَائِلٌ ..»^١. وكما جاء في الاحاديث، انه لا يرى محتاج الى الزّكاة^٢ في زمن الحُكم الاسلامي الخالص (اي زمن المهدي المنتظر «ع»، الذي بَشَرَ بمجيئه النبي «ص» - كما ورد في صحاح المسلمين ومسانيدهم). نعم، لا يبقى بعد سَحَقِ التّكاثر والاطراف والاسراف والاحجاف فقرٌ حتى يُخشى منه. ولعلّ هذا معنى قول النبي «ص»: «ما أخشى عليكم الفقر ..»، والآفان النبي «ص» «أحنّ على الأُمَّة وأرأف على ضعفائها وعجزتها ومستضعفها، من أن لا يخشى عليها الفقر، وهو الذي يقول: «الفقر أشدُّ من القتل»^٣، ويقول: «اللهم اني اعوذ بك من الجوع، فإنه بئس الضّجيع»^٤. فلا يمكن ان لا يخشى النبي الحنون على الأُمَّة، الحريص عليها، من الفقر، وهو أشدُّ من القتل، او من الجوع، وهو بئس الضّجيع؛ لكن لا فقر بعد شجب العدوان المالي والاقتصادي، من الذي ينشأ من التّكاثر والاطراف والاسراف.

٤- لا يجتمع المال الكثير من حلال: هذا مقتضى التعاليم الاسلاميّة، وقد نصّت الاحاديث عليه - كما جاء نموذج منها في الفصل. وانّ الفقه الذي يعدّ عدّة من المكاسب محرمة، ويعتقد بالمحدودية الكيفيّة للمتلاك، فلا بدّ له من أن يعتقد بالمحدودية الكميّة له ايضاً، إذ الكيف والكم في الاقتصاد والقضايا الماليّة متلازمان.

اجل، إنّ الآثار السّلبية المذكورة في الآيات والاحاديث للمال الكثير، من الإلهاء وموت القلب والاستكبار ونسيان الآخرة - الى كثير ممّا

١ - مستدرک نهج البلاغة / ٣١.

٢ - البحار ٥٢ / ٣٩٠.

٣ - البحار ٧٢ / ٤٧، عن «جامع الاخبار».

٤ - المستدرک ٢ / ٩٩؛ مضافاً الى قوله «ص»: «كاد أن يكون كفراً».

ذُكِرَ في الفصولِ المناسبة^١ - لا تدعُ مجالاً للجُحوحِ الى تسويغِ جمعِ المالِ والاكثرِ منه وتركِ انفاقه . اِضْفِ الى كُلِّ تلكِ الآثَارِ السَّاحِقَةِ اموراً :
١ - أنَّ المَالَ الكَثِيرَ يَنْفِي الاعتدَالَ النَّفْسِيَّ وَيُؤدِّي الى الفَسَادِ الخُلُقِيِّ والرُّوحِيِّ .

٢ - أَنَّهُ يوجبُ فسادَ الدِّينِ وضعفَ اليقينِ .

٣ - أَنَّهُ يوجبُ الفقرَ والحِرمانَ وتفشِّيهِما في الناسِ .

٤ - أَنَّهُ يُضادُّ القسطَ الذي كانتِ اقامتُهُ من اعظمِ مقاصدِ الانبياءِ .

٥ - أَنَّهُ يوجبُ هلاكَ الفردِ، فَيُضادُّ غاياتِ الدِّينِ، لانَّ الدِّينَ جاءَ لنجاةِ الانسانِ وانقاذه فلا يُبرِّرُ ما يُسَلِّمُهُ الى الشَّقَاوَةِ والهَلَاكِ^٢. وانَّ نفسَ الفَسَادِ والهَلَاكِ يكفي لانَّ يَكُونَ سبباً للحُرْمَةِ، كما يقولُ الامامُ ابو الحسنِ الرِّضَا «ع» : «وَجَدْنَا الْمُحَرَّمَ مِنَ الاشياءِ ما لا حاجةَ للعبادِ اليه، وَوَجَدْنَا داعياً الى الفناءِ والهَلَاكِ ..»^٣ .

٥- تحريف المال عن مواضعه وصرفه عن حقائقه : لقد وضح مما سلف من الابحاثِ أَنَّ المجتمعَ في نظري الاسلام، واحدٌ منسجِمٌ تتلائمُ اجزأؤه، ويتمتعُ كُلُّ عناصرِه بتلاحمٍ عميقٍ وتشابكٍ وثيقٍ، كتلاحمِ الجسمِ وخلاياه، وكالتلاحمِ الموجودِ في النظامِ الحاكمِ على الكونِ . وهذه الوحدةُ والتلاحمُ توكبانِ الفطرةِ الانسانيةِ وما للافرادِ من الخصوصياتِ الروحيةِ والجسميةِ توكباً كاملاً . فالفردِ في المجتمعِ الاسلاميِّ يكونُ كعضوٍ للجسدِ الكبيرِ، والمجتمعُ الاسلاميُّ هو الجسدُ الكبيرُ الذي تدمجُ فيه الاعضاءُ والاجزاء .

١ و ٢ - راجع : الفصول ٨ الى ١٨ ، من هذا الباب .

٣ - عللُ الشرائع / ٥٩٢ : البحار ٦ / ٩٣ . والضبط اخذناه من «البحار» ، لانه اصح . راجع بهذا الصدد ايضاً : الفصل ٤٠ ، من هذا الباب .

فبناءً على هذا الواقع الرَّاهن، يُحدِّد الإسلام كلَّ شيء - فرديٍّ او مجتمعيٍّ - ويُعيِّن له موضعاً خاصّاً به وموقعيّةً تخصّه، ويؤكد على المحافظة عليهما، حتى لا يَنْتَلِمَ ذلك التّلاحُمُ الموجودُ في الواحدِ الكبير (المجتمع) . ومتابعَةً لهذا الاصل، فإنَّ الإسلامَ لا يعترفُ بالصّحّةِ لأيِّ شيء، من مالٍ او غيره، الا اذا وَقَعَ في موضِعِهِ اللَّائِقِ به، من غيرِ ايِّ تجاوزٍ او قصور . وهذا الحُكْمُ جارٍ في الظّواهرِ الاجتماعيّةِ بوجهٍ اخصّ . وهذا اصلُ هامٌّ في اطارِ التّعاليمِ الاسلاميّةِ، يَجِبُ أن يكونَ دائماً مقياساً من المقياس .

ففي هذا الضوء، يُضحى المال في الإسلام ايضاً ذا موضعٍ محدودٍ وحَقْلٍ مُؤشِّرٍ، يُضادُ الحُرّيّةِ واللامحدوديّةِ، وذلك لانَّ هذا الدّينَ يَعْمَدُ الى صُنْعِ مجتمعٍ قائمٍ بالقسطِ، فيُعَيِّنُ للمالِ وامتلاكه وامساكه حدوداً كفيّةً وكميّةً، حتى يَتَسَنَّى صُنْعُ المجتمعِ المذكور . ومن هنا نَكشِفُ أنَّ المذهبَ الاقتصاديَّ الاسلاميّ (وقضيةُ الاقتصادِ من اهمِّ القضايا الاجتماعيّةِ التي لهادورها المصيرِيُّ الحاسمُ في تحسِينِ مصائرِ المجتمعِ او تشويهها، وتحصِينِ قيمِ الانسانيّةِ او تضييعها)، ليس مسائلَ مُعَثِّرةً هنا وهناك، بل هو نظامٌ محدّدٌ خاصٌّ ذو تماسكٍ وثيقٍ، وله وشيخُ صلاته بسائرِ اقسامِ المجتمعِ ومساائله، كما أنَّ له صلاته الصّميمةَ بسائرِ اقسامِ الإسلامِ واحكامه . وانَّ السّياسةَ الماليّةَ في الإسلامِ تلتئمُ مع سائرِ سياساته وبرامجهِ وتجاوُبُ معها تجاوُباً كاملاً .

ومن لوازمِ الحُكْمِ والعدالةِ الالهيةِ الحاكمةِ على نظامِ التّشريعِ الاسلاميّ ايضاً، أن تكونَ للمالِ مواضعٌ وأن تُحطَّطَ له مسيراتٌ، اذ الإسلامُ من أقوى الدّعاة الى العدل - في تاريخِ الانسانِ الطّويل - والعدلُ وضعُ الشّيءِ في موضِعِهِ، كما يقولُ الامامُ عليٌّ «ع» : «العدلُ يضعُ الامورَ مواضعها» . فليس من المعقولِ ان لا يُحدِّدَ الإسلامُ للمالِ حدوداً، وان

لا يُعَيَّن له مواضع، وَأَنْ يُقَرَّ بِالْمَلِكِيَّاتِ الْحُرَّةِ وبالوَانِ الاستغلال والاستهلاك من دونِ اَيِّ تَأْشِيرٍ او حَدِّ .

ولقد سَلَفَ أَنَّ الْمَالَ فِي نَظَرِ الْإِسْلَامِ هُوَ الْقَوَامُ لِلنَّاسِ وَلِلْمَجْتَمَعِ .
وَمِنَ اللَّاحِبِ أَنَّهُ لَا يَكُونُ شَيْءٌ قَوَامًا لِشَيْءٍ إِلَّا إِذَا كَانَ مُحَدَّدًا مُؤَشَّرًا، فَمَا
لِأَحْدُودٍ لَهُ فِي نَفْسِهِ لِأَقْوَامٍ لَهُ . وَمَا لِأَقْوَامٍ لَهُ فِي نَفْسِهِ لَا يَكُونُ قَوَامًا لِغَيْرِهِ؛
فَعَلَيْهِ يُضْحِي مِنَ الْبَدِيهِيِّ الضَّرُورِيِّ أَنَّ الْمَالَ أَمْرٌ مُحَدَّدٌ فِي الْإِسْلَامِ، قَدْ
جُعِلَ لَهُ حَدُودٌ فِي أَصْلِهِ وَامْتِلَاكِهِ وَمَقَادِيرِهِ وَطُرُقِ اقْتِنَائِهِ وَكَيْفِيَّةِ اسْتِهْلَاكِهِ
وَمَصَائِرِهِ، فَهَلْهُ مَوَاضِعٌ حَقِيقِيَّةٌ فِي عَالَمِ التَّشْرِيعِ الْإِسْلَامِيِّ . وَالْأَمْرُ فِي
نَفْسِ الْوَاقِعِ التَّكْوِينِيِّ أَيْضًا هَكَذَا .

وهذا مغزى التعليم الذي القاه علينا الامام علي بن الحسين
السَّجَّاد «ع»، حيث يجعل من حقوق المال - في رسالته المعروفة في
«الحقوق» - أن «لا تُحَرَّفَهُ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَلَا تُصَرِّفَهُ عَنْ حَقَائِقِهِ»! . فهناك
تحريف اقتصادي وتبديل في صرف المال عن حقائقه، يُنبه عليهما هذا
التعليم . وأين تلتئم هذه المواضع المحدودة للمال، مع الملكيات الحرة
التكاثرية والتصرفات الاترافية والاستهلاكات الباهظة غير الواقفة عند
حدٍّ أو مقدار، مما تنشأ وتنمو وفق الميول والاهواء الارستقراطية،
الموجودة في نفوس قوم يملكون ما يشاؤون، بمقدار ما يشاؤون،
ويستهلكون ما يشاؤون، كيفما يشاؤون؛ ويستغلون الطبيعة ونعم الله
وارزاق العباد والصناعات البشرية والانسان الكادح .

ومن المؤسف حقا انهم يريدون أن يوحوا للناس أن كل ما يعملونه
ينسجم مع الدين . وهناك من يتحمس لهم في هذا الدجل ايضا، غافلا او
منحازا، مع أن الحرية المالية تبدل وتُحَرَّفُ مواضع المال التي ارادها الله .
فليست هي الا إخراج المال عن مواضعه وصرفه عن حقائقه وهو ظلم -

لأنّه وضع الشيء في غير موضعه - والظلم هلاك (هل يهلك الآ القوم الظالمون؟)، والعدل حياة، كما يقول الامام عليّ «ع»: «العدل حياة»^١.
والاسلام لا يواكب الظلم في اي شكل كان، سياسياً او اقتصادياً. ولا يعترف الدين الالهي لالفرعون وهامان ولا لقارون على السواء.

اشارات وتنبهات

١ - أنّ مواضع المال في مذهب الاسلام الاقتصادي، ليست كمواضعه في مذهب الاقتصاد الاشتراكيّ او الرأسماليّ. وهذا امر واضح، يجب أن يكون هكذا ولا غير. وذلك لأنّ مواضع المال في دينك المذهبيّ لا يقصدُ بها الا تأمين حياة الشعب الاشتراكية - على ما يدعون - او تأمين منافع الفئة المالكة. اما مواضع المال في الاسلام، التي عينها الدين في خطّه الكليّ العامّ، فهي تستوعب الحياة الفرديّة والاجتماعية، في بعدّيها المادّيّ والمعنويّ معاً، وبذلك الاستيعاب تلتحم مع سائر ابعاد وجود الانسان ومثطلباته المُنوّعة، فكما أنّ تأمين حياة الانسان المادّيّة كان مقصوداً من جعل تلك المواضع وتحديدّها، كان تأمين حياته المعنوية وحاجاته الاخلاقيّة ايضاً مقصوداً، وكانت الظواهر النفسية وتهذيبها وتصعيدها ايضاً مهتمّاً بها ومؤكدّاً عليها. ولذلك نرى أنّ التعاليم الاسلاميّة تشجّب الغنى التكاثريّ لعلل، منها أنّه يوجب سُكْرَ العقلِ وفسادَ الدينِ وقسوة القلبِ والتغطُّرْسَ والعُجْبَ وفقدانَ الاحساسِ وامثالها من الاسقام والامراض المعنوية، فالغايات التي يتبنّاها الاسلام من تعيين المواضع للمال، ليست منحصرّة في الحقول المادّيّة فحسب، بل تتعدّها

١ - سورة الانعام (٦): ٤٧.

٢ - غرر الحكم / ١٥.

نظرة الى الفصل الثالث ..

الى الحُقولِ الرُّوحِيَّةِ . والاسلامُ ينظُرُ الى كلا الحَقْلينِ نظراً واحداً، فهو حينما يُعيِّنُ مواضعَ للمالِ وامتلاكِه وحدوداً لاستهلاكِه يَعِدُّ الى امرين :

١ - تصحيحِ الاخلاقِ الانسانيةِ .

٢ - تنظيمِ المعيشةِ الانسانيةِ .

وهو بذينك التَّحديدين - الامتلاكِ والاستهلاكِ - يَسُدُّ البابَ امامَ الاخلاقِ الرَّذيَلَةِ النَّاشِئَةِ من كثرةِ الامتلاكِ وتَرَفِ الاستهلاكِ . وكذلك يَسُدُّ البابَ امامَ الاخلاقِ الرَّذيَلَةِ النَّاشِئَةِ من الفقرِ والإملاقِ . وبهذا المنهجِ يَنميُّ الهُوِيَّةَ الفِطْرِيَّةَ للانسانِ - وهي هُوِيَّتُه الخالصةُ المعتدلةُ - وَيَفْتَحُ امامَها آفاقَ التَّفَتُّحِ، وَيُحَلِّقُ بالشخصِيَّةِ الانسانيةِ الى اوجِ، وَيَسْحَدُ عواطفَها الباطنةَ السَّامِيَةَ، وَيُمَدُّ الانسانَ لانَّ يَبْرِرَ مواهبَها الرُّوحانيةِ من القُوَّةِ الى الفعلِ . اجل، انَّ الاسلامَ يَحسِبُ حسابَ الصَّلَاتِ العميقةِ بينَ المالِ وبينَ هذه الامورِ سلْباً وايجاباً، ثُمَّ يَعينُ للمالِ - في جميعِ شؤونهِ - مواضعَ، وَيُؤكِّدُ على انَّ لا يُحَرَّفَ المالُ عن مواضعِه؛ وَيَرى انَّ له حقائقَ وحدوداً، فَيَدْعُو الى ان لا يُصَرَّفَ عن حقائقِه ولا يُتَعَدَّى عن حدودِه .

وعلى هذا الاساسِ القويمِ تَتَشابَهُ المواضعُ الالهيةُ الانسانيةُ للمالِ مع جميعِ ما للانسانِ من مصالحَ لازمةٍ من كلِّ جانبِ، اي الجانبِ الرُّوحِيِّ والقلبيِّ والجسميِّ والمادِّيِّ والخُلُقِيِّ والاقتصاديِّ والفردِيِّ والمجتمعيِّ والمعاشيِّ والمعاديِّ، وَيَتجاوَبُ كُلُّ واحدٍ من هذه الجوانبِ مع الجوانبِ الأخرى تَجاوِباً بديعاً بناءً .

وبهذه الصُّورةِ الجامعةِ الحكيمةِ البِناءِ الَّتِي يُضفيها الاسلامُ على الاموالِ ومواضعِها، يَتَميِّزُ المذهبُ الاقتصاديُّ الاسلاميُّ عن سائرِ المذاهبِ الاقتصاديةِ - الماديةِ الاشتراكيةِ والرَّاسماليةِ الليبراليةِ - تمايزاً باهراً جوهرياً وعميقاً، لَنَّ تلكَ المذاهبِ تَبتني على انكارِ المواضعِ «الالهيةِ - الانسانيةِ» و«الماديةِ - المعنويةِ» للمالِ ونفيها - كما سلف -

وبذلك الانكار والنفي تبتعد عن الانسان وحياته الروحية، بل تصادمها وتضادها. ولقد مضى في الجزء الاول ان واقع الوجود الانساني واقع مركب من جسم وروح ومادّة ومعنى وطبيعة وفطرة؛ ومن المعلوم ان نفي احد جزئي المركب بمعنى نفي المركب نفسه. فمن انكر الجانب الجسمي للانسان واهمل مصالحه وحاجياته، فقد انكر الانسان بالذات واهمله. وكذلك من انكر الجانب الروحي والمعنوي منه ايضاً فقد انكر الانسان واهمله. فعلى اساس هذا الواقع، ان المذاهب الاقتصادية التي تنكر الجانب المعنوي للانسان وتتصدى لان يعين الانسان على حياته المادية الجسمية وحاجياتها - على فرض صدقها في هذه الدعوى والعمل على تطبيقها - قد انكرت الانسان بالذات ونفته، ونفت كل مقوماته المعنوية وحاجياته المنبعثة من اعماق ذاته وخمائر فطرته واصل جوهره، فهي لا تؤمن غنى الانسان الاصلي، بل تجعله بالنسبة اليه فقيراً. فلانكار المذكور يسف بالاعتقاد الى هوة المادية السحيقية، ويفضله عن القيم الاخلاقية والمثل الانسانية التي هي نور الحياة الالامع، وشعاعها السنّي. والاعتقاد المفصول عن القيم والمثل لا يلبق بشأن الانسان، كما ان القيم والمثل المفصلة عن الاقتصاد، لاتضمن للانسان قواماً ولا للمجتمع كياناً.

٢ - من الفوارق الهامة التي نشاهدتها بين مذهب الاسلام الاقتصادي والمذهبيين الآخرين، ان المال في الاول سائر في مداره الطبيعي، وهو الحد القوامي الذي يكون سبباً لحياة الفرد وبقاء المجتمع، مع ان الامر في الآخرين ليس كذلك، لان المال في النظام الراسمالي لا يحد بحد ولا يقدر بمقدار، فيكثر عند فئة قليلة حرة في الاستغلال والاستهلاك وينمو نمو السرطاني، فيخرج عن حده القوامي الحياتي، وبذلك ينقسم المجتمع الى قسمين غير متجانسين كما وكيفا: الى

نظرة الى الفصل الثالث ..

قطاعات كثيرة ساقطة في مهاوي الاملاق والفقر، وفئة قليلة غارقة في
أبحر التكاثر، متمرّغة في عرصات البدخ والاطراف؛ وبالتعبير القرآني:
المال والناس. الملائم الفئة الثرية والناس هم القطاعات البائسة.
في هذا الضوء، يكون اللازم الجوهرى للنظام الرأسمالي هو تحريف
المال عن مواضعه، اذ المال يتحوّل فيه من عامل قوام المجتمع وثباته
السالم، الى عامل تلاشيه وانهيائه، ومن عامل تنظيم الصلات
الاقتصادية بين الناس وتعديلها، الى عامل توتر تلك الصلات وتنافيها.
والامر في المذهب الاشتراكي كذلك، حيث انه أيضاً يحرف المال
عن مواضعه، لأن قطع يد الانسان الحر عن اي نوع من الامتلاك والكسب
واقتناء المال والامتعة، واعطاءه شيئاً من حاجياته، ثم استعماله كاداة معدّة
للعمل في المصانع والمعامل والمزارع (والضغط على عواطفه
وايمانه)، ليس الا اهانته للانسان وكرامته، وتحريفاً للمال عن مواضعه، مع
ما فيه من سلخ الانسان عن فطرته وفصله عن جوهره، ونفي سلطته على
نفسه وماله، وحرمانه من حياته الخالدة وسعادتها.

٣ - من الآثار السلبية لتحريف المال عن مواضعه في المذهبين،
تحويل الوسيلة الى غاية، فإن المال اذا فصل عن موضعه الحقيقي - وهو
كونه ذريعة للحياة ومصحة للناس - الى غاية متبناة للانسان او الدولة، او
للحفنة الثرية، يتحوّل الفرع التدرعي الى الاصل الغائي. وعند ذلك
لا يبقى المال حبه وطلبه للانسان المحب له، العابد للدرهم والدنانير - او
التوامين، او الليرات، او الدولارات - فراغاً لطلب القيم الانسانية والمثل
المعنوية. وكذلك لا يبقى مجال لطلب الفضيلة والخير عند البائسين
والفقراء. وعند ذلك ينجرّ الامر الى وضع أشنع وحالة أسوء، لأن تحريف
المال عن موضعه يؤدّي الى تحريف الانسان عن موضعه، والانسانية عن
موضعها ايضاً، فيصير الانسان وحياته السليمة - اللذان كانا هدفاً وغاية -

وسيلةً، ويصيرُ المال - الذي كان وسيلةً وذريعة - هدفاً وغاية، وبألها من خسران؟!!

نعم، إنَّ المالَ في المذهبين يصيرُ غايةً لكلِّ حركةٍ واتِّجاه، حتّى الحركاتِ الفكريةِ والثقافيةِ، إمّا من ناحيةِ الحُكمِ أو الرأسماليين . ويُعدُّ هو المقياسُ لكلِّ امر، حتّى إنَّ المعنويّاتِ والدينَ لا تُقيّمُ عندهم إلاّ بمعاييرَ مادّيّةٍ وماليّةٍ، كما كان سابقوهم يقولون : «إنَّ اللهَ فقيرٌ ونحنُ اغنياءُ»، و«فلولا ألقيَ عليه أسورةٌ من ذهبٍ؟»^١.

وعند ذلك تُصبحُ القيمُ الانسانيةُ والمقاييسُ المعنويةُ لا تُعدُّ شيئاً يُعتدُّ به ويُركنُ اليه، ولا يكونُ الانسانُ مُحتملاً لمركزه الحيائيِّ اللائق، لأنّه يُصبحُ أداةً للاستغلالِ والانتاج - في الاقتصادِ الاشتراكيِّ - أو خازناً للمالِ وأرباحه - في الاقتصادِ الرأسماليِّ - نعم، ليس هو الأُعبوةُ بيدِ الحُكّامِ الرأسماليين وشركائهم، أو الأُعبوةُ بيدِ رجالِ الحزبِ الحاكمِ في النظامِ الشيوعيِّ . وهذا أسرُ الانسانِ في شبكاتِ فرضها عليه هذا أو ذاك .

ومما يوجبُ الأسفَ أنّ قيمةَ الانسانِ الغاليةَ وشخصيتهَ العاليةَ، تُقدَّرُ في تلكِ الانظمةِ الاقتصاديةِ، بسِعْرِ النقودِ، ويُعطى لكلِّ انسانٍ قيمةً على قدرِ ما يُؤلِّدُ وينتج . وبذلك يتبدّلُ الانسانُ بالتدريجِ الى سلعةٍ، والشخصُ الى شيء . وهذا أيضاً تحريفٌ للانسانِ بالاضافةِ الى أنّه تحريفٌ للمال . وهذه الاثارُ السلبيةُ الفادحةُ التي تلحقُ الانسانَ والانسانيةَ - الناشئةُ

من تحريفِ المالِ عن مواضعه، المنبعثةُ عن الابتعادِ عن دينِ اللهِ الحنيفِ والحقِّ المبين - لا تختصُّ بالفقراءِ والبائيسين، أو الاغنياءِ والمُترفين، بل تعمُّ الفريقين على السواء . فلا يُظنُّ ظانٌّ أنّ السلباتِ المذكورةِ امورٌ مختصةٌ بالمُعديمين، لا، بل يجترِفُ تيارها المهلكُ المبيدُ الاغنياءَ أيضاً، كما

١ - سورة آل عمران (٣) : ١٨١ .

٢ - سورة الزُخرف (٤٣) : ٥٣ .

سُنسلطُ عليها الاضواء في الفصولِ القادمة، إن شاء الله تعالى .
٤ - وهناك شكلٌ آخرٌ من تحريفِ المالِ عن مواضعه، يُنتجُه المذهبُ
المادِّيُّ الاشتراكيُّ - كما اشرنا اليه - وهو في جعله الحياةَ المادِّيةَ والقضيةَ
الاقتصاديةَ غايةً واصلاً، مع انكارِ ما هنالك من فطرةٍ وروحٍ ومعنى .
فالاقتصاديُّون الماديُّون الاشتراكيُّون، لا يفهمون لسعادةِ الانسانِ
واسعادهِ معنى، الا ما يرجعُ الى سدِّ اعوازه المادِّية، بصورةٍ ما . وبذلك
يُخرِجونَ الانسانَ عن منظومتهِ الوجوديةِ، ويُبطلون واقعتهِ المركَّبة،
ويُسقطونه من مستواه الاصليِّ، ويشطبون فوق نزعاته المعنويةِ الفسيحةِ
بقلمٍ عريضٍ، ويحبسونه - مع ماله من آفاقٍ واسعةٍ في الوجود - في إطارٍ
ضيقٍ لا يتجاوزُ الاكلَ والشربَ واللبسَ والسكنَ والصحةَ والكَدْحَ
والعمالةَ - في الأغلب .

اجل، إنهم يُبطلون الفطرةَ الانسانيةَ وما تقتضيه وتطلُّبه، وينفون
صميمَ وجودِ الانسانِ الموضوعيِّ، ويحولون ادواتِ تفتحِ مواهبه الفياضة،
في مداراتِ حياته السرمديَّة، الى عاملٍ لتغطيةِ استعداداته الباطنة،
ولسلبِ ما يتمتَّع به من معنى انسانيٍّ خالد .

وبهذه الاشكال التي اشرنا اليها، نرى أنَّ المالَ المحرَّفَ عن
موضعه، يُثبتُ قيماً كاذبةً مصطنعةً، في المذهبِ الرأسماليِّ؛ وينفي قيماً
صادقةً اصليةً، في المذهبِ الاشتراكيِّ . وكلا المذهبين محكومان بالفناء،
بالقياس الى الانسانيةِ الكبرى، لانحرافهما عن المسيرةِ الواقعيةِ التي
تواكبُ الواقعَ والفطرةَ، والحقيقةَ والانسانَ، والقيَمَ والخلودَ، ولمضادَّتهما
للمخططاتِ القائمةِ الحاكمةِ على الكونِ، وعلى المجتمعِ الانسانيِّ العامِّ،
وعلى فطرةِ الانسانِ وقلبه وواقعه الموضوعيِّ .^١

١ - ولأجل ذلك نسمِّعُ ونرى أنَّ الانسانَ في البلادِ الرأسماليةِ يتمرَّدُ على النظمِ، وفي البلادِ
الاشتراكيةِ يميلُ شيئاً فشيئاً، الى القضايا الروحيةِ والمنطلقاتِ الدنيئةِ.

استنتاج هامّ

لقد اتّضح ممّا عرضنا، أنّ التحريفَ الموضوعيَّ للمال، يَسْتَتِيعُ التحريفَ الموضوعيَّ لسائرِ الاحكامِ الاسلاميّةِ. وذلكَ للصّلةِ الوثيقةِ بينِ احكامِ الاسلامِ وطُوقِهِ عامّةٍ. ومن هنا نشاهدُ القرآنَ الكريمَ يُنَدِّدُ بِالَّذِينَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، مِنَ الَّذِينَ هَادُوا.^١ وذلكَ بتحليلهمُ الحرامَ وتحريمهمُ الحلال. وبهذا التقريرُ يُحذِّرُنَا اللهُ عن تحريفِ الكَلِمِ - وهي احكامُ الدِّينِ وحدودُه وتعاليمُه - عن مواضعه. والكَلِمُ اسمٌ للجنسِ، فتحريفُ آيَةٍ كَلِمَةٍ مِنْ كَلِمِ اللهِ عن مواضعها يُعَدُّ تحريفًا للكَلِمِ. فالكَلِمَةُ الالهيةُ الَّتِي تَعَلَّقُ بِالْمَالِ واحكامه وبتعيينِ مواضعه وحدودِه، اذا حُرِّفَتْ عن مواضعها، يُؤدِّي ذلكَ الى تحريفِ سائرِ ما هنالكَ مِنَ الْكَلِمِ الالهيِّ والاحكامِ الاسلاميّةِ (ولا سيّما الاحكامِ الماليّةِ والاقتصاديّةِ)، اذ الاسلامُ مجموعةٌ واحدةٌ متلاحمةٌ ونظامٌ وحادائيٌّ منسجمٌ، لا تَتَفَرَّقُ طُوقُوسُهُ، ولا تَتَبَعَّرُ نَوَامِيْسُهُ.

فَمِنْ الصَّحِيحِ أَنْ نَقُولَ: لِكُلِّ حَكْمٍ مِنَ الْاِحْكَامِ الْاِسْلَامِيَّةِ - الْمَالِيَّةِ وَغَيْرِهَا - مَوْضِعٌ وَحَقِيْقَةٌ.^٢ وَإِنَّ تِلْكَ الْمَوَاضِعَ وَالْحَقَائِقَ تَتَشَابَهُ وَتَتَوَاشَجُ تَوَاشَجَ الْاِجْزَاءِ مَعَ الْكُلِّ؛ وَمِنْ الْوَاجِبِ أَنْ لَا يُحَرِّفَ أَيُّ حَكْمٍ عَنْ مَوْضِعِهِ، وَلَا يُصْرِفَ عَنْ حَقِيْقَتِهِ. وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ هَذِهِ الْمَوَاضِعَ وَالْحَقَائِقَ الثَّابِتَةَ لِلْكَلِمِ التَّشْرِيْعِيِّ، لَهَا ارْتِبَاطٌ وَثِيْقٌ وَتَمَاسُكٌ مُتَجَاوِبٌ بِالْكَلِمِ الْاِلَهِيِّ التَّكْوِيْنِيِّ، اِي بِالطَّبِيْعَةِ الْعَامَّةِ وَالْفِطْرَةِ الْاِنْسَانِيَّةِ وَالْكَوْنِ الْاَعْظَمِ - ضَرْوَةٌ تَوَاطُبِ الْكَلِمِ فِي النِّظَامِيْنَ، كَمَا سَلَفَتْ الْاِشَارَةُ اِلَيْهِ - وَهَذِهِ الْوَاقِعِيَّةُ الرَّاهِنَةُ هِيَ الدَّلِيْلُ الْقَاطِعُ عَلَى فِطْرِيَّةِ هَذَا الدِّينِ وَالْهَيْبَةِ

١ - سورة المائدة (٥) : ٤١.

٢ - راجع: كلمتنا في الفقرة ١٦، من «التصدير»، حول وجود «المركز» و«الترايط» لكل حكم.

وخلوده .

فالنَّتيْجَة : أنَّ تحريفَ الكَلِمِ الالهِيِّ عن مواضعه - ومنها تحريفُ
كَلِمِ المالِ (الاحكامِ الماليَّة) - يُساوِقُ تَبْدِيلَ الاحكامِ التَّشريعيَّة . وهو
يُساوِقُ - بحسَبِ الواقعِ التَّلاخُمِيِّ للعالمِ - تحريفَ الظَّواهرِ الطَّبيعيَّةِ
والحقائقِ الانسانيَّةِ والمظاهرِ الفطريَّةِ والمؤشَّراتِ الكَوْنِيَّةِ عن مواضعها
التَّكوينيَّةِ . وهذا يُساوي الاخلالَ في منظومةِ الحياةِ الانسانيَّةِ، المتلاحمةِ
مع حياةِ الكائناتِ عامَّة . وأمَّا بالنسبةِ الى المجتمعِ الانسانيِّ، فتحريفُ
الكَلِمِ الماليِّ يُوجبُ فساداً هائلاً كما يقولُ القرآنُ : «الهاكُمُ التَّكاثُرُ *
حتى رُزِمَ المَقابِرُ»^١.

إنَّ هذه الآيَةَ الحاسمةَ، في اسلوبها المُعجز، وايجازها اللامع،
ومبناها القويم، ونسجها البلاغيِّ الحكيم، تُفيدُ البشريَّةَ بأنَّ التَّكاثَرَ
الماليِّ يُلهمي المجتمعَ الانسانيَّ عن طلبِ الفضائلِ والخيراتِ، وتَبَنِّيِ
الغاياتِ الحكيمَةِ والصالحَةِ والاهدافِ الانسانيَّةِ الفاضلةِ، فيُهْلِكُ
الانسانَ - ضرورةً هلاكِ الانسانِ المُلهي^٢ - ويُضِلُّه ويَصُدُّه عن
الصِّراطِ السَّويِّ، حتى يَجُرَّهُ الى ساحةِ الموتِ وعرصاتِ الزَّوالِ .
وكذلك تكونُ عاقبةُ المجتمعِ المُضَلِّ . وعلةُ ذلك أنَّ التَّكاثَرَ خروجُ
عن مواضعِ المالِ المحدِّدةِ له .

ولعلَّه قد اتَّضحَ لدى المُستَشْفِينِ للحقائق، ممَّا سَلَفَ من الأبحاثِ،
أنَّه يَجِبُ على كلِّ من يُريدُ عرفانَ المذهبِ الاقتصاديِّ في الاسلام، أن
يَعْرِفَ أولاً ذلكَ الكَلِمِ الاقتصاديِّ في هذا الدِّينِ ومواضعَهُ التَّأشيرِيَّةِ،
ومُعْطَيَاتِهِ القويمةَ، في سياقِهِ القرآنيِّ والحديثيِّ، حتى يُتاحَ له الوصولُ الى
عرفانِ المذهبِ الاقتصاديِّ في الاسلام . ومع عدمِ هذا العرفانِ لذلكِ

١ - سورة التَّكَاثُر (١٠٢) : ١ - ٢ .

٢ - راجع ايضاً : الفصل ٢، من هذا الباب، الفِقْرَتَيْنِ ٣ و ٤ .

الكَلِم ولتلكم المواضع، يقع الباحث - وإن كان متفقهاً او فقيهاً بالمعنى المصطلح - في ورطات الخلط والتغليط والمحدودية في الاطلاع على ما يجب الاطلاع عليه بشكلٍ مستوعب . واذا تورط الباحث، لا يأتي بما يكون مناسباً للاسلام - المبيد لجميع صور الظلم والعدوان - لانه يبحث عن جانبٍ ويخفي عليه جانبٌ او جوانب . وهذا ما لا يرضى منه روح الملاحظة وواقع التكليف وحقيقة الاجتهاد، لانه انحراف عن المنهج العلمي، وابتعاد عن الفهم المجموعي والموضوعي لطقوس الدين، ومعاكسة لجوهر التفقه والاجتهاد، وفرار عن معالجة «الحوادث الواقعة» حقّ المعالجة، كما اتفق ذلك في كثير من الاوقات في تاريخ هذا الدين . والغاية القصوى التي يتبناها هذان البابان من كتاب «الحياة»، هي ان يتبلور امام القارئ النابه - ولاسيما العلماء المتفقهين من المجتهدين والاستاذة المحققين، وطلاب العلوم الاسلامية الواعين - مواضع الكَلِم الاقتصادي الالهي والاحكام الاقتصادية بجميع تأثيراتها في الاسلام، في حالة صلتها بكل ما هنالك من طقوس - اقتصادية وغير اقتصادية - صلة متوشجة لايسع الباحث الفقيه غض النظر عنها، حتى نستخلص بذلك نظرات الاسلام الى المال والى مواضعه وحقايقه، وحلوله لقضايا الاموال وتداولها بين الناس ومالها من المسائل والمشاكل، وما يعد تحريفاً لموضع المال وما لا يعد، وحتى نستنبط القضية المالية في الاسلام استنباطاً اسلامياً مستوعباً، لا يشد عن مجموعة ما يقوله الاسلام عن الاموال .

والآن، لان نشع على هذا المبحث الهامّ نُقدم الى القارئ مثلاً : قد جاء في القرآن والاحاديث الاذن في التجارة والاستيراد، والامر بطلب الرزق من هذا الطريق ايضاً . وهناك في الناس من يستدل بهذه التعاليم على صحة التجارة والاستيراد ولو في حقل تكاثري يستتبع تضخم

الاموال الطائلة لدى التجار ومن اليهم . وفي المتحمسين من يرقى الى القول بأن من يمنع الاستيراد الحرّ (مع أنه من أهمّ بواعث التكاثر والعدوان الماليّ على الناس وفرض الفقر عليهم)، ويرى الاسلام مخالفاً لأنواع هذه الموارد الماليّة والتجاريّة (المُضرة بالاسلام والمجتمع)، فهو مناوئٌ لِحرية التملك والتعامل ويساريّ المذهب . وإن هؤلاء غافلون - او متغافلون - عن أنّ تلکم التعاليم إنّما أدت في التجارة بصورة مشروعة، وأمرت بطلب الرزق الحلال، وأكدت على الاعتدال في الطلب .^١ وكان كل ذلك لتأمين معيشة سليمة كفاية من طريق الكسب والتجارة، في ظروف العصور السالفة، مع حدودها ومحدودياتها المعروفة في ذلك الزمان . ومع ذلك فقد أمرت بتخفيف الربح او عدمه . فإن هو من التسويغ الاسلامي بالنسبة الى التبادلات التجاريّة الحديثة، وارجحها الباهظة المُدمرة، التي يعدّها القرآن والحديث بواعث للهلاك والفساد، وعوامل مُلهية عن الله والحق والمعاد .

إنّ التجارة والاستيراد، والملكيّة الحاصلة منهما، في حياة الانسان الجديد، تختلفان اختلافاً اصولياً بيناً عما كان في الأعصر القديمة . ولذلك فإنّ التكاثر الملازم للاستيراد الحرّ في الاقتصاد الحديث، لا يعدّ «طلب الرزق الحلال» ابداً - الذي دعت اليه التعاليم الدنيّة - ولا تأمين كفاف العيش وبلوغته، الذي صحّحه الاسلام وسوّغّه، بل هو تعدّد عن حدّ الرزق والكفاف . فالإذن الصادر من الاسلام في التجارة لم يصدر لتضخيم الثروات والغارة على اموال الناس، بل صدر لطلب الرزق الحلال ورفع الكلّ عن الآخرين، ولسدّ حاجات الناس لمن يطيق، باستيراد ما يحتاجون اليه وبيعه منهم بيعاً سَمحاً . وهذا الواقع التعليمي اصدق شاهد على لزوم تحديد الربح وتخفيفه، وتحذير التجار والمستوردين من كلّ

١ - راجع : الفصل ٣، من هذا الباب، فقرة «د».

صورة من صور التكاثر والاستزادة في الارباح . هذا هو الموقف الاسلامي الحاسم في الاستيراد .

فالمستورد في الاسلام، من يسعى ويكُد لجلب الامتعة وتقريبها الى ايدي المشترين وجعلها في متناول الناس غير القادرين على الاستيراد، وهو «المضطرب بماله، المترقق ببدنه، الجالب للمنافع والمرافق من المبعاد والمطارح، في البر والبحر والسهل والجبل، وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها، ولا يجترئون عليها». ومع ذلك يقتنع بريح زهيد، ولا يغالي بالسعر، ولا يحتكر، ولا يطفف، ولا يبخس الناس اشياءهم، فيطلب بذلك رزقاً حلالاً على مقدار متعارف، فيقدم للمجتمع عملاً وخدمة باستيراده، فيعاض منه بما يعيش به عيشة سالمة قانعة مقتصدة . وكل ذلك بلا «ضيق فاحش، وشح قبيح، واحتكار للمنافع، وتحكم في البياعات ..»^٢. هذا هو التاجر المرضي عند الاسلام . وهذه هي التجارة الاسلامية والاستيراد الاسلامي .

وامامن يقعد في بيته ويرفل في حياة مترفة، هو وذووه، ويشترى ويبيع الصفقات الهائلة بفضل ادوات الاستيراد الحديثة، ويحصل بذلك على اموال متكدسة، بدون سعي او كد، بل بفضل علاقته بالشركات العالمية - الداخلية والخارجية - التي تسيطر على السلع والبضائع، حيث تباع الاموال بأسعار مجحفة متجاوزة للحدود، افهو تاجر مسلم، وعمله تجارة اسلامية مطابقة للمقاييس، مرضية عند الله وعند الرسول «ص»؟ (ويكون مخالف هذا المستورد وامثاله، المندد بعُدوانهم المالي ومظالمهم الاستيرادية يسارياً؟)، امن يحتكر السلع والامتعة عند حاجة الناس اليها حتى يرتفع سعرها؟ امن يخلق بالدعاية المموهة الطلب الكاذب في الاسواق لبيع البضائع باغلى ثمن؟ امن يعامل بطرق اخرى غير اسلامية

١ و ٢ - نهج البلاغة / ١٠١٧؛ عبده ٣ / ١١٠ .

لجبر الاموالِ وصَبَّها في الكيس؟ اهؤلاءِ يَعْمَلُونَ لطلبِ الرِّزْقِ الحلالِ،
ويُجْمَلُونَ في الطَّلَبِ، كما أمرَ به الدِّينُ واوليائه، ويكونُ مخالفهم، مَمَّنْ
يَرومُ إقامةَ القسطِ الاسلاميِّ في الجماهيرِ، يساريًّا؟

فعلى هذا، يتحدَّدُ الاستيرادُ الَّذِي اِذِنَ فيه الاسلامُ. وإن سائرَ ما
هنالك تَشْمَلُهُ الآياتُ والاحاديثُ التي تَنْهَى عن التَّكاثُرِ والِإِترافِ
والاسرافِ والحرصِ في الطَّلَبِ والتَّضخُّمِ في الرِّبْحِ والاجحافِ
بالاسعارِ.

وهذا الَّذِي عرضنا نموذجَ من تحريفِ المالِ عن مواضعه، ولها
نماذجُ اخرى كثيرةٌ. وعلَّةُ وقوعِ هذه التَّحريفاتِ في المواضعِ الماليَّةِ في
المجتمعِ الاسلاميِّ، هي عدمُ عرفانِ الموضعِ الالهيِّ للمالِ في النظامِ
الاسلاميِّ^١. وكذلك يَكُونُ حالُ مَنْ لا يُحارِبُ هذه التَّحريفاتِ ولا يراها
فجائعَ في حياةِ المسلمين، فإنَّه لا يَعْرِفُ الموضعَ الالهيِّ للمالِ، كائنًا من
كان.

ولقد جاءَ في القرآنِ، بصددِ تحكيمِ المواضعِ الالهيةِ والانسانيةِ
لِنِعْمِ اللّهِ والاموالِ، بعدَ قوله تعالى: «كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ»^٢، قوله:
«وَاشْكُرُوا لَهُ»^٣؛ وبعدَ قوله: «فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالًا طَيِّبًا»^٤، قوله: «وَأَتَّقُوا
اللّهَ»^٥. وَالَّذِي يُسْتَفادُ من هذا الموقفِ الَّذِي يَتَّخِذُهُ القرآنُ الكريمِ، في
قضيةِ الاموالِ والاستفادةِ منها، امرانِ هامَّانِ:

١ - تعيينُ نوعِ الاستمتاعِ مِنَ النِّعْمِ، وهو كونُها ذريعةً كَمَا وكيفاً،
لا غايةً مُسْتَقْطَبَةً.

٢ - تنميةُ التقوى الاجتماعيةِ، لحفظِ مواضعِ النِّعْمِ الالهيةِ

١ - راجع لـ «تعريف المال» في الاسلام: الفصل ٢٤، من هذا الباب.

٢ و٣ - سورة سبأ (٣٤): ١٥.

٤ و٥ - سورة الانفال (٨): ٦٩.

والثروات الموهوبة، وللتحذير من الاتراف والاسراف والاتلاف .
ولقد فسرت الاحاديث تلك الآيات القرآنية الاقتصادية، التي أكّدت
على مواضع المال والتحفّظ عليها، فقولُ الامام الصادق «ع»: «المال مالُ
الله»^١، يُفسّر هذه الآية: «وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ»^٢؛
وقوله «ع»: «جَوَزَ لَهُمْ أَنْ يَأْكُلُوا قِصْدًا وَيَشْرَبُوا قِصْدًا..»^٣، يُفسّر قوله
تعالى: «كُلُوا وَاشْرَبُوا»^٤؛ وقوله «ع»: «قِصْدًا..»^٥، يُفسّر ايضاً قوله
تعالى: «وَلَا تُسْرِفُوا»^٦، و«وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ»^٧.

نعم، إنّ التعلّم والتعبير الحديثية التي اوردنا شذرةً منها في
الكتاب، هي التي تُفسّر مغازي الآيات السماوية وتبين مراميها التعليمية
والتربوية. ولا يستغني احدٌ في الاستفادة من «كتاب الله» وتفسيره
والاهتداء به عن الرجوع الى احاديث العترة الهادية «ع»، ضرورةً مُلزمةً
«الثقلين»، في التعلّم والهداية والتربية والارشاد، وصنع الافراد وبناء
المجتمعات.

١ - تفسير العياشي ٢ / ١٣.

٢ - سورة الحديد (٥٧): ٧.

٣ - تفسير العياشي ٢ / ١٣.

٤ - سورة البقرة (٢): ٦٠، و..

٥ - تفسير العياشي ٢ / ١٣.

٦ - سورة الاعراف (٧): ٣١.

٧ - سورة طه (٢٠): ٨١.

الفصلُ الرَّابِعُ

المؤشّرات التّوجيهيّة (١)

أ - الامداد الالهّي بالاموال (المنابع الطبيعيّة، المناجم، الزراعة،
التّجارة، الصّناعة ..)

الكتاب

- ١ - وَأَمَدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ ١..
- ٢ - وَوَيْدَدُكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ، وَيَجْعَلُ لَكُمْ جَنَاتٍ، وَيَجْعَلُ لَكُمْ أَنْهَاراً * ٢
- ٣ - رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ، إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً * ٣

* قال الشّيخ ابوعلّي صاحب التّفسير : «اي : يُجري لَكُمْ
السُّفْنَ "في البعْر" بما خلق من الرّياح، وبأن جعل الماء على وجه
يُمْكِنُ جَرِي السُّفْنِ فِيهِ . "لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ" اي : لِتَطْلُبُوا مِنْ فَضْلِ

١ - سورة الإسراء (١٧) : ٦.

٢ - سورة نوح (٧١) : ١٢.

٣ - سورة الاسراء (١٧) : ٦٦.

اللّهُ تَعَالَى بِرُكُوبِ السُّفُنِ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ، فِيمَا فِيهِ صَلَاحُ دُنْيَاكُمْ مِنَ التِّجَارَةِ...»^١ فَلَا يَذْهَبُ عَلَى الْقَارِئِ مَا فِي هَذَا الْبَيَانِ، مِنَ الْإِلْمَاحِ إِلَى كَوْنِ التِّجَارَةِ سَبَبًا لَصَلَاحِ حَالِ النَّاسِ وَسَدِّ حَاجِيَّاتِهِمْ وَقَوَامِ مَعَاشِهِمْ. فَلَا سْتِرَادُ بِرُكُوبِ الْبَحْرِ وَامْتِنَالِهِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَلَى وَجْهِ فِيهِ صَلَاحُ دُنْيَاكُمْ، أَي دُنْيَا النَّاسِ وَسَائِرِ عِبَادِ اللّهِ عَامَّةً. فَمَا كَانَ بِخِلَافِ ذَلِكَ فَلَيْسَ بِتِلْكَ التِّجَارَةِ الْمَشْرُوعَةِ الَّتِي أَجَازَهَا الْإِسْلَامُ وَصَوَّبَهَا.

الحديث

- ١ الامام السجاد «ع»: .. وَخَلَقَ لَهُمُ النَّهَارَ مُبْصِرًا لِيَبْتَغُوا فِيهِ مِنْ فَضْلِهِ، وَلِيَتَسَبَّبُوا إِلَى رِزْقِهِ، وَيَسْرَحُوا فِي أَرْضِهِ، طَلَبًا لِمَا فِيهِ نَيْلُ الْعَاجِلِ مِنْ دُنْيَاهُمْ، وَدَرْكُ الْآجَلِ فِي أُخْرَاهُمْ؛ بِكُلِّ ذَلِكَ يُصْلِحُ شَأْنَهُمْ...^٢
- ٢ الامام الصادق «ع» - عَنْ أَبِيهِ أَبِي جَعْفَرٍ الْبَاقِرِ «ع»، فِي جَوَابِ مَنْ سَأَلَهُ عَنِ الدَّنَانِيرِ وَالذَّرَاهِمِ، وَمَا عَلَى النَّاسِ فِيهَا: هِيَ خَوَاتِيمُ اللّهِ فِي أَرْضِهِ، جَعَلَهَا اللّهُ مِصْحَةً لَخَلْقِهِ، وَبِهَا تَسْتَقِيمُ شُؤُونُهُمْ وَمَطَالِبُهُمْ...^٣

* راجع ايضاً: الفصل الأوّل، فِقرَة «د».

١ - مجمع البيان ٦ / ٤٢٧.

٢ - الصّحيفة السّجّاديّة / ٦٩ (الدّعاء ٦).

٣ - امالي الطوسي ٢ / ١٣٣.

ب - الحث على طلب البلغة والاكتفاء الذاتي

الكتاب

- ١ فإذا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ، فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ ..
- ٢ .. وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً، لِيَبْتَغُوا فَضْلًا مِن رَّبِّكُمْ ..
- ٣ .. وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاحِرَ، لِيَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ ..
- ٤ فَكُلُوا بِمَا غَنِمْتُمْ ..

الحديث

- ١ الامام السجاد «ع»: اللَّهُمَّ! فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا فَلَقْتَ لَنَا مِنَ الْإِصْبَاحِ، وَمَتَّعْتَنَا بِهِ مِنْ ضَوْءِ النَّهَارِ، وَبَصَّرْتَنَا مِنْ مَطَالِبِ الْأَقْوَاتِ ..
- ٢ الامام الباقر «ع»: مَنْ طَلَبَ (الرِّزْقَ فِي) الدُّنْيَا اسْتَعْفَافًا عَنِ النَّاسِ، وَتَوْسِيْعًا عَلَى أَهْلِهِ، وَتَعَطُّفًا عَلَى جَارِهِ، لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَوَجْهُهُ مِثْلُ

١ - سورة الجمعة (٦٢): ١٠.
٢ - سورة الاسراء (١٧): ١٢.
٣ - سورة فاطر (٣٥): ١٢.
٤ - سورة الانفال (٨): ٦٩.
٥ - الصَّحِيفَةُ السَّجَّادِيَّةُ / ٧٠ (الدعاء ٦).

- القمر ليلة البدر. ١
- ٣ الامام الصادق «ع»: يا هشام! إن رأيت الصّفين قد التّقيا، فلا تدع طلب الرّزق في ذلك اليوم. ٢
- ٤ الامام الصادق «ع»: إن ظننت، أو بلغك أن هذا الامر كائن في غد، فلا تدعن طلب الرّزق، وإن استطعت أن لا تكون كلاً فافعل. ٣
- ٥ الامام الصادق «ع» - علي بن عبد العزيز قال: قال ابو عبد الله: ما فعل عمر ابن مسلم؟ قلت: جعلت فداك، أقبل على العبادة وترك التجارة، فقال: ويحّه، أما علم أن تارك الطلب لا يستجاب له دعوة؟ إن قوماً من اصحاب رسول الله «ص»، لما نزلت: «ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب»، أغلقوا الابواب وأقبلوا على العبادة وقالوا: قد كفينا. فبلغ ذلك النبي «ص» فأرسل اليهم فقال: «ما حملكم على ما صنعتم؟» فقالوا: يا رسول الله! تكفل الله لنا بارزاقنا فأقبلنا على العبادة، فقال: «إنه من فعل ذلك لم يستجب له، عليكم بالطلب!». ٤
- ٦ الامام الصادق «ع» - عن سليمان بن معلّى بن خنيس، عن ابيه قال: سأل ابو عبد الله «ع» عن رجل - وأنا عنده - فقيل له: أصابته الحاجة. قال: «فما يصنع اليوم؟» قيل: في البيت يعبد ربه. قال: «فمن أين قوته؟». قيل: من عند بعض إخوانه. فقال ابو عبد الله «ع»: «والله للذي يقوته أشدّ عبادةً منه». ٥

٧ و ٢ - الكافي ٥ / ٧٨.

٣ - الكافي ٥ / ٧٩.

٤ - الوسائل ١٢ / ١٥.

٥ - الكافي ٥ / ٧٨.

الفصل الرابع: المؤشرات.. (١)

* ولقد عَقَدَ شيخنا الكليني، في كتاب «المعيشة» من «الكافي» ابواباً بهذا الصدد، كتاب «ما يجب من الاقتداء بالائمة - عليهم السلام - في التعرُّض للرِّزق» و باب «الحث على الطلب والتعرُّض للرِّزق». وكذلك عَقَدَ شيخنا الحرَّ العاملي، في كتاب «التجارة» من «الوسائل» بابين بهذين العنوانين :

- (١) - باب استحباب طلب الرِّزق ووجوبه مع الضرورة .
- (٢) - باب كراهة ترك طلب الرِّزق وتحريمه مع الضرورة .

ج - الاقتصاد في المعيشة والتأكيد الحاسم عليه

الكتاب

- ١ ولا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ، فَتَقْعُدَ مَلُومًا
محسوراً* ٣
- ٢ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا، وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا* ٤

١ - راجع: الكافي ٥ / ٧٣ و ٧٧.

٢ - راجع: الوسائل ١٢ / ٩ و ١٣. وقال في «الفصول المهمة في اصول الائمة - ع»: «باب ٥٢، وجوب طلب الناس الارزاق بقدر الكفاية، واستحباب طلب ما زاد للتوسعة على العيال ونحوها» / ٢٩، الطبعة الحجرية .

٣ - سورة الاسراء (١٧) : ٢٩.

٤ - سورة الفرقان (٢٥) : ٦٧.

الحديث

- ١ النبي «ص» : ما عالَ امرؤُ قَطُّ على اقتصاد. ^١
- ٢ النبي «ص» - فيما اوصى به الامام علي بن ابي طالب : يا علي ! ثلاثٌ موبقاتٌ وثلاثٌ مُنجياتٌ .. واما المُنجياتُ فالعدلُ في الرضا والغضب، والقصدُ في الغنى والفقير. ^٢
- ٣ الامام علي «ع» : ما عالَ امرؤُ اقتصد. ^٣
- ٤ الامام علي «ع» : مَنْ اقتصدَ في الغنى والفقير، فقد استعدَّ لنوابِ الدهر. ^٤
- ٥ الامام علي «ع» : عليكم .. بالقصدِ في الغنى والفقير. ^٥
- ٦ الامام علي «ع» : مَنْ لم يُحسِنِ الاقتصاد، أَهْلَكَهُ الاسراف. ^٦
- ٧ الامام السجّاد «ع» : .. قَوْمَنِي بالبذلِ والاقتصاد. ^٧
- ٨ الامام السجّاد «ع» : .. متّعني بالاقتصاد. ^٨
- ٩ الامام الباقر «ع» - فيما قاله لابنه الامام الصادق : يا بني ! عليك بالحسنة بين السَيِّئَتَيْنِ تَمْحُوهُمَا . قال : وكيف ذلك يا اَبه؟ قال .. ومثلُ قوله : «والَّذين

١ - تحف العقول / ٤٨ .

٢ - تحف العقول / ١٥ : ٨ ، من طبعة الغفاري .

٣ - نهج البلاغة / ١١٥٣ : عبده ٣ / ١٨٥ .

٤ - غرر الحكم / ٢٩٦ .

٥ - مستدرک نهج البلاغة / ٢٠ .

٦ - غرر الحكم / ٢٧٤ .

٧ - الصّحيفة السّجّادية / ٢٠٢ (الدعاء ٣٠) .

٨ - الصّحيفة السّجّادية / ١٣٧ (الدعاء ٢٠) .

الفصل الرَّابِع : المَوْشَرَات .. (١)

اِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا»، فَاسْرَفُوا سَيِّئَةً، وَأَقْتَرُوا سَيِّئَةً، وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا حَسَنَةً، فَعَلَيْكَ بِالْحَسَنَةِ بَيْنَ السَّيِّئَتَيْنِ ١.

* راجع : الفصل الثَّامَنَ والعشرين، من هذا الباب ايضاً .

د - التَّقْدِيرُ فِي المَعِيشَةِ وَاهمِيَّتُهُ

الكتاب

* لَاحِظِ الآيَتَيْنِ المَذْكُورَتَيْنِ فِي الفِقْرَةِ السَّابِقَةِ .

الحديث

- ١ - الامام علي «ع» : التَّقْدِيرُ نِصْفُ العَيْشِ ٢ .
- ٢ - الامام السَّجَّاد «ع» : .. وَعَلَّمَنِي حُسْنَ التَّقْدِيرِ ٣ .
- ٣ - الامام الباقر «ع» : الكَمَالُ، كُلُّ الكَمَالِ، التَّفْقُّهُ فِي الدِّينِ، وَالصَّبْرُ عَلَي النَّائِبَةِ، وَتَقْدِيرُ المَعِيشَةِ ٤ .

١ - تفسير العياشي ٢ / ٣١٩؛ تفسير البرهان ٢ / ٤٥٣ - ٤٥٤ .

٢ - تحف العقول / ١٥٨ .

٣ - الصَّحِيفَةُ السَّجَّادِيَّةُ / ٢٠٢ (الدعاء ٣٠) .

٤ - تحف العقول / ٢١٣ .

- ٤ الامام الصادق «ع»: لا يَصْلُحُ الْمُؤْمِنُ إِلَّا عَلَى ثَلَاثٍ خِصَالٍ: التَّفَقُّهُ فِي الدِّينِ، وَحَسَنِ التَّقْدِيرِ فِي المَعِيشَةِ، وَالصَّبْرِ عَلَى النَّائِبَةِ.^١
- ٥ الامام الرضا «ع»: لَا يَسْتَكْمِلُ عَبْدٌ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى تَكُونَ فِيهِ خِصَالٌ ثَلَاثٌ: التَّفَقُّهُ فِي الدِّينِ، وَحُسْنُ التَّقْدِيرِ فِي المَعِيشَةِ، وَالصَّبْرُ عَلَى الرِّزَايَا.^٢

هـ - حدود الاستهلاك

الحديث

- ١ الامام السَّجَّاد «ع»: ان من اخلاق المؤمن، الانفاق على قدر الاقتار؛ والتوسُّع على قدر التوسُّع.^٣

١ - تحف العقول / ٢٦٣.

٢ - تحف العقول / ٣٢٩.

٣ - تحف العقول / ٢٠٤؛ و ٢٨٢، من طبعة الغفاري.

نظرة الى الفصل

١ - الامداد الالهية بالاموال والمواهب الطبيعية: إن المال ومنابعه - المواهب الطبيعية - في نظرة القرآن الكريم، هي وسائل الإمداد الالهية، التي جعلها الله تحت يد الانسان وخوله آياها، لتأمين حاجيات الناس المختلفة في هذه الحياة. وهذا هو المجال الاصيل لتداول المال في المجتمع ولحركته في شتى المناحي والغايات.

والامدادات الالهية بالاموال إنما تتحقق بأن تكون الاموال ذرائع وادوات في ايدي الناس، لتأمين شتى المؤن وسد مختلف الحاجات، وأن تكون في خدمة الناس ورشدهم وبروز مواهبهم الفطرية، وأن يكون ذلك كله لجميع الناس. فالنظام المالي لا يصير اسلامياً الا اذا سار المال في ايدي الناس سيره الالهية والانسانية، مُبتعداً عن اي افراط او تفريط، او تكاثر او فقر.

وبذلك يتضح ان الحاليتين - التكاثر والفقر - ليستا من كون المال إمداداً او ذريعة في شيء، وبالتالي فليستا سبيلين لا يصلح المجتمع الى الغايات المنشودة، بل هما عقبتان في سبيل الناس، غنيهم وفقيرهم..

أما الغني المتكاثر، فلأن النظام التكاثري يتبنى المال هدفاً وغايةً ويُحرّفه عن كونه اداة وذريعة في الحياة، وامداداً للخلق، فلا يُؤدّي القطاع المتكاثر الحقوق التي يجب عليه اداؤها، ولا سيما الباطنة منها. واذا صار المال مانعاً للانسان عن تادية حق الله وحق الناس - على ما هي عليه - وعن طلب الخيرات والقربات بصورة صحيحة، يُصبح مانعاً لرشده وتعاليه الروحي وصعوده الانساني.

وأما البائسُ الفقير، فحينما يَنْصَبُ المالُ في حلوقِ المتكاثرين ويتكَدَّسُ لديهم، يَبْقَى هو صِفْرُ اليَدَيْنِ من جميع ما يحتاج إليه، حتى مرافقِ عيشٍ بسيطٍ وحاجياتِ حياةٍ تَنْسَجُمُ مع الفضيلةِ والدين، وتُمدُّه لآداءِ تكاليفه وواجباته على صورةٍ صحيحة، فيسْقُطُ بذلك عن المستوى المطلوبِ للانسانِ المتديّنِ الصّاعد.

يقولُ الامامُ عليُّ بنُ الحسينِ السّجاد «ع»: بصدِّ بيانِ غاياتِ الخلقِ والتّكوينِ وتصويرِ تلكِ الغاياتِ: «وخلقَ لهمُ النّهارَ مُبْصِراً لِيَتَبَغَوْا من فضلهِ..»؛ وبذلك يُعلِّمنا أنّ النّهارَ المُضِيءَ المُبْصِرَ انما خُلِقَ لطلبِ فضلِ اللهِ ورزقه، عن طريقِ العملِ والسّعيِ والابتغاءِ فيه، وبشكلِ التّدرُّعِ لآداءِ تكاليفِ اللهِ وواجباته لنيلِ المقاماتِ الخالدة، لاشكُلِ غايةٍ مُتَبَنِّاةٍ تَسْتَوْعِبُ كُلَّ ما للحياةِ الانسانيّةِ من هدفٍ ومضمون؛ فيقولُ: «طلباً لما فيه نيلُ العاجلِ من دُنْيائهم، ودركُ الآجلِ في أُخراهم»^١. ولقد جاء في هذا الدّعاءِ مقطعٌ آخرُ يَصوِّرُ الغاياتِ الالهيةَ الحكيمة: «بكلِّ ذلكِ يُصلِحُ شأنهم»^٢؛ فجعلَ الغايةَ المُتَوَخَّاةَ من هذا التّظيمِ للعالمِ وما فيه، اصلاحَ شأنِ الانسانِ وتنميةِ الافرادِ والمجتمعاتِ البشريّةِ تنميةً سالحة، عن طريقِ حياةٍ سليمةٍ انسانيّة، حيث لا تَضِيعُ شؤونُ الانسانِ ولا تَنْتَهِي الامورُ الى سقوطه في الحياتينِ العاجلةِ والآجلة، سواءً اكان ذلك من جهةِ الفقرِ والبؤسِ المانعينِ من ايِّ رشدٍ روحيٍّ ورُقِّيٍّ مجتمعيٍّ في قطاعاتٍ كثيرة، ام من جهةِ التكاثرِ والاستهلاكِ الاترافيِّ المانعينِ من ايِّ رشدٍ سالمٍ على مختلفِ المستويات.

ولقد اجاب الامامُ الباقر «ع» السّائلَ عن الدّنانيرِ والدّراهمِ بقوله: «هي خواتيمُ الله في ارضه»^٣. ولم يَقُلْ هي اموالٌ للموسرينِ وذخائرُ

١ و ٢ - الصّحيفة السّجادية / ٦٩ (الدعاء ٦).

٣ - الصّحيفة السّجادية / ٦٩ (الدعاء ٦).

٤ - امالي الطوسي / ٢ / ١٣٣.

نظرة الى الفصل الرابع ..

للاغنياء والتمويلين، وذرائع لا تترافى المترفين واسراف المسرفين، وسبب لاستغلال العمال والكادحين باعطائهم قليلاً منها مقابل كثير من العمل والخدمة. والتّعليم الباقرى هذا، يُرشد الاذهان بوضوح الى أنّ المال في النّظام الاسلامي ليس الا وسائل وادوات جعلها الله مصحّة لخلقه وقواماً لحياتهم. وبهذا التّعليم وامثاله نعرف أنّه كيف يجب أن تكون مصائر الاموال في المجتمع الاسلامي؟ لأن «خواتيم الله» و«مصحة الخلق»، ليست بالذي يتكّدس لدى الذين يسوقون الناس الى التّميع، والمجتمع الى التّسيب، والأجراء والعمال والفلاحين الى تّمس وبؤس، والشباب الى الانحلال العقيدي، والناهبين الى اليأس، والثوّار والمصلحين الى الفشل؛ ويفرضون سلطاتهم على الحكم والمجتمع والدين. وتعبير «الخلق» في قوله «ع»: «جعلها مصحّة لخلقه»، يشمل الانسان والحيوان، فالذنانير والدراهم إنما هي مصحّة للناس والحيوان، بجعل الهيّ . وهي للجميع كما جعلها كذلك خالق الجميع. وهذا الامر لا يتحقّق الا اذا اخرج المال من مسيرته الشيطانية، التي يتبناها المتكاثرون والمستغلون، الى المسيرة الالهية التي بها تكون مصحّة للناس وقواماً لحياتهم.

والخلاصة أنّ الركن الاصيلي لإسلامية ايّ نظام او حكم - من جهة الاقتصاد والمال والملكية - يتجسّد في تعامله مع الاموال واصحابها؛ فإنّ عامل المال مُعاملة المصحّة للخلق جميعهم - والمصحّة لا تكون الا للجميع كما هو واضح - وجعلها خواتيم الله في خلقه وفي ايدي عباده وعياله (سواء اكان ذلك بالملك ام بالبدل)، كان النّظام المالي السائد اسلامياً قرآنياً، والا فلا.

٢- التقدير في المعيشة واهميته : من أهمّ التّعاليم الاسلامية التربوية هو اصل «التقدير» في المعيشة. وهو يرجع الى التربية المعيشية وتنظيم

الاستهلاك، وتنمية روح الانضباط الماليّ والمعيشيّ في الافراد، و
بثّ «الاخلاق الاقتصادية» في الناس. ويشملّ هذا الاصل مايلي :

أ - الاستهلاك الفرديّ .

ب - الاستهلاك العائليّ .

ج - استهلاك الحكم ومؤسساته .

د - استهلاك المؤسسات والمنظمات الاجتماعية .

هـ - استهلاك المؤسسات والمنظمات الدينية .

و - نظام الانتاج .

ز - نظام الاستيراد .

ح - نظام التوزيع .

ومّا لا يخفى على النابه البصير، هو أنّ التقدير في المعيشة
وحاجياتها يسبّب لأمور هامة بناءة للشخصية الانسانية، مصلحة
للمجتمع، منها :

١ - تركّ معاصٍ فرديّة واجتماعيّة عظيمة كالاسراف والتبذير .

٢ - الابتعاد من الابتلاء بالفقر والحاجة .

٣ - رفع الكلّ عن الناس .

٤ - التّعوّد على النظم في الامور ورعايته .

٥ - المحافظة على الانضباط الاقتصاديّ والمعيشيّ فيما يمرّ على

الانسان ليل نهار. وهذا من اهمّ فوائده، كما مرّ. وسنفضّل الكلام عن

«اصالة التقدير والاقتصاد في المعيشة»، في الفصل الثامن والعشرين،

من هذا الباب، فراجع .

١ - فلقد روى عبّيد بن زرارّة، عن الامام جعفر الصادق «ع» انه قال له : «يا عبّيد! إنّ السرف يورث

الفقر، وإنّ القصد يورث الغنى» - (من لا يحضره الفقيه ٣ / ١٠٧). راجع: فصول الاسراف

والفقر، من هذا الباب ايضاً.

لقد مرّ في فقرة «د» من الفصل، من الحكمة الخالدة الباقريّة والصادقيّة والرّضويّة، التأكيد على ثلاثة اشياء واهميتها للانسان العقيدّي الملتزم، يعني «التقدير في المعيشة» و«التّفقه في الدين» و«الصبر على النائية». ومما يجب أن لا نغفل عنه أن «التّفقه في الدين» لا يُراد به علم الفقه الاصطلاحيّ وطلبه فقط، بل المراد به الخوض في معارف الدين وحقائقه العقيدية التي جاء بها لمعرفة الله تعالى وفهم العالم وما فيه، ممّا يُسمونه «الفقه الاكبر»، وكذلك فهم مجموع ما جاء في الدين في سائر الاغراض وادراكها بصورة صحيحة متخذة من «الكتاب والعترة»، ووعاها بشكلٍ ناضجٍ كامل.

ومن الواضح، أن وعي الدين بالوصف المذكور، يشمل جميع ما جاء فيه، ممّا يتعلّق بالتوحيد والموضوعات الالهية والمسائل السياسية والانسانية والمجتمعية والدفاعية والاقتصادية والحقوقية والاخلاقية العملية والحكمية الفقهية وما الى ذلك.

وانّ ممّا يوجب الاسف الشديد، هو أنّ التّفقه الواعي في معارف الدين وحقائق علوم القرآن الكريم والعترة الهادية «ع» - وهي «الفقه الاكبر» - لم يعمد اليه كما عمد الى التّفقه في الاحكام العملية - وهو «الفقه الاصغر» - وانّ كثيراً ممّا جاء في مختلف الكتب من «ذلك الفقه»، ليس من حاق العلم السماويّ النازل في الكتاب والمودع عند مدينة العلم وابوابها، يعني النبيّ «ص» وعترة - عليهم السلام - بل هو مشوّب بما تغلغل في الاسلام وفي معارفه وعلومه وبيئاته، من مصطلحات الآخرين، او آراء اخترعته الازهان، او جاءت بها التيارات الفكرية التي صنعت - او راجت او روجت - في تلك الايام الخالية. وبذلك صارت

حقائق علوم القرآن في كثير من ابعادها مهجورة، وجنحوا الى تأويله بدّل
تصديقه؛ وصار بيت الوحي الذي كان يجب ان يُصبح مرجع اخذ العلم
الوحيد مُوصداً؛ لاجل ذلك لم تنتشر علومه وحقائقه بوجه جدير ..
وهذا امر معلوم عند من تدوّق شيئاً من العلم القرآني عند المتألهين
القرآنيين وأستأنس بذلك النفس، وعرف ايضاً تلك المصطلحات
والرسوم، وسبر أغوار التاريخ وما جرى فيه خلال تلك القرون سبراً معانٍ
ووعي وتبصّر.

الفصل الخامس

المؤشرات التوجيهية (٢)

أ - دور المؤمن المادية في الحياة الروحية وفي اداء الفرائض واقامة الشعائر

الكتاب

- ١ يا أيها الذين آمنوا، كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ ..١
- ٢ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا، وَاتَّقُوا اللَّهَ ..٢
- ٣ يا أيها الرُّسُلُ، كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ..٣

الفتا نظر

تأمل في هذه الآيات، كيف تُجاوبُ الواقعَ البشريَّ وكيف تلتئمُ مع النظامِ الفطريِّ والغريزيِّ، والنَّاموسِ المُطْرِدِ العامِّ في كلِّ انسان، في كلِّ بيئةٍ وزمان، حيثُ تقولُ: «كُلُوا .. واشكروا»،

١ - سورة البقرة (٢): ١٧٢.

٢ - سورة المائدة (٥): ٨٨.

٣ - سورة المؤمنون (٢٣): ٥١.

«كُلُوا .. وَاتَّقُوا»، «كُلُوا .. وَاعْمَلُوا صَالِحاً»، فَتَجْعَلُ الشُّكْرَ وَالتَّقْوَى
وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ أُمُوراً مُتَرْتِبةً عَلَى الأَكْلِ وما هُوَ مادّةُ الحَيَاةِ وَقَوَامُ
الجسد . وبهذا الشَّكْلُ تُذَكِّرُ بِحَاجَةِ الإنسانِ الاصلِيَّةِ وَهِيَ الأَكْلُ .
وذلك مُسَايِرَةٌ مَعَ الواقعِ، فَإِنَّ الَّذِي يَشْكُرُ رَبَّهُ وَيَتَّقِيهِ، لا بَدَّ مِنْ أَنْ
يَكُونَ حَيّاً قَادِراً عَلَى الفَعْلِ وَالتَّرْكِ، وَعَلَى التَّقْوَى وَالشُّكْرِ، ذَارِمِقُ
نَشِيطٌ، وَلا يَكُونُ الإنسانُ هَكَذَا إِلا إِذَا أَكَلَ وَشَرِبَ . وَالأَكْلُ
وَالشُّرْبُ لا يُتَاحانُ إِلا لِمَنْ يَمْلِكُ ما يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ وَيَحْضُلُ عَلَيْهِما .
فقيامُ النَّاسِ بِالصَّالِحَاتِ وَبِقِياءِ الدِّينِ بَيْنَهُمْ وَتَغْلُغُلُ شِرائِعِهِ وَ
احكامِهِ فِيهِمْ، وَاداءُ ما افْتَرَضَ اللهُ عَلَى الإنسانِ، كُلُّ ذَلِكَ لا يَتَحَقَّقُ
إِلا بِالْمالِ وَالْمِكنَةِ السَّائِرِينَ فِي الايدي، وَمَعَ تَمَكُّنِ النَّاسِ مِنَ
الحصولِ عَلَى حاجياتِهِمْ فيما يَتَعَلَّقُ بِحَيَاتِهِمْ وَمَعاشِهِمْ، حَتى
يَتَوَفَّقُوا لِتَأديَةِ ما افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ . وَهذا كما يَقُولُ النَّبِيُّ «ص»: «...
فَلَوْلا الخُبْزُ ما صَلَّينا ..»^١.

فَمَنْ لا يَرى لِلْفَقْرِ مَعْرَةً وَلا يَعُدُّ كِفاحَهُ واجِباً،^٢ لا يَعْرِفُ لِلدِّينِ
مَغزىً، وَلا لِلعدْلِ مَعنىً، وَلا لِلإنسانِ مَسْتَوىً، وَلا لِقِواعِدِ الحَيَاةِ
أَصالَةً، وَلا لِاحكامِ اللهِ تَطبيقاً . وَمَنْ المُهِمُّ فِي هذا المَقامِ ما
نُشَّاهِدُ مِنْ خُطابِ اللهِ سَبْحانَهُ لِلرُّسُلِ الرُّوحِيِّينَ الطَّيِّبِينَ، حَيْثُ
يَقُولُ لَهُمْ: «يا أَيُّها الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّباتِ وَاعْمَلُوا صالِحاً ..»،
فلا يَنْتَظِرُ اللهُ مِنْ رُسُلِهِ إِضاً أَنْ لا يَأْكُلُوا .. أَجَل! حَتى إِِنَّ الرُّسُلَ
الاهْتِيبِينَ المَبعوثِينَ لِتَهذِيبِ النُّفوسِ، يَعيشونَ عِيشَةً طَبِيعِيَّةً، طَبَقاً
لِلْمِوازِينِ الطَّبيعيَّةِ وَوَقفاً لِسُنَنِ اللهِ الَّتِي لا تَجِدُ لها تَبديلاً وَلا
تَجِدُ لها تَحويلاً، فَيَأْكُلونَ، وَيَشْرَبونَ، وَيَلْبَسونَ، وَيَمشونَ فِي

١ - الكافي ٥ / ٧٣ .

٢ - وكذلك الجفاح ضد التكاثر والترف، لأنهما علنا الفقر، كما سيوضح ذلك في الكتاب.

الاسواق، ويزدوجون، ويأوون الى المساكن والبيوت (وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام)١.

وإذا كان الرُّسُلُ كذلك فكيف تكون الحالة في غيرهم؟ يقول الامام الباقر «ع»: «إنَّ الله عزَّ وجل، خلق ابن آدم أجوف، ولا بدَّ له من الطَّعامِ والشَّرَابِ»٢. فالكلُّ يأكلون فيعملون، ويتغذَّون فيشكرون ويتقون، فلا عملَ صالحاً إلا بالأكل، ولا شكرَ ولا تقوى ولا دينَ إلا بالغذاء، ولا صلاةَ ولا صومَ ولا حجَّ ولا جهاداً إلا بالخُبز، ولا قيامَ بالطَّهَّاراتِ الشرعيَّةِ ورعايتها للرجال والنساء إلا بالحماماتِ والمياهِ الساخنة - التي يفقدها الفقراءُ والبائسون في اغلبِ الاوقات - وقس على هذا سائر احكام الدين وآدابه الروحية والجسمية وما تتطلَّبه من المؤمن.

ففي هذا الضوء، تكون مكافحة الفقر من اهم الواجبات لمن يحبُّ الله ودينه وعباده، ويحبُّ تطبيق دين الله واحكامه، وتعظيم شعائره وبقائه. فلا بد لكل انسان يعيش - ولا سيما في المجتمع الاسلامي - أن يكون مكفي المونة حتى يتمكّن من الايمان بالله تعالى (إذ الفقر كاد أن يكون كُفراً - على حدّ تعبير النبي الاعظم «ص»)٣، ومن العمل بما كلفه به من الطهارة والصلاة والصوم والحج والجهاد والتزويج والانفاق والتقوى والشكر واداء سائر فرائض الله، واقامة شعائر الدين الحنيف، والقيام بنصرة الحق واشاعة الفضيلة.

ومن الواضح، أن إتيان الاعمال الدينية يتطلَّب - سوى

١ - سورة الانبياء (٢١): ٨.

٢ - الكافي ٦ / ٢٨٧.

٣ - الخصال ١ / ١٢. قال «ص»: «لولا رحمة ربِّي على فقراء أمتي، كاد الفقر يكون كُفراً» -

(«البحار» ٧٢ / ٤٧).

الأكلِ والشربِ القائمِ بهما بقاءُ الجسدِ - نفقاتٍ ومؤوناً، لذلك جاء في حديثِ اسحاقِ بنِ عمارٍ أنّه قال: «قلتُ لابي عبدالله «ع»: أُعطي الرجلُ من الزكاةِ مئةَ درهمٍ؟ قال: نعم. قلتُ: مئتين؟ قال: نعم. قلتُ: ثلاثَ مئة؟ قال: نعم. قلتُ: اربعَ مئة؟ قال: نعم. قلتُ: خمسَ مئة؟ قال: نعم، حتى تُغنيه!». وقال في حديثٍ آخر: «مألُ الزكاةِ يُحجُّ به»^١. وقال في حديثٍ ثالثٍ: «... بل يُعطيه ما يأكلُ ويشربُ ويكتسي ويتزوَّج ويتصدَّقُ ويحجُّ»^٢. وجرياً مع تلكمُ التعاليمِ - المسايَرةَ للفطرةِ والطَّبيعةِ وواقعِ الحياةِ الانسانيةِ - لقد وردت احاديثُ شريفةٌ ببناءةٍ وموقظةٍ، بالصِّدِّ المذكورِ، تأتي هنا بلمعةٍ منها:

الحديث

١ - حياة الدِّين في الامّة والمال

١ الامام الصادق «ع» - قال له رجل: يا جعفر! الرجلُ يكونُ له مالٌ فيضيعه فيذهب؟ قال: احتفظ بمالك، فانه قوامُ دينك، ثمَّ قرأ: «ولا توتوا السّفهاءَ أموالكم التي جعلَ اللهُ لكم قياماً»^٣.

١ - الوسائل ٦ / ١٨٠.

٢ و٣ - الكافي ٣ / ٥٥٧ و ٥٥٦.

٤ - امالي الطوسي ٢ / ٢٩٢؛ البحار ١٠٣ / ٩٢.

* راجع: نظرنا الى الفصل بهذا الصدد؛ وراجع ايضاً:
الفصل الثاني والثلاثين، من هذا الباب.

٢ - المال عون على طلب الآخرة

- ٢ الامام الباقر «ع»: نِعَمَ العونُ الدُّنيا على طلبِ الآخرة^١.
- ٣ الامام الصادق «ع»: نِعَمَ العونُ الدُّنيا على الآخرة^٢.

* من اهمّ مصاديقِ الدُّنيا، هو «المال» في الكثيرِ الغالب، لانه
عمدَةٌ ما يُطلَبُ منها، عُدَّةٌ للخيرِ او الشرِّ، وللصّلاحِ او الفسادِ، وللحقِّ
او الباطلِ.

- ٤ الامام الصادق «ع» - عن آبائه، من دعائهم: اللهم! انِّي اسألك من فضلك
الواسع، الفاضل، المُفضَّل، رزقاً واسعاً، حلالاً طيباً، بلاغاً للآخرة والدُّنيا،
هنيئاً مريئاً^٣..

٣ - اللهم لا تفرّق بيننا وبين الخبز

- ٥ النبي «ص»: اللهم بارك لنا في الخُبز، ولا تُفرِّق بيننا وبينه^٤..

٤ - لاصلاة الا بالخبز

١ و ٢ - الكافي ٥ / ٧٣.
٣ - المستدرک ٢ / ٤٢١.
٤ - الكافي ٥ / ٧٣، و ٦ / ٢٨٧.

- ٦ النبي «ص»: .. فَلَوْلَا الْخُبْزُ مَا صَلَّيْنَا ..^١
- ٧ النبي «ص»: .. إِنَّ الْخُبْزَ مَبَارَكٌ، أَرْسَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ السَّمَاءَ مَدْرَارًا، وَ لَهُ أَنْبَتَ الْمَرْعَى، وَ بِهِ صَلَّيْتُمْ ..^٢

٥ - لا صوم إلا بالخبز

- ٨ النبي «ص»: .. فَلَوْلَا الْخُبْزُ مَا صَلَّيْنَا وَلَا صُومْنَا ..^٣
- ٩ النبي «ص»: .. وَ بِهِ (الْخُبْزُ) صُمْتُمْ ..^٤

٦ - لا اداء للفرائض إلا بالخبز

- ١٠ النبي «ص»: .. فَلَوْلَا الْخُبْزُ مَا صَلَّيْنَا وَلَا صُومْنَا وَلَا أَدَيْنَا فَرَائِضَ رَبِّنَا عَزَّ وَجَلَّ ..^٥
- ١١ النبي «ص»: .. وَ بِهِ (الْخُبْزُ) حَجَجْتُمْ بَيْتَ رَبِّكُمْ ..^٦

٧ - رأس الحياة الخبز

- ١٢ الامام الصادق «ع»: .. وَأَعْلَمُ يَا مُفَضَّلُ! أَنَّ رَأْسَ مَعَاشِ الْإِنْسَانِ وَحَيَاتِهِ،

١ - الكافي ٥ / ٧٣، و ٦ / ٢٨٧.

٢ - الكافي م ٦ / ٣٠٣.

٣ - الكافي ٥ / ٧٣، و ٦ / ٢٨٧.

٤ - الكافي ٦ / ٣٠٣.

٥ - الكافي ٥ / ٧٣، و ٦ / ٢٨٧.

٦ - الكافي ٦ / ٣٠٣.

الخُبزُ والماء ..

٨ - بناء الجسد على الخبز

١٣ الامام الصادق «ع» : إِنَّمَا بُنِيَ الْجَسَدُ عَلَى الْخُبْزِ ٢.

* راجع : نظرَتنا الى الفصل بهذا الصّدد .

٩ - تعظيم الخبز و اكرامه

١٤ النبي «ص» : أَكْرَمُوا الْخُبْزَ وَعَظَّمُوهُ، فَإِنَّ اللَّهَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - أَنْزَلَ لَهُ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ، وَأَخْرَجَ بَرَكَاتٍ مِنَ الْأَرْضِ؛ مِنْ كَرَامَتِهِ أَنْ لَا يُقْطَعَ وَلَا يُوْطَأُ ٣.

١٥ النبي «ص» - فيما رواه الامامُ الصّادق : أَكْرَمُوا الْخُبْزَ، فَإِنَّهُ قَدْ عَمِلَ فِيهِ مَا بَيْنَ الْعَرْشِ إِلَى الْأَرْضِ، وَمَا فِيهَا مِنْ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِهِ ٤.

١٦ الامام الصادق «ع» : أَكْرَمُوا الْخُبْزَ، فَإِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ لَهُ كَرَامَةً ٥.

١٠ - طعم الخبز

١ - البحار ٣ / ٨٧ .

٢ - الكافي ٦ / ٢٨٦ .

٣ - البحار ٦٦ / ٢٧٠ ، عن كتاب «المحاسن» .

٤ - الكافي ٦ / ٣٠٢ .

٥ - البحار ٧٨ / ٢٠٦ .

- ١٧ الامام الصادق «ع»: طَعْمُ الْمَاءِ الْحَيَاةُ، وَطَعْمُ الْخُبْزِ الْقُوَّةُ ١.
- ١٨ الامام الرضا «ع» - سُئِلَ الرَّضَا «ع» عَنْ طَعْمِ الْخُبْزِ وَالْمَاءِ؟ فَقَالَ: طَعْمُ الْمَاءِ طَعْمُ الْحَيَاةِ، وَطَعْمُ الْخُبْزِ طَعْمُ الْعَيْشِ ٢.

* راجع: النظرة الى الفصل بهذا الصدد؛ وراجع ايضاً:
الفصل الثامن والعشرين، من الباب الثاني عشر، فقد جاءت فيه
الفوائد الروحية لاكل اللحم والحبوب والفواكه.

ب - حق جسد كل انسان

الحديث

- ١ النبي «ص» - قال سلمان لابي الدرداء: اِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَاِنَّ لَجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلَا هَلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَصُمْ وَأَفْطِرْ، وَصَلِّ وَنَمْ، وَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ؛ فَاتَى أَبُو الدَّرْدَاءِ النَّبِيَّ «ص» فَخَبَّرَهُ بِمَا قَالَ سَلْمَانَ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ قَوْلِ سَلْمَانَ ٣.

* راجع ايضاً: الالفات الذي تقدّم في مُسْتَهَلِّ الفصل،
ولاحظ هناك ما جاء عن الامام الباقر «ع»، من حاجة ابن آدم الى

١ - تفسير القمي ٢ / ٢٣٩؛ تحف العقول / ٢٧٣.

٢ - البحار ٤٩ / ٩٩، عن «المناقب».

٣ - البحار ٧٠ / ١٢٨.

الطَّعامِ والشَّرَابِ . وقد عَقَدَ شيخنا ثِقَةَ الاسلامِ الكليني، باباً في
«الكافي» لهذا الموضوع .

ج - حقّ جسد كلِّ ذي رمق، انسان او حيوان

- ١ الامام علي «ع» : لِكُلِّ ذِي رَمَقٍ قَوْتُ ١ .
- ٢ الامام الصادق «ع» : يا مَفْضَلُ ! .. فان قال قائل : او ليس قد يَنالُ الطَّيْرُ مِنَ البَرِّ والحُبُوبِ؟ قيل له : بلى على هذا قُدِّرَ الامرُ فيها، لَانَ الطَّيْرَ خَلَقَ مِنْ خَلْقِ الله، وقد جعل اللهُ - تبارك وتعالى - له فيما تُخْرِجُ الارضُ حَظًّا ٢ .

د - دور المال في صيانة الاعراض

- ١ النبي «ص» : كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ ما أَنْفَقَ المَرءُ مِنْ نَفَقَةٍ على نَفْسِهِ وِعِيالِهِ واهلِهِ كُتِبَ لَهُ بِها صَدَقَةٌ، وما وَقَى بِهِ الرَّجُلُ عِرْضَهُ كُتِبَ لَهُ صَدَقَةٌ ٣ .
- ٢ الامام علي «ع» : افضلُ الفِعالِ، صيانةُ العِرْضِ بِالمالِ ٤ .
- ٣ الامام علي «ع» : لم يَذْهَبْ مِنْ مالِكَ، ما وَقَى عِرْضَكَ ٥ .
- ٤ الامام الرضا «ع» : خَيْرُ المِمالِ ما وَقَى بِهِ العِرْضَ ٦ .

١ - الكافي / ٨ / ٢٣ .

٢ - البحار / ٣ / ١٣٠ .

٣ - المستدرک / ٢ / ٦٤٤ .

٤ - مستدرک نهج البلاغة / ١٨ .

٥ - المستدرک / ٢ / ٦٤٥ .

٦ - البحار / ٧٢ / ٣٥٢ .

نظرة الى الفصل

١ - حياة الدين في الأمة والمال : إنَّ الدِّينَ قد جاءَ لِصُنْعِ الانسانِ وبنائِهِ
المجتمعِ الانسانيِّ . والانسانُ اذا مَلَكَ ما يَحْتَاجُ اليه في حَيَاتِهِ ولرُشيدِهِ،
وتَسامى مُمَسِكاً عن بعضِ المُمَارَسَاتِ (خصوصاً تلك التي تُلازمُ الفقرَ
والمسكنةَ وتكونُ بسببِهما، التي سَنُفَصِّلُ الكلامَ عنها تفصيلاً)، يُتَاحُ له أن
يكونَ مصداقاً للانسانِ المؤمنِ، ثابتِ العقيدةِ والايمانِ، محققاً لغاياتِ
الدِّينِ واهدافِهِ التَّربويَّةِ، ناجحاً في تعظيمِ شعائِرِهِ، موفِّقاً لاداءِ فرائضِهِ،
والآفلا، اذ «لولا الخُبْرُ ما صَلَّينا ولا صُمنا ولا اَدَّينا فرائضَ ربِّنا» - على حد
تعبيرِ النَّبِيِّ الأُسوةِ «ص»؛^١ و«كادَ الفقرُ أن يكونَ كُفْراً» - على حدِّ تعبيرِ
مولانا الامام جعفرِ الصَّادِقِ «ع»^٢.

اجل، إنَّ افرادَ الانسانِ يَفْقُدونَ في حاليِّ التَّرفِ والفقرِ كثيراً من
مُوهَلاتِهِمْ وَيَنْتَهونَ الى كثيرٍ من المَهاوي . ففي حالةِ الغنى والتَّرفِ يَشْتَغِلُ
الانسانُ بما لا يعنيه ويَعْرِقُ في استهلاكِ الامتعةِ الكماليَّةِ وفي المُلذَّاتِ،
فَيَغفُلُ وَيَلهُو؛ وعندئذٍ تَتَرَسَّخُ في باطنِهِ خِصالٌ غيرُ محمودَةٍ بل مذمومة . و
في حالةِ الفقرِ يُعَوِّزُهُ ما يَلْزِمُهُ للمعاشِ فَيَسْأَلُ وَيَتَسَوَّلُ، وبذلك يَنْهَارُ
مستواه الاجتماعيُّ ويَتَدَنَّى خُلُقاً وشخصيَّةً . ففي كلتا الحالتينِ تَتَضاعَلُ
مواهبُهُ وتُتَمَسَّخُ انسانيَّتُهُ . وسيأتي الكلامُ عن هذا الموضوعِ عندَ ذكرِ
احوالِ الفريقينِ، في هذا الباب .

وهناك جانبٌ آخر، يَجِبُ أن نَتَنَبَّهَ له ولا نَغفَلَ عنه، وهو أنَّ الدينَ

١ - الكافي ٥ / ٧٣ .

٢ - امالي الصدوق / ٢٦٢ .

يحتاج في تحقّقه و تجسيده الى افرادٍ معتقدين صامدين، حتى يتسنى له أن يتجلى بصورة نظامٍ فكريّ - عمليّ، و تتحقّق اهدافه في الناس، و تتمثّل غايته . و الافراد إنّما يكونون معتقدين صامدين، صادقين في الاعتقاد و الصُّمود، اذا لم تصدّهم ضغوطُ الفقرِ و سلبّياته عن الدّين و تبنّيه، و العمل بما فيه من الاحكام و الرعايات؛ و اذا لم يدفّعوا الى حيث لا يفكرون - في الاغلب - الاّ بالمعاش و ما يُعوّزهم من الاشياء و الامكانيّات، و ينشدون الطّريقَ للوصول اليها، و لو أدّى ذلك الى القضاء على كيانهم الفرديّ و الأُسريّ و الاجتماعيّ و الدينيّ .

و من الواضح أنّ الاسلامَ ينظرُ الى المسائلِ الاقتصاديّة نظراً نظامياً، فلا يسلّخها عن سائرِ اقسامِ الدّين، بل يجعلها جزءاً منه، فذلك لا يرى للاصلاحِ الاخلاقيّ المجردايّ معنىً و فائدة، اذ لا يمكن ان يكونَ الفقيرُ التّعيسُ العادمُ حاجاته الحياتيّة مسلماً خلقياً عملياً، مع ما يكابده من الفقر، و ما يعيشه من العوزِ و المترّبة، ممّا يقربّه الى الكفرِ و الالحاد، او الى تركِ العملِ بالتكاليف، و ارتكابِ الفسوق، او عدمِ رعاية ما يلزم رعايته .

ففي ضوءِ ما تقدّم، يجبُ ان يُبرمجَ للنظامِ الماليّ في المجتمعِ الاسلاميّ، بشكلٍ صحيحٍ عادل، حتى لا يكونَ المالُ الاّ قواماً للناس، و قياماً للدّين، و عوناً على المساكين، و حصناً للمستضعفين، لا مُضيّاً له ولهم؛ و حتى يكونَ بانياً للانسان و شخصيته لا هادماً له ولها، و مُحصّناً للمجتمعِ و كيانِه، لا مُبيداً له و له .

و من هنا ننتقلُ الى سرِّ كبيرِ تجلّي لنا في سيرةِ انمّتنا العمليّة، حيثُ أنّهم كانوا لا يدعونُ الفقراءُ يُعانونُ شدائدَ الفقر، المُخرجةَ لهم من الدّينِ و المسقطّة لشخصيتهم و كرامتهم الانسانيّة، فكانوا يسعون و يجِدون - بقدرِ ما يسعهم السعيّ و الجِدُّ - للكفاحِ ضدّ داهيةِ الفقرِ العظمى، فيقومونَ بتموينِ المحرومين و تزويدِ البائسين . وكان ممّا كان منهم ان يأتوا بيوتَ

البؤساء و أكوخ المساكين في جوف الليل البهيم والبارد والمطير لذلك المقصد وأن لا ينسوا اليتامى، فمن نماذج ذلك:

أ- مارواه محمد بن العتمة، عن ابيه، عن عمه قال: رأيت في المدينة رجلاً على ظهره قرية، وفي يده صحيفة .. فاتيته حتى عرفته، فاذا هو علي بن أبي طالب «ع»، فاتني رجلاً فاطمته^١.

ب - قال ابو الطفيل الكِنَانِي: «رأيت علياً يدعو اليتامى فيطعمهم العسل، حتى قال بعض اصحابه: "لوددت اني كنت يتيماً"^٢.

ج - خرج الحسن بن علي «ع» من ماله مرتين، وقاسم الله ثلاث مرات، حتى انه كان يعطي من ماله نعلًا ويمسك نعلًا، ويعطي خفاً ويمسك خفاً^٣.

د - وجد علي ظهر الحسين بن علي «ع» يوم الطف أثر، فسألوا زين العابدين «ع» عن ذلك فقال: «هذا مما كان ينقل الجراب على ظهره الى منازل الأراميل واليتامى والمساكين»^٤.

هـ - كان علي بن الحسين «ع» ليخرج في الليلة الظلماء، فيحمل الجراب على ظهره، وفيه الصرر من الدنانير والدرهم، وربما حمل على ظهره الطعام او الحطب، حتى يأتي باباً باباً فيقرعه ثم يناول من يخرج اليه . وكان يعطي وجهه اذا ناوّل فقيراً لئلا يعرفه؛ فلما توفي فقدوا ذلك فعلموا انه كان علي بن الحسين «ع». ولما وضع على المغتسل نظروا الى ظهره وعليه مثل ركب الابل مما كان يحمل على ظهره الى منازل الفقراء والمساكين .. ولقد كان يعول مئة اهل بيت من فقراء المدينة .

١ - المستدرک ١ / ٥٤٠.

٢ - البحار ٤١ / ٢٩ . وقضايا امير المؤمنين «ع» في ذلك كثيرة مشهورة. راجع الباب ٧، في الجزء ٢.

٣ - البحار ٤٣ / ٣٤٩.

٤ - البحار ٤٤ / ١٩٠ - ١٩١.

وكان يُعجبه أن يحضر طعامه اليتامى والأضرأء والزمنى والمساكين، الذين لا حيلة لهم، وكان يُناولهم بيده . ومن كان له منهم عيالٌ حملة الى عياله من طعامه ..\

و - كان ابو عبدالله (الصادق) اذا أعتَمَ وذَهَبَ من الليلِ شَطْرَهُ، أَخَذَ جِرَابًا فِيهِ خُبْزٌ وَلَحْمٌ وَالدَّرَاهِمُ، فَحَمَلَهُ عَلَى عُنُقِهِ، ثُمَّ ذَهَبَ بِهِ إِلَى أَهْلِ الْحَاجَةِ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ فَيُقَسِّمُهُ فِيهِمْ ..^٢

ز- عن مَعْلَى بْنِ حُنَيْسٍ : خَرَجَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (الصادق) «ع» فِي لَيْلَةٍ قَدْ رَشَّتْ، وَهُوَ يُرِيدُ ظِلَّةَ بَنِي سَاعِدَةَ .. فَاذًا أَنَا بِجِرَابٍ أَعْجَزُ عَنْ حَمَلِهِ مِنْ خُبْزٍ .. فَاتَيْنَا ظِلَّةَ بَنِي سَاعِدَةَ، فَاذًا/نَحْنُ بِقَوْمٍ نِيَامُ، فَجَعَلَ يَدُسُّ الرَّغِيفَ وَالرَّغِيفِينَ، حَتَّى أَتَى عَلَى آخِرِهِمْ ..^٣

ح- كان الامام موسى بن جعفر الكاظم «ع»، يَتَفَقَّدُ فُقَرَاءَ الْمَدِينَةِ فِي اللَّيْلِ، فَيَحْمِلُ إِلَيْهِمُ الزَّنْبِيلَ فِيهِ الْعَيْنُ وَالْوَرَقُ وَالْأَدِقَّةُ وَالتَّمُورُ، فَيُوصِلُ إِلَيْهِمْ ذَلِكَ؛ وَلَا يَعْلَمُونَ مِنْ أَيِّ جِهَةٍ هُوَ ..^٤

ط - عن مَعْمَرِ بْنِ خَلَادٍ قَالَ : كَانَ أَبُو الْحَسَنِ الرَّضَا «ع» إِذَا أَكَلَ أَتَى بِصَحْفَةٍ فَتَوَضَّعَ قُرْبَ مَائِدَتِهِ، فَيَعْمَدُ إِلَى أَطْيَبِ الطَّعَامِ مِمَّا يُؤْتَى بِهِ، فَيَأْخُذُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ شَيْئًا، فَيُوضَعُ فِي تِلْكَ الصَّحْفَةِ، ثُمَّ يَأْمُرُ بِهَا لِلْمَسَاكِينِ ..^٥

ي - كان (الرضا «ع») كثيرَ المعروفِ وَالصَّدَقَةِ فِي السَّرِّ، وَكَثُرَ ذَلِكَ يَكُونُ مِنْهُ فِي اللَّيَالِي الْمَظْلَمَةِ ..^٦

يا - عن الْبَزَنْطِيِّ قَالَ : قَرَأْتُ كِتَابَ أَبِي الْحَسَنِ الرَّضَا إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ

١ - الخصال ٢ / ٥١٧ - ٥١٨.

٢ - الوسائل ٦ / ٢٧٨.

٣ - الوسائل ٦ / ٢٧٨ - ٢٧٩.

٤ - ارشاد المفيد / ٢٩٦.

٥ - البحار ٤٩ / ٩٧؛ تفسير البرهان ٤ / ٤٦٤.

٦ - البحار ٤٩ / ٩١، عن «عيون اخبار الرضا».

(الجواد) «ع»: «يا ابا جعفر! بلغني أنّ الموالي إذا ركبت اخرجوك من الباب الصغير، فإنما ذلك من بخلٍ منهم لثلاثينال منك احدٌ خيراً، وأسألك بحقّي عليك، لا يكن مدخلك ومخرجك الا من الباب الكبير. فاذا ركبت فليكن معك ذهبٌ وفضّة، ثم لا يسألك احدٌ شيئاً الا اعطيته ..». وقال ابن حديد: «خرجتُ مع جماعةٍ حُجّاجاً فقطعتُ علينا الطريق، فلما دخلتُ المدينة لقيتُ ابا جعفر (الجواد) «ع» في بعض الطريق، فأتيتُه الى المنزل فاخبرته بالذي اصابنا، فأمرني بكسوةٍ واعطاني دنانير، وقال: "فرّقها على اصحابك على قدر ما ذهب"»^٢.

يب - وكان الامامان العسكريّان، ابوالحسن عليّ بن محمد الهادي «ع» وابو محمد الحسن بن عليّ العسكري «ع»، ينفقان اموالاً كثيرةً على الغارمين والمحتاجين ومن اليهم، وربما كانوا يبعثون بنفقة الزّواج لمن ماتت زوجته^٣، مع ما كانت تمرّ عليهم من الظروفِ الحرجة والقاسية.

وبهذه الاشكالِ والصّورِ كانوا يطعمون المتسوّلين والجائعين من الذين لم يصل اليهم حقّهم وسُرِقَ زادهم. وبهذا العملِ الرّساليّ العظيم كانوا يقومون بالامورِ الكبيرةِ التّالية:

- ١ - يُخلّصون أناساً من مكابدةِ اوجاعِ الجوعِ والخموصِ والبردِ، المُحرقةِ السّاحقة.
- ٢ - يَصونون دينهم ويحصّنونهم ضدّ الكفرِ والاحاد.
- ٣ - يمدّونهم بما يعينهم على العملِ بالتكاليفِ الدّينيةِ.
- ٤ - يحفظون على كرامتهم وماءِ وجههم عن ذلّ المسألة.

١ - البحار ٥٠ / ١٠٢؛ راجع ايضاً: «الكافي» ٤ / ٤٣.

٢ - البحار ٥٠ / ٤٤.

٣ - راجع: البحار ٥٠ / ٢٦٤ و ٢٨٢.

٥ - يَسُدُّونَ بِذَلِكَ فَرَاحَ الْفَقْرِ الدَّمَاعِ، فِي الْمَجْتَمَعِ الَّذِي كَانَ قَدْ تَغَلَّبَتْ عَلَيْهِ اضْدَاعُ الْعَدَالَةِ وَالْقِسْطِ .

ومن انفاقات امير المؤمنين «ع» الباهظة على الناس والمحتاجين وتمويله اياهم، ما جاء في المصادر الحديثية والتاريخية: «انه كانت غلة علي «ع» اربعين الف دينار، فجعلها صدقة، وانه باع سيفه وقال: "لو كان عندي عشاء ما بعته"»^١.

وليس من النصفه ان يُعْنَوْنَ هذا الموضوع بـ«كثرة مال امير المؤمنين»، او يقال: انه كان كثير المال، حيث يتوهم القاصرون من ذلك انه كان يُبْقِي تلك الاموال لنفسه ويترقه بها ويستهلكها في معاشه ومعاش ذويه. وعند ذلك يتدرع به المموهون من شياطين التكاثر والايثار، او المنخدعون بحيلهم المنطلية لديهم؛ وهذا ظلم. بل الحق ان يُقال: «انفاق امير المؤمنين الباهظ»، او «زهده البالغ»، او «فقره الاختياري»، او «اهتمامه الكبير باغناء الناس ودفع الفقر عنهم»، وما الى ذلك. فما بال هذه الكثرة المالية التي ترك صاحبها يبيع سيفه، ويقول: «لو كان عندي عشاء ما بعته»؟، فكان «ع» يكسب المال للانفاق لا للمساك. وجاء في سيرته انه «أتي برجل عبت بذكره، فضرب يده حتى احمرت، ثم زوجته من بيت المال»^٢.

وهذا من عمل الانبياء «ع» وسيرة الاوصياء «ع»؛ وهذا هو الدين الالهي، حيث كانوا يمسون الواقع الانساني وموضوعيات الحياة. وهكذا كانوا يُجَاهِدُونَ الفساد الخُلُقِيَّ والعمليَّ في الناس ويقلعون جذوره باقتلاع علله ومناشئه - بصورة غير شعاريّة - فيزجون من يجدونه يعبت به الشبق، ولا يكتفون بالوعظ المجرد مع اطلاق سراح المتكاثرين حتى

١ - سفينة البحار ٢ / ٥٥٨.

٢ - الوسائل ١٨ / ٥٧٤.

يُفْقِرُوا النَّاسَ وَيَجْتَرُّوهُمْ إِلَى أَنْوَاعِ الْمُبِيعَةِ وَالْفَسَادِ وَارْتِكَابِ الْمَآثِمِ
وَالْفُجُورِ .

نعم، ليس للوعظِ والخطابةِ المجرّدين، مع اهمالِ تجسيدِ العدالةِ
الاجتماعيةِ والاقتصاديةِ، أيُّ اثر، فلا يُصلِحُ المجتمعَ الاّ العدلُ، ولا تحيا
احكامُ دينِ اللهِ الحنيفِ الاّ به^٢ .
فليكن في كلِّ ذلك للمسلمين ولحكوماتهم ولعلمائهم اُسوةٌ حسنةٌ،
وايقاظٌ كبير .

تنبيه

يَتَضَحُّ مِمَّا مَرَّ، أَنَّ الْإِسْلَامَ لَا يُرْحَبُ بِالْفَقْرِ بَوَاحٍ . فَعَلَى الْمُبْرَمِجِينَ،
الَّذِينَ يَدْعُونَ الْإِسْلَامَ وَالْعَمَلَ بِهِ وَبِأَحْكَامِهِ، وَالَّذِينَ يَحْمِلُونَ أَوْسَمَةَ الْعِلْمِ
وَالْفَقَاهَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، أَنْ لَا يَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنَ الطَّوَاغِيتِ
الْاِقْتِصَادِيِّينَ، بَلْ يَقْتَرِبُوا مِنَ الْمَحْرُومِينَ وَمَنْ حَمَيْتِهِمْ، عَبْرَ الْبَرَامِجِ
الْاِقْتِصَادِيَّةِ الصَّالِحَةِ الَّتِي تَقْطَعُ جُذُورَ الْفَقْرِ، حَتَّى يَتَحَقَّقَ لِدِينِ اللَّهِ
تَجْسِيدُهُ، وَلا حُكَامِهِ الْحَنِيفِيَّةِ الْبِيضَاءِ تَطْبِيقُهَا .

وَمَنْ الْوَاضِحُ، أَنَّ الْكِفَاحَ السِّيَاسِيَّ ضِدَّ الظُّلْمِ وَالْجُورِ وَالطَّغْيَانِ
وَالْفُجُورِ - وَهِيَ مُسَبِّبَاتٌ - وَالْإِبْقَاءَ عَلَى سَبَابِ تِلْكَ الْمَذْكُورَاتِ الْاَصْلِيَّةِ -
وَهِيَ التَّكَاثُرُ وَالتَّبَعِيزُ الْمَعِيشِيُّ الْبَاهِظُ وَالْاِتْرَافُ - عَمَلٌ وَاهٍ مَبْتُورٌ . وَذَلِكَ
لَأَنَّ إِذَا دَمَّرْنَا الْقَوَاعِدَ السِّيَاسِيَّةَ لِأَمْرٍ، وَأَبْقَيْنَا الْقَوَاعِدَ الْاِقْتِصَادِيَّةَ لَهُ، لَمْ
نَفْعَلْ شَيْئاً، لِأَنَّ الْقُدْرَةَ الْاِقْتِصَادِيَّةَ - وَهِيَ الْقُدْرَةُ الْفَعَّالَةُ السَّاحِقَةُ فِي
الْاِغْلَبِ - سَتَنْفُذُ إِلَى النِّظَامِ السِّيَاسِيِّ الْجَدِيدِ - بِصُورٍ مَرْتَبِيَّةٍ وَغَيْرِ مَرْتَبِيَّةٍ -
وَتَبْلُغُ إِلَى غَايَاتِهِ الْفَاسِدَةِ، مِنْ اسْتِعْبَادِ النَّاسِ وَاسْتِعْلَالِهِمْ .

١ و ٢ - راجع: الفصل ٤٧، من الباب ١٢، تجد هناك احاديث الموضوع .

٢- لاصلاة الآ بالخيز: إن الاحاديث الحياتية الوادة في هذا الفصل، تلقي

علينا اصولاً هامة تُرشدنا الى امور ثلاثة بناءً، وهي:

أ - اهمية القضايا الاقتصادية في المجتمع الاسلامي .

ب - الصلة العميقة بين البعد المالي والبعد المعنوي والديني .

ج - اليقظة البالغة لدى مؤسس الدين و اوصيائه للقضايا المعاشية

والتكاليف الحياتية، ولمسهم لواقع الحياة .

ولأن نلقي إشعاعاً على تلكم الاصول نُشير الى مسائل في اقتضاب:

الاولى - التنويه بالصلاة العميقة بين المعاش والمعاد، وتجسيد تلك

الصلاة التامة الجوهرية، فيما يمت الى المساس المتأصل بين الظواهر

الموضوعية للمعاد وتأمينها (الصلاة، الصوم، الحج، الجهاد..)،

والظواهر الموضوعية للمعاش وتأمينها (الخيز، الغداء..).

الثانية: بيان أن صلة الصلاة والصوم والحج بالخيز (الغذاء) صلة

المشروط بشرطه، في اسلوب يؤكد على فقدان المشروط عند فقد

الشرط، فيفهم أن الشرط واحد لا يقتنع بديل .

الثالثة: التصريح بالتضاد الحاسم والتدافع بين الاسلام والفقر،

لأن الفقر ينتهي الى فقد الخيز، وهو شرط الصلاة والصوم والحج

والفرائض . وفقد الشرط هو فقد المشروط . فلا صلاة ولاصوم و.. بدون

الخيز، ولا اسلام بدون الصلاة والصوم - كما هو معلوم . فالاهمال في

مكافحة الفقر يُعادل تبرير القضاء على الاسلام وانطفاء نوره الالهي .

الرابعة: تبين أن نظام الاسلام الاقتصادي، شرط لنظامه الروحي،

وأن تشريع مجموعة الاحكام الاقتصادية يبتني على هذا الاساس .

فالنظام الذي يتبدل فيه شرط تطبيق الاحكام الاسلامية الى المانع،

ويصير فيه المعاش - في صورتها الافراط (التكاثر) والتفريط (الفقر) -

مانعاً للمعاد، لا يكون اسلامياً على الاطلاق .

٣- بناء الجسد على الخبز: هذا التعلّم الموجه يؤكّد تلك الاصول التي اشرنا اليها قبل لحظات. ولأنّ نُسلطّ ضوءاً عليها أكثر من ذي قبل، نأتي بشرحٍ وجيزٍ لامورٍ يُفيدُها ذلك التعلّم:

١- اعتدادُ الاسلامِ العميقُ بالواقعيّاتِ الحيّاتيّة، بتأكيده على الصلّةِ الضروريّةِ الحيّاتيّةِ بين الجسدِ والخبزِ ومايُمتُّ اليه ممّا يُمكنُ أن يصيرَ غذاءً للانسان.

٢- الاهتمامُ بامرِ المعاشِ وتغذيةِ الناسِ وتأمينِ حاجيّاتهم في حياتهم المادّيّة، حتى لا يُتَّهَمَ الدّينُ الالهّي الحنيفُ بأنه لا يعتدُّ بالواقعِ البشريِّ ولا يهتمُّ بالكِيانِ الحيّاتيِّ للنّاسِ، ولا ينظرُ الا الى امورٍ معنويّةٍ و أُخرويّةٍ لا تُمسُّ الحياةَ بوجهٍ.

٣- تبيينُ الاصلِ الحاكمِ على النظامِ الاقتصاديِّ في الاسلام. وهو الاستجابةُ للحاجاتِ الطبيعيّةِ وتأمينُ ما يتطلّبُه الانسان لادامَةِ حياتِه في مستوًى مناسب.

٤- ايضاحُ كِيفيّةِ صلّةِ النّاسِ بالمالِ والمواهبِ الطبيعيّة، وبيانُ أنّ تلك الصلّةَ يَجِبُ أن تكونَ مَبْتَنِيّةً على الاحتياجِ في حدودٍ معقولةٍ متناسبة، لاعلى الأثرةِ والتبعضِ؛ فكلُّ انسانٍ له جسد، والجسدُ يَحْتَاجُ الى الخبزِ والماءِ واللباسِ والسكّنِ والصّحةِ وسائرِ ما يقومُ به كيانه. ولا فرقُ في ذلك بين انسانٍ وانسان.

٥- الالماحُ الى أنّ جميعَ الامكانيّاتِ التي تُسدُّها حاجيّاتُ الانسان، موجودةٌ في الطّبيعةِ والمجتمع، وهي مُعدّةٌ لَسَدِّ تَدكُمِ الحاجاتِ، اذا اسْتُفيدَ منها بصورةٍ عادلةٍ وصحيحة.

٦- تبيينُ وشيخِ الصلّةِ بين المعاشِ والمعادِ (كما سلف القول فيه من وجهٍ آخر)، لأنّ النّشاطَ العمليّ لتأمينِ المعادِ لا يمكنُ الا بالتقوى القلبيّةِ والبدنيّة. وهذا كلُّه رهينُ السّلامة. والسّلامةُ رهينةُ التّغذيةِ السّالمةِ

والكافية .

٧ - تبيين موقف الاسلام الحاسم أمام الفقر و علله الفردية و الاجتماعية، فإن الاسلام يطلب من الناس أن يقوموا بالعمل باحكامه و اداءه و اجباته؛ و يؤكد - ضمن قضية تعليقية - أن لا عمل بالاحكام الا بالخبز . فهو بذلك يطارد آية صورة من صور الفقر، كما يطلب الاسلام من الناس أن يكونوا صامدين غير مخذولين أمام ظلم الظالمين و طغيان الطاغين . و كل ذلك يقتضي ايضاً أن يكون الناس كلهم متمتعين بالنعم متمكنين من التصرف الصالح فيما يلزمهم في حياتهم، لا أن يكونوا فقراء بائسين، ضعفاء لارمق لهم للحياة، و لا مقدره فيهم لاداء الفرائض الدينية فضلاً عن بقية الصالحات . اذ الفقر وما يستتبعه يهدد الجسد وقواه، كما يقول الامام علي «ع»: «الفقد احزان - والحزن يهدم الجسد»^٢ . و بذلك تنهار القوى العقلية و الارادية ايضاً . و الاسلام لا يجب أن كون المسلم مهذوم الجسد، مفلول القوى، ضئيل الفكر، مختل العقل .

٨ - الدعوة الى دعم نظام اقتصادي انساني يهتم بشؤون الحياة الانسانية، ليتغلغل الدين في النفوس، وليتدخل احكام الله في الواقع الاجتماعي . أجل، أن التعاليم الاسلامية - من القرآنية و الحديثية - التي جاءت نبذة منها في تضاعيف هذين البابين ترشدنا الى أن الاسلام يهتم بخمسة تأمينات للحياة الاقتصادية الدينية :

(١) - تأمين الحياة الجسمية المادية (وذلك بإزاحة الفقر؛ انما بني

الجسد على الخبز)^٣.

(٢) - تأمين الحياة الفكرية و العقلية (وذلك بإزاحة الفقر ايضاً؛ إن

١ - في بعض النسخ: «الفقر»، و هما هنا بمعنى.

٢ - غرر الحكم ١٣ و ١٧.

٣ - الكافي ٦ / ٢٨٦، من حديث الامام الصادق «ع».

الفقر مدهشة للعقل).^١

(٣) - تأمين الحياة الدينية الاعتقادية (وذلك أيضاً بازاحة الفقر؛ إن

الفقر منقصة للدين^٢، والفقر كاد أن يكون كفراً).^٣

يقول الشيخ محمد عبده المصري، في شرح هذا الكلام (فإن الفقر منقصة للدين) من «نهج البلاغة»: «إذا اشتد الفقر فربما يحيل على الخيانة، او الكذب، او احتمال الدلّ، او القعود عن نصره الحق؛ وكلها نقص في الدين».

(٤) - تأمين الحياة الدينية العملية (وذلك أيضاً بازاحة الفقر؛ فلولاً

الخبز ما صلينا ولا صمنا ولا آدينا فرائض ربنا).^٤

(٥) - تأمين الحياة القلبية الباطنية (وذلك أيضاً بازاحة الفقر؛ لأن من

ابتلي بالفقر ابتلي بربع خصال .. بالضعف في يقينه ..)^٥

ومع النظر الى هذه التأمينات الخمسة، نشاهد بجلاء، أن الاسلام يربط المعاد الانساني بمعاشه، ويجعل المعاش مقدمة لنيل السلوك المعادي الصاعد، ولتكامل الانسان المعنوي، ويراه جانباً أصلياً لسير الانسان الى الله تعالى. فلا يقرب أي مانع - فردي او اجتماعي - يمنع من تغلغل الدين في النفوس، ومن قيام الناس بالفرائض الدينية. ومن اهم تلك الموانع، الفقر - كما هو واضح.

٤ - طعم الخبز: عجباً من أناس يدعون - بصورة مطلقة - الى أن الفقر

والعدم تقدير الهي^٦، لا تكليف لنا بمجاهته والقيام في وجهه. وهؤلاء

١ و ٢ - نهج البلاغة / ١٢٣٨؛ عبده ٣ / ٢٢٩.

٣ - امالي الصدوق / ٢٤٢، من حديث الامام الصادق «ع».

٤ - الكافي / ٥ / ٧٣، من حديث النبي «ص».

٥ - البحار ٧٢ / ٤٧، عن «جامع الاخبار»، من حديث الامام علي بن ابي طالب «ع».

٦ - الفقر اما اختياري يختاره بعض الصلحاء لأنفسهم شعاراً، واما اضطراري فيرفضه الظلم الاجتماعي على

لا يُلْفِتُونَ انظَارَهُمْ الى ان الله - تعالى شأنه - حكيمٌ عادلٌ قديرٌ رؤوفٌ . وانَّ الحكيمَ العادلَ القديرَ الرؤوفَ، لا يَخْلُقُ مخلوقاً محتاجاً الى معيشةٍ تُحْيِيهِ، بدونَ ان يَخْلُقَ له تلكَ المعيشة؛ ولا يُوجِدُ موجوداً أَجُوفاً لا بدَّ له مِنَ الطَّعامِ .. (على حدِّ تعبيرِ الامامِ الباقر «ع») بدونَ ان يُوجِدَ له ذلكَ الطَّعامِ . وذلكَ لانَّ عدمَ خلقِ ما يحتاجُ اليه المخلوقُ احتياجاً حياتياً، إمَّا ان يكونَ لعدمِ العلمِ به وهو الحكيم، او لعدمِ العدالةِ وهو العادل، او لعدمِ القدرةِ وهو القدير، او لعدمِ الرَّأْفَةِ وهو الرؤوفُ .

ثمَّ انَّ الله سبحانه، خلقَ الانسانَ والحيوانَ للحياة، وطعمُ الماءِ الحياةَ . وكذلكَ خَلَقَهَا للنَّشِاطِ والحركةِ المُتوقِّفِينَ على القوَّةِ، وطعمُ الخُبْزِ القوَّةَ . فهل يُمكنُ بعدَ هذا ان يكونَ اللهُ قد خَلَقَ الخلقَ - من الانسانِ والحيوانِ - محتاجينَ الى الطَّعامِ والماءِ، من غيرِ ان يَخْلُقَ لهم ما يحتاجونَ اليه؟ لا، لا يمكنُ ذلكَ؛ بل خَلَقَ الخلقَ وخلقَ ارزاقَهُم، وما يحتاجونَ اليه في معاشِهِم، وانَّما وَقَعَ ما وَقَعَ، من فقرِ الفقراءِ ومسكنةِ المساكينِ وعُريِ العرَّةِ واحتياجِ المحتاجينِ، بذنوبِ الاغنياءِ، وسرقتِهِم زادَ الفقراءِ، واعتصابِ الموسرينَ لحقوقِ المحرومينِ، واكلِ المسرفينَ ما ليسَ لهم من حِصصِ المُعَدِّمينِ - كما ورد في القرآن^٢ والاحاديثِ .

وانَّ الذينَ يَقومونَ بالتَّشويهِ المشارِ اليه، لا يعرفونَ الدِّينَ - او يعرفونَ

قطاعاتٍ، حيثَ يَسودُ المجتمعَ التَّكاثُرُ والأتْرافُ والاسرافُ . وانَّ كَوْنَ الفقيرِ تقديراً الهياً، مع انه ليسَ مراداً بالارادةِ التَّشْرِيْعِيَّةِ بالضرورة، فمعتاه ان يُقضى به على اُناسٍ يَعْلَمُ اللهُ تعالى انَّ الاغنياءَ يَظْلُمونَهُم وَيَسْلُبونَ حقوقَهُم وَيَسْرِقونَ زادَهُم . وهذا هو الَّذي يُستَفادُ من التَّعاليمِ في الاغلبِ الاغلبِ، فيكونُ كالقتلِ، فالكلامُ فيه كالكلامِ فيه . ومن الواجبِ منعُ القتلِ وشجبُ اسبابِهِ . فمرجعُ الامرِينِ - الفقيرِ والقتلِ - الى ظلمِ النَّاسِ بَعْضُهُم بَعْضاً . ولذلكَ قد لَقِيَ النَّبِيُّ «ص» والائمةُ الهادونَ «ع» مسؤوليَّةَ فقيرِ الفقراءِ وحاجةِ المحاوِيجِ على عاتقِ الاغنياءِ - كما قرأتُ احاديثَهُ في المتنِ وتقرُّأها .

١ - الكافي ٦ / ٢٨٧، ولقد مرَّ الحديثُ في مُستَهَلِّ الفصلِ .

٢ - كآياتِ التي تذكُرُ ظلمَ النَّاسِ بَعْضُهُم بَعْضاً .

اقساماً منه بلا تفقّه في كلّ واصوله وجوهريّاته - وإنما يعرف الدينَ والحقّ والعدل والنّاموس الطّبيعيّ والانسان، الامامُ النّاطقُ بالحقّ، ابو عبد الله جعفرُ ابنُ محمّدٍ الصادق «ع» حيث يقول: «طعمُ الماءِ الحياةُ وطعمُ الخبزِ القوّة»^١؛ ويقول الامام عليُّ بنُ ابي طالب «ع»: «ومعايشُ تحييتهم»^٢، و«عياله الخلائق، ضمّن أرزاقهم وقدرَ اقواتهم»^٣. وقبل ذلك كلّه يقولُ الله تعالى: «نحنُ قسّمنا بينهم معيشتهم في الحياةِ الدّنيا»^٤. فلما مجالُ لعدمِ الرّزقِ والمعيشةِ لاحد، في النظرةِ الاسلاميّة .

وهنا نُعيدُ النظرةَ الى كلامِ الامامِ جعفرِ الصادق «ع» حيث يقول : «طعمُ الخبزِ القوّة» ونزيدُ إشعاعاً عليه فنقول : إنّ الذي يفهمُ من هذا التّعليمِ وامثاله - وهذا التّعبيرِ وامثاله - بدأةٌ ذي بدءٍ، هو أنّ الاسلامَ ينظرُ الى واقعِ الحياةِ الانسانيّةِ بروحِ الملاحظة، وأنّه يعتدُّ بكيانِ الانسانِ المادّيِّ والمعنويِّ معاً، فلا يركنُ الى نسيانِ الواقعِ او تناسيه قيدَ ذرّةٍ . وهذا معنى الدّينِ القيمِّ، فطرةُ الله، التي فطرَ النّاسَ عليها . ومن المؤسفِ جدّاً أنّ الامرَ يكونُ على العكسِ من هذا عندَ كثيرٍ من علماء الدّينِ وخطبائه ودعايته وكتابه، حيث لا يعمدون الى واقعيّاتِ الحياةِ فيما يعمدون .

فطعمُ القوّةِ يعنيُ به طعمُ جوهرِ الحياةِ وآثارها، التي تحتاجُ الى الطّاقة، وبدونها فلا امكانيّةَ للحياةِ ولبقايتها، ففي هذا الضّوء، إنّ طعمُ الخبزِ ليس طعمَ التلذذِ والعكوفِ على الاكل، بل هو طعمُ القوّةِ وطعمُ العملِ والنشاطِ والسّعيِ في عرصاتِ الحياةِ، إنّ طعمُ النّموّ والرّشد، طعمُ تفتحِ ذخائرِ الانسانِ الفطريّةِ والعاطفيّةِ، طعمُ مساعيِ الانسانِ في مزرعةِ الحياةِ، طعمُ الصّلاةِ والصّومِ، طعمُ الحجِّ والجهادِ، طعمُ الامرِ بالمعروفِ

١ - تحف العقول / ٢٧٣ .

٢ - نهج البلاغة / ٣٣؛ عبده ١ / ١٨ .

٣ - نهج البلاغة / ٢٣٠؛ عبده ١ / ١٥٩ .

٤ - سورة الزّخرف (٤٣) : ٣٢ .

والنهي عن المنكر، طعم اقامة العدل والكفاح ضد الظلم، طعم اغاثة الملهوف والتنفيس عن المكروب، طعم العلم والرقي، طعم الفن والادب، طعم السلوك والاخلاق، طعم معرفة الله تعالى والصعود اليه، طعم اشاعة الخيرات واقامة الصالحات، طعم نصرة الدين والسير الى الغزو والجهاد وحمل السلاح في سبيل الله، وطعم الشهادة والفوز ببقائه تعالى .

نعم، كل هذه الطعوم إنما تنشأ من طعم الخبز وقوة البدن والقدرة على العمل . ولقد روى اسحاق بن عمار، عن الامام جعفر الصادق «ع»، قال : سألت ابا عبد الله «ع» عن قول الله : «خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ^١، أَوْ قُوَّةً فِي الْاَبْدَانِ ام قُوَّةٌ فِي الْقُلُوبِ؟ قال : «فيهما جميعاً»^٢.

ولا يذهب على الباحث أن هذا التعليم (طعم الخبز القوة)، يشجُب أصالة اللذات المادّية ايضاً، لأنه ينظر الى الغذاء والأكل كضرورة تدْرِعيّة لتداوم الحياة واداء وظائفها، لا كغاية متّصلة للانسان في حياته ومساعيه، فلا يتنزّل الانسان بالأكل الى درجة الحيوان إن كان له غرض صالح . وعلى أيّ حال، فإن هذا التعليم، وهذه النظرة الى الحياة والى الانسان، يُفيداننا أن اصحابهما يعتقدون أن مبدأ الطاقة وعواملها المولدة لها، يجب أن تكون في متناول الجميع، فلايسوغون أن يكون في الناس من يفقد الطاقة ومناشئها ولايحصل على مايقوم به الجسد، في حين أن هناك فئات تتمرغ في ملذات النعم وتستهلك منها ما تشاء، كيف تشاء، وبمقدار ما تشاء .

تذنيب

١ - سورة البقره (٢) : ٦٣ و ٩٣؛ سورة الاعراف (٧) : ١٧١ .

٢ - تفسير العياشي ١ / ٤٥ .

من الواضح، أنّ لهذه النظرة الى الخُبز وسائر الموادّ الغذائيّة وصلتها بحياة الانسان ونشاطه، اثرًا تربويًا واخلاقيًا وانسانيًا هامًا، وذلك من جهات :

- ١ - أنّها تمنع الانسان من التمرُّغ في التّعيم والتّرف والانغماس في الأكل والشرب الحيوانيين (كالبهيمة المربوطة همها علفها).
- ٢ - أنّها تمنع الانسان من الاسراف والتبذير واتلاف الاموال.
- ٣ - أنّها تمنع كذلك من التّقير والتضييق على النفس والأسرة.
- ٤ - أنّها تصوّن الانسان وتحفظه من الانهيار الجسمي والروحي (حيث يحصل من جرّاء التلذذ والانغماس في تناول الاغذية والاكتار منها)، فيصل الانسان الى حدّ معقول من سلامة الروح وقوام الجسد ونشاط الحياة.

٥ - أنّها تبدّل ذائقة الانسان الشخصية الى ذائقة نوعيّة اجتماعيّة، فإنّ الانسان اذا نظّر الى الخُبز وسائر الاغذية كوقود للبدن وطاقة للجسم والحياة، يذوق طعم ضروريّات حياة الآخرين ويلبسها. وهذا خير تمهيد لايجاد روح الانسانيّة والتكامل والانفاق والايثار في باطن الانسان وضميره.

تذييل

إنّ واقعيّة الاسلام تتجلّى بوضوح في نظراته الى الواقع، من الحياة والانسان والمعاش واسبابه، والنشاط وبواعثه، فليس هذا الدّين في صميمه بمعزلٍ عما يحتاج اليه الانسان في المعتقد والعمل. واليك الماحأ مجددًا الى ما تلقّيه علينا التعاليم الاسلاميّة من مفاهيم عمليّة موضوعيّة:

(١) - اللّهم! لا تفرّق بيننا وبين الخبز.

(٢) - لاصلاة الا بالخبز .

(٣) - لاصوم الا بالخبز .

(٤) - لا اداء للحج والفرائض الا بالخبز .

(٥) - رأس الحياة الخبز .

(٦) - بناء الجسد على الخبز .

(٧) - تعظيم الخبز وإكرامه .

(٨) - طعم الخبز طعم الحياة .

(٩) - حق جسد كل انسان .

(١٠) - حق جسد كل ذي رَمَقٍ، انسانٍ او حيوان .

هذا هو الاسلام في تعاليمه، وهذا هُداة . هذا هو الدين القيم الموابكِب للفترة البشرية والواقع الحياتي . هذا هو النفس السماوي المصلح للحياة الانسانية على ظهر الارض . فليس الدين منحصرًا في الامر بالصلاة، والتأكد على حجاب النساء، والنهي عن شرب الخمر فقط؛ انما الدين عون الفقراء، وعماد المحرومين، وسند المستضعفين، ومنقذ اليتام، والعلم الذي يلتفت حوله كل مظلوم . ان هذا الدين لا ينسى قوت الحيوان فكيف بالانسان ومعيشته؟

ومما هو لاجب، ان الركون الى الموضوعية من لوازم فطرية الدين، فان الفترة ناشئة عن الواقع والحقيقة العينية . ومن مظاهر نجاح اي دين او مدرسة فكرية ان يكون ملتزمًا بالموضوعية، منسجمًا معها، ولا تجد ذلك بصورة جامعة، سوى الاسلام، كما يشهد به النظر والاستقراء . فعلى الثنتين الدينيتين ان ينجسم مع الواقع المذكور، فيكون لامسًا لضروريات الحياة في حدودها المعتدلة، ويفكر بمعالجتها وتأمينها، ويضع القوانين التي تعالج شأنها وتتلاءم معها .

والاصل الكلي المذكور (يعني تجاوب النظام الاقتصادي الاسلامي

مع الواقعيّات الحياتيّة والنظرَ الى المسائل بعين الواقعيّة)، يتأكّد من عدّة أُخرى من مباحث هذا الكتاب، وخصوصاً فصول «المال في التّصوّر الاسلامي»، فلقد تكلمنا في هذه الفصول عن «الموضع الالهيّ للمال»، وأنّه موضع قواميّ وقياميّ - كما جاء في القرآن - وأنّ تدوّل المال يجب أن يكون تدوّلًا متجاوياً مع الواقعيّات الحياتيّة، كماً وكيفاً وفي جميع صلاتِ المجتمع الاقتصاديّة، فراجع هناك . ويُستفادُ الجُنوحُ الى الواقعيّة ايضاً، من كثيرٍ من احكامِ الاسلامِ الماليّة، كحرمةِ اكلِ المالِ بالباطل، وحرمةِ الرّبّا، وحرمةِ الاكتنان، وحرمةِ الاحتكار، وحرمةِ الاسراف، وحرمةِ افسادِ المالِ وتضييعه او تعطيله واخراجه عن دوره المثمر، وكالتأكيد على تأميمِ الثروات العامّة والأنفال، وكتحديدِ الربح .. كلُّ ذلك إنما شرّع لأن يجري المالُ في قناته الواقعيّة الحياتيّة القواميّة .

ايقاظ

إنّ العقبة الاساسيّة للوصول الى هذا التّصوّر والى هذا المستوى الفكريّ والعملّي في النّظامِ الماليّ، تكمنُ في امرين :

(١) - عدمُ الاعتدادِ بالتّلقّي التّفقّهيّ المجموعيّ، الصّحيح، المستوعبِ لكلِّ الاحكامِ والتّعاليمِ الاسلاميّة التي لها صلةٌ بهذا الموضوع، سواءً ما كان منها موسوماً باسمِ الاحكامِ الاخلاقيّة (وقد تضاءلَ العملُ على وفقها وتجسيدها في المجتمعِ الدّينيّ، ويا للأسف) أو غيرها، وعدمُ الامعانِ في جميعِ جوانبها، ولاسيما الاحكامِ الماليّة، مع معرفة «الحوادثِ الواقعيّة الاقتصاديّة»، والالتزامِ بما يُعطيه الاختصاصُ العلميّ، في مجالته الواسعة والدّقيقة .

(٢) - عدمُ التّجسيدِ الدّقيقِ للاحكامِ المستنبطة من الدّين، بالصورة

المذكورة، وعدم الالتزام المسؤول بها .
وإنَّ التَّنْفِيزَ والتَّطْبِيقَ الدَّقِيقَ لَا يُمكنُ الوصولُ اليه إلا بثلاثة أمور :
الأول - التَّفَهُؤُ المَجْموعِيُّ الدَّقِيقُ في التَّعاليمِ الاسلاميَّةِ، حتَّى يُفهمَ
الدِّينَ بصورةٍ نظامٍ كاملٍ ومجموعَةٍ مُرتَبِطَةٍ مُتَشابِكَةٍ (منظومة) .
الثاني - الوَعْيُ للحقائقِ المعاصرةِ في الحياةِ البشريَّةِ، حتَّى يَحْصُلَ
الظَّفَرُ بفهمِ المؤامراتِ الواقعةِ من جانبِ بعضِ التياراتِ، وتُتاحِ الإِطاحةُ
بها، بشكلٍ يُناسبُ الزَّمانَ والالتزامَ الاسلاميَّ أَمَامَ البشريَّةِ .
الثالث - الصُّمُودُ الحاسمُ في التجسيدِ، برفضِ الفتنِ والتخلفِ
والمصانعاتِ والأطماعِ .

فمن هنا ننتقلُ الى أصلِ حياتيِّ هامٍّ، يُعيدُ للاسلامِ أخضرارَ عودِهِ،
والى المسلمينِ عَزَّهُمُ المَجيدِ، ومجدَّهُمُ الاثيلِ، لوُعِمَلَ بهِ وبمقتضاهِ .
وهذا الاصلُ هو شرطيةُ معرفةِ الزَّمانِ والحوادثِ بِكَمِّها وكيفيَّها، للاجتِهادِ
والتَّفَهُؤُ الدِّينيِّ والعلميِّ، معرفةً جيِّدةً ملموسةً مستوعبةً، مُبتَعَدَةٌ عن آيَّةِ
صورةٍ من صُورِ الرُّكُودِ الفكريِّ والرَّجعيَّةِ والتخلفِ، اذ «العالمُ بزمانِهِ
لا تَهْجُمُ عليه اللُّوابسُ» .

إنَّ الحوادثَ الواقعةَ (وخصوصاً الاقتصاديَّةَ منها فيما نحن فيه)، إن
لم تُكُنْ معروفةً لدى الفقيهِ المستنبطِ، بكلِّ آفاقها الفسيحةِ وما يتوطُّ بها
ويُمْتُّ اليها، لم يَتَّحِ له استنباطُ احكامِها - اوليَّةً كانتِ او ثانويَّةً - فلا تَصِلُ
يُدهُ الى الحكمِ، هَبُّه ظاهرياً . ومن الواضحِ المسلَّمِ بهِ، أنَّ الاسلامَ الحنيفِ،
المسايِرَ للفطرةِ والبشريَّةِ، المواكِبَ للواقعِ والحياةِ، المُهمِّمَنَ على
العُصُورِ والازمانِ، يَفْرُضُ رجوعَ النَّاسِ الى من يَعْرِفُ حقائقَ عصرِهِ، على
سَعَتِها، حتَّى يَسَعُهُ أَنْ يُرْشِدَ الجماهيرَ الى سِوِئِ السَّبيلِ .

١ - ولقد بَحَثنا عن «التَّفَهُؤُ المَجْموعِيِّ»، في النظرةِ الى الفصلِ ٢٥، من هذا البابِ، الفقرة ١٣،

فراجِعْها .

الفصل السادس

العمل في التصور الاسلامي

الكتاب

- ١ وآية لهم الارض الميتة احييناها واخرجنا منها حبا فمنه ياكلون * وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب وفجرنا فيها من العيون * لياكلوا من ثمره وما عملته ايديهم افلا يشكرون *
- ٢ .. وجعل النهار نشورا *
- ٣ وجعلنا النهار معاشا *
- ٤ هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه ..
- ٥ .. هو انشاكم من الارض واستعمركم فيها ..

١ - سورة يس (٣٦) : ٣٣ - ٣٥ .

٢ - سورة الفرقان (٢٥) : ٤٧ .

٣ - سورة النبأ (٧٨) : ١١ .

٤ - سورة الملك (٦٧) : ١٥ .

٥ - سورة هود (١١) : ٦١ .

الحديث

- ١ النبي «ص»: كُلُوا مِنْ كَدِّ أَيْدِيكُمْ^١.
- ٢ النبي «ص» - فيما رواه الامامُ الباقر: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، حِينَ أَهْبَطَ آدَمَ «ع» مِنَ الْجَنَّةِ، أَمَرَهُ أَنْ يَحْرُثَ بِيَدِهِ، فَيَأْكُلَ مِنْ كَدِّهَا بَعْدَ نَعِيمِ الْجَنَّةِ^٢.
- ٣ الامام علي «ع» - في وصيَّته لابنه الحسن: وَالْحِرْفَةُ مَعَ الْعِفَّةِ، خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى مَعَ الْفُجُورِ^٣.
- ٤ الامام علي «ع» - روي أَنَّ امِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَمَّا كَانَ يَفْرُغُ مِنَ الْجِهَادِ، يَتَفَرَّغُ لِتَعْلِيمِ النَّاسِ وَالْقَضَاءِ بَيْنَهُمْ، فَإِذَا فَرَغَ مِنْ ذَلِكَ، اشْتَغَلَ فِي حَائِطٍ لَهُ يَعْمَلُ فِيهِ بِيَدَيْهِ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ ذَاكِرٌ لِلَّهِ تَعَالَى^٤.
- ٥ الامام الصادق «ع» - إِعْلَمْ يَا مُفَضَّلُ! .. جَعَلَ (اللَّهُ) الْخُبْرَ مُتَعَدِّراً لِأَيْنَالِ الْآبِ بِالْحِيلَةِ وَالْحِرْكَةِ، لِيَكُونَ لِلنَّاسِ فِي ذَلِكَ شُغْلٌ يَكْفِيهِ عَمَّا يُخْرِجُهُ إِلَيْهِ الْفَرَاغُ مِنَ الْأَشْرِ وَالْعَبَثِ^٥.

١ - البحار ٦٦ / ٣١٤.

٢ - المستدرک ٢ / ٤١٧.

٣ - نهج البلاغة / ٩٣٠؛ عبده ٣ / ٥٨.

٤ - المستدرک ٢ / ٤١٧ - ٤١٨.

٥ - البحار ٣ / ٨٧.

نظرة الى الفصل

إنَّ التَّكْيِدَ عَلَى الْعَمَلِ وَتَرْكَ التَّعْطِيلِ وَالْبَطَالَةِ، مِمَّا جَاءَ فِي
التَّعَالِيمِ الْإِسْلَامِيَّةِ كَاصِلٍ، فَكَمْ وَرَدَتْ تَلَكُمُ التَّعَالِيمِ بِالْحَضِّ عَلَى الْعَمَلِ
وَاتِقَانِهِ وَصَرَفِ النَّشَاطَاتِ الْكَثِيرَةِ لَهُ، وَكَمْ ذَمَّتِ الْبَطَالَةَ وَالْإِهْمَالَ وَأُزِدَتْ
الْكَسْلَ وَتَرْكَ الْجِدِّ وَالسَّعْيِ. وَكَذَلِكَ لَقَدْ تَوَفَّرَتِ التَّكْيِدُ الْحَاسِمَةُ عَلَى
اِسْتِفَادَةِ الْإِنْسَانِ مِنْ عَمَلٍ يَدُهُ لَمْ يَنْعَمِ بِعَمَلٍ غَيْرِهِ، وَارْتِزَاقِهِ مِنْ سَعْيٍ نَفْسِهِ
وَرَفْعِ كَلِّهِ عَنِ النَّاسِ. وَبِهَذَا الصَّدَدِ قَدْ لَعَنَ الْإِسْلَامُ مِنَ الْقِيِّ كَلَّهُ عَلَى
النَّاسِ، وَنَدَّدَ بِمَنْ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلٍ غَيْرِهِ، وَيُلْقِي زَحْمَتَهُ وَكَلَّهُ عَلَى السَّائِرِينَ؛
حَيْثُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ «ص»: «مَلْعُونٌ مَنْ الْقِيَّ كَلَّهُ عَلَى النَّاسِ»^١.

وَإِنَّا نُرْجِيُ الْبَحْثَ عَنْ هَذَا الْمَوْضُوعِ الْهَامِّ وَالْأَمْرِ الْحَيَاتِيِّ
الْخَطِيرِ، إِلَى الْبَابِ الثَّانِي عَشَرَ، حَيْثُ تَتَكَلَّمُ عَنْ «الْأَصُولِ الْعَامَّةِ»
لِلْاِقْتِصَادِ الْإِسْلَامِيِّ، فَقَدْ عَقَدْنَا هُنَاكَ فِصْلَيْنِ (الرَّابِعَ وَالْخَامِسَ) لِهَذَا
الْمَوْضُوعِ الْاِقْتِصَادِيِّ وَالْاجْتِمَاعِيِّ وَالتَّرْبَوِيِّ الْبِنَاءِ. كَمَا أَنَّا نُرْجِيُ
الْكَلَامَ عَنْ وَاجِبِ الْحُكْمِ الْإِسْلَامِيِّ فِي إِجَادِ الْعَمَلِ وَالتَّشْغِيلِ وَالرَّقَابَةِ
عَلَى حَقُوقِ الْعُمَّالِ وَالْأَجْرَاءِ وَاجُورِهِمْ، إِلَى ذَلِكَ الْبَابِ أَيْضاً، فِي فِصُولِهِ
الْمُنَاسِبَةِ لِلْمَوْضُوعِ.

١ - تحف العقول / ٣٢.

الفصل السابع

الطاغوت الاقتصادي والاقتصاد الطاغوتي

الكتاب

- ١ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين * الى فرعون وهامان وقارون ..^١
- ٢ فاما من طغى * واثّر الحياة الدنيا * فانّ المحيم هي الماوى *^٢
- ٣ .. فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى ..^٣
- ٤ .. والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت ..^٤

الفتا نظر

لا يصح أن نفهم «الطاغوت» أنه مفهوم سياسي لا غير، فإنّ الطاغوت مبالغة من الطغيان، وهو الذي يطغى على الناس والحق، وعلى الشريعة والقانون، وعلى الفضيلة والعدل، فيستعبد الناس ويستغلهم ويغتصب حقوقهم. هذا هو الطاغوت. وهو لا ينحصر في

١ - سورة غافر (٤٠): ٢٣ - ٢٤.

٢ - سورة النازعات (٧٩): ٣٧ - ٣٩.

٣ - سورة البقرة (٢): ٢٥٦.

٤ - سورة النساء (٤): ٧٦.

الحَقْلِ السِّيَاسِيّ، بل يَتَعَدّاه الى حُقُولٍ أُخْرَى اهُمُّهَا الحَقْلُ
المالِيّ والاقتصاديّ .

وَإِنَّ مَنْ أَمَعَنَ النَّظْرَ فِي قِضَايَا الْحَيَاةِ الْبَشَرِيَّةِ وَمَا كَابَدَهُ
الانسانُ وَيُكَابِدُهُ، يُوقِنُ بَأَنَّ الطَّاعُوتَ الْحَقِيقِيَّ الْاِصْلَاقِيَّ هُوَ
الطَّاعُوتُ الْاِقْتِصَادِيَّ، وَأَنَّ الطَّاعُوتَ السِّيَاسِيَّ سَيِّئَةٌ مِنْ سَيِّئَاتِ
الطَّاعُوتِ الْاِقْتِصَادِيَّ (إِنْ لَمْ يَكُنْ هُوَ آيَاهُ). وَلَقَدْ نَطَقَتِ الْآيَةُ
الْقُرْآنيَّةُ الْكَرِيمَةُ بِمَا كَشَفَتْ عَنْهُ حَيْثُ تَقُولُ: «وَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَأَثَرَ
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا *»، فَالْمُؤَثِّرُ لِلْحَيَاةِ الدُّنْيَا، هُوَ الَّذِي يَطْغَى. وَهُوَ
الطَّاعُوتُ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يَكْفُرَ بِهِ الْمُسْلِمُ الْقُرْآنيّ، وَأَنْ يُطَارِدَهُ
الْحُكْمُ الدِّينِيّ، وَأَنْ يَجِبَ لَهُ الْمَجْتَمَعُ الْاِسْلَامِيّ، وَأَنْ يُكَافِحَهُ عُلَمَاءُ
المسلمين .

وَيُسَلِّطُ الضَّوْءَ عَلَى هَذِهِ الْحَقِيقَةِ كَلَامُ الْاِمَامِ عَلِيِّ بْنِ اِبِي
طَالِبٍ «ع» اَيْضاً حَيْثُ يَقُولُ: «وَإِنْ أَفَادَ مَا لَّا أَطْعَاهُ الْغِنَى»، فَالْغِنَى
هُوَ الْمُطْغَى، وَالْغِنَى هُوَ الطَّاعُوتُ .

وَكَذَلِكَ يُرْشِدُنَا إِلَى هَذَا الْجَانِبِ الْعَظِيمِ، فِي الْحَيَاةِ
وَالْمَجْتَمَعِ، تَعْلِيمٌ وَصَلَ إِلَيْنَا مِنَ الْاِمَامِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ
السَّجَّادِ «ع»: «أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ! مَصِيبَتُكُمْ الطَّوَاغِيتُ، مِنْ أَهْلِ
الرَّغْبَةِ فِي الدُّنْيَا، الْمَائِلُونَ إِلَيْهَا»^٢، فَإِنَّ هَذَا التَّعْلِيمَ يَهْدِينَا إِلَى
مَفْهُومٍ كَبِيرٍ عَنْ «الطَّاعُوتِ»، وَهُوَ الْاِقْتِصَادِيّ الَّذِي يَعُدُّهُ الْاِمَامُ
الْمَعْصُومُ مِنْ مِصَائِبِ الْمَجْتَمَعِ الْاِنْسَانِيّ وَالْاِيْمَانِيّ . فَالطَّاعُوتِيَّةُ
الْاِصْلَاقِيَّةُ هِيَ الَّتِي تَنْبَعُ مِنَ الْمَالِ الْكَثِيرِ وَامْتِلَاكِهِ وَالْمَعِيشَةِ التَّرْفِيَّةِ
الَّتِي تُلَازِمُهُ، سِوَا مَا أَظْهَرَتْ فِي الصُّورَةِ السِّيَاسِيَّةِ امِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ .

١ - الكافي ٨ / ٢١ .

٢ - امالي المفيد / ١١٧ .

وستمرُّ عليك شَدْرَاتُ من التَّعاليم التي تَضَعُ الطَّاغوتُ
الاقتصاديَّ تِجَاهَ حَاسَّتِكَ الباصرة، في تضاعيفِ هذين البابين،
فالي الاستزائفة من انوار الكتاب السَّماي :

٥

إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ، وَأَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ
لَتَتَوَّأَ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ، إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ: لَا تَفْرَحْ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ * ١

* تَدُلُّنا هذه الآية الكريمة :

١ - على أَنَّ الباغيَّ على قومٍ لا يُجِبُّ أَنْ يَكُونَ من الاجانب،
فإنَّ قَارُونَ مع أَنَّهُ كان من قومِ موسى «ع» ومن أَقربائِهِ، وكان أَقْرَأَ
بني اسرائيل للتَّوراة^٢، قد بَغَى عليهم وظَلَمَهُم . فَمِنَ المُمكنِ
الواقع أَن يَكُونَ هناك اغنياءُ مُسلمون، يَقْرَأُونَ القرآنَ وَيَعْلَمُونَ
بعضَ الاحكام، وَيَحْضُرُونَ الجمعةَ والجماعات، وَيَتَزَيَّوْنَ بزِيَّ
المتعبدين من المؤمنين، وَيَدْفَعُونَ بعضَ النِّفقاتِ الدِّينيةِ
والاجتماعية - هَبْهُ كثيراً - ومع ذلك يَكُونون هم، او زملاؤُهُم
وايادِيَهُم، باغين يظلمون الناس، وَيَنْفُذون في التقنين، وَيَحْتَكِرُونَ
البضائعَ والسَّلْعَ، وَيَفْرُضُونَ سُلْطَتَهُم على المُنتجات، وَيُجْحِفُونَ
بالأسعار، وَيَمْتَصِّون دَمَ الجماهير ..

٢ - على أَنَّ اصحابَ الثَّرَواتِ الموسرين، فَرِحُونَ مَسْرُورُونَ،
لا تَجِدُ الاحزانَ الى قلوبِهِم القاسية سبيلاً، ولا يَجِدُونَ لآلامِ
النَّاسِ واوجاعِهِم في نفوسِهِم أَلْماً؛ فهم وذووهم غارقون في

١ - سورة القصص (٢٨) : ٧٦.

٢ - مجمع البيان ٧ / ٢٦٦. وجاء في تفسير القمي (٢ / ١٤٥) : «وكان يَقْرَأُ التَّوراةَ ولم يكن يُكِنُّ فيهِم
أَحْسَنَ صوتاً منه».

الآفراحِ والمسرّات، غافلون عن كُروبِ المكروبين وآلامِ
المولّمين وحرمانِ المحرومين، حتى يقولَ لهمُ البؤساءُ المُكابدون
لأنواعِ المصائبِ والغُوم: لا تفرّحوا إنّ الله لا يُحبُّ الفرحين .
وهم لا يُعيرون لهذا الكلامِ المُتوجّع الخارجِ من اعماقِ الانسانيّةِ
المُضطّهدةِ سمعاً .

٦ وَابْتَغِ فِيهَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا، وَأَحْسِنْ كَمَا
أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ، وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ *^١

* تَدُلُّنَا هَذِهِ الْآيَةُ الْقُرْآنِيَّةُ :

١ - على أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ الْمَوْسِرِ ابْتِغَاءُ الدَّارِ الْآخِرَةِ
فِيمَا آتَاهُ اللَّهُ تَعَالَى، لَا التَّرَفُّلُ فِي نَعِيمِ الدُّنْيَا وَلذَاتِهَا وَمَنْعُ مَا
لِلضُّعْفَاءِ وَالْأَرَامِلِ مِنْ نَصِيبٍ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُنْعِمُ عَلَى الْإِنْسَانِ لِأَن
يَبْتَغِي بِهَذِهِ النِّعَمِ الْفَانِيَةِ، قُرْبَهُ وَجِوَارَهُ وَنِعْمَاءَ الدَّارِ الْبَاقِيَةِ،
وَيَتَذَرَّعَ بِهَا إِلَى تَأْمِينِ حَيَاتِهَا الْخَالِدَةِ، بِالْإِنْفَاقِ وَإِدَاءِ الْحَقُوقِ
الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، وَالضَّرَائِبِ الضَّرُورِيَّةِ وَالرِّفَاقِيَّةِ لِلْمَجْتَمَعِ، وَ
الْمُؤَاسَاةِ وَالْمَسَاوَاةِ وَالْإِيثَارِ . وَلِنَعْمَ مَا يُعَلِّمُنَا الْمَعْلَمُ الْإِلَهِيُّ، الْإِمَامُ
عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ السَّجَّادِ «ع»، حَيْثُ يَقُولُ فِي رِسَالَتِهِ الْحَقُوقِيَّةِ
الْمَعْرُوفَةِ: «وَلَا تَجْعَلْهُ (الْمَالَ) إِذَا كَانَ مِنْ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ، وَسَبَباً إِلَى
اللَّهِ»^٢. أَنْظِرْ إِلَى هَذَا التَّعْلِيمِ التَّوْحِيدِيِّ الْمِثَالِيِّ، حَيْثُ يُرْشِدُكَ إِلَى
أَنْ تَجْعَلَ الْمَالَ الْفَانِيَّ الدَّائِرَ سَبَباً لِلسُّلُوكِ إِلَى اللَّهِ، وَالْإِسْتِظْلَالَ
فِي ظِلَالِ الْإِبْدِيَّةِ الْخَالِدَةِ، وَالتَّخَلُّصِ مِنَ الدُّثُورِ وَالْفَنَاءِ وَالسُّقُوطِ

١ - سورة القصص (٢٨) : ٧٧.

٢ - تحف العقول / ١٩١.

الابدئي . وَلَيُكُنِ الْاِنْسَانُ الْمَوْسِرُ الْمُؤْمِنُ سَالِكاً هَذَا السَّبِيلِ ، لَا مُنْعِمِراً فِي الدُّنْيَا الْمُهْلِكَةَ وَسَاعِياً لِنَفْسِهِ فَقَطْ ، مِنْ غَيْرِ اَنْ يَهْتَمَّ بِامُورِ الْآخِرِينَ وَمَعِيشَتِهِمْ وَحَاجَاتِهِمْ . وَإِنَّ مِنْ حُسْنِ مَعَاشِرِ الْاِنْسَانِ اَنْ يَعِيشَ غَيْرُهُ فِي مَعَايِشِهِ عَيْشَةً حَسَنَةً . قَالَ عَلِيُّ بْنُ شَعِيبٍ : « دَخَلْتُ عَلَى اَبِي الْحَسَنِ الرَّضَا «ع» فَقَالَ لِي : يَا عَلِيُّ مِنْ اَحْسَنِ النَّاسِ مَعَاشِراً ؟ قُلْتُ : اَنْتَ يَا سَيِّدِي اَعْلَمُ بِهِ مِنِّي . فَقَالَ «ع» : يَا عَلِيُّ مَنْ حَسُنَ مَعَاشُرُ غَيْرِهِ فِي مَعَايِشِهِ . يَا عَلِيُّ مَنْ اَسْوَأُ النَّاسِ مَعَاشِراً ؟ قُلْتُ : اَنْتَ اَعْلَمُ . قَالَ : مَنْ لَمْ يَعِشْ غَيْرُهُ فِي مَعَايِشِهِ »^١ .

٢ - عَلِيٌّ اَنَّ الْاِنْسَانَ يَجِبُ عَلَيْهِ اَنْ لَا يَنْسِيَ نَصِيْبَهُ مِنَ الدُّنْيَا فَيَمَّا يَحْتَاجُ اِلَيْهِ فَيَصْرِفُهُ ، وَفَيَمَا يَزِيدُ عَلَيَّ الْحَاجَةَ فَيَبْدُلُهُ (وَكِلَا الْاِمْرَيْنِ نَصِيْبُهُ مِنَ الدُّنْيَا) ، لِاَنَّ يَبْقَى لَهُ عِنْدَ اللهِ خَالِداً مَذْخُوراً .

٣ - عَلِيٌّ اَنَّ الْمَوْسِرِينَ لَمْ يَحْضُلُوا عَلَيَّ الْيَسَارِ الَّذِي حَصَلُوا عَلَيْهِ مِنْ عِنْدِ اَنْفُسِهِمْ وَجَرَءَ قُدْرَاتِهِمْ الْفِكْرِيَّةِ وَمَمَارَسَاتِهِمْ ، كَمَا يَزَعُمُهُ الْقَاصِرُونَ ، وَسَيَّأَتِي الْكَلَامُ عَلَيَّ هَذَا الْمَوْضُوعِ قَرِيباً .

٤ - عَلِيٌّ اَنَّ الْاَغْنِيَاءَ وَاَصْحَابَ الثَّرَوَاتِ الْمَوْسِرِينَ ، هُمُ الَّذِينَ يَبْغُونَ الْفَسَادَ فِي الْاَرْضِ ، فَاِنَّ قَارُونَ يَقُولُ لَهُ قَوْمُهُ : « لَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْاَرْضِ ، اِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ » . وَهَذَا تَأْكِيْدٌ لِمَا سَلَفَ وَيَأْتِي ، مِنْ اَنَّ الْاَغْنِيَاءَ الْمُتَكَثِّرِينَ هُمُ الْمُفْسِدُونَ اَيْضاً ، وَهُمُ الَّذِينَ يَبْشُرُونَ الْفَسَادَ وَيُشِيعُوْنَهُ فِي الْمَجْتَمَعِ بِشَتَّى الْاَسَالِيْبِ .

٧ قَالَ اِنَّمَا اُوْتِيْتَهُ عَلَيَّ عِلْمٍ عِنْدِي ، اَوْ لَمْ يَعْلَمْ اَنَّ اللهَ قَدْ اَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ اَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَاكْثَرُ جَمْعاً ، وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ *^٢

١ - تحف العقول / ٣٣٠ .

٢ - سورة القصص (٢٨) : ٧٨ .

* تَدُلُّنَا هَذِهِ الْآيَةُ :

١ - عَلَى أَنَّ الْمَوْسِرِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ إِنَّمَا حَصَلُوا عَلَى تِلْكَ الْأَمْوَالِ الطَّائِلَةِ بِقُدْرَاتِهِمْ الْفِكْرِيَّةِ وَبِنَبْوِغِهِمُ الْاِقْتِصَادِيَّ، وَبِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْاطَّلَاعِ وَالْعِلْمِ وَالْمَمَارَسَةِ، غَافِلِينَ أَوْ مُتَغَافِلِينَ عَنِ بَقِيَّةِ مَا هُنَالِكَ مِنَ الْمُعِدَّاتِ الَّتِي مَكَّنَتْهُمْ مِنَ الْحُصُولِ عَلَى ثَرَوَاتِهِمْ الْكَبِيرَةِ . فَالْمَوَاهِبُ وَالْقُدْرَةُ الْفِكْرِيَّةُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَالْإِمْكَانِيَّاتُ الَّتِي تَقَعُ بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الْمَجْتَمَعِ، وَالْجُهُودُ الَّتِي تُوَصِّلُهُمْ إِلَى غَايَاتِهِمْ مِنَ النَّاسِ مِنَ الْعُمَالِ وَغَيْرِهِمْ .. وَالتَّجَارِبُ الْعِلْمِيَّةُ وَالْعَمَلِيَّةُ مِنَ الْأَخِصَّائِيِّنَ الَّذِينَ يَسْتَغْلَوْنَهُمْ هُمْ . فَكَمْ هُنَاكَ أَنْاسٌ يَفُوقُونَ الْمُتَكَاتِرِينَ فِي الْمَوَاهِبِ وَالِاسْتِعْدَادَاتِ الْفِكْرِيَّةِ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ يَعْمَلُونَ لَهُمْ، فَلَيْسَتْ تِلْكَ الثَّرَوَاتُ حَصِيلَةً مِمَّا رَسَاتِهِمُ الشَّخْصِيَّةُ كَمَا يَتَوَهَّمُونَ .

فَفِي هَذَا الضُّوءِ، عَلَيْهِمْ أَنْ يُؤَدُّوا مَا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْوَاعِ الْحُقُوقِ، وَأَنْ يُحَسِّنُوا إِلَى السَّائِرِينَ بِالْوَانِ الْإِحْسَانِ، وَأَنْ يُؤَاسُوا النَّاسَ فِيمَا أُوتُوا، وَلَا يَرَوْا أَنْفُسَهُمْ مَالِكِينَ حَقِيقَةً، فَإِنَّ تِلْكَ الْأَمْوَالِ إِنَّمَا تَكُونُ بِأَيْدِيهِمْ فِي مَدَّةٍ زَائِلَةٍ مُتَصَرِّمَةً، وَسَتَنْتَقِلُ إِلَى غَيْرِهِمْ، شَأُؤًا أَوْ أَبَا .. وَفِي هَذَا الْمَقَامِ تَمَثِيلٌ نَقْدَمُهُ لِلْقُرَّاءِ فِي أَمْرِ الْمُعْدِمِينَ وَالْمُتَكَاتِرِينَ . وَذَلِكَ كَالرَّاضِي الَّتِي لَا تَذْخُرُ الْمَاءَ حِينَمَا يَنْزِلُ الْمَطَرُ وَالثَّلْجُ مِثْلَمَا تَذْخُرُهُ قُلُوبُ الْجِبَالِ وَبُطُونُ الْأَوْدِيَةِ وَالْعُدْرَانِ، وَحِينَئِذٍ لَيْسَ لَتِلْكَ الْجِبَالِ وَالْأَوْدِيَةِ وَالْعُدْرَانِ أَنْ تَضَنَّ بِمِيَاهِهَا الْمَذْخُورَةِ وَتُمْسِكَهَا لِأَنْفُسِهَا وَتَسْتَهْلِكَهَا كَيْفَمَا تَشَاءُ، بَلْ عَلَيْهَا أَنْ تَذْخُرَهَا فِي الشِّتَاءِ وَأَيَّامِ الْمَطَرِ وَالثَّلْجِ - كَمَا وَهَبَهَا اللَّهُ لِذَلِكَ الذَّخْرِ اسْتِعْدَادًا وَتَهَيُّؤًا - ثُمَّ تُرْسِلَهَا إِلَى الْمَزَارِعِ وَالْأَرَاضِي الْجَدْبَةِ،

حينما تحتاجُ هي اليها^١.

وهذا مِنَ الشُّكْرِ الواجِبِ على الانسان، وَمُنْبَعِثٌ مِنَ المَعْتَقِدِ التَّوْحِيدِيِّ الَّذِي يَرَى الاسبَابَ ذرائِعَ اَعْدَها اللهُ لِخَلْقِهِ . و على هذا يُضحي الامرُ في غايةِ الغرابةِ، يعني اَن توجَدَ في الناسِ حَفَنَةٌ مِنَ الاغنياءِ الموسرينَ تَزَعُمُ نَفْسَها مَسْلِمَةً مُؤمِنَةً مُجاهِدَةً في سبيلِ الدينِ، ومع ذلك تَرى اَنَّ ما اجْتَمَعَتْ لَديها مِنَ الاموالِ وَتَكَدَّسَتْ، اِنما حَصَلَتْ لَها بِذِكاِئِها وَنَبوِغِها الاِقْتِصَادِيِّ وَمراسِها التِّجَارِيِّ وَمزاوِلِها التَّنْمِويَّةِ! وَاين هذا الزَّعْمُ من خالِصِ عَقيدَةِ التَّوْحِيدِ؟ بل هو مِنَ الشَّرِكِ الخَفِيِّ؛ اِذِ المُوْمِنُ المُوَحَّدُ من لا يَرى حَولاً ولا قُوَّةً الاً بِاللَّهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، ولا يَرى قُدْرَةً او مِراساً، او ادراكاً، او نِشاطاً، او حَركةً، او سِكوناً، او فِهماً، او نِفعاً، او ضِراً، الاً مِنَ اللهِ العالِمِ الخَبيرِ القادرِ البصيرِ، كما اَنَّهُ لا يَرى الاِشياءَ والامْتِعَةَ التي يَتَصَرَّفُ فيها لِلتَّنْمِيَةِ والاسْتِرادِ والبِيعِ والتِّجَارَةِ الاً مَخْلوقَاتِ اللهِ ونِعْمَهِ، هي بِنَفْسِها، او مَوادِّها واصْوَئِها وَمنابِعُها.

وهذا احدُ مِصاديقِ الشُّكْرِ - كما سَلَفَ القَوْلُ^٢.

١ - ولقد اشار الامامُ الصَّادِقُ «ع» الى الحِكمةِ المذكورةِ في خَلْقِ القُللِ على تلكِ الكِفيَّةِ - (البحار ١٣٠ / ٣). وجاءَ عنهُ ايضاً: «اِنَّ اللهَ قَسَمَ رِزْقَ مَنْ شاءَ على يَدِي مَنْ شاءَ» - (الكافي ٢ / ٢٦٦). راجع ايضاً: كَلامُ المولى التَّراقيِّ، في النَظَرَةِ الى الفِصلِ ٩. فايدي الاغنياءِ يَجِبُ ان تَكونَ مَجازاً الاموالِ والنَّعمِ والمَواهِبِ الى الاَخرينِ، لا مَحْبَسَها، وقد يُؤخَذُ على ايديهم ..

٢ - لعلَّ مِنَ الباقي في ذِكْرِ القارئِ العزيزِ، ما مَرَّ في اُولَيَاتِ الفِصلِ الاوَّلِ، مِنَ المَوضوعاتِ الهامَةِ التي دَلَّتْ عليها الايَّاتُ المَناقِلَةُ في مُفْتَتِحِ الفِصلِ . وكانَ الثاني منها: «الاسْتِمدادُ مِنَ اللهِ في السَّعيِ والعملِ بِاِكْتِثارِ ذِكرِهِ». وهذا ما جاءَ في آيَةِ «الابْتِغاءِ» مِنَ سورَةِ «الجُمُعَةِ»: «... وَابْتِغُوا مِنَ فَضْلِ اللهِ وَاذْكُرُوا اللهُ كَثِيراً...». وهذا الامرُ بِذِكرِ اللهِ واِكْتِثارِهِ يُرِشِدُنَا الى واقِعِ توحيدِ هَامٍ، وهو اَن لا نَنسِيَ - بل نَذْكَرُ - ما لِلَّهِ تَعَالَى مِنَ الاثَرِ الوَحيدِ في حُصُولِنا على ما نَبْتَغِي مِنَ فَضْلِهِ وما يَصِلُ اليَنا مِنَ النِّعمَةِ - جَلَّتْ آلاؤُهُ - «وما بِكُمْ مِنَ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ...» - (سورة النحل - ١٦ - ٥٣).

والى القارئ واقعةً بهذا الصدد، من نبيّ الله متّى «ع»، ابي يونس النبيّ «ع»: «سأل داود النبيّ الله تعالى عن قريته في الجنة، فأوحى الله اليه أنه متّى، ابو يونس، فجاى مع سليمان لزيارته، فرأياه إذ أقبل وعلى رأسه قرٌّ من حطبٍ، فباعه واشترى طعاماً ثم طحنه وعجنه وخبزه، فأخذ لقمهً وقال: بسم الله. فلما أزدردّها قال: الحمد لله. ثم فعل ذلك بأخرى وأخرى. ثم شرب الماء فذكر اسم الله، فلما وضعه قال: الحمد لله، يا رب! من ذا الذي أنعمت عليه وأوليتّه مثل ما أوليتني، قد صححت بصري وسمعي وبدني، وقويتني حتى ذهبت الى شجرٍ لم أغرسه وأهتّم لحفظه، جعلته لي رزقاً، وسقت لي من اشتراه مني، فاشتريت بئمه طعاماً لم أزرعه، وسخرت لي النار فأنضجته، وجعلتني أكله بشهوة أقوى بها على طاعتك، فلك الحمد...»^١.

وهناك حكمة أخرى في المقام يجب ان لا نغفل عنها. وهي أن الله تعالى جعل بحكمته الناس على قدراتٍ متفاوتة: فمنهم من يقدر على كسب المال، ومنهم من يذهب الى طلب العلم، ومنهم من يسعد بتهديب النفس، ومنهم من يقوى على تعلم الطب، ومنهم من ينجح الى الصناعة، ومنهم من يظفر بالاختراع، وفي الناس من يحبّ تحصيل الأخصائية، ومن هو محب للحرف والمهن، ومنهم من يحب العمل في البلاد، ومنهم من يحب في الرساتيق، ومنهم من يحب العمل في البر، او البحر، او الجو، وما الى ذلك «فكلُّ ميسرٌ لما خُلق له». ولولا ذلك لآتدور عجلة المجتمع البشري. وعلى هذا فلا يسع ايّ احدٍ من الناس أن يرضن بما عنده من مالٍ كسبه، او علمٍ طلبه، او رُشدٍ وصل اليه، او صناعةً آجأها، او تجربةً حصلها،

او اختراعِ كشفه، او اخصائية قام بها، فكل انسان يجب عليه ان يؤاسي المجتمع بما لديه، حتى يؤاسيه الآخرون بما لديهم، وحتى يكون الناس متمتعين من ابناء نوعهم، آمنين في سربهم. وهذا الامان امر مهم، اذا الانسان الموهوب القادر على اقتناء الاموال الطائلة، اذا عمل بمقتضى استعداده ومواهبه وحصل على مال طائل، ولم يؤد حقوقه الظاهرة والباطنة، ولم يؤاس الناس في تلك الاموال، فهو كاللص القادر، يكون الناس منه على ضرر وحذر، فلا يكون اميناً، ولا يكون المجتمع آمناً.

٢ - على انه تعالى لا يعتني بالاغنياء واموالهم ولا يعتد بهم وبها، فقد اهلك من قبلهم من القرون من هو اشد منهم قوة واكثر جمعاً. فعلى الاغنياء المتكاثرين وذوي الثروات الموسرين ان يراقبوا الله وان يتقوا عذابه وهلاكه واخذة (سواء ما كان منها في هذا الدنيا بايدي الثوار والمحققين، او في الآخرة وبعذابها الشديد)، فلا يظلموا الناس، ولا يغيصوا الحقوق، ولا يستغلوا الكادحين، ولا يسرقوا ارزاق الجماهير، ولا يحرقوا الضعفاء والمساكين، ولا يضعوا نير الاستضعاف على اعناق المستضعفين، لان الله اذا اراد ان يسلبهم ما في ايديهم سلبهم بايسر امر، وليس لهم من الله من واق.

٣ - على ان المجرمين من الاغنياء، الذين ظلموا المحرومين والمضطهدين وسلبوهم حقوقهم الحققة ولم يعطوهم ما لهم ولم يؤاسوهم فيما اعطاهم الله تعالى، فانهم سوف يدخلون العذاب بلا سوال ولا حساب، فالى الله المعاذ.

فخرج على قومه في زينته، قال الذين يريدون الحياة الدنيا: يا ليت لنا مثل ما

أَوْتِيَ قَارُونَ، إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ *^١

* تُدُلُّ هَذِهِ الْآيَةَ :

١ - عَلَى أَنَّ أَصْحَابَ الثَّرَوَاتِ وَالْأَمْوَالِ الطَّائِلَةَ يُجِبُونَ
الاستطالة على النَّاسِ والتَّفَاخَرَ والبَدَخَ والتَّرَفَ والتَّزِينَ بِصُورَةٍ
طَاغِيَةٍ طَاغُوتِيَةٍ، وَيُجِبُونَ أَنْ يَرَوْا لِلنَّاسِ زِينَتَهُمْ وَزِبْرِحَهُمْ، وَلِذَلِكَ
يَخْرُجُونَ عَلَيْهِمْ فِي زِينَتِهِمْ، مِنْ مَلَابِسَ قَشِيْبِيَةٍ وَمَرَآكِبَ جَمِيْلَةٍ،
وَيَبْنُونَ قُصُورًا شَاهِقَةً وَبَيْوتًا مُزَخْرَفَةً، كُلُّ ذَلِكَ لِلِاسْتِعْلَاءِ
وَالِاسْتِكْبَارِ عَلَى الْجَمَاهِيرِ وَالِاسِيْمَا الْمَحْرُومِينَ مِنْهُمْ .

٢ - عَلَى أَنَّ النَّاسَ يُفْتَنُونَ بِظَوَاهِرِ أَحْوَالِ الْإِغْنِيَاءِ وَزِينَتِهِمْ
وَزِبْرِحِهِمْ مِنَ الْحُلِيِّ وَالْحُلَلِ، فَيَتَمَنَّوْنَ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ مَا يَكُونُ
لِلْإِغْنِيَاءِ، وَبِذَلِكَ تَفَلَّقُ طُمَأْنِينَةُ النَّاسِ الرَّوْحِيَّةِ .

٣ - عَلَى أَنَّ الَّذِينَ يُفْتَنُونَ بِالزَّيْنَةِ وَالزَّبَاجِ هُمُ الَّذِينَ يُرِيدُونَ
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، مِنْ أَصْحَابِ الْعُقُولِ الضَّعِيفَةِ وَالْهَمَمِ الْقَاصِرَةِ، مِنْ
الَّذِينَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ الْإِغْنِيَاءَ ذُو حُظُوْظٍ عَظِيْمَةٍ، أَمَّا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ
لَا يُرِيدُونَ الْعُرُوضَ الزَّائِلَةَ الْفَانِيَةَ وَلَا يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا نَظَرَ الْغَايَةِ
لِلْوُجُودِ الْإِنْسَانِيِّ، فَهُمْ بِمَعْزَلٍ عَنِ اخْتِلَاجِ هَذَا الْفِكْرِ فِي
ضَمَائِرِهِمُ النَّيْرَةَ بِأَنْوَارِ الْعَقْلِ وَالْبَصِيرَةَ .

٩ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ: وَيَلِكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا
وَلَا يَلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ *^٢

١ و ٢ - سورة القصص (٢٨) : ٧٩ - ٨٠ .

* تَدُلُّ هَذِهِ الْآيَةَ :

١ - عَلَى أَنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ وَالْبَصِيرَةَ، هُمُ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ بِوَاطِنِ الْأَشْيَاءِ حِينَ يَرَوْنَ ظَوَاهِرَهَا، فَلَا يَفْتِنُونَ بِالْأَمْوَالِ وَالْإِمْتِعَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَلَا يَعُدُّونَهَا شَيْئًا فَلَا يَعْتَدُونَ بِهَا اعْتِدَادًا. وَفِيهِمْ أَنْاسٌ يُعِيبُونَ النَّاسَ وَيَتَحَمَّسُونَ لِحَقُوقِهِمْ وَكَرَامَتِهِمْ، فَيَصْرُخُونَ فِي وَجْهِ الْمُتَكَاثِرِينَ لِأَنَّهُ يُوقِظُهُمْ وَيَأْخُذُوا بِأَيْدِيهِمْ فَيَخْلَصُوهُمْ مِنْ مَهَاوِي السَّقُوطِ الرُّوحِيِّ وَالْخُلُقِيِّ وَالْاجْتِمَاعِيِّ وَالْاِقْتِسَادِيِّ وَالسِّيَاسِيِّ .

٢ - عَلَى أَنَّ الْخَيْرَ الْحَقِيقِيَّ فِي الْأَمْرِ الْبَاقِي الْخَالِدِ، لَا الرَّزَائِلِ الْبَائِدِ، فَثَوَابُ اللَّهِ تَعَالَى خَيْرٌ، لِأَنَّهُ الْبَاقِي الْخَالِدُ .

٣ - عَلَى أَنَّ الْحَقِيقَةَ وَالْحِكْمَةَ وَالْعِلْمَ الْحَقِيقِيَّ، مِنَ الَّتِي تَنْفُذُ فِي الْبَصَائِرِ وَتَفْتَحُهَا عَلَى الْحَقَائِقِ، لَا يَصِلُ إِلَيْهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ عَلَى مَرِّ الْحَقِّ وَعَلَقَمِ الرَّهْدِ، الَّذِينَ يُوطِّنُونَ أَنْفُسَهُمْ عَلَى الْإِعْرَاضِ عَنِ الدُّنْيَا وَتَسْوِيلَاتِهَا الْخَلَابَةِ .

١٠ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ، فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ *

* تَدُلُّ الْآيَةَ :

١ - عَلَى أَنَّ قَارُونَ لَمْ يُنْجِهِ مِنَ الْهَلَاكِ وَالْعَذَابِ مَا لَهُ الْوَافِرُ الْكَثِيرُ، فَخَسَفَ اللَّهُ بِهِ الْأَرْضَ وَبَدَارِهِ وَمَا لَهُ مِنَ الذَّخَائِرِ وَالْأَمْوَالِ .

٢ - عَلَى أَنَّ الْأَغْنِيَاءَ الَّذِينَ يُقَاطِعُونَ النَّاسَ وَيَتَجَنَّبُونَ صُحْبَتَهُمْ، لَيْسَ لَهُمْ عَلَى النَّوَابِ عَوْنٌ، فَعِنْدَ مَا نَزَلَتْ بِهِمُ النَّوَاذِلُ

لَا يَجِدُونَ فِيهَا تَنْصُرَهُمْ، فَمَالُ امْرِئٍ إِلَى الْوَحْدَةِ وَالْوَحْشَةِ وَالْعُرْزَلَةِ
وَالْحَرَمَانِ مِنْ حُبِّ النَّاسِ وَمُؤَاذَرَتِهِمْ .

٣ - عَلَى أَنَّ اللَّهَ لَوَارِدًا بِالْأَغْنِيَاءِ الْهَلَاكِ وَالذَّمَّارِ، فَلَا يُمَكِّنُ
لَهُمْ أَنْ يَدْفَعُوا عَنْ أَنْفُسِهِمُ الْعَذَابَ وَالْهَلَاكَ، لِأَنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى مَا
يَشَاءُ؛ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ .

٤ - عَلَى أَنَّ الثُّورَاتِ الْحَقَّةَ النَّاحِجَةَ يَجِبُ أَنْ تُقَامَ فِي وَجْهِ
الطَّوَاغِبِ الْاِقْتِصَادِيِّينَ إِضَاءً كَالسِّيَاسِيِّينَ؛ فَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ مُوسَى (ع)
مَادَامَ لَمْ يُوقِّقْ لَشَجْبِ الطَّأْغُوتَيْنِ - الْمَالِيِّ وَالسِّيَاسِيِّ - لَمْ تَنْجَحْ
ثَوْرَتُهُ الْهَدَامَةُ وَالْبِنَاءُ، فَكَمَا أَنَّهُ أَزَاحَ الْعَرْقَلَةَ الْأُولَى عَنْ مَسِيرَةِ
قَوْمِهِ، أَزَاحَ الْعَرْقَلَةَ الثَّانِيَةَ إِضَاءً، فَبِفَضْلِ ثَوْرَتِهِ غَرِقَ فِرْعَوْنُ فِي
الْبَحْرِ، وَخَسِفَ قَارُونُ بِالْأَرْضِ، وَاللَّامُ لَمْ يَكُنْ ظَافِرًا بِتَخْلِيصِ بَنِي
إِسْرَائِيلَ الْمُضْطَهَّدِينَ مِنْ مَخَالِبِ الْاِسْتِعْبَادِ وَالضُّعْفِ وَالِاسْتِغْلَالِ
وَالهَوَانِ . فَمِنْ هَذَا التَّعْلِيمِ الْقُرْآنِيِّ نَعْلَمُ أَنَّهُ لِاثْوَرَةٍ نَاجِحَةٍ بَدُونِ
شَجْبِ الطَّأْغُوتَيْنِ .

١١ وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات، فاستكبروا في
الارض، وما كانوا سابقين *^١

* تَدُلُّ الْآيَةُ :

١ - عَلَى أَنَّ قَارُونَ^٢ وَفِرْعَوْنَ^٣ وَهَامَانَ^٤ عِدَادُهُمْ عِدَادٌ وَاحِدٌ،

١ - سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ (٢٩) : ٣٩ .

٢ - وَهُوَ الطَّأْغُوتُ الْاِقْتِصَادِيّ .

٣ - وَهُوَ الطَّأْغُوتُ السِّيَاسِيّ .

٤ - وَهُوَ الطَّأْغُوتُ الثَّقَافِيّ .

فَلْيَكُنِ النَّاسُ عَلَى اتِّبَاهٍ مِنْ هَذَا الْوَاقِعِ، فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَخَافُونَ الْفِرَاعِنَةَ وَيَحْذَرُونَهُمْ وَلَا يَخَافُونَ الْقَوَارِنَةَ وَلَا يَحْذَرُونَهُمْ (وذلك من جرّاء الدّعايات المُضلّلة التي يبثّها الطّواغيتُ الاقتصاديّون بين الجماهير اضلالاً لهم في الوَعْي والاتّجاه)، مع أنّ قارونَ هو فرعونُ نفسه مع شيءٍ زائد. ونحنُ نقرأُ في قصّة موسى «ع» مع قارون، من تدسيسه على نبيّ الله، ما لم نقرأه في قصّة موسى مع فرعون؛ وذلك لأنّ «قارونَ دَعَا امْرَأَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ بَغِيًّا، فَقَالَ لَهَا: إِنِّي أُعْطِيكَ الْفَيْنَ عَلَى أَنْ تَجِيئِي غَدًا، إِذَا اجْتَمَعَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ عِنْدِي فَتَقُولِي: يَا مَعْشَرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ! مَالِي وَلِمُوسَى، قَدْ آذَانِي؟. قَالَتْ: نَعَمْ. فَأَعْطَاهَا خَرِيطَتَيْنِ عَلَيْهِمَا خَاتَمُهُ. فَلَمَّا جَاءَتْ بَيْتَهَا نَدِمَتْ وَقَالَتْ: يَا وَيْلَتِي قَدْ عَمِلْتُ كُلَّ فَاحِشَةٍ فَمَا بَقِيَ إِلَّا أَنْ أَفْتَرِيَ عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ. فَلَمَّا أَصْبَحَتْ أَقْبَلَتْ وَمَعَهَا الْخَرِيطَتَانِ حَتَّى قَامَتْ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالَتْ: إِنَّ قَارُونَ قَدْ أَعْطَانِي هَاتَيْنِ الْخَرِيطَتَيْنِ عَلَى أَنْ آتِيَّ جَمَاعَتَكُمْ فَازْعَمَنَّ أَنْ مُوسَى يُرَاوِدُنِي عَنْ نَفْسِي. وَمَعَاذَ اللَّهِ أَنْ أَفْتَرِيَ عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ. وَهَذِهِ دِرَاهِمُهُ عَلَيْهَا خَاتَمُهُ؛ فَعَرَفَ بَنُو إِسْرَائِيلَ خَاتَمَ قَارُونَ..»^١

٢ - على أنّ قارونَ ومن يُضاهيه من الاغنياء ايضاً، يُنكرون الآياتِ الالهية والموازين الدّينية. وأنّ هذا الانكار والمجابهة لا يختصّان بالفراعنة السياسيّين، بل يقومُ بهما الفراعنة الاقتصاديّون ايضاً «وما أرسلنا في قريةٍ من نذيرٍ إلاّ قال مترفوها إنّنا بما أرسلتم به كافرون»^٢.

٣ - على أنّ المستكبر ليس وصفاً للمتغلب السياسيّ

١ - مجمع البيان ٧ / ٢٤٧.

٢ - سورة سبأ (٣٤): ٣٤.

والحاكم الطّاعي فحَسَب، بل هو وصفٌ ايضاً للكُبراءِ الماليين
والحُكّامِ الاقتصاديين .

٤ - على أنّ هؤلاءِ المستكبرين، السياسيّين والاقتصاديّين، لا
يقدرّون على أن يفرّوا من العذابِ الالهيّ .. فاللهُ مُدْرِكُهُمْ ومُعَذِّبُهُمْ
عذاباً اليماً، إن لم يُدْرِكُهُم العذابُ في الدّنيا بأيدي المظلومين
الثّائرين .

١٢ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ،
وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا، وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ
كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ *^١

* تَدُلُّنا هذه الآية :

١ - على أنّ الكُلَّ يَأْخُذُهُ اللهُ بِذَنبِهِ، فلا قَواتَ لشيءٍ من
عقوباتِ الاعمال، فإلى رَحْمَتِهِ المَعَاذ .

٢ - على أنّ العذابَ الالهيّ الدّنيويّ الذي اصاب هؤلاءِ
الذين ظَلَمُوا النَّاسَ وَاغْتَصَبُوا حَقُوقَهُمْ وَأَزْدَرَوْهُمْ، انما جاءهم
بُصُورٍ شَتَّى كِارِسالِ الحَاصِبِ عَلَيْهِمْ، او أَخَذِ الصَّيْحَةِ لَهُمْ، او
خَسَفِ الْأَرْضِ بِهِمْ، او إِغْرَاقِهِمْ فِي الْبَحْرِ. وفي هذه العصورِ ايضاً
يُعَذِّبُ اللهُ الظّالِمِينَ والمستكبرين والمتكاثرين الغافلين، عذابَهُمْ
الدّنيويّ، بَصُورٍ أُخْرَى من العذابِ المناسبِ لهذه الاحوال، رُوحِيّاً
وجسديّاً (خصوصاً عند ثُورَةِ الثّائرين)؛ ولعذابِ الآخرةِ اشَدُّ
وأبقى .

٣ - على أنّ كلَّ ذلكِ العذابِ والجزاء، إنّما يكونُ من تَبِعَاتِ

١ - سورة العنكبوت (٢٩) : ٤٠ .

الفصل السابع: الطّاعوت الاقتصادي ..

اعمالهم السيئة، من غضبهم للحقوق، وهتكهم للحُرّمات، وامتصاصهم للنّاس، وغضّهم الطّرفَ عما يُكابِده المحرومون، وتناسيهم لما يعانیه الايتام والارامل من الفقر والجوع والعُري، في الحرّ والبرد، وعدم الصّحة والسّكن، وعدم التّربية والتّعليم ..
فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون .

٤ - على أنّ الله تعالى يشجّب الظّلمة الاقتصاديّة كما يشجّب الظّلمة السياسيّة . فعلى المؤمنين الصّامدين أن لا يسكتوا أمام هؤلاء، فإنّ هذا السّكوت بمعنى القرار على كِظّة الظّالمين وسعّب المظلومين . وهذا خلاف رضا الله تعالى، وخلاف السّيرة العمليّة التي رسمها لنا الامام امير المؤمنين عليّ بن ابي طالب «ع» في ايام حكمه . ومن اللاّحَب أنّ القيام بهذا الصّد هو من اهمّ التّكاليف، لاسيما للعلماء النّابهيّن ورجال الدّين الملتزمين .

١٣ ومن النّاس من يشتري هو الحديث ليضلّ عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزواً، اولئك لهم عذاب مهين * واذا تتلى عليه آياتنا وليّ مستكبراً كأنّ لم يسمّعها، كأنّ في اذنيه وقراً، فبشره بعذاب اليم * ١

* هذه الآية الكريمة تستهدف إعطاء صورة من الحياة التّكاثريّة والمعيشة التّرفيّة، لاصحابها المستكبرين، الذين يشترون لهو الحديث ليضلّوا النّاس الضّعفاء العقول عن سبيل الله، لكي لا يتخذوا آيات الله جدّاً، بل يتخذوها هزواً، حتى لا تنصهر نفوسهم بتلك الآيات الالهية الموقظة انصهارها البناء، ولا تهين

تلك البيئات على النفوس، ولا تُخَطِّطَ لها منهجاً للسُّلوكِ
الانسانيّ. وهؤلاء الاغنياء المُشترُّون لِهَوِّ الحديث - القادرون
باموالهم على ذلك الشُّراء - لا يُعيرون سمعاً لايّة كَلِمَةٍ حقٍّ او دعوةٍ
عدل. وحينما يتلو الدُّعاةُ المُحِقِّون آياتِ اللّهِ على اصحابِ تلك
المعيشةِ المُغفَّلة، يُولُّون مستكبرين، يُبدون أنّهم لم يَسْمَعُوها، كأنَّ
في اذنيهم وَقراً، فَبَشَّرَهم بعذابِ اليم.

١٤ وَإِذْ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ، فيَقُولُ الضُّعْفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا: إِنَّا كُنَّا لَكُمْ
تَبَعاً .. ١

١٥ .. يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا: لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ *

الفات نظر

قال الشيخ ابو علي الطبرسي: «ولو ترى» يا محمد! «إذ
الظالمون موقوفون عند ربهم» اي: محبوسون للحساب يوم
القيامة، «يرجع بعضهم الى بعض القول» اي: يرد بعضهم الى
بعض القول في الجدل، «يقول الذين استضعفوا» وهم الاتباع،
«للذين استكبروا» وهم الاشراف والقادة: «لولا انتم لكاننا
مؤمنين»، مصدقين بتوحيد الله، اي انتم منعمتمونا من الايمان .. كان
اتباع الانبياء فيما مضى، الفقراء و اوساط الناس دون الاغنياء، ثم
بين سبحانه علّة كفرهم بأن قال: «وقالوا نحن اكثر اموالاً
واولاداً» اي: افتخروا باموالهم واولادهم ظناً بأن الله سبحانه، انما
خولهم المال والولد كرامة لهم عنده، فقالوا اذا رزقنا وحرمتهم،

١ - سورة غافر (٤٠): ٤٧.

٢ - سورة سبأ (٣٤): ٣١.

الفصل السابع: الطَّاعُوتِ الاقتصاديَّةِ ..

فَنَحْنُ أَكْرَمُ مِنْكُمْ وَأَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، فَلَا يُعَذِّبُنَا عَلَى كَفْرِنَا بِكُمْ .
وَذَلِكَ قَوْلُهُ : " وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ " . وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الْأَمْوَالَ وَالْأَوْلَادَ
عَطَاءٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، يَسْتَحِقُّ بِهِ الشُّكْرَ عَلَيْهِمْ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِلْأَكْرَامِ
وَالْتَفَضُّلِ ١ .

وَلَا يَتَوَهَّمُ الْبَاحِثُ أَنَّ هَذِهِ الْخُصُوصِيَّةَ مَوْجُودَةٌ فِي أَغْنِيَاءِ
الْكَفَّارِ وَغَيْرِ الْمُسْلِمِينَ فَقَطْ، لَا، بَلْ هِيَ تَعْمُ الْكَفَّارَ وَالْمُسْلِمِينَ،
وَمَوْجُودَةٌ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَوْسِرِينَ وَالْمُتَنَعِّمِينَ وَالْأَغْنِيَاءِ مِنْ غَيْرِ
الْكَفَّارِ - كَمَا يَأْتِي التَّصْرِيحُ بِهِ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ - فَعَلَى هَذَا
لَا يَنْبَغِي لِلْعُلَمَاءِ الرَّبَّانِيِّينَ، وَدُعَاةِ الْحَقِّ النَّابِهِينَ، وَشِيعَةِ الْفَضِيلَةِ
الصَّامِدِينَ، أَنْ يَرَكُنُوا إِلَى أَهْلِ الثَّرْوَةِ وَالْغِنَى، مُتَوَهِّمِينَ أَنَّهُمْ
يُؤَيِّدُونَ الدِّينَ بِنَفَقَاتِهِمْ، وَيُقِيمُونَ الْحَقَّ بِأَمْوَالِهِمْ، لَا، فَإِنَّ أَعْيَاءَ
الْقِيَامِ بِحَفِظِ الْحَقِّ وَحِرَاسَةِ الدِّينِ، كَانَتْ وَلَا تَزَالُ عَلَى كَوَاهِلِ
الضُّعْفَاءِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ، فِي مَرَاكِهَا الْجَدِيَّةِ . وَهَذَا أَصْلُ عَمَلِيَّ
اعْتَمَدَ عَلَيْهِ وَاعْتَدَّ بِهِ الْإِنْبِيَاءُ وَدُعَاةُ الدِّينِ عَلَى بَكْرَةِ أَبِيهِمْ ٢ .

١٦ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ * أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى * ٣

١٧ .. وَنَذَرَهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ * ٤

١٨ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ، وَمَهْلَهُمْ قَلِيلًا * ٥

* يُسْتَفَادُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ الْقُرْآنِيَّةِ أَنَّ مَكْذِبِي الرُّسُلِ هُمْ أَوْلُو

١ - مجمع البيان ٨ / ٣٩٢ .

٢ - راجع : الفصل ٥٠، من هذا الباب ايضاً .

٣ - سورة العلق (٩٦) : ٦ - ٧ .

٤ - سورة الانعام (٦) : ١١٠ .

٥ - سورة المزمل (٧٣) : ١١ .

النَّعْمَةِ وَالْإِقْطَاعِيِّونَ وَالمُتْكَاثِرُونَ ، فيقولُ اللهُ تَعَالَى تَشْبِيهًا لِنَبِيِّهِ وَتَشْجِيْعًا لَهُ : «ذَرْنِي وَالمُكْذِبِينَ اُولِي النِّعْمَةِ ..» ، فَانِّي سَأَكْفِيكُمْ .
 وَلقد عَلِمْنَا بِالنُّصُوصِ الْقُرْآنِيَّةِ الْمُخْتَلِفَةِ ، وَالمُوقَاعِ التَّارِيخِيَّةِ ، أَنَّ الاكْثَرِيَّةَ الغَالِبَةَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالَّذِينَ ، وَكذَّبُوا النَّبِيِّينَ ، وَأَطْفَأُوا سُنْنَ المرْسَلِينَ ، وَتَمَرَّدُوا عَلَى الدُّعَاةِ الْمُحَقِّينَ ، وَاتَّبَعُوا الشَّيَاطِينَ ، هُمُ المَلَأُ وَالمُتْرَفُونَ ، وَالاغْنِيَاءُ المُتْكَاثِرُونَ ؛ فَأعدَاءُ الانبِيَاءِ وَالشَّرَائِعِ الالهِيَّةِ ، او مُخَالِفُوا تَطْبِيقِهَا عَلَى الصُّورَةِ الصَّحِيحَةِ الفَعْلِيَّةِ ، هُمُ عُتَاةُ المَالِ ، وَطَوَاعِيتُ الثَّرْوَةِ ، وَجِبَابِرَةُ التَّكَاثُرِ وَالاْتِرَافِ ، وَفِرَاعِنَةُ الجَمْعِ وَالاَدِّخَارِ ، وَقَوَارِنَةُ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ . هَذَا دَابُّ هَوْلَاءِ ، فِي آيَةِ اُمَّةٍ كَانُوا ، وَفِي اَيِّ زَمَانٍ ظَهَرُوا ، وَعَلَى اَيِّ اِعْتِقَادٍ اَبَدُوهُ (وَلذَلِكَ يَقُولُ النَّبِيُّ الْاَعْظَمُ «ص» : «شَرَّامَتِي الْاَغْنِيَاءُ»^(١) . اِلَّا مَنْ تَابَ مِنْهُمْ وَاصْلَحَ ، وَرَجَعَ عَنِ اَمْوَالِهِ وَتَخَلَّى مِنْهَا ، وَرَدَّهَا اِلَى اَهْلِهَا مِنَ المَحْرُومِينَ وَالكَادِحِينَ وَالمُسْتَضْعَفِينَ ، او صَرَفَهَا فِي وَجْهِهَا - وَحَيْثُ وَجَّهَهَا اللهُ - مِنَ المَصَالِحِ الْعَامَّةِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ ، وَالخَيْرَاتِ الصَّالِحَةِ .

وَلَا يَخْفَى أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الَّذِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا بِالْاَنْبِيَاءِ وَلَمْ يَهْتَدُوا اِلَى سِوَاءِ السَّبِيلِ ، وَلَمْ يَظْفَرُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا - الَّتِي هِيَ مَزْرَعَةٌ لِآخِرَتِهِمْ - بِمُعْتَقَدٍ صَحِيحٍ وَعَمَلٍ صَالِحٍ ، كَانُوا حِصَانِدَ اُولئِكَ الطُّغَاةِ الْاِقْتِصَادِيِّينَ مِنَ الْمُتْرَفِينَ وَ«السَّادَاتِ الْكُبْرَاءِ» - عَلَى حَدِّ تَعْبِيرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ^٢ - فَانَّهُمْ مَنَعُوا النَّاسَ عَنِ قَبُولِ الْحَقِّ بِاقْوَالِهِمْ وَاعْمَالِهِمْ وَامْوَالِهِمْ . وَسُنْعِيدُ الْكَلَامِ عَنِ هَذِهِ الْآيَةِ ، فِي الْفَصْلِ

١ - جَامِعُ السَّعَادَاتِ ٢ / ٣٤ .

٢ - سُورَةُ الْاِحْزَابِ (٣٣) : ٤٧ . وَكَذَلِكَ تَعْبِيرُ الْاِمَامِ عَلِيِّ بْنِ اَبِي طَالِبٍ «ع» حَيْثُ يَقُولُ : «اَلَا! فَالْحَدْرُ ، الْحَدْرُ ، مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ وَكُبْرَائِكُمْ ..» - (نَهْجُ الْبَلَاغَةِ / ٧٨٥ ؛ عِدَهُ ٢ / ١٦٦) .

الحديث

- ١ النبي «ص»: ما أُوجِيَ اليَّ أَنْ أَجْمَعَ المَالَ وَكُنْ مِنَ التَّاجِرِينَ، وَلَكِنْ أُوجِيَ اليَّ أَنْ سَبَّحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ، حَتَّى يَأْتِيَكَ الْبِقِينُ.^١
- * يُنَدِّدُ الْحَدِيثُ النَّبَوِيُّ الشَّرِيفُ بِجَمْعِ المَالَ وَأَدِّخَارِهِ، لِابْتِكْسِهِ وَانْفَاقِهِ فِي سَبِيلِ المَشَارِعِ الخَيْرِيَّةِ كَمَا هُوَ وَاضِحٌ .
- ٢ عيسى المسيح «ع»: بِحَقِّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ أَكْنَفَ السَّمَاءُ لِخَالِيَّةٍ مِنَ الْاَغْنِيَاءِ . وَلَدْخُولُ جَمَلٍ فِي سَمِّ الخِيَاطِ، أَيْسَرُ مِنْ دَخُولِ غَنِيٍّ فِي الجَنَّةِ.^٢
- ٣ الامام علي «ع»: .. وَإِنْ افَادَ مَالًا أَطْغَاهُ الْغِنَى.^٣
- ٤ الامام علي «ع»: .. وَكُلُّ افْرَاطٍ لَهُ مُفْسِدٌ.^٤
- ٥ الامام علي «ع»: كَانَ سَلِيمَانُ إِذَا أَصْبَحَ تَصَفَّحَ وَجُوهَ الْاَغْنِيَاءِ وَالْاَشْرَافِ حَتَّى يَجِيءَ إِلَى المَسَاكِينِ وَيَقْعُدَ مَعَهُمْ وَيَقُولُ: مَسْكِينٌ مَعَ المَسَاكِينِ.^٥

١ - البحار ٦٢ / ٤٧، عن «روضة الواعظين».

٢ - عُدَّة الدّاعي / ١١٣ .

٣ - نهج البلاغة / ١١٣٦؛ عبده ٣ / ١٧٥ .

٥ - البحار ١٤ / ٨٣، عن «مجموعة ورام».

* هذه التعاليم وامثالها تشجّب الطواغيت الاقتصادية وتزدرّهم وتختزلهم عن المجتمع، وتُسبّب عزّلتهم الاجتماعية اذا عمّل الناس بمقتضاها. وهذا كقول النبي «ص»: «ثلاثة مجالستهم تُميت القلب .. الجلوس مع الاغنياء»^١. غير أنّ الناس يجب أن يوجّهوا لذلك الامر، وأن يوعوا أنّ الغنى لا يوجب آية كرامة او حرمة او مزية، بل يجب أن يكون اصحابه مختزلين غير مرموقين، حتى يفيئوا الى العدل والحقّ والبذل واداء الحقوق التي تلزمهم - وهي كثيرة - ورفع اليد عما أقدموا عليه من الامتصاص والاستغلال حتى حصلوا على تلكم الثروات.

٦ الامام علي «ع» - فيما رواه الامام جعفر الصادق: إنّ الله فرّض على اغنياء الناس في اموالهم قدر الذي يسع فقراءهم. فإن ضاع الفقراء، أو أُجهدوا، أو أُعروا، فبما يمنع اغنيائهم. فإنّ الله محاسبهم بذلك يوم القيامة ومُعذّبهم عذاباً اليماً^٢.

* فعلى اساس هذا التعليم (وهذا التأشير الالهيّ الذي قد أبداه الامام عليّ بن ابي طالب «ع» ونقله الامام الصادق «ع») كتعليم ثابت وتأكيد، أليس من الواجب علينا أن نعتقد أنّ ضياع الفقراء وإجهادهم وإعراءهم كلّها يرجع الى منع الاغنياء وجسهم الحقوق المختلفة - الظاهرة والباطنة^٣ - التي يجب عليهم ادؤها؟ أليس من الواجب على الفقهاء الاسلامية أن تتخذ امام الغنى

١ - تحف العقول / ٤٢.

٢ - دعائم الاسلام / ١ / ٢٥٠.

٣ - راجع: الفصل ٤١، من الباب ١٢.

الفصل السابع: الطّاعوت الاقتصادية ..

الوافر الذي ضاع به الفقراء وأجهدوا وأعرّوا، موقفاً حاسماً غير محايد؟ أو ليس من الواجب على الحكم الذي يدعي الاسلاميّة والانتماء اليها أن يقوم باخذ حقوق المحرومين والضعفاء واموالهم وايصالها اليهم، من غير أيّ تأجيل او مُداهنة؟

وعلى اساس التعليم العلويّ الصادقيّ المذكور،^١ اذا دعا داعٍ الى اقامة القسط القرآنيّ وقال، يَجِبُ أَنْ يُزَاحَ الْفَقْرُ مِنَ الْمَجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ بِاسْتِرْدَادِ الْحُقُوقِ الْمَغْضُوبَةِ وَالْمَحْبُوسَةِ وَرَدِّهَا إِلَى أَهْلِهَا، أَيْ كَوْنُ مِنَ الْحَقِّ وَالنَّصْفَةِ أَنْ تَنْهَمَهُ بِانْكَارِ الْمَلِكِيَّةِ وَقَدَاسَتِهَا، وَبِالْيَسَارِيَّةِ وَالتَّطَرُّفِ وَمَا لِيَهُمَا؟ أَمِنَ الدِّينَ أَنْ نَخُنُقُ تِلْكَ الْإِصْوَاتَ الدَّاعِيَةَ إِلَى تَجْسِيدِ الْعَدَالَةِ الْقُرْآنِيَّةِ بِهَذَا الْإِتْهَامِ النَّافِهِ الْوَاهِي؟ .. غفرانك اللهم ربنا واليك المصير ..

٧ الامام السجاد «ع»: .. وَأَزُو عَنِّي مِنَ الْمَالِ مَا يُحْدِثُ لِي مَخِيلَةً، أَوْ تَأْدِيًّا إِلَى بَغْيٍ، أَوْ مَا أَتَعَقَّبُ مِنْهُ طُغْيَانًا..^٢

٨ الامام السجاد «ع»: .. أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ! مَصِيبَتُكُمْ الطَّوَاعِيَةُ مِنْ أَهْلِ الرِّغْبَةِ فِي الدُّنْيَا، الْمَائِلُونَ إِلَيْهَا، الْمُفْتُونُونَ بِهَا، الْمُقْبِلُونَ عَلَيْهَا، وَعَلَى حُطَامِهَا وَهَشِيمِهَا الْبَائِدِ غَدًا..^٣

٩ الامام السجاد «ع»: .. فَقَدِّمُوا أَمْرَ اللَّهِ وَطَاعَتَهُ وَطَاعَةَ مَنْ أَوْجَبَ اللَّهُ طَاعَتَهُ بَيْنَ يَدَيْ الْأُمُورِ كُلِّهَا، وَلَا تُقَدِّمُوا الْأُمُورَ الْوَارِدَةَ عَلَيْكُمْ، مِنْ طَاعَةِ الطَّوَاعِيَةِ

١- وقد جاء مثله عن النبي «ص» ايضاً - كما في «التصدير»، وامثال هذا التعليم كثيرة متضافرة في التعليم الاسلاميّة، بحيث يتخذ منها اصل «فقر الفقراء من ذنب الاغنياء». ولقد جاءت جملة صالحة من تلك التعليم في فصول هذين البابين، كما يلاحظها القراء الكرام.

٢ - الصحيفة السجادية / ٢٠٢ (الدعاء ٣٠).

٣ - امالي المفيد / ١١٧.

وفتنة زهرة الدنيا، بين يدي امرالله وطاعته، وطاعة اولي الامر منكم ..^١

تذييلان

١ - تعميم الكفاح ضدّ الطاغوت سياسياً كان او اقتصادياً

الكتاب

١ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين * الى فرعون وهامان وقارون ..^٢

٢ .. فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله، فقد استمسك بالعروة الوثقى ..^٣

الحديث

١ الامام علي «ع»: .. وما أخذ الله على العلماء: أن لا يُقاروا على كِظّة ظالمٍ

ولا سَغِبِ مظلوم ..^٤

٢ الامام الباقر «ع»، او الصادق «ع»: ويلٌ لقومٍ لا يدينون الله بالامر

بالمعروف والنهي عن المنكر .. من قال: لا اله الا الله، فلن يلج ملكوت

السماء حتى يتمّ قوله بعملٍ صالح . ولادين لمن دان الله بطاعة الظالم . ثمّ

١ - تحف العقول / ١٨٣ .

٢ - سورة غافر (٤٠): ٢٣ - ٢٤، و سورة البقرة (٢): ٢٥٦ .

٣ - نهج البلاغة / ٥٢؛ عبده ١ / ٣٢ .

الفصل السابع: الطّاعوت الاقتصاديّ ..

قال: كلُّ القومِ ألهاهُمُ التّكاثر، حتى زاروا المَقابر^١.

٣ الامام الصادق «ع»: مَنْ أَحَبَّ بقاءَ الظّالمين فقد أَحَبَّ أَنْ يُعصى اللهُ^٢.

* لعلّ الاشارة الى اهمية مكافحة الطّاعوتين السياسيّ والاقتصاديّ، توضيح للواضح، لما نعرفه من تعاليم الاسلام. ومنها ما يراه المراجع الى هذين البابين.

٢- لزوم التعجيل في ازاحة المظالم الماليّة (لا إمهال في التّغيير)

أ- الاموال الشعبيّة

الكتاب

١ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ، وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ، وَقُلْ: آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ، وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ^٣.

الحديث

١ - امالي المفيد / ١٠٩.

٢ - الوسائل ١٢ / ١٣٤.

٣ - سورة الشورى (٤٢): ١٥.

١ الامام علي «ع» - لَمَّا اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ وَسَأَلُوهُ أَنْ يُخَاطِبَ عَثْمَانَ بْنَ عُرْفَانَ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ وَتَكَلَّمَ مَعَهُ بِكَلَامِهِ الْمَشْهُورِ، الْمَنْقُولِ فِي «نَهْجِ الْبَلَاغَةِ»، فَقَالَ لَهُ عَثْمَانُ: كَلِّمِ النَّاسَ فِي أَنْ يُوجِّلُونِي حَتَّى أَخْرَجَ إِلَيْهِمْ مِنْ مَطَالِمِهِمْ. فَقَالَ: مَا كَانَ بِالْمَدِينَةِ فَلَا أَجَلَ فِيهِ، وَمَا غَابَ فَاجَلُهُ وَصَوْلُ امْرِكِ إِلَيْهِ. ١

* وهذا الكلامُ الثَّورِيُّ رُدُّ عَلَى كُلِّ حَكْمٍ اسْلَامِيٍّ يُوجَّلُ تطبيقُ العدلِ واصلاحُ القضايا الاقتصاديةِ وشَجَبَ المظالمِ المَالِيَّةِ، وَيَعِدُّ النَّاسَ وَعِدَاءً، وَيَقُولُ: لَمْ تَأْتِ فِرْصَةُ الْاِقْدَامِ عَلَى هَذِهِ الْاُمُورِ بَعْدُ.. وَسَنَقُومُ بِهَا حِينَمَا وَافْتَنَّا فُرْصَ مُؤَاتِيَةٍ. هَذِهِ الْاَعْدَارُ كُلُّهَا تَقَاعَسُ، اَوْ تَمُوتُ، اَوْ ضَعْفُ، اَوْ رَجْعِيَّةٌ وَتَخَلَّفُ، اَوْ مَصَانَعَةٌ، اَوْ طَمَعٌ؛ وَتُضَادُّ اِتِّجَاهَ الْاِمَامِ عَلِيِّ بْنِ اَبِي طَالِبٍ «ع»، الثَّورِيُّ الْاسْلَامِيَّ.

ب - الاموال الفردية

٢ الامام الصادق «ع» - عَلِيُّ بْنُ اَبِي حَمْزَةَ قَالَ: كَانَ لِي صَاحِبٌ كَانَ يَكْتُبُ لِبَنِي اُمِّيَّةٍ فَسَأَلَنِي اَنْ اَسْتَاذِنَ لَهُ حَتَّى يَدْخُلَ عَلَيَّ الصَّادِقُ «ع». فَاسْتَاذِنْتُ لَهُ فَدَخَلَ وَقَالَ قَدْ حَصَلَ عِنْدِي اَمْوَالٌ كَثِيرَةٌ مِنْ غَيْرِ اِحْتِيَاظٍ فِي مَوَارِدِهَا فَمَا الْحَكْمُ فِيهَا؟ فَقَالَ الصَّادِقُ «ع»:

«لَوْلَا اَنَّ بَنِي اُمِّيَّةٍ وَجَدُوا مَنْ يَكْتُبُ لَهُمْ وَيُجِيبِي لَهُمُ الْفِيءَ وَيُقَاتِلُ عَنْهُمْ وَيَشْهَدُ جَمَاعَتَهُمْ لَمَا سَلَبُونَا حَقَّنَا، وَلَوْ تَرَكَهُمْ النَّاسُ وَمَا فِي اَيْدِيهِمْ مَا وَجَدُوا شَيْئًا اِلَّا مَا وَقَعَ فِي اَيْدِيهِمْ». قَالَ: فَقَالَ الْفَتَى: جُعِلَتْ فِدَاكَ!

فهل لي مخرج منه؟ قال: «إن قلت لك تفعل؟» قال: أفعل. قال له: «فأخرج من جميع ما اكتسبت في ديوانهم. فمن عرفت منهم رددت عليه ماله، ومن لم تعرف تصدقت به. وأنا أضمن لك على الله عز وجل الجنة». قال: فاطرق الفتى رأسه طويلاً ثم قال: قد فعلت، جعلت فداك!

نظرة الى الفصل

١ - الطَّاعُوتِ الاقتصاديِّ والاقتصادِ الطَّاعُوتِي: الاقتصادُ التَّكاثُرِي، اقتصادُ طاعوتِي في نظرِ الاسلام . وهو مبدأ الطُّغْيَانِ ومجاله الفسِيح . إِنَّ كَلِمَةَ «الطَّاعُوتِ» مبالغةٌ من الطُّغْيَانِ - كما سلف - والطُّغْيَانُ هو التَّجَاوُزُ عن حدودِ القصدِ والاعتدالِ، والعُتُوُّ على الحقِّ والعدلِ والقانونِ، والاعتداءُ على حقوقِ النَّاسِ . والمقصودُ بالطَّاعُوتِ هو المعبودُ من غيرِ الله تعالى والمُطَاعُ دونَه . وكلُّ متجاوزٍ وكلُّ مُعْتَدٍ وطاغٍ فهو طاعوت . والطُّغْيَانُ قد يكونُ نفسياً باطنياً، وقد يكونُ ظاهراً . وهو ناشئٌ من الثَّرَاءِ وكثرةِ المواهبِ الحياتيةِ، او الامورِ المكتسبةِ . وقد يكونُ الطُّغْيَانُ الماليُّ سبباً لطغيانِ النَّفسِ وبالعكس، يعني أَنَّ النَّفْسَ الطَّاعِيَةَ تَطْلُبُ المالَ الكَثِيرَ وتجتهدُ في طلبِه فتصلُ اليه فتطغى، «كَلَّا! إِنَّ الْانْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ * أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى *»^١ . والطُّغْيَانُ الماليُّ يُوجِبُ الطُّغْيَانَ فِي سَائِرِ مُسْتَوِيَاتِ الْحَيَاةِ .

إِنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ يَدْمُ اسْتِقْطَابَ الْمَالِ الْمُؤَدِّيَ إِلَى الطُّغْيَانِيْنَ
النَّفْسِيِّ وَالظَّاهِرِي، وَيَتَوَعَّدُ عَلَيْهِ فِيقُولُ: «فَأَمَّا مَنْ طَغَى * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ
الْمَأْوَى *»^٢ . ومن المعلوم أَنَّ الْمَالَ إِذَا اسْتَقْطَبَ وَصَارَ الْغَايَةَ لِلنَّشَاطِ
الانْسَانِيِّ وَأُدْخِرَ وَاكْتَبِرَ، يَكُونُ عَامِلاً لِلطُّغْيَانِ، وَبَاعِثاً عَلَى الْعُتُوِّ وَالنَّمْرِ
أَمَامَ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ، وَالتَّخَلِّيِّ عَنِ ادَاءِ حَقُوقِ النَّاسِ .

ونُشِيرُ هُنَا إِلَى نَبْذَةِ مِنْ مَفَاسِدِ الْاِقْتِصَادِ الطَّاعُوتِيِّ وَمُضَاعَفَاتِهِ السَّيِّئَةِ

١ - سورة العلق (٩٦) : ٦ - ٧ .

٢ - سورة النازعات (٧٩) : ٣٧ و ٣٩ .

أ - القلق الاجتماعي: إن مضاعفات الاقتصاد الطاغوتي لا تبقى محصورة الإطار، بل تتسرب الى المجتمع ايضاً تسرباً فاشياً، وتجعله مسرّح الفتن والثورات، وتطرّد منه الامن والسلام والوثام وتسلبه تقومه اللائق به . أضف الى ذلك تطويره الفكر والثقافة والاخلاق العملية الى أشكال تناسب الغايات الطاغوتية وتواكبها . وهذا امر واضح . وذلك لان انهيار الثروات والمقادير الباهظة من المال على قوم من الناس الأثرياء وانحدارها الى أكياسهم، واجتلابها الى رصائدهم في البنوك، وسلب حقوق الناس وسرقة ارزاقهم - كما ورد في الاحاديث - وخلق الحرمان والبؤس في قطاعات كبيرة، وبقاء الكادحين في مستويات واطئة حتى يتاح استغلالهم الدائب، وتأييد السياسات الجائرة والحكومات المعتدية التي تصافق اولئك الموسرين، إن كل ذلك يؤدي الى التناحرات المتداعية، ويوجب القلق والتوتر في سائر الناس .

ومن هنا نرى ان الآزمات الطاحنة والمتاعب المثقلة - صغيرها و كبيرها - إنما تتسرب الى المجتمعات من ناحية النظم المالية الطاغوتية، فتوتر عليها الأجواء، وتقضي على أمنها وسلامها وهُدُوتها .

ب - الضلال الاجتماعي: حيث إن الطغيان المالي والطاغوتية الاقتصادية لا يبقيان كشيء راكد في محل، بل يتعديان اذا ظهر في أناس الى الآخرين، واذا ظهر في حالات الى سائر الاحوال، لقد عبّر عنهما في التعاليم الحديثية بالضللال، كما يقول الامام علي «ع»: «... ومن طغى، ضل على غير يقين، ولا حجة له»^١. ومن الواضح ان نفس التعدي عن حد

القصِد هو الضلال، وهو الَّذِي يَجْتَرُّ الانسانَ الى سائر الضَّلالات .

ج- الاستبداد والدكتاتورية: ينشأ من الاقتصاد الطاغوتي، الاستبداد السياسي والدكتاتورية ايضاً، بل هو من أهمّ مناسئهما . وبعبارة أخرى: إنّ الاقتصاد الطاغوتي يوجِد السياسة الطاغوتية ويمهّد للحكم الطاغوتي ولو بالتدريج . وذلك لانّ الاقتصاد الطاغوتي لا بُدَّ له من أن يفرض على الناس سلطته وأن يسلب حريّاتهم لغاياته الاستغلالية . لذلك فإنّ الطواغيت الاقتصاديين لا يزالون يتربصون بالمجتمع الدوائر، ليستولوا على المنافع والدخول وليحصروها في انفسهم ويصوبوها في آكياسهم، ويفرضوا سلطاتهم على الاسواق، وعلى العرض والطلب، وعلى الأسعار والاستهلاك، ولانّ يبسطوا نفوذهم المخطّط على جميع القطاعات، ولانّ يؤمّنوا على جميع المراكز الاجتماعية الحساسة والنشيطة، حتى يتسنى لهم أن يزيحوا العراقيل عن مسيرهم ومسربهم، وان يمتلكوا الموادّ الاولية والمناجم والانتاج والاستيراد والتوزيع والتسعير، كل يومٍ اكثر من الامس . والنتيجة التي تعود اليهم معلومة، وهي السلطنة على الاموال وتداولها والقبض على الشرايين الاقتصادية في المجتمع، وأسر الناس في شبكات الطاغوتية المالية .

فعلى هذا، تكون نتيجة الإبقاء على حريّة النظام المالي الطاغوتي (النظام التكتاري، الرأسمالي، الحرّ)، إسارة المجتمع في جبريّة ذلك النظام المتناسك المفروض، وفرض الاحتياج والفقير والمحرومية على سائر الناس بشكل تصاعدي .

والاسلام هو المكافح الوحيد في وجه الطاغوتية في جميع ما لها من

صُور:

الطاغوتية السياسية ،

- ، الطَّاعُوْتِيَّةُ الْاِقْتِصَادِيَّةُ ،
- ، الطَّاعُوْتِيَّةُ الْاِخْلَاقِيَّةُ ،
- ، الطَّاعُوْتِيَّةُ الْاجْتِمَاعِيَّةُ ،
- ، الطَّاعُوْتِيَّةُ الثَّقَافِيَّةُ ،

فالاِسْلَامُ يُكَافِحُ بِتَعَالِيْمِهِ كُلَّ الْوَانِ الطَّاعُوْتِيَّةِ اَعْنَفَ كِفَاحٍ، وَيُوَمِّنُ
لِلنَّاسِ حُقُوْقَهُمْ وَكِرَامَتَهُمْ فِي حُقُوْلِهَا الْمُتَلَاحِمَةِ مَعَ الرُّوحِ الْاِسْلَامِيِّ .
الاسْلَامُ دِيْنٌ اِنْسَانِيٌّ يَعْهُمُ حَنَانُهُ النَّاسَ جَمِيْعًا وَلَا سِيْمَا الْمُسْتَضْعَفِيْنَ .
وسبيلُ الله الَّذي قد اَكَّدَ الْقُرْآنُ عَلَى الْقِتَالِ فِيهِ هُوَ سَبِيْلُ الْمُسْتَضْعَفِيْنَ ،
فِي قِبَالِ سَبِيْلِ الشَّيْطَانِ، وَهُوَ سَبِيْلُ الْاَثْرِيَاءِ وَالْجَبَابِرَةِ الْمُتْرَفِيْنَ
وَالطَّوَاغِيْتِ الْاِقْتِصَادِيِّيْنَ وَالسِّيَاسِيِّْنَ .

اِنَّ الدِّيْنَ الْاِلَهِيَّ وَالشَّرْعَ السَّمَاوِيَّ لَا يَسْعُهُ اَنْ يَعْتَرَفَ بِفِرْضِ
سُلْطَاتٍ فِتْنَةٍ عَلَى سَائِرِ الْفِتَاَتِ وَعَلَى اَمْوَالِهِمْ وَاَعْرَاضِهِمْ وَكُدُوْدِهِمْ
وَمَصَائِرِهِمْ الْحَيَاتِيَّةِ، فَضْلًا عَنْ اَنْ يُمَهِّدَ لَذَلِكَ الْفِرْضِ تَهْمِيْدًا، بَلْ يَنْفِي كُلَّ
ذَلِكَ وَيَجْبَهُهُ . وَمَنْ الْوَاضِحُ اَنْ هَذَا النِّفْيَ وَالْمُجَابَهَةَ فِي اَيِّ حَقْلِ كَانَ -
مِنَ السِّيَاسِيِّ وَالاِقْتِصَادِيِّ وَغَيْرِهِمَا - لَا يَكُونَانِ اِلَّا بِمَلَكَ وَاَحَدٍ، وَهُوَ
الْعَقِيْدَةُ التَّوْحِيْدِيَّةُ الْاِسْلَامِيَّةُ، الَّتِي تَقْتَضِي تَسَاوِي النَّاسِ اَمَامَ اللهِ تَعَالَى،
وَشَجَبَ اَيَّ اسْتِعْلَاءٍ مِنْ بَعْضِ النَّاسِ عَلَى الْبَعْضِ الْاٰخَرِ، اَوْ اتِّخَاذِ
بَعْضِهِمْ بَعْضًا اَرْبَابًا مِنْ دُوْنِ اللهِ؛ وَتَدْعُو اِلَى الْكُفْرِ الْحَاسِمِ بِاَيِّ رَبِّ اِلَّا اللهُ
رَبُّ الْعَالَمِيْنَ .

فَعَلَى هَذَا، تُضَادُّ كُلُّ صُوْرَةٍ مِنْ صُوْرِ الدِّكْتَاتُوْرِيَّةِ وَالاِسْتِكْبَارِ وَسُلْطَةِ
اِفْرَادٍ اَوْ فِتْنَةٍ عَلَى سَائِرِ النَّاسِ، مَغْزَى دِيْنِ التَّوْحِيْدِ الْخَالِصِ وَالْمَنْهَجِ
الَّذِي خَطَّهُ - كَمَا سَلَفَ - اِذْ رَسَالَةُ الدِّيْنِ وَحَرَكَتُهُ لَيْسَتْ اِلَّا نَفْيَ الْاَرْبَابِ
كُلِّهِمْ^١ سِيَاسِيَّهُمْ وَاِقْتِصَادِيَّهُمْ، وَتَثْبِيْتِ رَبِّ وَاَحَدٍ : «وَلَا يَتَّخِذْ بَعْضُنَا بَعْضًا

١ - ولا فرق بين هؤلاء الارباب، الذين يجب ان يرفضوا، بين ان يكونوا مترزين بهذا الزي او ذلك،

ارباباً من دون الله»^١.

ومن رسالات الدين أيضاً، تحرير الإنسان وتخليصه من جميع صور الأسر (ويضع عنهم إصرهم والاغلال التي كانت عليهم)^٢. والإصر الذي يضعه الدين عن الناس اعم من :

- الإصر السياسي ،
- الإصر الاقتصادي ،
- الإصر الاجتماعي ،
- الإصر الثقافي ،
- الإصر العسكري ،
- الإصر التقليدي ،

ولا سيما مع النظر الى تلازم تلك الآصار.

ومن أسوأ صور الأسر والإصر، هو الأسر الاقتصادي وإصره، اذ الانسان الاسير في الشبكات الاقتصادية المختلفة، إنما أسر في شبكات متداخلة معقدة، تمت الى نفسه وغرائزه وحاجياته الضرورية. إن الانسان يحتاج احتياجاً اولياً الى الغذاء واللباس والسكن والصحة .. وهذه الحاجات إن لم تُسد تُؤدّي الى هلاك الانسان، فلا أسر أشد وطأً على الانسان من هذا الأسر.

وكذلك من رسالات الدين، شجب الاستكبار والغطرسة في جميع اشكالها، حتى تُتاح له إزاحة الاستضعاف ومضاعفاته عن ساحات الحياة الانسانية. والسلطة الاقتصادية الطاغية هي الاستكبار الاقتصادي

→
متسمين بهذا الاسم او ذاك.

١ - سورة آل عمران (٣) : ٦٤.

٢ - سورة الاعراف (٧) : ١٥٧.

نظرة الى الفصل السابع ..

والمالي، الذي يَسْتَتِيعُ سائرَ صُورِ الاستكبار، وَيُسَبِّبُ ظهورَ الاستضعافِ والفقْرِ في المجتمعِ وانتشارَهما. والتَّأَكُّدُ السُّؤَالِي الَّذِي جاءَ في القرآنِ، على القتالِ في سبيلِ الله، بقوله تعالى: «مَالِكُمْ لَا تَافِقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ»، إِنَّمَا أُرِيدُ بِهِ مَجَابَهَةَ الاستضعافِ وشجبهُ في جميعِ اشكاله؛ ولا طريقَ لشجبِ الاستضعافِ الا شجبُ الاستكبار. ومن أَبْشَعِ صُورِ الاستكبارِ وَأَخْيَثِهَا، هو الاستكبارُ الماليُّ الْمُنتَجِعُ من الاقتصادِ الطَّاغُوتِيِّ.

وبعدَ ذلكَ كُلِّهِ، فجوهرُ التَّصَوُّرِ الاسلامِيِّ وواقعهُ يُضَادُّ أَيَّ شَكْلِ مِنْ اشكالِ السُّلْطَةِ وَحَصْرِ الاستمتاعِ مِنَ النِّعَمِ الالهِيِّه والمواهِبِ الطَّبِيعِيَّةِ فِي اشخاص. إِنَّ الْقُرْآنَ يُعَبِّرُ عَنِ النِّعَمِ وَالْمَوَاهِبِ بِالرِّزْقِ، وَالمَتَاعِ، وَالنِّعْمَةِ، وَالمَعِيشَةِ، وَالقَوَامِ، وَالقِيَامِ، فَلَا يُبْرِّرُ أَنْ يَكُونَ رِزْقُ النَّاسِ وَمَتَاعُهُمْ وَوَسَائِلُ عَيْشِهِمْ، اَدْوَاتِ طَبِيعَةٍ بِأَيْدِي قَوْمٍ، حَتَّى يَطْفُوا وَيَسْتَعْلُوا، وَيَسْتَهْلِكُوهَا فِي مُسْتَهْيَاتِهِمْ الَّتِي لَا تَعْرِفُ الشُّبْعَ، أَوْ يَكْبِرُوهَا وَيَدْخِرُوهَا لِانْفُسِهِمْ وَلذَوِيهِمْ، وَكَذَلِكَ لَا يُسَوِّغُ أَنْ تَصِيرَ اسباباً قَوِيَّةً لِتَحْكِيمِ السُّلْطَاتِ وَبَسْطِ الظُّلْمِ وَالاستغلالِ وَالعدوانِ - كَمَا سَلَفَ الْقَوْلُ.

إِنَّ النِّظَامَ المَالِيَّ فِي الاسلامِ مُبْتَنٍ عَلَى التَّكافُلِ الاجتماعِيِّ، لِاعْلَى التَّنَازَعِ فِي الامْتِلاكِ وَالْحُرِّيَّةِ فِي الاستهلاكِ. إِنَّ الاسلامَ يُصَوِّرُ المجتمعَ، كَجَسَدٍ وَاحِدٍ، وَيُعَدُّ الْمُسْلِمِينَ ابْناءَ الاسلامِ. وَمِنَ اللَّاحِبِ أَنْ اسْتِلاءَ حَفَنَةٍ مِنَ الاثْرِياءِ الْمُتَنَفِّذِينَ عَلَى المجتمعِ وَمصائِرِهِ يَنْفِي التَّكافُلَ الاجتماعِيِّ وَيَقْلَعُ اَصُولَهُ، وَيُوسِّعُ المِجَالَ لِتَنَازَعِ الفِئَاتِ عَلَى الامْتِلاكِ، وَيَغْرِسُ بُدُورَ هَذَا التَّنَازَعِ الدَّامِي فِي النُّفُوسِ - كُلِّ بِحَسَبِ مَالِهِ مِنْ قَدْرَةٍ - وَعِنْدَ ذَلِكَ تَتَحَوَّلُ الصَّلَاتُ الاجتماعِيَّةُ - الَّتِي يَجِبُ أَنْ

تكونَ على اصحِّ الصّورِ وامثليها - الى صلاتِ الآكلِ والمأكولِ الاقتصادية، كما يقولُ الامامُ عليٌّ «ع»: «يَأْكُلُ عزيزُها ذليلُها، وكبيرُها صغيرُها»^١. وهذه هي المصيبةُ التي يُشيرُ اليها الامامُ عليٌّ بن الحسين السّجّادِ «ع»، بقوله الموقظِ المُثيرِ: «أيُّها المؤمنون . مصيبتُكم الطّواغيت من اهلِ الرّغبةِ في الدّنيا ..»^٢.

وإذا آل الامرُ في المجتمعِ الاسلاميِّ الى هذه الحالةِ السّاقطة، لايرجىُ للامّةِ ايُّ خيرٍ ورقيٍّ، فلا تنزلُ عليها البركات، ولا يُوجدُ لها ناصرٌ في الارضِ ولا في السّماء، كما يقولُ النّبِيُّ الاعظمُ «ص»: «لا تزالُ امتي بخيرٍ، ما أمرُوا بالمعروف، ونهوا عن المنكر، وتعاونوا على البرِّ، فإذا لم يفعلوا ذلك نُزعتْ منهمُ البركات، وسُلطَ بعضهم على بعض، ولم يكن لهم ناصرٌ في الارضِ ولا في السّماء»^٣.

فالنّاسُ اذا ظلمَ اقوياءُهم سائرَ قطاعاتهم، يَجِبُ عليهم ان يثوروا في وجهِ الظلمِ وأن يكافحوا الفئّةَ الظّالمة، ويَجِبُ على الحُكْمِ الاسلاميِّ ان يقيفَ بجانبِ المظلومين وينصّرهم في ذلك الكفاح المقدّس، ويخُدلَ اعداءهم من الطّواغيتِ بانواعهم وصورهم .

وانّ ممّا نهى عنه الاسلامُ اتخاذاً المسلمين سُخْرِيًّا بفرضِ السّيّطرةِ عليهم، حتى من ناحيةِ الولايةِ والحُكّام - او الاغنياءِ واصحابِ الاموال - كما وردَ في كتاباتِ عليٍّ «ع» الى عمّاله، حيثُ يكتُبُ اليهم: «لا تسخروا المسلمين فتدلوهم»^٤. وجاء في الحديثِ النّبويِّ: «ولا سُخْرَةَ على مُسلم - يعني الاجير»^٥. وممّا يُؤدّي الى الاسْرِ فالِاصْرِ والتّسخيرِ، الاحتياجُ

١ - تحف العقول / ٥٧.

٢ - امالي المفيد / ١١٧.

٣ - الوسائل ١١ / ٣٩٨.

٤ - البحار ١٠٣ / ١٧٢.

٥ - الوسائل ١٣ / ٢١٦.

نظرة الى الفصل السابع ..

والفقر. والاحتياج نفسه هو الأسر الحاضر، كما يقول الامام علي «ع»: «إحتج الى من شئت تكن اسيره»^١. والاسلام دعا الى التكافل الاجتماعي، واشاد بالعدل والاحسان، لان يزيد كل هذه الاحوال التعيسة والسلطات غير المشروعة عن مسير الناس وحياتهم.

هذا الدين ليس دين الأثرة^٢ - كما هو لاجب - بل هو دين الأخوة والقسط والعدل والاحسان والمواساة والمساواة^٣. ومن الجلي الواضح، ان السلطة الاقتصادية بجميع صورها تضاد الأخوة والقسط والعدل والاحسان والمواساة والمساواة، فليست هي من الاسلام في شيء.

ومما لا ينبغي ان يفوتنا تذكيره - ولو مكرراً، لدعمه في النفوس والاذهان - هو ان شجب الطغيان السياسي بلاشجب الطغيان الاقتصادي، حركة لا تسمن ولا تغني من جوع. و يناسب ما درسناه في هذا الفصل، ما جاء في الفصل الخمسين من هذا الباب، وعنوانه: «الاصلاح الاجتماعي، مقاطعة ودفاع». ولقد عقدناه للتدليل على ان الحركات التغييرية والاتجاهات الاصلاحية، لدفع عادية الظلم والعدوان والدفاع عن المستضعفين والمحرومين لاحقاق حقوقهم واعادة كيانهم، لا تنحج الا بمكافحة الطواغيت السياسيين والاقتصاديين معاً ومقاطعتهم. وهذه هي السيرة التي اتخذها الانبياء «ع» وساروا عليها. وهي «سنة الله في الذين خلوا من قبل، ولن تجد لسنة الله تبديلاً»^٤، فستكون سيرة متبعة في الطالعين المقبلين (في حكومة العدل العالمي).

ومن هذا المنطلق، يعني شجب الطاغوتين ومقاطعتهما معاً، واقامة

١ - البحار ١٠٣ / ٢٠، عن «كنز الفوائد».

٢ - راجع: نهج البلاغة / ١٤٧؛ عبده ١ / ١٠٢، و ١٠٢٥؛ عبده ٣ / ١١٥، و ١٠٣١؛ عبده ٣ / ١٢٠، و ١٠٧٢؛ عبده ٣ / ١٤٤.

٣ - راجع: الفصول ٤٥ و ٤٦ و ٤٧، من هذا الباب؛ والفصول ٤٦ و ٤٧ و ٤٨، من الباب ١٢.

٤ - سورة الاحزاب (٣٣): ٦٢.

العدل والقسط واتّخاذها سيرةً حاسمة، يُداوى جميع ادواءِ البشريّة الهامّة، فليتّخذهُ المسلمون وعلمائُهُم وحكوماتُهُم السّالمة مُنطلقاً وحيداً لا محيدَ عنه، حتى تُوافق سيرتُهُم السّيرتين: سيرة السّلف وسيرة الخلف، وحتى ينجحوا بصنع المجتمع واناقدِ الناسِ واحياءِ الدّين .
وليكُنْ على ذكْرِ القارئِ الكريم، أنّ فصولَ هذينِ البابينِ من كتاب «الحياة» كُلّها تشجُبُ الطّاغوتَ الاقتصاديّ، صريحاً او ضمناً، وتُضعِفُ قواعدهُ الثقافيّة والسّياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة . وليس هذا الاتّجاه الاّ ما تُؤدّي اليه، بل تُنصُّ وتُحضُّ عليه تعاليمُ القرآنِ والحديث، كما تراها تِجاهَ باصرتك في آفاقِ هذه الفصولِ وأجوائِها .

الفصل الثامن

الاسلام والنظام التكاثريّ الإترافيّ، كفاح رحب (١)

- ضربات دامغة على هيكل النظام

* لقد تكلّمنا عن هاتين الكلمتين المتخذتين من القرآن الكريم: «التكاثريّ» و«الإترافيّ» في المقدمة^١. وأشرنا هناك الى الحكمة التي دَعَتنا الى تَبْنِيها والاستغناء عن غيرها، وما هي الاغنا الاسلام في كلّ ما يرجع الى صنْع الانسان والمجتمع الانسانيّ. والآن لزيادة الايضاح نقول: التكاثر في اللغة بمعنى «المُكاثرة» - كما في «لسان العرب». و«كأثره» أي: «فاخره بكثرة المال او العَدَد». وقال في «المفردات»: «التكاثر: التباري في كثرة المال او العِزّ». وقال الطبرسيّ: في معناه: «التباهي بكثرة المال والعَدَد» - كما سُورِدُ عنه. وجاء في الآية من «سورة الحديد» ذكْرُ الاولاد ايضاً. ولعلّ مراد الرّاغب الاصفهانيّ بالعِزّ بعدَ ذكْرِ المال، هو ما يَحْصُلُ من الاولاد وكثرتهم. والذي قَصَدناه نحن في هذا الكتاب، في حقلِ دراسةٍ

١ - في الفقرة ٢٢ منها، فراجع.

اقتصاديّة اسلاميّة، هو حاصلُ المعنى القرآنيّ^١ للكلمة، على ما جاء في موضعين من القرآن،^٢ يعني امتلاك المال الكثير والحصول عليه، والولع النّابع منه، وسائر ما يلزمه من الآثار الخلقية والنفسية، والعقيدية والعملية، والفردية والاجتماعية، والسياسية والاقتصاديّة.

والآترافُ مصدرٌ بمعنى «المُتْرِفِيَّة»، كما يُقالُ هذا لآعرابٍ ما يَتَضَيِّه العطفُ، اي المعطوفية، والآترافُ مأخوذٌ من «التُّرْفَةِ» بمعنى النِّعمة، او «التَّرْفِ» بمعنى التَّنعم. والتَّترِيفُ حَسَنُ الغِذاء. والمُتْرِفُ، الَّذِي قد أَبْطَرَتْهُ النِّعمةُ وَسَعَةُ العِيشِ. وآتَرَفَتْهُ النِّعمة، اي أَطْعَمَتْهُ. والمُتْرِفُ ايضاً، المُتَنعمُ المُتوسِّعُ في ملاذِّ الدُّنيا وشهواتِها.^٣

وقال في «المفردات» في معنى «الآتراف»: «.. التَّوسُّعُ في النِّعمة، يقالُ أُتْرِفَ فلانٌ فهو مُتْرِفٌ». فالْمُتْرِفونُ هُمُ المُتوسِّعونُ في النِّعمة، المُتَمَتِّعونُ بانواعِ النِّعمِ والوانِ الملاذِّ. فالقرآن الكريم يُنَدِّدُ بهذا التَّعبيرِ معيشةَ القومِ وما تَسْتَبِغُهُ من فسادٍ ودَمارٍ وتَسْيِبٍ، بالاضافة الى تنديداتِهِ بامتلاكِهِمُ المالَ الممدودِ واستقطابِهِمُ آياه. فلا «تكاثر» ولا معيشة «تْرِفِيَّة» في الاسلام.

أ - شجب التكاثر وطرده

١ - وكذلك الحديثي، على ما جاء في احاديث متعدّدة.

٢ - وإنَّ ما يُفِيدُ معناه ممَّا يُمُّتُ الى الإكثارِ الماليِّ بوشيحِ صلَةٍ، قد جاء في آياتٍ كثيرة.

٣ - راجع: لسان العرب.

الكتاب

١ أَلْهَأَكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ * كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ *

* قال الطبرسي: «الإلهاء، الصِّرفُ الى اللّهُو.. و”ألهأكم التكاثر“، شغلكم عن طاعة الله وعن ذكر الآخرة، التكاثر بالاموال والاولاد والتفاخر بهما.. وقيل: ألهأكم التباهي بكثرة المال والعدد، عن تدبر امر الله.. وقال النبي «ص» بعد ما قرأ سورة التكاثر: ”يقول ابن آدم: مالي، مالي؛ ومالك من مالك إلا ما أكلت فأفنيته، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت“»^٢.

٢ إِعْلَمُوا أَنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ، كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ، ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا، ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا^٣..

٣ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ^٤..

٤ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ *

١ - سورة التكاثر (١٠٢): ١ - ٤.

٢ - مجمع البيان ١٠ / ٥٣٤.

٣ - سورة الحديد (٥٧): ٢٠.

٤ - سورة البقرة (٢): ١٩٥.

٥ - سورة المنافقون (٦٣): ٩.

الحديث

- ١ النبي «ص»: هلاكُ رجالِ أُمّتي في تركِ العلمِ وجمعِ المالِ ١.
- ٢ النبي «ص»: يا ابادر! سيكونُ ناسٌ من أُمّتي يولدون في النعيم، ويُغدّون به، همّتهم أَلوانُ الطَّعامِ والشَّرابِ، ويُمدِّحون بالقول، اولئك شرارُ أُمّتي ٢.
- ٣ الامام علي «ع»: .. اِعلَمُوا أَنَّ كَثْرَةَ المَالِ مَفْسَدَةٌ لِلدِّينِ، مَقْسَاةٌ لِلقُلُوبِ ٣.
- ٤ الامام علي «ع»: مَنْ رَضِيَ مِنَ الدُّنْيَا بِمَا يَجْزِيهِ، كَانَ أَيْسَرَ مَا فِيهَا يَكْفِيهِ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ مِنَ الدُّنْيَا بِمَا يَجْزِيهِ، لَمْ يَكُنْ فِيهَا شَيْءٌ يَكْفِيهِ ٤.
- ٥ الامام علي «ع»: ثَرَوَةُ العِلْمِ تُنْجِي وَتَبْقَى. ثَرَوَةُ المَالِ تُرْدِي وَتُطْفِئُ وَتَفْنِي ٥.
- ٦ الامام علي «ع»: ثَرَوَةُ الجَاهِلِ فِي مَالِهِ وَامِلِهِ ٦.
- ٧ الامام علي «ع»: اِنَّكُمْ اِلَى اِكْتِسَابِ صَالِحِ الاعْمَالِ، اِحْوَجُ مِنْكُمْ اِلَى اِكْتِسَابِ الاموالِ ٧.
- ٨ الامام علي «ع»: اِنَّكُمْ اِلَى اِكْتِسَابِ الادبِ، اِحْوَجُ مِنْكُمْ اِلَى اِكْتِسَابِ الفِضَّةِ وَالذَّهَبِ ٨.

١ - مجموعة ورام / ٣.

٢ - مكارم الاخلاق / ٥٥٥.

٣ - تحف العقول / ١٤١.

٤ - الكافي / ٢ / ١٤٠.

٥ - غرر الحكم / ١٦٢.

٦ و ٧ - غرر الحكم / ١٣١ - ١٣٢.

- ٩ الامام علي «ع»: إنكم الى مكارم الافعال، احوج منكم الى جمع الاموال.^١
- ١٠ الامام علي «ع»: أيها الناس! متاع الدنيا حطام موبىء، فتجنبوا مرعاة قلعتهما احظي من طمأ نينتها، وبلغتها ازكى من ثروتها، حكيم على مكترها بالفاقة، وأعين من غني عنها بالراحة. ومن راقه زبرجها أعقت ناظريه كمها، ومن استشعر الشعف بها ملأت ضميره أشجاناً. لهن رقص على سويداء قلبه، هم يشغله وهم يحزنه، كذلك حتى يؤخذ بكظمه فيلقى بالفضاء، منقطعاً أبهراه، هيناً على الله فناؤه، وعلى الإخوان القاؤه.^٢
- ١١ الامام علي «ع»: اذا أحب الله سبحانه عبداً، بغض اليه المال، وقصر منه الآمال. واذا اراد الله بعبد شراً، حبب اليه المال، وبسط منه الآمال.^٣
- ١٢ الامام الباقر «ع»، او الصادق «ع»: ويل لقوم لا يدينون الله بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر.. من قال: لا اله الا الله، فلن يلج ملكوت السماء حتى يتم قوله بعمل صالح. ولا دين لمن دان الله بطاعة الظالم. ثم قال: وكل القوم الهاهم التكاثر، حتى زاروا المقابر.^٤

الفتات نظر

إن المنهج الذي أسسه الاسلام لمكافحة التكاثر وجمع المال، يبتني على معرفة الاصول الاربع التي تدعو الى التكاثر وتشق الطريق امامه، وعلى التمييز بين تلك الاصول، ليجابه كل

١ - غرر الحكم / ١٣٢.

٢ - نهج البلاغة / ١٢٥٦ - ١٢٥٧: عبده / ٣ - ٢٣٩ - ٢٤٠.

٣ - غرر الحكم / ١٤١.

٤ - امالي المفيد / ١٠٩.

منها مجابّهته . والاصولُ الاربعَةُ هي :

١ - الاصلُ النَّفْسِيّ .

٢ - الاصلُ الاقتصاديّ .

٣ - الاصلُ الاجتماعيّ .

٤ - الاصلُ السِّيَاسِيّ .

واليك إشعاعاً على هذه الاصول . اما الاصلُ الأوّل، فالتكاثُرُ وحبُّ المالِ وجمعه، له جذورٌ في نفسِ الانسانِ عميقة، يَجِبُ أَنْ تُسْتَأْصَلَ بِالْمُمَارَسَاتِ التَّرْبَوِيَّةِ عَلَى مَسْتَوِيَّاتٍ مُخْتَلِفَةٍ فِي تَثْقِيفِ الْاِفْرَادِ وَالْمَجْتَمَعِ .

اما الاصلُ الثاني، فَإِنَّ طَلَبَ الْاِنْسَانِ لِلْمَالِ وَحِيَازَتَهُ لَهُ، يَدْعُوهُ إِلَى جَمْعِهِ وَالْاِكْتِنَارِ مِنْهُ. وَإِنَّ تَأْكِيدَ الْاِسْلَامِ عَلَى الْاِكْتِفَاءِ بِالْكَفَافِ وَالْبُلْغَةِ وَتَنْوِيهِهِ بِشَأْنِ مَنْ «يُمْسِكُ فَضْلَ قَوْلِهِ وَيُنْفِقُ فَضْلَ مَالِهِ»، هُوَ خَيْرُ دَعْوَةٍ إِلَى رَفْضِ التَّكَاثُرِ الْمَالِيِّ وَشَجْبِهِ .

اما الاصلُ الثالث، فَإِنَّ نِظَامَ الْمَجْتَمَعِ الثَّقَافِيِّ وَالْمَعْنَوِيِّ وَالْجَوَانِبَ الْخُلُقِيَّةَ وَالتَّرْبَوِيَّةَ، هِيَ الَّتِي تُشَكِّلُ الْحَجَرَ الْاِسَاسِيَّ وَالْقَاعِدَةَ الْاَصْلِيَّةَ لِلنِّظَامِ الْاِقْتِصَادِيِّ فِي حَيَاةِ الْفَرْدِ وَالْمَجْتَمَعِ الْمَادِيَّةِ وَالْمَعِيشِيَّةِ، مِنْ تَكَاثُرِيٍّ أَوْ اِسْلَامِيٍّ . وَهِيَ الَّتِي تُمَهِّدُ اَرْضِيَّةَ التَّكَاثُرِ وَطَلَبِ الْغِنَى الْوَافِرِ، أَوْ تَدْحُضُ تِلْكَ الْاَرْضِيَّاتِ وَالْحَالَاتِ وَتُطَوِّرُهَا إِلَى مَا يُرِيدُهُ الْاِسْلَامُ .

اما الاصلُ الرَّابِع، فَإِنَّ نِظْرَةَ الْحُكْمِ إِلَى الْقَضَايَا الْمَالِيَّةِ وَسِيَاسَتِهَا الْاِقْتِصَادِيَّةَ هِيَ الَّتِي تُعَيِّنُ مَسِيرَةَ الْمَجْتَمَعِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ فِي الْاِغْلَبِ . فَإِذَا كَانَتْ نِظْرَةُ الْحُكْمِ الْاِقْتِصَادِيَّةَ تَنْسَجِمُ مَعَ التَّكَاثُرِ وَالْمَتَكَاتِرِينَ وَالْاِقْتِصَادِ الْحُرِّ، فَإِنَّهَا تَشُقُّ الطَّرِيقَ أَمَامَهُمْ وَتُعَبِّدُ السُّبُلَ لَوْصُولِهِمْ إِلَى غَايَاتِهِمْ الْاِسْتِغْلَالِيَّةِ . وَامَّا إِذَا كَانَ الْحُكْمُ

الفصل الثامن: الاسلام والنظام التكاثري .. (١)

اسلامياً فلا يجد المتكاثرون فيه طُرُقاً مُعَبَّدةً للوصول الى مقاصدهم وغاياتهم الانسانية واللا اسلامية .
فعلى ما عَرَضْنَا، ليس التكاثر في نظر الاسلام، ظاهرةً بسيطةً ماديةً، او اجتماعيةً بحتةً، او سياسيةً صرفةً، بل هو ظاهرةٌ نفسيةٌ خَلْقِيَّةٌ وتربويةٌ واقتصاديةٌ وسياسيةٌ واجتماعيةٌ، تبني علي مجموع مالفرّد من ارضية ثقافية وفكرية وتربوية، وما للمجتمع من نُظُمٍ واتجاهات، وما للحُكْمِ من توجّهاتٍ واهتمامات .
لأجل ذلك نرى الاسلام يقوم بكفاحٍ مريرٍ واسعٍ ضدَّ حُبِّ المال وجمعه؛ وبالإضافة الى هدمِ قواعد المتكاثرين الاجتماعيّة والاقتصادية والحقوقية في قلب المجتمع، يتصدى لهمدِ قواعدهم الثقافية والاخلاقية والسياسية والحكومية، ويحرّض المجتمع على محاربه التكاثر والإتراف والاستقرائية، ويكدر الجو على الذين يذهبون تلك المذاهب في الامتلاك والاستهلاك . فبإمعان النظر في هذه المسائل الهامة، نفهم أنّ الذي نُشاهدُه في نبذة من التعاليم الاسلامية، من صبّ الكلام في قوالب اخلاقية (على ما هو المصطلح)، عند ذكر ما يتعلّق بالقضايا المالية والاقتصادية، تأييداً وتنديداً، لا يعني تحويل هذا الكفاح الى كفاحٍ خُلقيّ و مطاردةٍ مثالية، لا، بل هو بمعنى توسيع نطاق الكفاح والمطاردة واجرائهما في سائر الإطارات . وبذلك يتوقّف الاسلام لأن يخلق ثورة جذرية هامةً واسعةً ضدّ العدوان الاقتصادي . وتلك الثورة تشمل الأبعاد التالية وتمثلها :

- ١ - البعد الثقافي - الاقتصادي .
- ٢ - البعد الاجتماعي - الاقتصادي .
- ٣ - البعد الاخلاقي - الاقتصادي .

٤ - البُعْدُ السِّيَاسِيّ - الاقتصاديّ .

راجع ايضاً: نظرَتنا الى الفصل بهذا الصدد.

ب - التّنديد بالاغنياء والمتكاثرين وبمزاغهم الفاسدة

الكتاب

- ١ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ * الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ * يُحَسِّبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ * كَلَّا
لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ *^١
- ٢ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيهِ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ *^٢

الحديث

- ١ النبي «ص» - فيما رواه الامامُ جعفرُ الصّادقُ: لم تُبْعَثْ لجمع المال،
ولكن بُعِثْنَا لِانْفَاقِهِ^٣.
- ٢ النبي «ص» - فيما رواه الامامُ اميرُ المؤمنين: إِذَا أَبْغَضَ النَّاسُ فَقَرَاءَهُمْ،
وَأَظْهَرُوا عِمَارَةَ اسْوَاقِهِمْ، وَتَبَارَكُوا عَلَى جَمْعِ الدَّرَاهِمِ، رَمَاهُمُ اللَّهُ بَارِبَعِ
خِصَالٍ: بِالْقَحْطِ مِنَ الزَّمَانِ، وَالْجَوْرِ مِنَ السُّلْطَانِ، وَالْخِيَانَةِ مِنْ وُلَاةِ
الْحُكَّامِ، وَالشُّوْكَةِ مِنَ الْعُدْوَانِ^٤.

١ - سورة الهُمَزَة (١٠٤): ١ - ٤.

٢ - سورة الحَاقَّة (٦٩): ٢٨ - ٢٩.

٣ - مشكاة الانوار / ١٨٣.

٤ - مجموعة ورام / ١٠.

الفصل الثامن : الاسلام والنظام التكاثري .. (١)

- ٣ النبي «ص» - نهى «ص» عن التبقر في الاهل والمال .^١
- ٤ الامام علي «ع» : كثرة المال يفسد القلوب، ويئسي الذنوب .^٢
- ٥ الامام علي «ع» : .. ما يصنع بالمال من عما قليل يسلبه، وتبقى عليه تبعته وحسابه .^٣
- ٦ الامام علي «ع» : يا ابن آدم! ما كسبت فوق قوتك، فانت فيه خازن لغيرك .^٤

ج - الاغنياء وموقفهم من الامّة

الكتاب

١ مَناعٍ للخيرِ مُعتدٍ اَئيمٍ * عُتِلَّ بعدَ ذلكَ زَنيماً * اَن كانَ ذا مالٍ وبنينِ *^٥

* قال الطبرسي : «عن شدّاد بن اوس قال : قال رسول الله «ص» : "لا يدخل الجنة جواظ ولا جعظري ولا عتل زنيم". قلت : فما الجواظ؟ قال : "كلُّ جماعٍ مَناعٍ". قلت : فما الجعظري؟ قال : "الفظُّ الغليظ". قلت : فما العتلُّ الزنيم؟ قال : "كلُّ رحيبِ الجوفِ سيءِ الخلقِ آكولٍ شروبٍ غشومٍ ظلومٍ"

١ - معاني الاخبار ٢ / ٢٤٤ .

٢ - غرر الحكم / ٢٤٤ .

٣ - نهج البلاغة / ٤٩٥ : عبده ٢ / ٦٧ .

٤ - نهج البلاغة / ١١٧٥ : عبده ٣ / ١٩٦ .

٥ - سورة القلم (٦٨) : ١٢ - ١٤ .

زنيماً»^١.

الحديث

- ١ النبي «ص»: شَرُّ أُمَّتِي الْاَغْنِيَاءُ.^٢
- ٢ النبي «ص» - قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيُّ أُمَّتِكَ أَشْرُّ؟ قَالَ: الْاَغْنِيَاءُ.^٣
- ٣ النبي «ص»: يَا اِبَاذْرُ! سَيَكُونُ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي يُوَلَّدُونَ فِي النَّعِيمِ وَيُعَذَّبُونَ بِهِ، هَمَّتْهُمْ الْوَانُ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَيَمْدَحُونَ بِالْقَوْلِ، اُولَئِكَ شِرَارُ أُمَّتِي.^٤
- * ولعلَّ القارئَ النَّابه، لم يَنْسَ كَلَامَ الْاِمَامِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ السَّجَادِ «ع»: «أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ! مَصِيبَتُكُمْ الطَّوَاغِيتُ، مِنْ اَهْلِ الرِّغْبَةِ فِي الدُّنْيَا..»^٥.
- ٤ النبي «ص»: يَا اِبْنَ مَسْعُودٍ! سَيَأْتِي مِنْ بَعْدِي اَقْوَامٌ يَأْكُلُونَ طَيِّبَاتِ الطَّعَامِ وَالْوَانَهَا .. يَبْنُونَ الدُّورَ، وَيَشِيدُونَ الْقُصُورَ، وَيُزَخِرُونَ الْمَسَاجِدَ، لَيْسَتْ هَمَّتْهُمْ اَلَّا الدُّنْيَا، عَاكِفُونَ عَلَيْهَا، مَعْتَمِدُونَ فِيهَا. شَرَفُهُمُ الدَّرَاهِمُ وَالذَّنَانِيرُ، وَهَمَّتْهُمْ بَطُونُهُمْ، اُولَئِكَ [هَمْ] شَرُّ الْاَشْرَارِ، الْفِتْنَةُ مِنْهُمْ، وَالْيَهُمُ

١ - مجمع البيان ١٠ / ٣٣٤.

٢ - جامع السعادات ٢ / ٣٦.

٣ - مجموعة ورام / ١٥٥.

٤ - مكارم الاخلاق / ٥٥٥.

٥ - امالي المفيد / ١١٧.

تنبيه هام

الغنى غنيان : كفايً وإترافيً . لقد وردت احاديث تمدح
الغنى والمال وتعددهما من اسباب السعادة ومن خير الاعوان
لطلب الحياة الخالدة، واحاديث تدمهما، وتندد بهما باساليب
دامغة . والعارف بجوهر الدين ومغازيه، المتدرب على المفاهيم
الحديثية، المتفقه فيها، يعلم بوضوح (بقطع النظر عما يعلم من
التعاليم القرآنية، وما يتراءى من ماهية رسالات الانبياء وسلوكهم
مع الاغنياء والفقراء)، ان الغنى الممدوح هو الغنى الكفاي الذي
ينال صاحبه بلغة العيش ومون الحياة، ويبدل فضل ماله، وينفق ليلاً
ونهاراً وسراً وجهاراً . والغنى المرفوض هو الغنى التكاثري
الاترافي، الحاصل من الاقتصاد الحر، الذي يجمع صاحبه المال
ويعدده، ويحسب انه يخلده، فيطغى ويستغل الناس ويعتدي عليهم
في الحقوق، ويتدخل في السياسة والحكم لفرض سلطته على
المجتمع .

ففي هذا الضوء، ليس من فهم الدين ان نعد الغنى التكاثري
ممدوحاً ومرضياً، بل مشروعاً، كما انه لادم للغنى الكفاي الذي
يُتاح به لصاحبه ان يكتفي بذاته وان يرفع كله عن الناس . فالغنى
الممدوح، عند الشرع الالهي الاقوم وفي صراطه العدل، ليس
الا هذا . وستكلم عن الموضوع، بصورة مبسطة، في الفصل
الحادي والاربعين، من هذا الباب؛ فراجع .

د - الاغنياء واكلهم للضعفاء والبائسين

الحديث

- ١ النبي «ص»: .. فَيَأْكُلُ قَوِيَّهُمْ ضَعِيفَهُمْ ..^١
- ٢ الامام علي «ع»: .. فَإِنَّمَا أَهْلُهَا (الدُّنْيَا) كِلَابٌ عَاوِيَةٌ .. يَأْكُلُ عَزِيزُهَا ذَلِيلَهَا، وَيَقْهَرُ كَبِيرُهَا صَغِيرَهَا.^٢
- ٣ الامام السجاد «ع» - زُرَّارَةُ بْنُ أَوْفَى قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ «ع» فَقَالَ: «يَا زُرَّارَةُ! النَّاسُ فِي زَمَانِنَا عَلَى سِتِّ طَبَقَاتٍ: أَسَدٌ، وَذَنْبٌ، وَثَعْلَبٌ، وَكَلْبٌ، وَخَنْزِيرٌ، وَشَاةٌ .. وَأَمَّا الذَّنْبُ فَتُجَارِكُمْ، يَدْمُونُ إِذَا اشْتَرَوْا وَيَمْدَحُونَ إِذَا بَاعُوا .. وَأَمَّا الشَّاةُ فَالَّذِينَ تُجْرُسُ عَوْرَهُمْ^٣، وَيُؤْكَلُ لِحُومِهِمْ، وَيُكْسَرُ عَظْمُهُمْ. فَكَيْفَ تَصْنَعُ الشَّاةُ بَيْنَ أَسَدٍ وَذَنْبٍ وَثَعْلَبٍ وَكَلْبٍ وَخَنْزِيرٍ؟^٤

* راجع: الفصل الثالث عشر، من هذا الباب، فقرة «ج»،

والنظرة الى الفصل بهذا الصدد.

١ - الكافي / ١ / ٤٠٦.

٢ - نهج البلاغة / ٩٢٧؛ عبده ٣ / ٥٥.

٣ - في «الخصال» / ١ / ٣٣٩: «تُجْرَسُ» بالزَّاي، وهو الانسب.

٤ - البحار / ٦٧ / ٢٢٥، و ٧٠ / ١٠.

هـ - الاغنياء والتجار فجار الا المتقون

الكتاب

١ - وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا .. ١

الحديث

١ - النبي «ص»: يَا مَعْشَرَ التُّجَّارِ! أَنْتُمْ فَجَّارٌ، إِلَّا مَنْ اتَّقَى وَبَرَ وَصَدَقَ .. ٢

٢ - الامام علي «ع»: إِنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُ سِتَّةَ سِنَةٍ بِسِتَّةٍ .. وَالتُّجَّارَ بِالْخِيَانَةِ . ٣

٣ - الامام علي «ع»: أَنَا يَعْسُوبُ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْمَالُ يَعْسُوبُ الْفُجَّارِ . ٣

* قال الشريف الرضي: «ومعنى ذلك أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَتَّبِعُونِي
وَالْفُجَّارَ يَتَّبِعُونَ الْمَالَ، كَمَا يَتَّبِعُ النَّحْلُ يَعْسُوبَهَا، وَهُوَ رَئِيسُهَا» .

٤ - الامام علي «ع»: التَّاجِرُ فَاجِرٌ، وَالفَاجِرُ فِي النَّارِ، إِلَّا مَنْ أَخَذَ الْحَقَّ وَأَعْطَى

١ - سورة الاسراء (١٧): ١٦ .

٢ - مجمع البيان ٢ / ٣٨٠ .

٣ - الكافي ٨ / ١٦٣؛ تحف العقول / ١٥٧ .

٤ - نهج البلاغة / ١٢٣٦؛ عبده ٣ / ٢٢٩ .

الحقّ ١.

٥ الامام الصادق «ع»: .. التاجرُ فاجرٌ، إلاّ مَنْ أَعْطَى الحقَّ وَأَخَذَهُ ٢.

و- هلع وتكالب، افتضاح و حسرة

الكتاب

- ١ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ: يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ .. ٣
٢ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا: يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا .. ٤

الحديث

- ١ الامام علي «ع»: .. إِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ بِمَا تَرَى مِنْ إِخْلَادِ أَهْلِ الدُّنْيَا إِلَيْهَا، وَتَكَالِبَهُمْ عَلَيْهَا، فَقَدْ نَبَأَكَ اللَّهُ عَنْهَا، وَنَعَتْ لَكَ نَفْسَهَا، وَتَكَشَّفَتْ لَكَ عَنْ مَسَاوِيهَا، فَإِنَّمَا أَهْلُهَا كِلَابٌ عَاوِيَةٌ وَسِبَاعٌ ضَارِيَةٌ، يَهْرُ بَعْضُهَا بَعْضًا ٥.

١- الكافي ٥ / ١٥٠.

٢- البحار ١٠٣ / ١٠٢.

٣- سورة الزُّمَر (٣٩): ٥٤.

٤- سورة الانعام (٦): ٣١.

٥- نهج البلاغة / ٩٢٦ - ٩٢٧؛ عبده ٣ / ٥٥.

- ٢ الامام علي «ع»: إِنَّمَا الدُّنْيَا جَيْفَةٌ، وَالْمُؤَاخُونَ عَلَيْهَا أَشْبَاهُ الْكِلَابِ ١.
- ٣ الامام علي «ع»: .. يَتَنَافَسُونَ فِي دُنْيَا دُنْيَةٍ، وَيَتَكَالَبُونَ عَلَى جَيْفَةٍ مُرِيحَةٍ ٢.
- ٤ الامام علي «ع»: الدُّنْيَا جَيْفَةٌ، فَمَنْ أَرَادَهَا فَلْيَصْبِرْ عَلَى مُخَالَطَةِ الْكِلَابِ ٣.
- ٥ الامام علي «ع»: .. أَقْبَلُوا عَلَى جَيْفَةٍ قَدْ أَفْتَضَحُوا بِأَكْلِهَا، وَأَصْطَلَحُوا عَلَى حُبِّهَا .. وَجَاءَهُمْ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا مَا كَانُوا يَأْمَنُونَ .. فَغَيَّرُ مَوْصُوفٍ مَا نَزَلَ بِهِمْ: اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِمْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ، وَحَسْرَةُ الْفُوتِ ٤.

ز - سعي بائر

الكتاب

١ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى * ٥

* قال الطبرسي: «المعنى أَنَّ اعمالكم لَمختلفةٌ، فَعَمَلٌ لِلجَنَّةِ

وَعَمَلٌ لِلنَّارِ...» ٦.

٥ - غرر الحكم / ١٣٤.

٦ - نهج البلاغة / ٤٦٣؛ عبده ٢ / ٥٠.

٧ - مستدرک نهج البلاغة / ١٨٥.

٨ - نهج البلاغة / ٣٣٠ - ٣٣١؛ عبده ١ / ٢١١.

١ - سورة الليل (٩٢): ٤.

٢ - مجمع البيان ١٠ / ٥٠١.

الحديث

١ الامام علي «ع» : .. فَلْتَكُنْ مَسْأَلَتَكَ فِيمَا يَبْقَى لَكَ جَمَالُهُ، وَيُنْفِي عَنْكَ وَبَالُهُ،
فَالْمَالُ لَا يَبْقَى لَكَ وَلَا تَبْقَى لَهُ ١.

٢ الامام علي «ع» : .. ثُمَّ إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ فَنَاءٍ وَعِنَاءٍ وَغَيْرٍ .. وَمِنَ الْعِنَاءِ أَنَّ الْمَرْءَ
يَجْمَعُ مَا لَا يَأْكُلُ، وَيَبْنِي مَا لَا يَسْكُنُ، ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لَا مَالًا حَمَلًا، وَلَا
بِنَاءً نَقَلَ .. ٢.

ح - الاغنياء، مواصفات

١ - مستكبرون

الكتاب

١ وَاذِ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعْفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا: اِنَّا كُنَّا تَبَعًا، فَهَلْ اَنْتُمْ
مُعْتَدُونَ عَلَيْنَا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ؟ * ٣

* قال العلامة المجلسي : «.. قوله تعالى : ” فَيَقُولُ الضُّعْفَاءُ

لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا“، قَابَلَ الْمُسْتَكْبِرِينَ بِالضُّعْفَاءِ تَنْبِيهًا عَلَى أَنَّ

١ - نهج البلاغة / ٩٢٥ / عبده ٣ / ٥٤.

٢ - نهج البلاغة / ٣٥٣ / عبده ١ / ٢٢٣.

٣ - سورة غافر (٤٠) : ٤٧؛ اقرأ أيضاً : سورة ابراهيم (١٤) : ٢١.

استكبارهم كان بمالهم من القوة في البدن والمال . وقال تعالى :
”قال الملاء الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا“، فقابل
بالمستكبرين المستضعفين ..^١

الحديث

- ١ الامام علي «ع» : ألا! فالحذر، الحذر، من طاعة ساداتكم وكبرائكم، الذين تكبروا عن حسيهم، وترفعوا فوق نسيهم، والقوا الهجينة على ربهم، وجاحدوا الله على ما صنع بهم، مكابرة لقضائه، ومغالبة لآلائه، فإنهم قواعد اساس العصبية..^٢
- ٢ الامام الصادق «ع» : .. من ذهب يرى أن له على الآخر فضلاً فهو من المستكبرين.^٣

* يُستفاد من هذه التعاليم التي تنهى عن طاعة السادة والكبراء، أن المتكاثرين من الاغنياء يجب أن يكونوا معزولين عن اي مقام اجتماعي، وأن الناس يجب عليهم أن يبتعدوا عن هؤلاء، وأن يرفضوا مخالطتهم حتى لا يتاح لهم السيطرة على الناس وشؤونهم، وفيما ورد في الاسلام من النهي عن التواضع لهم - مع أن التواضع من دعائم الاخلاق الاسلامية - وعن التسليم عليهم

١ - البحار ٧٣ / ١٩١.

٢ - نهج البلاغة / ٧٨٥ - ٧٨٦؛ عبده ٢ / ١٦٦.

٣ - الكافي ٨ / ١٢٨.

بغير التّسليمِ على الفقراءِ والمساكين، دعوةً الى اتّخاذِ موقفٍ
حاسمٍ في وجوه اولئك المستكبرين الاقتصاديين والجبابرة
المتنعمين .

٢ - منافقون

الكتاب

- ١ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ: شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا،
يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ١٠
- ٢ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ
النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ٢٠

الحديث

- ١ النبي «ص»: يا ابن مسعود! سيأتي من بعدي أقوامٌ يأكلون طيباتِ الطَّعامِ
والوانها، ويركبون الدَّوابَّ ويتزيّنون بزينةِ المرأةِ لزوجها، ويتبرَّجون تبرُّجِ
النِّساءِ، وزبيهم مثلُ زبيِّ الملوِكِ الجبابرة، هم منافقوا هذه الأمّةِ في آخرِ

١ - سورة الفتح (٤٨): ١١ .

٢ - سورة البقرة (٢): ٢٦٤ .

الفصل الثامن: الاسلام والنظام التكاثري .. (١)

الزَّمان .. وَيُزَخِّرُونَ المساجد، ليست همَّتهم الا الدُّنيا، عاكِفُونَ عليها،
مُعْتَمِدُونَ فيها ..^١

٢ الامام علي «ع» - في بيان «صفة النفاق والمنافق»: و(بُنِيَ) النِّفاقُ على
اربعِ دعائم: على الهوى، والهوى، والحفيظة، والطَّمع .. والطَّمع على
اربعِ شُعب: الفَرَح، والمرح، واللَّجاجة، والتَّكاثر..^٢

٣ - مفتونون

الكتاب

- ١ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ..^٣
- ٢ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ،
وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ*^٤

الحديث

-
- ١ - مكارم الاخلاق / ٥٢٥ - ٥٢٦.
 - ٢ - الكافي / ٢ / ٣٩٣ - ٣٩٤.
 - ٣ - سورة التغابن (٦٤): ١٥.
 - ٤ - سورة طه (٢٠): ١٣١.

- ١ النبي «ص» - فيما رواه الامام عليّ بن ابي طالب: يا عليّ! إنّ أُمتي سيُفتنون من بعدي .. إنّ القوم سيُفتنون بعدي بأموالهم ..^١
- ٢ الامام علي «ع»: إنّ إعطاءَ هذا المال قُتيةً، وإنّ إمساكهُ فتنةٌ.^٢
- ٣ الامام علي «ع»: الفتنُ ثلاث .. وحبُّ الدينارِ والدرهم .. ومن أحبَّ الدينارَ والدرهمَ فهو عبدُ الدنيا.^٣
- ٤ الامام السجاد «ع» - في الدعاءِ لاهلِ الثغور: .. وأمح عن قلوبهم خَطراتِ المالِ الفتون ..^٤
- ٥ الامام الصادق «ع»: أترك من الدنيا ما بك الغنى عنه، ولا تنظر عينك الى كلِّ مفتونٍ بها، وموكلٍ الى نفسه. وأعلم أنّ كلَّ فتنةٍ بدؤها حبُّ الدنيا.^٥

٤ - مغرورون

الكتاب

- ١ .. وما الحياةُ الدنيا الاّ متاعُ الغرور^٦

١ - نهج البلاغة / ٤٩١؛ عبده ٢ / ٦٥.

٢ - غرر الحكم / ١٠١.

٣ - الخصال / ١ / ١١٣.

٤ - الصحيفة السجادية / ١٨١ (الدعاء ٢٧).

٥ - الكافي / ٢ / ١٣٥.

٦ - سورة الحديد (٥٧) : ٢٠.

٢ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَهَوًّا، وَغَرَّتُهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا.. ١

الحديث

١ الامام علي «ع»: قَدْ اصْطَلَحْتُمْ عَلَى الْغِلِّ فِيمَا بَيْنَكُمْ، وَنَبَتَ الْمَرْعَى عَلَى دِمْنِكُمْ، وَتَصَافَيْتُمْ عَلَى حُبِّ الْأَمَالِ، وَتَعَادَيْتُمْ فِي كَسْبِ الْأَمْوَالِ. لَقَدْ اسْتَهَامَ بِكُمْ الْخَبِيثُ، وَتَاهَ بِكُمْ الْغُرُورُ.. ٢

٢ الامام علي «ع»: .. فَقَدْ رَأَيْتَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ، مِمَّنْ جَمَعَ الْمَالَ وَحَذَرَ الْإِقْلَالَ، وَأَمِنَ الْعَوَاقِبَ - طَوَّلَ أَمَلٍ وَاسْتَبْعَادَ أَجَلٍ - كَيْفَ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ، فَازْعَجَهُ عَنِ وَطْنِهِ، وَأَخَذَهُ مِنْ مَأْمِنِهِ، مَحْمُولًا عَلَى أَعْوَادِ الْمَنَايَا، يَتَعَاطَى بِهِ الرَّجَالُ الرَّجَالَ، حَمَلًا عَلَى الْمَنَاكِبِ، وَامْسَاكًا بِالْأَنَامِلِ. أَمَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَأْمُلُونَ بَعِيدًا، وَيَبْنُونَ مَشِيدًا، وَيَجْمَعُونَ كَثِيرًا؟ كَيْفَ أَصْبَحَتْ بَيْوتُهُمْ قُبُورًا، وَمَا جَمَعُوا بُورًا، وَصَارَتْ أَمْوَالُهُمْ لِلْوَارِثِينَ، وَازْوَاجُهُمْ لِقَوْمٍ آخَرِينَ، لَا فِي حَسَنَةٍ يَزِيدُونَ، وَلَا مِنْ سَيِّئَةٍ يَسْتَعْتِبُونَ.. ٣

٥ - لا عبون لاهون

١ - سورة الانعام (٦): ٧٠.

٢ - نهج البلاغة / ٤١٤؛ عبده ٢ / ٢٣ - ٢٤.

٣ - نهج البلاغة / ٤٠٩ - ٤١٠؛ عبده ٢ / ٢١.

الكتاب

- ١ إَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ..^١

الحديث

- ١ النبي «ص» - فيما وَصَفَ به الاغنياءَ والمُتَرَفِّهينَ : لا عِبُونَ بِالْكَعَابِ ، رَاكِبُونَ الشَّهَوَاتِ ..^٢
- ٢ الامام علي «ع» : .. وَالتَّكَاثُرُ لَهُوَ وَلَعِبٌ وَشُغْلٌ ، وَاسْتِبْدَالُ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ.^٣

٦- طاغون

الكتاب

- ١ كَلَّا، إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَإِطْفَىٰ * أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَىٰ *^٤

١ - سورة الحديد (٥٧) : ٢٠.

٢ - مكارم الاخلاق / ٥٢٥.

٣ - الكافي / ٢ / ٣٩٤.

٤ - سورة العلق (٩٦) : ٦-٧.

٢ فَمَا مِنْ طَغَى * وَأَثَرَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا *

الحديث

- ١ الامام علي «ع»: .. وَإِنْ أَفَادَ مَالًا أَطْعَاهُ الْغِنَى. ٢
- ٢ الامام علي «ع» -.. ثُمَّ مَشَى «ع» حَتَّى دَخَلَ سُوقَ الْبَصْرَةِ فَبَكَى وَقَالَ: يَا عَبِيدَ الدُّنْيَا وَعُمَّالَ أَهْلِهَا! مَتَى تُجَهِّزُونَ الزَّادَ، وَتُفَكِّرُونَ فِي الْمَعَادِ؟ ثُمَّ تَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى: «فَمَا مِنْ طَغَى * وَأَثَرَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْحَجِيمَ هِيَ الْمَأْوَى *».^٣
- ٣ الامام السجاد «ع»: اللَّهُمَّ! إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ الْمَعِيشَةِ، مَعِيشَةً أَقْوَى بِهَا عَلَى جَمِيعِ حَاجَاتِي، وَأَتَوَصَّلُ بِهَا إِلَيْكَ فِي حَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي آخِرَتِي، مِنْ غَيْرِ أَنْ تُتْرِفَنِي فِيهَا فَاطْغَى..^٤
- * راجع ايضاً: الفصل السابع، من هذا الباب، الذي جاء فيه البحث عن «الطَّاغُوتِ الْاِقْتِصَادِيَّ». وَلَا تَنْسَ اِهْمِيَّةَ وَعْيِي الْجَمَاهِيرِ لِأَضْرَارِ هَذِهِ الطَّاغُوتِيَّةِ وَمَفَاسِدِهَا الْمُدْمِرَةِ.

١ - سورة النازعات (٧٩): ٣٧ - ٣٨.

٢ - نهج البلاغة / ١١٣٤؛ عبده ٣ / ١٧٥.

٣ - مستدرک نهج البلاغة / ٥١.

٤ - البحار ٩٠ / ١٢ (دعاء يوم الجمعة).

٧ - ظالمون

أ- لانفسهم

الكتاب

١ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، قَالَ : مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا *^١

ب- للناس

الكتاب

١ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ *^٢

* وَلَتَكُنْ عَلَى ذُكْرِ الْقَارِيءِ كَلِمَةً (شَيْئًا)، النَّكِرَةُ الْوَاقِعَةُ فِي
الِي الْفَصْلِ . وَإِنَّ الظُّلْمَ يَجِبُ أَنْ نَتَعَرَّفَ عِلْلَهُ وَمَنَاشِئَهُ، حَتَّى نَعْرِفَ
أَنَّهُ لَا يَقَعُ إِلَّا مِنَ النَّاسِ أَنفُسِهِمْ .

١ - سورة الكهف (١٨) : ٣٥ .

٢ - سورة يونس (١٠) : ٤٤ .

٢ .. وما ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ*^١

٣ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ*^٢

الحديث

١ الامام علي «ع»: إِنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ، فَرَضَ فِي أَمْوَالِ الْأَغْنِيَاءِ أَقْوَاتَ الْفُقَرَاءِ،

فَمَا جَاعَ فَقِيرٌ إِلَّا بِمَا مَنَعَ غَنِيٌّ، وَاللَّهُ - تَعَالَى جَدُّهُ - سَأَلَهُمْ عَنْ ذَلِكَ.^٣

٢ الامام الصادق «ع» - فيما رواه عن امير المؤمنين «ع»: إِنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَى

أَغْنِيَاءِ النَّاسِ فِي أَمْوَالِهِمْ قَدْرَ الَّذِي يَسَعُ فُقَرَاءَهُمْ. فَإِنْ ضَاعَ الْفُقَرَاءُ، أَوْ

أُجْهِدُوا، أَوْ أُعْرُوا، فَبِمَا يَمْنَعُ أَغْنِيَاؤَهُمْ؛ فَإِنَّ اللَّهَ مُحَاسِبُهُمْ بِذَلِكَ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ، وَمُعَذِّبُهُمْ بِهِ عَذَابًا أَلِيمًا.^٤

٨ - غاصبون

الكتاب

١ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدُلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ، لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ

١ - سورة النحل (١٦): ٣٣.

٢ - سورة النحل (١٦): ١١٨.

٣ - نهج البلاغة / ١٢٤٢: عبده ٣ / ٢٣١.

٤ - دعائم الاسلام / ١ / ٢٥٠.

أموال الناس بالإئتم، وأنتم تعلمون *

الحديث

١ الامام الصادق «ع»: إِنَّمَا وُضِعَتِ الزَّكَاةُ اخْتِياراً لِلْاَغْنِيَاءِ، وَمَعُونَةً لِلْفُقَرَاءِ؛ وَلَوْ أَنَّ النَّاسَ أَدَّوْا زَكَاةَ اَمْوَالِهِمْ مَا بَقِيَ مَسْلُماً فَقِيراً مُحْتَاجاً، وَلَا سَتَّغْنِي بِمَا فَرَضَ اللهُ لَهُ. وَإِنَّ النَّاسَ مَا افْتَقَرُوا وَلَا احْتاجُوا وَلَا جاعُوا وَلَا عَرُوا إِلَّا بِذُنُوبِ الْاَغْنِيَاءِ .. ٢

تنبيه

هناك زكاتان في مؤشرات الاسلام الماليّة: ظاهرة وباطنة.
ولعلّ استغناء الفقراء والمحرومين إنّما يحصل إذا أدى الاغنياء
الزكّاتين كلتیهما. فراجع: الفصلين، الاربعين والحادي
والاربعين، من الباب الثاني عشر.

٩ - سارقون

الحديث

١ - سورة البقرة (٢): ١٨٨.

٢ - الوسائل ٤ / ٤.

١ الامام العسكري «ع»: .. اغنياؤهم يسرقون زاد الفقراء.^١

١٠ - مترفون

الكتاب

١ وما أرسلنا في قريةٍ من نذيرٍ، إلا قال مُتْرَفُوها: إنا بما أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ * وَ
قَالُوا: نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا، وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ *^٢

* قال الطبرسي: «مُتْرَفُوها»، اي جابرتُها واغنياؤها
المُتَنَعِّمُونَ فيها»^٣.

الحديث

١ الامام علي «ع»: «أما الاغنياء من مُتْرَفَةِ الأُمَمِ، فَتَعَصَّبُوا لِأَثَارِ مَوَاقِعِ النِّعَمِ،
فَقَالُوا: «نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ»^٤.

١ - المستدرك ٢ / ٣٢٢.

٢ - سورة سبأ (٣٤): ٣٤ - ٣٥.

٣ - مجمع البيان ٨ / ٣٩٢.

٤ - نهج البلاغة / ٧٩٩؛ عبده ٢ / ١٧٥.

تنبيه

معنى «الإتراف» واضح، وكذلك المراد بالمترفين، كما أوردناه في مُستَهَلَّ الفصل، غير أنّ هناك مَنْ يُعْطِي الواقع بالتمويه فيقول: المترف هو الذي يكثر من الاستهلاك وإن كان في ذاته فقيراً، فلا اختصاص له بالاغنياء. وهذا خلاف المصطلح القرآني والتصرّيات الواردة في القرآن والحديث، من أنّ المترفين الذين يُكذِّبون النبيّين هم من اصحاب القُدرة والمال، كما يخالف ذلك التّأويل الظهور العرفي للكلمة، وقد صرّح به اهل اللغة.

١١ - مستدرجون

الكتاب

١ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ *

* «سَنَسْتَدْرِجُهُمْ»، سَنَسْتَدِينُهُمْ^٢ قليلاً قليلاً الى الهلاك حتى يَقَعُوا فِيهِ بَغْتَةً.. «من حيث لا يعلمون» ما يُرادُ بِهِمْ، وذلك أَن تَوَاتَرَ عَلَيْهِمُ النِّعْمُ فَيَظُنُّوْا أَنَّهُ لَطْفٌ مِنْ اللَّهِ بِهِمْ، فَيَزِدُّوْا بَطْرًا وَانْهَمَاكَ فِي الْغِيِّ حَتَّى يَحِقَّ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ^٣.

١- سورة الاعراف (٧): ١٨٢؛ اقرأ أيضاً: سورة القلم (٦٨): ٤٤.

٢- المراد به: سنسوقهم ونحملهم، ونقرّبهم درجةً درجةً.

٣- تفسير الصّافي ٢ / ٢٥٦.

- ٢ أَيْحَسِبُونَ أَنَّمَا نُنَادُهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَيْنٍ * نَسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ *^١
- ٣ .. حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً، فَاذَا هُمْ مُبْلِسُونَ *^٢

الحديث

- ١ الامام علي «ع»: إِنَّهُ مَنْ وَسَّعَ عَلَيْهِ فِي ذَاتِ يَدِهِ فَلَمْ يَرِذْلَكَ اسْتِدْرَاجًا، فَقَدْ أَمِنَ مَخَوفًا.^٣
- ٢ الامام علي «ع»: كَمِ مِنْ مُسْتَدْرَجٍ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ، وَمَغْرُورٍ بِالسَّتْرِ عَلَيْهِ، وَمَقْتُونٍ بِحُسْنِ الْقَوْلِ فِيهِ؛ وَمَا ابْتَلَى اللَّهُ أَحَدًا بِمِثْلِ الْإِمْلَاءِ لَهُ.^٤
- ٣ الامام علي «ع»: .. وَرُبَّ مُنْعَمٍ عَلَيْهِ مُسْتَدْرَجٍ بِالنُّعْمَى ..^٥
- ٤ الامام الحسين «ع»: الاسْتِدْرَاجُ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ لِعَبْدِهِ، أَنْ يُسَبِّغَ عَلَيْهِ النِّعَمَ، وَيَسْلُبَهُ الشُّكْرَ.^٦
- ٥ الامام الصادق «ع» - أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ [وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ ..]، فَقَالَ: هُوَ الْعَبْدُ يُذْنِبُ الذَّنْبَ فَيُجَدِّدُ لَهُ النِّعْمَةَ، تَلْهِيهُ تِلْكَ

١ - سورة المؤمنون (٢٣): ٥٥ - ٥٦.

٢ - سورة الانعام (٦): ٤٤.

٣ - نهج البلاغة / ١٢٥٣: عبده ٣ / ٢٣٧ - ٢٣٨.

٤ - نهج البلاغة / ١١٤١: عبده ٣ / ١٧٨.

٥ - نهج البلاغة / ١٢٢٠: عبده ٣ / ٢١٩.

٦ - تحف العقول / ١٧٧.

النَّعْمَةُ عَنِ الْاِسْتِغْفَارِ مِنْ ذَلِكَ الذَّنْبِ ١.

١٢ - هَالِكُونَ

الكتاب

- ١ .. هَلْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ * ٢
- ٢ مَا يُعْنِي عَنْهُ مَا لَهُ إِذَا تَرَدَّى * ٣
- ٣ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا .. ٤

الحديث

- ١ النبي «ص»: هَلَاكُ رِجَالِ أُمَّتِي فِي تَرْكِ الْعِلْمِ وَجَمْعِ الْمَالِ ٥.
- ٢ النبي «ص»: .. فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ

١ - تفسير الصّافي ٢ / ٢٥٦.

٢ - سورة الانعام (٦): ٤٧.

٣ - سورة الليل (٩٢): ١١.

٤ - سورة القصص (٢٨): ٥٨.

٥ - مجموعة ورام / ٣.

الفصل الثامن: الاسلام والنظام التكاثري .. (١)

يَبْسُطُ لَكُمْ الدُّنْيَا كَمَا بَسَطَتْ عَلَيَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا،
وَتُهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكْتَهُمْ^١.

٣ النبي «ص» - فيما رواه الامام علي بن ابي طالب: الدِّينَارُ وَالذَّرْهَمُ أَهْلَكَ
مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَهَمَا مُهْلِكَاكُمْ^٢.

٤ الامام علي «ع»: يَا كَمِيل! هَلَكَ خَزَانُ الْأَمْوَالِ وَهُمْ أَحْيَاءُ..^٣

* يُرْشِدُنَا التَّعْلِيمُ النَّبَوِيُّ (الحديث ٢)، إِلَى أَنَّ الْأَضْرَارَ النَّاشِئَةَ
مِنَ التَّكَاتُرِ فِي الْأَمْتِلَاكِ وَالْإِتْرَافِ فِي الْإِسْتِهْلَاكِ، هِيَ أَكْثَرُ وَأَشَدَّ.

١٣ - اموات

الكتاب

١ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى ..^٤

١ - مجموعة ورّام / ١٣٢ .

٢ - الوسائل ٦ / ٢٤ .

٣ - نهج البلاغة / ١١٥٦؛ عبده ٣ / ١٨٧ .

٤ - سورة النمل (٢٧) : ٨٠ .

٢ وما يَسْتَوِي الأحياءُ ولا الأمواتُ، إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ، وما أَنْتَ بِمُسْمِعٍ
مَنْ فِي القُبُورِ *^١

الحديث

- ١ النبي «ص»: أَرْبَعٌ يُمْتَنَ القَلْبَ .. ومجالسةُ المَوتَى . فقيل له : يا رسولَ
الله وما المَوتَى؟ قال : كلُّ غنيٍّ مُتَرَفٍ .^٢
- ٢ النبي «ص»: ثلاثةٌ مجالستُهُم تُميتُ القَلْبَ .. والجلوسُ معَ الاغنياء .^٣

١٤ - فقراء

الكتاب

- ١ ها أَنْتُمْ هؤُلاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا في سَبيلِ اللَّهِ، فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ، وَمَنْ يَبْخَلْ
فَأَنما يَبْخَلْ عَن نَفْسِهِ، وَاللَّهُ الغنيُّ وانتمُ الفقراءُ ..^٤

* هذا الكلام رُدُّ على الَّذِينَ يُدْعَوْنَ لِئِنْفِقُوا في سَبيلِ اللَّهِ -

١ - سورة فاطر (٣٥) : ٢٢ .

٢ - الخصال / ١ / ٢٢٨ .

٣ - تحف العقول / ٤٢ .

٤ - سورة محمد «ص» (٤٧) : ٣٨ .

الفصل الثامن : الاسلام والنظام التكاثري .. (١)

وَهُمُ الْاَغْنِيَاءُ بِطَبَعِ الْوَاقِعِ اَوْ هُمْ اِهْمُ هَذَا الْمِصْدَاقِ - وَهَمْ يَبْخَلُونَ،
فَيَعْبِرُهُمُ اللَّهُ بِبُخْلِهِمْ، وَيَذَكِّرُهُمْ بِأَنَّهُمْ لَيْسُوا اَغْنِيَاءَ حَقِيقَةً، بَلْ هُمْ
الْفُقَرَاءُ .

الحديث

- ١ الامام علي «ع» : الْغَنِيُّ الشَّرُّ فَقِيرٌ ١.
- ٢ الامام علي «ع» : .. وَغَنِيَّتُهَا (الدنيا) فَقِيرٌ .. ٢.
- ٣ الامام السجاد «ع» : .. وَمَنْ أَصَابَ مِنَ الدُّنْيَا اَكْثَرَ، كَانَ فِيهَا اَشَدَّ فَقْرًا .. ٣.

١٥ - وارثوا الفراعنة وتابعوهم

الكتاب

- ١ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْاَرْضِ وَإِنَّه لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ * ٤

١ و ٢ - البحار ٧٨ / ١٠ و ٢٢، عن «مطالب السُّؤُول».

٣ - الخصال ١ / ٦٤.

٤ - سورة يونس (١٠) : ٨٣.

الحديث

- ١ الامام علي «ع»: العلم افضل من المال بسبعة: الاول انه ميراث الانبياء،
والمال ميراث الفراعنة^١.
- ٢ الامام علي «ع»: .. فعلى مُبْلِلِ اجسام الملوك، وسالبِ نفوس الجبابرة،
ومُزِيلِ مُلْكِ الفراعنة، مثلِ كَسْرِيٍّ وَقَيْصَرٍ، وَتَبَعِ وَحَمِيرٍ، وَمَنْ جَمَعَ الْمَالَ
عَلَى الْمَالِ فَكَثُرَ، وَمَنْ بَنَى وَشَيَّدَ، وَزَخَرَفَ وَنَجَّدَ، وَأَدَّخَرَ وَاعْتَقَدَ، وَنَظَرَ
بِزَعْمِهِ لِلْوَلَدِ، إِشْخَاصَهُمْ جَمِيعاً إِلَى مَوْقِفِ الْعَرْضِ وَالْحِسَابِ، وَمَوْضِعِ
الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ ..^٢.

١٦ - واهنوا المعتقد في دينهم

الكتاب

- ١ وما أرسلنا في قريةٍ من نذيرٍ إلا قال مترفوها: إنا بما أرسلتم به كافرون^٣ *

الحديث

١ - مُنْبِئَةُ الْمُرِيدِ / ١٩، من طبعة قم، مؤسسة النشر الاسلامي (١٤٠٥ / ١٣٦٣).

٢ - نهج البلاغة / ٨٣٥: عبده ٣ / ٦.

٣ - سورة سبأ (٣٤): ٣٤.

الفصل الثامن: الاسلام والنظام التكتائري .. (١)

- ١ الامام علي «ع»: لا يُؤْمَنُ بِالْمَعَادِ، مَنْ لَا يَتَحَرَّجُ عَنْ ظُلْمِ الْعِبَادِ ١.
- ٢ الامام علي «ع»: حُبُّ الْمَالِ يُوهِنُ الدِّينَ وَيُفْسِدُ اليَقِينَ ٢.
- ٣ الامام علي «ع»: .. او منهوماً باللذَّة، سَلِسَ القِيَادِ لِلشَّهْوَةِ، او مُغْرَمًا بِالْجَمْعِ وَالادِّخَارِ، لَيْسَا مِنْ رُعَاةِ الدِّينِ فِي شَيْءٍ، اقْرَبُ شَيْءٍ شَبَّهَا بِهِمَا الْانْعَامُ السَّائِمَةُ ٣.

١ - غرر الحكم / ٣٥٢.

٢ - غرر الحكم / ١٦٨.

٣ - نهج البلاغة / ١١٥٧: عبيده ٣ / ١٨٨.

نظرة الى الفصل

١ - شجب التكاثر وطرده : لقد أَلَمَحْنَا فِي الْإِلْفَاتِ الْمُتَقَدِّمِ فِي مُسْتَهَلِّ هَذَا الْفَصْلِ إِلَى مَفَاهِيمِ . وَالْآنَ نُشِيرُ إِلَى الْوَانِ الْكِفَاحِ ، الَّتِي يَجِبُ أَنْ يَقُومَ بِهَا الْحُكْمُ وَالْمَجْتَمَعُ الْإِسْلَامِيَّانِ ضِدَّ التَّكَاتُرِ - فَضْلاً عَنِ الْاجْتِهَادِ وَالْفِقَاهَةِ الْإِسْلَامِيِّينَ - نَشْراً لِلْوَلِيَّةِ الْعَدْلِ الْاجْتِمَاعِيِّ ، وَتَرْكِيزاً لِقَوَاعِدِ الْقِسْطِ ، وَنَصْرَةً لِلْمُسْتَضْعَفِينَ الْمُضْطَّهَدِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ ، الَّذِينَ نَهَبَتْ أَمْوَالَهُمْ وَحَقُوقَهُمْ وَارْزَاقَهُمْ .

أ - الْكِفَاحُ ضِدَّ التَّكَاتُرِ ، خَطُوطُهُ وَمَعَالِمُهُ : يَجِبُ عَلَى الْمَجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ - وَهُوَ فِي حِضْنِ الثَّقَافَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمُعَادِيَةِ لِلتَّكَاتُرِ - أَنْ يُحَوِّلَ الْمَقَائِيسَ التَّكَاتُرِيَّةَ إِلَى مَقَائِيسَ إِسْلَامِيَّةٍ . وَأَنْ يَضَعَ التَّرْبِيَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ وَقِيَمَهَا مَوْضِعَ التَّرْبِيَةِ التَّكَاتُرِيَّةِ وَقِيَمَهَا ، حَتَّى يُتَاحَ لَهُ الْكِفَاحُ الدَّائِبُ ضِدَّ التَّكَاتُرِ وَقِيَمِهِ الثَّقَافَةِ بِأَعْمَقِ صُورَةٍ مُمَكِنَةٍ لِلْكِفَاحِ .

وهذا اتِّجَاهٌ عَمَلِيٌّ بِنَاءٍ يَكْفِي لِلتَّدْلِيلِ عَلَيْهِ أَنْ نُشِيرَ إِلَى أَنَّ مِنْ أَهَمِّ الْإِبْعَادِ لِلاتِّزَامِ الثَّقَافِيِّ وَالْإِخْلَاقِيِّ ضِدَّ التَّكَاتُرِ ، هُوَ تَأْمِيمُ تِلْكَ الْحَرَكَةِ الْمُكَافِحَةِ الْمَلْتَزِمَةَ ، بِمَعْنَى صِيورَتِهَا مُنْبَعَثَةً مِنْ أَعْمَاقِ الْجَمَاهِيرِ ، مُسْتَوْعِبَةً لِكُلِّ الْقِطَاعَاتِ الْمُضْطَّهَدَةِ وَالْمَحْرُومَةِ ، مُتَوَفِّرَةً عَلَى عُنَاصِرِ الْإِخْلَاقِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، الْمُعَادِيَةِ لِلتَّكَاتُرِ .

وَلَا جَلَّ ذَلِكَ نَرَى أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ يَقُولُ : «... وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ، وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ » ، فَالْمِيزَانُ وَالْكِتَابُ وَالْحَدِيدُ كُلُّهَا بَوَاعَتْ لَأَنَّ يَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ، وَلِأَنَّ يُسَاقَ

١ - سورة الحديد (٥٧) : ٢٥ .

النَّاسُ الى اقامة القسط، ولأن تَزَاحَ العراقيُّ عن مسيرة العدالة والقسط .
نعم! تلکم البواعثُ كُلُّها لازمة لقيام الناس بالقسط، غنيهم وفقيرهم،
قويهم وضعيفهم، اما الفقيرُ فقْرُهُ يَدْفَعُهُ الى طلبِ العدالة والقسط، واما
الضعيفُ فيدْفَعُهُ الى طلبِها ضعفه وحرمانه، لكن العقبة، كل العقبة، هو
الغنيُّ القوي، حيثُ يَجِبُ أَنْ يُسَاقَ الى البُخُوعِ بالعدل والقسط، اما
بالميزان، والا فبالحديد . وهذا المنهج هو الذي يدْعُو الى ايجاد التوازن
في الحركات الاجتماعية، والى نفي الحيف والتطرف . فالحركات
المُستَلْهِمة من الكتاب السماوي، التي تتكئ على الميزان، وتُدْعَمُ
بالحديد المنزَل، هي حركات توازنية تغييرية هدامة لاسس الظلم
والعدوان، بناءً لقواعد العدل والاحسان . وهي تنتهي الى بناء مجتمع
متوازن، متكافل، عادل، مؤمن، صالح . وكذلك تدعو الى أن يكون
التوازن المنشود سارياً في الحقلين : الظاهري والباطني معاً .

ب - الحكم والجماهير في عرصات الكفاح : على الاساس الذي اشرنا
اليه، لا يكون الكفاح المذكور ناجحاً نافذ المفعول باستخدام القوة
فقط، كما نشاهد في النظم المادية المعاصرة . ولاجل ذلك يعمد الاسلام
الى توسيع دائرة الكفاح وبسطه على ابعاد ونواح عديدة . نعم، إن
الكفاح الذي يخططه الاسلام في هذا المجال، إنما هو كفاح رسالي تمتد
جذوره الى الكتاب (التربية والتعليم وبت الاصول الفكرية الصحيحة)
من ناحية، والى الميزان (البرمجة القويمة والتأثيرات العادلة) من ناحية
اخرى، والى الحديد (استخدام القوة والدفاع عن حقوق المحرومين)
من ناحية ثالثة . فهو كفاح تربوي وفكري وثقافي من ناحية الجماهير؛
ومنهجية واختصاصي من ناحية علماء الدين واصحاب الاختصاص؛
ومقتدر حاسم من ناحية رجال القوة والحكم . وعند ذلك تساق الجماهير
بكل قطاعاتها نحو محاربة التكاثر وتضخم المال لدى فئة، ويقوم علماء

الدين والاختصاص بمساعٍ باهظةٍ لاقامةِ العدالةِ الاجتماعيّةِ والقسطِ الاسلامي، ويُطاردُ الحُكْمُ جميعَ صورِ الاستغلالِ والعدوانِ الماليِّ والاستهلاكِ الترفيِّ مطاردةً دامغةً بقوّتهِ وحديده، حتى يقومَ التّعادُلُ والتّوازن على ساق. ويصفوُ الجوُّ لنشرِ العدل، وتتركزُ اصولُ القوامِ الاجتماعيِّ، الذي يراهُ القرآنُ متوقّفاً على تصحيحِ حركةِ المالِ وتداوله بين الناس.

ج- الحوافز والغايات المتعالية لهذا الكفاح: إنّ الكفاح ضدّ التّكاثرِ والرّأسماليةِ واصحابهما في النّظْمِ المادّيّةِ الاشتراكيّةِ، إنّما يُقامُ بهِ لاهدافٍ مادّيّةٍ فقط او سياسيّةٍ، لكن الاسلامُ يكافحُ المتكاثرين والرّأسماليين لغاياتٍ مادّيّةٍ وغاياتٍ معنويّةٍ معا. وذلك لانّ تعاليمَ الاسلامِ تَعَمِدُ الى تأمينِ الحياتينِ للانسانِ وضمانِ سعادتهِ فيهما، الحياةِ المادّيّةِ (البدنيّةِ) (والروحيّةِ)، الدُّنيويّةِ (الفانيّةِ)، والحياةِ المعنويّةِ (الروحيّةِ) (والبدنيّةِ) (الأخرويّةِ) (الخالدةِ). والمذهبُ التّكاثريُّ والرّأسماليُّ لا يريّ لكلتا حياتي الانسانِ الكادحِ الذي يَسْتَعْلُهُ وَيَسْتَرْفُهُ اَيّةَ قيمةٍ، فيضيعُهما ويبخسُ حقّهما ويستهلّكُهما - في الواقع - في مقاصدهِ واهدافه. هذا ما نُشاهدُه بالعيان، فكم ترى في اصحابِ الثّرواتِ والمعاملِ والاقطاعيين مَنْ تُهْمُهُ سلامةُ العاملِ والفلاحِ والاجير؟ ومن هنا نجدُ الاسلامَ مُعاديّاً لهذا المذهبِ بالذات.

والازدواجيّةُ في غاياتِ الكفاحِ المذكورِ في الاسلام - التي اشرنا اليها - هي التي تُصعّدهُ وتجعّلهُ كِفاحاً هَيّياً وِانسانياً، وتُحلِّقُ بهِ الى اوجِ التّعالِي والمثاليّةِ، وتُطَبِّعهُ بطابعِ العظْمَةِ والخلودِ.

٢- الاغنياء وموقفهم من الامة: إنّ الأرسْطِقْراطيينَ والمتكاثرينَ والمُتْرِفينَ والأثرياءَ، في المجتمعاتِ الارستقراطيّةِ والمتكاثرةِ، يَتَدَخَّلُونَ في نظامِ

نظرة الى الفصل الثامن ..

التقنين والقضاء والادارة، فيستولون بعد لأيٍ على المراكز الحساسة ويصلون الى قمة الهرم الاجتماعي، ويفرضون سلطتهم على مصائر الجماهير الاقتصادية والسياسية - كما سلفت الاشارة اليه - وكذلك يستغلون الثقافة والاخلاق والفكر والفن والدين كما يشاؤون. اجل! إن الحياة التكاثرية والراسمالية تنهج هذا المنهج في كل مكان وفي كل زمان. وهي تستخدم جميع الذرائع الموجودة لكي تخضع الناس لمنهجها هذا، فيستسلموا لسلطاتها الاجتماعية والاقتصادية المعلنة، وسلطاتها الدينية والثقافية والاخلاقية غير المعلنة.

تبيين

من اساليب الاسلام للاطاحة بالنظام التكاثري

إن الاسلام يطيح بالنظام التكاثري اطاحة قيمية اولاً، فيسمي اعظم الناس - وهم اصحاب الاموال واصحاب المعامل والمالكون الكبار والارستقراطيون والمترفون - شر الأمة وشر المسلمين. وبتلك الاطاحة وذلك التثديد يهدم النظام القيمي التكاثري. وبهذا التمهيد الفكري والتربوي يفلح في إشعال ثورة تغييرية في وجه السلطات الاقتصادية والمظالم التكاثرية في آفاق الحياة الانسانية، ويزلزل قواعد الفئات المترفة والجبايرة الاقتصاديين ومواقفهم، ويسف بمستوياتهم الى حضيض الذل، كما يقول الامام علي «ع» بصراحة، في اول خلافته، عند ما يريد أن يحكم هذا المنهج الاسلامي الحاسم ويؤشر له: «حتى تعود اسفلكم اعلاكم واعلاكم اسفلكم».

وهذا الكلام إنما قاله الامام حينما بوع له في المدينة، ورأى أن الاسلام صار كفرو ليس مقلوباً. وذلك لاستيلاء عدّة على اموال

المسلمين ففشا التكاثر عند حفنة، والفقْر والعوز عند الكثيرين، فقال من خطبة موقظة وثائرة، مُحذراً المَلأ الذين اُتْرَفُوا من عواقب الظلم: «ذمّتي بما اقول رهينة، وانا به زعيم، ان من صرحت له العبر عما بين يديه من المثلات، حجزته التقوى عن تفحم الشبهات، ألا! وإن بليتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيكم «ص». والذي بعثه بالحق لتبطلن ببله، و لتغرلن غرله، ولتساطن سوط القدر، حتى يعود اسفلكم اعلاكم واعلاكم اسفلكم ..»^١

وان مما يجب علينا - اشد الوجوب واهم - ان نعرف هذه التعاليم ومواقفها وغاياتها اعمق معرفة، وان نعيها احسن وعي، وان نعلم الجماهير بها، وان لانخط عليها خط البطلان التجسدي بتسميتها باسم «الاخلاقية»، ولا نخرجها من الحقل الفقهي ودائرة الاجتهاد الاسلامي الحي البناء، حتى لا يودي الامر (يعني حذف بعض التعاليم الاسلامية واختزالها من حقل الاجتهاد)، الى ابهام في النظام الاسلامي ومذهبه الاقتصادي وفلسفته الاجتماعية ومقاييسه الحقيقية، والى تحريف دين الله الحنيف، او تضعيفه.

ومن المسلم به ان الدين الالهي - مع موقفه واتجاهه هذان - وسيرة علي «ع» العملية، ان روعيا بصورة صالحة، لا يدعان مجالاً للمتكاترين والموسرين لاستغلال الدين، فلا يتبدل هو الى وسيلة في ايدي شر الأمة وشر اشرارها - بلسان النبي الاعظم «ص» - ولا توجد ارضية لان يتحوّل دين كالا سلام، الى مسوغ لليسار الفاحش والاطراف والاستغلال، والى اداة لتخدير الجماهير وتغطية الضمائر. واذا بدا شيء من ذلك فعلى النابهن ان يجاروا الامر بصور مختلفة، وان يمعنوا النظر قبل كل شيء في اسبابه، للتوفّر على استئصاله، وماهي الا:

١ - نهج البلاغة / ٦٦ - ٦٧؛ عبده ١ / ٤٣.

١ - الجهل، و

٢ - الدَّجَل، و

٣ - التَّخَلُّف، و

٤ - ضيقُ الافقِ الفكري، و

٥ - الانخداعُ بتمويهاتِ المتكاثرين وابداهم .

ولان يعرف القارئ مغزى كلام النبي «ص» في وصف الاغنياء، اكثر من ذي قبل، ويقف على نفسياتهم من كتب، فليراجع من فصول هذا الباب، ما يشتمل على «حالات الاغنياء والمتكاثرين».

٣- ظالمون : لم نَعِدْ هذه الفصولَ ولم نأتِ بهذه العناوينِ مُنحازين، باخسين لحق، او غير مُبالين بحُرمةِ او كرامة . وانما هي كلماتُ حقَّ اخذناها ووعيناها من نفسِ التَصْرِيحاتِ القرآنيَّة والحديثيَّة، وتعاليمِ الاسلامِ الهاديَّة . يَقولُ اللهُ تعالى في كتابه الكريم : «انَّ اللّٰهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ اَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ»^١ . ولقد اَشْرنا عندَ ايرادِ الآيَةِ في الفصلِ الى ان تكونَ كلمةُ «شبيئاً» الواردةُ فيها، على ذُكْرِ القارئِ . وقلنا : إنَّها نِكْرَةٌ واقعةٌ في سياقِ النَّفيِ فتفيدُ العمومَ، اي انَّ الله سبحانه، لا يظلمُ احداً مثقالَ ذرَّةٍ ولا يظلمُ النَّاسُ نقيراً ولا فتيلًا .

ومن المعلوم أنَّ خلقَ مخلوقٍ اجوف^٢ له معدةٌ وأمعاءٌ وجسدٌ بُنيَ على الخبز^٣، فيطلبُ الغدَاءَ لِتلايمتِهِ الجوع، وكذلك يَطْلُبُ السَّتْرَ كي لا يُفْنِيهِ الحَرُّ والبرْد، ان لم يكن ذلك مع اعدادِ الغدَاءِ والمعيشة له لا يكون عدلاً ابداً، فهو ظلم . وفي هذا الضَّوء، هل يُمكنُ ان ينسبَ مسلمٌ ذلك الامر الى

١ - سورة يونس (١٠) : ٤٤ .

٢ - على حدِّ تعبيرِ الامامِ الباقر «ع» - (الكافي ٦ / ٢٨٦) : راجع : مامرٌ في الفصل ٥ .

٣ - على حدِّ تعبيرِ الامامِ الصادق «ع» - (الكافي ٦ / ٢٨٦) : راجع : مامرٌ في الفصل ٥ .

الله (تعالى الله عما يقولون)، وأن يعدّ العوزَ والمسكنةَ الفاشيين في الناس وفي البلاد امرأً مرضياً لله تعالى لا يجب كفاحهما؟ وإذا لم يكن ذلك وما كان الله ليظلم الناس، بل هو خلقهم وضمّن أرزاقهم وقسم بينهم معيشتهم، فمن الذين يظلمون هؤلاء المساكين والمُعوزين والعراة الجائعين؟ يجب الله تعالى عن هذا السؤال فيقول في كتابه: «ولكنّ الناس انفسهم يظلمون». وإنّ الاحاديث المتعددة التي تُصرّح بأن فقر الفقراء واحتياجهم من ذنوب الاغنياء، وأنّ الاغنياء يسرقون زاد الفقراء، تدلّ على ذلك الظلم ايضاً. وليس شيء أخطر وأضرّ على دين او مدرسة من أن يأخذ تابعوه ببعض تعاليمه واحكامه ويجعلوا بعضها الآخر خلف القفا.

٤- هالكون: إنّ التكاثر والارثاف سببا هلاك الانسان وشقائه. والاغنياء المترفون هم الهالكون والمهلكون، الذين يهلكون الحرث والنسل ويجرّون المجتمع الى حضيض العبودية الاقتصادية والميوعة والهوان والتخلف. ولكي نطلّ على هذه الحقيقة الاجتماعية نُشير الى مسائل، هي من آثار الحياة التكاثرية والترفيهية الحتمية:

الاولى: أنّ التكاثر والارثاف يخلقان جواً في النفس الانسانية، يستتبع فساد العقل والقلب والدين - كما يأتي الكلام عليه في الفصل السادس عشر.

الثانية: أنّ التكاثر في الامتلاك والترّف في الاستهلاك، يُميتان العواطف الانسانية، ويقضيان على تبني الفضيلة والاخلاق.

الثالثة: أنّهما يُنميان في الانسان الرذائل الخلقية ويصنعان له شخصية وهمية متعجرفة.

الرابعة: أنّهما يُبعدان الانسان المتكاثراً المترفاً عن الناس

نظرة الى الفصل الثامن ..

وَيُضَدِّدُهُ عَنْ مَخَالَطَةِ الْجُمَاهِيرِ - وَلَا سَيِّمًا الْعَجْزَةَ وَالزَّمْنَى وَالْمَسَاكِينَ -
مع أَنَّ هَذِهِ الْمَخَالَطَةُ هِيَ الْمُجَلِّبَةُ لِمَرَاةِ النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَلِمَلَكَاتِهَا
السَّامِيَةِ، وَالْمُرْهَفَةُ لِأَحَاسِيْسِ الْإِنْسَانِ وَإِنطِبَاعَاتِهِ . وَلَقَدْ حَثَّنَا عَلَيْهَا
التَّعَالِيمُ فِرَاجِعَ : الْفَصْلِ التَّاسِعِ وَالثَّلَاثِينَ ، مِنْ هَذَا الْبَابِ بِإِمَاعَانِ .

الخامسة : أَنَّهُمَا يُسَبِّبَانِ الْإِبْتِعَادَ عَنْ مِنْهَاجِ الْعَدَالَةِ وَالْقِسْطِ ،
وَيَأْسِرَانِ الْإِنْسَانَ فِي أَغْلَالِ الطَّمْعِ وَالْحِرْصِ ، فَيَسْلُبَانِ حُرِّيَّتَهُ فِي
التَّفَكِيرِ وَالرَّأْيِ .

السادسة : أَنَّهُمَا - بِمَا لَهُمَا مِنَ الْآثَارِ السَّلْبِيَّةِ - يَفْرُضَانِ عَلَى الْإِنْسَانِ
الْإِسِيرِ فِي شَبَكَتِهِمَا أَنْ تَكُونَ أَتِّجَاهَاتُهُ مَحْدُودَةً فِي حَقْلِ الْإِنْتِفَاعِ
الشَّخْصِيِّ ، غَيْرَ سَارِيَةٍ إِلَى آفَاقِ الْمَصَالِحِ النَّوْعِيَّةِ الْعَامَّةِ وَالْإِثَارِ
الاجْتِمَاعِيِّ . وَمَا يَخْرُجُ مِنْ ذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا شُدُودًا وَنَدْرَةً ، أَوْ لِمَقَاصِدَ
خَاصَّةٍ .

السابعة : أَنَّهُمَا يَسُوقَانِ الْمَجْتَمَعَ - عَقِيبَ فِرْضِ الْإِقْتِسَادِ التَّكَاثُرِيِّ
عَلَيْهِ - إِلَى الْإِنْقِسَامِ إِلَى قِسْمَيْنِ مَتَمَايِزِينَ تَمَازِيْرًا جَبَّارًا لَا يُسَوِّغُهُ أَيُّ دِينٍ
أَوْ مَدْرَسَةٍ فِكْرِيَّةٍ صَالِحَةٍ ، فَضْلًا عَنِ الْإِسْلَامِ .

الثامنة : أَنَّهُمَا يُضَعِّضَانِ قَوَاعِدَ التَّكَافُلِ الْاجْتِمَاعِيِّ وَأُسُسَ التَّعَاوُنِ
والتَّعَاوُدِ ، فَيُهْدِمَانِ بِذَلِكَ أَسَاسَ التَّوَاظُنِ ، فَيُضَيِّعَانِ الشَّعْبَ وَيُهْلِكَانِ
النَّاسَ .

هذا . وَمِنَ اللَّاحِبِ الْوَاضِحِ ، الَّذِي لَا يُشْكُّ فِيهِ مَنْ لَهُ الْإِمَامُ بِالْإِسْلَامِ
وَتَعَالِيمِهِ ، أَنَّ نِظَامَ الْإِسْلَامِ الْاِقْتِسَادِيَّ وَمِنْهَجَهُ الْمَالِيَّ ، لَا يَكُونَانِ
الْأُمْنَجِيْنِ ، لِأُمُهْلِكِيْنِ ، إِذْ غَايَةُ الدِّينِ هِيَ إِنْجَاءُ الْإِنْسَانِ وَإِسْعَادُهُ . فَعَلَى
هَذَا ، إِنَّ مَجْمُوعَةَ الصُّوْرِ وَالْأَشْكَالِ ، فِي الْأُمُورِ الْمَالِيَّةِ وَالتَّبَادُلَاتِ
وَالصَّلَاتِ الْاِقْتِسَادِيَّةِ فِي الْإِسْلَامِ ، لَا تَهْدَفُ إِلَّا إِلَى غِرْضِ نَفْيِ التَّكَاثُرِ
الْمُفْسِدِ الْمُهْلِكِ ، وَشَجْبِ الْغِنَى الْمُطْغِي ، وَالْإِطْرَادَةِ الْاِقْتِسَادِ

الاستكباريّ الَّذِي يَمَزُقُ الأُمَّةَ صُنُوفًا وَيَبِدِّدُ شَمَلَ الجُمَاهِيرِ .
 فِي هَذَا الضُّوءِ، الَّذِي تَلْقِيهِ حَقَائِقُ الإِسْلَامِ وَتَعَالِيمُهُ، يَتَّضِحُ أَنَّ مِنْ
 أَهَمِّ رِسَالَاتِ فِقْهَاءِ الإِسْلَامِ، هِيَ صِيَانَةُ الإِسْلَامِ وَتَخْلِيصُ الْمُسْلِمِينَ -
 وَسَائِرِ النَّاسِ - مِنْ مَخَالِبِ الْمُفْسِدِينَ وَالطَّاعِنِينَ الإِقْتِسَادِيِّينَ . إِنَّ النَّبِيَّ
 الأُسُوةَ «ص»، يُعَدُّ مِنْ وَاجِبَاتِ الْحَاكِمِ الإِسْلَامِيِّ أَنْ لَا يُفْقِرَ النَّاسَ
 فَيُكْفِرَهُمْ .^١ فَإِذَا كَانَ وَاجِبُ السِّيَاسَةِ الإِسْلَامِيَّةِ صِيَانَةَ النَّاسِ عَنِ الْفَقْرِ
 وَعَوَامِلِهِ وَسَبَابِهِ حَتَّى لَا يَكْفُرُوا، فَمَاذَا يَكُونُ وَاجِبُ الْفِقَاهَةِ الإِسْلَامِيَّةِ؟
 فَمِنْ وَاجِبَاتِ الْعِلْمِ وَالْعِلْمَاءِ أَنْ لَا يُقَارُّوا عَلَى كِطَّةِ الظَّالِمِينَ وَلَا سَعْبِ
 الْمَظْلُومِينَ، بَلْ يَثُورُوا - وَلَوْ بِالْإِفْتَاءِ - فِي وَجْهِ الْبِوَاعِثِ الْمُهْلِكَةِ، سِوَاءِ
 الْهَلَاكِ الْفَرْدِيِّ أَوْ الْاجْتِمَاعِيِّ، وَأَنْ يَقُومُوا بِصِيَانَةِ الْمَجْتَمَعِ الإِسْلَامِيِّ مِنْ
 وَقُوعِهِ فِي أَسْرِ الإِقْتِسَادِ التَّكَاثُرِيِّ وَالإِسْتِهْلَاكِ التَّرَفِيِّ، وَمِنْ سَقُوطِهِ فِي
 أَيْدِي مَدَارِسَ تَدْعِي أَنَّهَا تُنْقِذُ الْإِنْسَانَ وَتَرُدُّ إِلَيْهِ حَقُوقَهُ الْمَسْلُوبَةَ .^٢

٥- اموات: إن حياة الانسان الحقيقية، هي التي تهيب له ارضيات رشيده
 وتفتح مواهبه الانسانية، وتشق الطريق له الى توسع آفاقه الوجودية
 العميقة. هذه هي حياة الانسان الحقيقية، الانسانية، لا ما يستغرق بها في

١ - الكافي ١ / ٤٠٦ . راجع : الفصل ٣٢ ، من هذا الباب .

٢ - من اللازم على من يقوم بالاصلاح في هذا الجانب، ويخوض هذه المباحث بالتمحيص او
 الكتابة او الدعاية، فيكافح المتكاثرين ويحامي عن المحرومين والمضطهدين والمساكين، أن
 لا يفعل عمّا يثار حوله من إشكالات احياناً واتهامات احياناً أخرى . وهذه الاشكالات
 والاتهامات يثيرها اولئك المتكاثرون وايديهم لإضلال وعي الجماهير وإغفال الافكار عن
 ادراك العدل والقيام لحيائه، حتى لا تتزلزل قواعدهم السياسية والاجتماعية ولا تجف
 مواردهم الاقتصادية الباهظة، ولا يطيح وعي الجماهير وانتباه الناس بحياتهم المتطفلة
 ومصالحهم الاستغلاية . فليكن المصلحون الناثرون ناهيين لهذا الامر، متوكلين على الله،
 واقفين على خطورة الموقف، صامدين له، موطنين انفسهم على مواجهة المشكلات ومنافحة
 العراقيل .

نظرة الى الفصل الثامن ..

الأكل والشرب والنوم والشهوات كالبهيمة المربوطة همها علفها . فكلُّ سببٍ يعوقُ الانسانَ عن تلك الغاياتِ الكريمةِ في الحياة، ويُعْرِقُه في بحارِ التفاهاتِ اليومية، التي لا تزيدُ على انسانيةِ الانسانِ شيئاً، بل تُهدِرُ قواه وفُرصه، ويصدّه عن المقصدِ الاسمى، فهو عاملٌ للهلاكِ والموتِ الحقيقيِّ .

فهنالك حياتانِ وموتانِ : جسديَّةٌ وروحيَّةٌ . وإن شئتَ فقل : ظاهريَّةٌ، وحققيَّةٌ . فالحياةُ الظاهريَّةُ للانسانِ حياته الحيوانيَّةُ؛ والحياةُ الحقيقيَّةُ حياته الانسانيةُ . والموتُ الظاهريُّ هو موته الجسديُّ، والموتُ الحقيقيُّ هو موته الروحيُّ والاخلاقيُّ وموت مواهبه الانسانيةُ . ولا موتَ للانسانِ حقيقيًّا مع الحياةِ الروحيَّة، كما أنَّه لا حياةَ له حقيقيَّةً مع الموتِ الروحيِّ . وحياةُ الانسانِ الحقيقيَّةُ ليست امرأً وحدانياً، بل هي امرٌ تركيبِيٌّ ينبعُ من عدَّةِ امورٍ يسيِّرُ كلُّها مسيرةً واحدةً ويهدفُ الى غايةٍ واحدة . فالجسدُ ايضاً له دوره في تحصيلِ تلك الحياة، لانه ألةٌ لكسبِ المعنويَّاتِ والخيراتِ والصالحاتِ، لانها إنما تُكتسبُ بواسطةِ الجسدِ وقواه وجوارحه ومشاعره وافعاله واعماله ونشاطاته . ومن البديهيِّ الذي لا شكَّ فيه، أنَّ ادواتِ الحياةِ الماديَّة، من الجسديَّةِ ومُلابساتِها - وهي مُعدَّاتُ لرشدِ الانسانِ واستكمالِه - يَجِبُ أن تُستعملَ استعمالَ المُعدَّاتِ لسلكِ الانسانِ المنشودِ الى غاياتِ الوجودِ القُصوى . فعلى هذا، يَجِبُ أن لا تكونَ الادواتُ المشارُ اليها، مُعيقةً له عن النشطاتِ الاستكمالية . فاذا استهلكَ الانسانُ جميعَ قواه واوقاته في الكسبِ الماديِّ حباً للمال، ونظرَ الى المقدِّمة كذي المقدِّمة، وتحوَّلت لديه الوسيلةُ غايةً، يدهبُ جميعُ ما عنده ضحيَّةً المادَّةِ والماديَّاتِ، ويُعْرِقُ سبيله الى ما هو الغايةُ الاصليةُ، فلا يكتسبُ ما يَجِبُ عليه أن يكتسب، ولا يظفرَ بما هو المطلوبُ المنشود . فبذلك يتضحُ لذي الانسانِ النَّابِه أن صرفَ العمرِ والامكانيَّاتِ

والنشاطات الحياتية في التكسب وتضخيم المال، هو موت الانسان
الواقعي وتراجعه الى السفل، وتخلفه عما يليق بالانسانية . فالتكاثر ميث
لا حياة انسانية له - وإن دبّ ودرج في الأحياء - ولا اهتمام له بالفضيلة
والحق والعدل، لأن التكاثر الهاه، كما صرحت به سورة التكاثر .
فعلى ما عرضنا، إن استهلاكية الاقتصاد التكاثري وافراطيته وتخلفه
وتعرضه للدمار ليس امراً عرضياً، بل هو امر اصلي عميق له جذور في
اعماق الوجود الانساني . ولأجل ذلك يُسمي القرآن الكريم هؤلاء
المتكاثرين واهل الدنيا والمال موتى، فيقول مخاطباً للنبي «ص»: «إنك
لا تُسمع الموتى ..»^١، ويقول في موضع آخر: «وما يستوي الأحياء ولا
الأموات ..»^٢.

١ - سورة النمل (٢٧) : ٨٠ .

٢ - سورة فاطر (٣٥) : ٢٢ .

الفصلُ التاسع

الاسلام والنظام التكاثري الاترافي، كفاح رجب (٢)

- القضاء على الاكتناز

الكتاب

١ .. وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ
الْيَوْمِ * ١

الحديث

١ النبي «ص» - لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قَالَ : «تَبًّا لِلذَّهَبِ، تَبًّا لِلْفِضَّةِ»، يُكْرَهُهَا
ثَلَاثًا؛ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِهِ، فَسَأَلَهُ عُمَرُ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيُّ الْمَالِ
نَتَّخِذُ؟ فَقَالَ : «لِسَانًا ذَاكِرًا، وَقَلْبًا شَاكِرًا، وَزَوْجَةً مُؤْمِنَةً تُعِينُ أَحَدَكُم عَلَى
دِينِهِ»^٢.

١ - سورة التوبة (٩) : ٣٤.

٢ - مجمع البيان ٥ / ٢٤.

٢ النبي «ص»: يا ابن مسعود! احذر الدنيا ولذاتها وشهواتها وزينتها، واكل الحرام، والذهب والفضة، والركب^١، والنساء، فإنه سبحانه يقول: «زِين للناس حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ، ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الْمَآبِ * قُلْ: أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَم، لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا، وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ، وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ، وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ»^٢

٣ الامام الباقر «ع» - في قوله تعالى: «وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ ..»: .. فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ كَنْزَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، وَأَمَرَنَا بِانْفَاقِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . وقوله: «يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ ..»^٣، قال: كان ابوذر الغفاري يَغْدُو كُلَّ يَوْمٍ - وهو بالشام - وَيُنَادِي بِأَعْلَى صَوْتِهِ: بَشِّرْ أَهْلَ الْكُنُوزِ بِكَيِّْ فِي الْجِبَاهِ، وَكَيِّْ فِي الْجُنُوبِ، وَكَيِّْ فِي الظُّهُورِ أَبَدًا، حَتَّى يَتَرَدَّدَ الْحَرُّ فِي أَجْوَافِهِمْ^٤.

١ - وفي بعض النسخ: «المراكب».

٢ - مكارم الاخلاق / ٥٢٩ - ٥٣٠؛ والآيتان في سورة آل عمران (٣): ١٤ - ١٥.

٣ - سورة التوبة (٩): ٣٥.

٤ - تفسير القمي ١ / ٢٨٩.

نظرة الى الفصل

نقل هنا كلاماً للعالم الكبير، المولى محمد مهدي النراقي، عن الكنز وتفسيره وحكمة النهي عنه، ونجعل هذا الكلام القيم نظرتنا الى الفصل، ونكل البحث عن الكنز والاكتناز وما يتعلّق بهما الى الفصل الخامس والعشرين، الذي عقّدناه لهذا الموضوع الهامّ. فاليك الآن كلام المولى النراقي:

«.. وثانيهما العقل، والنظر بعين الاعتبار، فإنّ العقل متمكّن - في الجملة - من أن يدرك بعض وجوه الحكم في بعض الموجودات. فإنّ الله سبحانه، ما خلق شيئاً في العالم الا وفيه حكم كثيرة، وتحت كل حكمه مقصود ومصلحة. وهذا المقصود والمصلحة هو محبوب الله تعالى. فمن استعمل كل شيء على النحو الذي يؤدي الى المقاصد المطلوبة وعلى الجهة التي خلق لها، فقد شكر نعم الله تعالى؛ وإن استعمل شيئاً على النحو الذي لم يؤدّ الى المقصود منه، او في جهة غير الجهة التي خلق لها، فقد كفر نعمة الله.

ثمّ العقل لا يتمكّن من معرفة كل حكمه مطلوبة من كل شيء، إذ الحكم المقصودة من الاشياء إما جليّة او خفية. اما الجليّة كحكمة حصول الليل والنهار في وجود الشمس.. فإنّ جميع اجزاء العالم، سمائه وكواكبه وما فيها من الاوضاع والحركة والاختصاصات وعناصره من كثرة النار والهواء والماء والارض وما فيها من البحار والجبال والرياح والمعادن والنبات والحيوان، لا تخلو ذرّة من ذراته من حكم كثيرة، من

١ - اي ثاني المدرّكين لتمييز ما يُحبه الله تعالى ممّا يكرهه؛ وأولهما الشّرع.

عشرة الى الف او اكثر. وقليل منها جليّة، واكثرها دقيقة خفيّة، وبعضها متوسّطة في الجلاء والخفاء، يعرفها المتفكّرون في خلق السماوات والارض .. اما الانسان فليكونه محلّ الاختيار ومجره، فقد يجري ويستعمل الاشياء التي يتمكّن من استعمالها على خلاف ذلك، فيكون كافراً بنعمة الله سبحانه ..

وَمَنْ أَدَّخَرَ الدَّرَاهِمَ وَالذَّنَابِيرَ وَحَبَسَهُمَا فَقَدْ كَفَرَ نِعْمَةَ اللَّهِ فِيهِمَا، لَأَنَّهُمَا حَجَرَانِ لَامْنَعَةٌ وَلَا عِوَضَ فِي أَعْيَانِهِمَا. وَأَمَّا خَلَقَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى لِيَكُونَ حَاكِمِينَ يَحْصُلُ بِهِمَا التَّعْدِيلُ وَالْمَسَاوَاةُ وَالتَّقْدِيرُ بَيْنَ سَائِرِ الْأَمْوَالِ، مِنَ الْأَعْيَانِ الْمُتَنَافِرَةِ الْمُتَبَاعِدَةِ؛ فَهِيَ عَزِيزَانِ فِي أَنْفُسِهِمَا، وَلَا غَرَضَ فِي أَعْيُنِهِمَا، وَنَسَبْتُهُمَا إِلَى سَائِرِ الْأَمْوَالِ نِسْبَةً وَاحِدَةً. فَمَنْ مَلَكَهُمَا فَكَانَهُ مَلِكٌ كُلِّ شَيْءٍ، لَا كَمَنْ مَلَكَ ثَوْبًا فَإِنَّهُ لَا يَمْلِكُ إِلَّا الثَّوْبَ، فَإِنْ أَحْتَاجَ إِلَى طَعَامٍ، رَبَّمَا لَمْ يَرْعَبْ صَاحِبُ الطَّعَامِ فِي الثَّوْبِ، إِذْ لَا غَرَضَ لَهُ فِي ذَاتِهِ، بِخِلَافِ النَّقْدَيْنِ، فَإِنَّهُمَا مِنْ حَيْثُ الصُّورَةِ كَانَهُمَا لَيْسَا بِشَيْءٍ، وَمِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى كَانَهُمَا كُلُّ الشَّيْءِ.

والاشياء إنّما تستوي نسبتها الى المختلفات، اذا لم يكن لها صورة خاصة تقيدها بخصوصها، كالمرآة لالون لها وتحكي كل لون، وكالحرف لا معنى لها في نفسها بل تظهر لها المعاني في غيرها. وكذلك النقدان لا غرض فيهما مع كونهما وسيلة الى كل غرض. فالحكمة في خلقهما ان يحكما بين الاموال بالعدل، وتعرف بهما المقادير المختلفة، وتقوم بهما الاشياء في تبادل الاعيان والمنافع المتخالفة. فمن ادخرهما وحبسهما فقد ظلمهما وابطل الحكمة فيهما وكفر نعمة الله فيهما، و كان كمن حبس حاكم المسلمين في سجن. ومن لم يدخرهما ولم يتصرف ازيد مما يحصل به التوسل الى ما يحتاج، وانفق الزائد في سبيل الله، فهو الذي استعملهما على وفق الحكمة، وشكر نعمة الله فيهما. ولما عجز اكثر الناس قراءة

نظرة الى الفصل التاسع ..

الْأَسْطُرِ الْإِلَهِيَّةِ الْمَكْتُوبَةِ عَلَى صَفْحَاتِهِمَا فِي فَائِدَتَيْهِمَا وَحِكْمَتَيْهِمَا بِخَطِّ
الْهَيِّ لَا حَرْفَ فِيهِ وَلَا صَوْتَ، أَخْبَرَهُمُ اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: «وَالَّذِينَ يَكْتَبُونَ
الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ».
وبما ذكرنا من وجهِ الحكمةِ فيهما، يَظْهَرُ أَنَّ مَنْ اتَّخَذَ الْإِثْمَ مِنْهُمَا
فَقَدْ كَفَرَ نِعْمَةَ اللَّهِ فِيهِمَا أَيْضًا^١. وكذا من عَامَلَ مَعَامِلَةَ الرَّبِّ فِيهِمَا فَقَدْ كَفَرَ
النِّعْمَةَ وَظَلَمَ، لِأَنَّهَا إِنَّمَا خُلِقَتْ لِغَيْرِهِمَا لَا لِأَنْفُسِهِمَا، إِذْ لَا غَرَضَ فِي
عَيْنَيْهِمَا، فَإِذَا أَتَجَرَ فِي عَيْنَيْهِمَا فَقَدْ اتَّخَذَهُمَا مَقْصُودًا لِأَنْفُسِهِمَا عَلَى خِلَافِ
وَضْعِ الْحِكْمَةِ.

وكذلك الحكمةُ في خَلْقِ الْإِطِيعَةِ أَنْ يُعْتَدَى بِهَا، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ تُصَرَفَ
عَنْ جِهَتِهَا وَتُقَيَّدَ فِي الْإِيْدِي، بَلِ الْإِلْزَامُ أَنْ تُخْرَجَ عَنِ يَدِ الْمُسْتَعْنِي عَنْهَا
إِلَى الْمَحْتَاجِ. وَلِذَا وَرَدَ فِي الشَّرْعِ حُرْمَةُ الْإِحْتِكَارِ، وَالْمَنْعُ عَنْ مَعَامِلَةِ الرَّبِّ
فِي الْإِطِيعَةِ، لِأَنَّ ذَلِكَ يُوجِبُ صَرْفَهَا عَنِ الْحِكْمَةِ الْمَقْصُودَةِ فِيهَا^٢.

١ - راجع : امالي الطوسي ٢ / ١٣٣ - ١٣٤.

٢ - جامع السعادات ٣ / ١٩٥ - ١٩٧، الطبعة الرابعة، دار النعمان، النجف الاشرف.

الفصلُ العاشرُ

الاسلام والنظام التكاثريّ الاترافيّ، كفاح ربح (٣)

- دعم القيم المثلى والمقاييس السّامية وهدم القيم التّكاثريّة والأعراف الاترافيّة، مجابهة للتكاثر والإدّخار

أ - الغنى بالله تعالى لا بالمال

الكتاب

١ يا أيّها النّاس! أنتم الفقراء إلى الله، واللّه هو الغنيّ الحميد *

الحديث

١ النبي «ص»: يا ابادر! استغنّ بغيري اللّهِ يَغْنِكَ اللّهُ . فقلت : وما هو يا رسول الله؟ قال : غداءُ يومٍ وعشاءُ ليلةٍ . فمن قنع بما رزقه الله فهو أغنى

١ - سورة فاطر (٣٥) : ١٥ .

الناس ١

٢ الامام علي «ع»: الغنى بالله اعظم الغنى. الغنى بغير الله اعظم الفقر والشقاء. ٢

ب - الغنى بما عند الله تعالى

الكتاب

- ١ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ هَواً أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً، قُلْ : ما عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِهِ وَمِنَ التِّجَارَةِ، وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * ٣
- ٢ فما أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا، وما عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَابْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * ٤

الحديث

- ١ النبي «ص»: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ أَغْنَى النَّاسِ، فَلْيَكُنْ بِما فِي يَدِ اللَّهِ أَوْثَقَ

١ - مكارم الاخلاق / ٥٥٣.

٢ - غرر الحكم / ٤٢.

٣ - سورة الجمعة (٦٢) : ١١.

٤ - سورة الشورى (٤٢) : ٣٦.

منه بما في يده ١.

ج - الغنى بالقرآن

الكتاب

١ .. فَأَقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ .. ٢

الحديث

- ١ النبي «ص»: مَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ، فَرَأَى أَنْ رَجُلًا أُعْطِيَ أَفْضَلَ مِمَّا أُعْطِيَ، فَقَدْ صَغَّرَ عَظِيمًا وَعَظَّمَ صَغِيرًا. ٣
- ٢ الامام علي «ع»: .. إِعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ الْقُرْآنِ مِنْ فَاقَةٍ، وَلَا لِأَحَدٍ قَبْلَ الْقُرْآنِ مِنْ غِنَى .. ٤
- ٣ الامام الصادق «ع»: مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَهُوَ غَنِيٌّ، وَلَا فَقْرَ بَعْدَهُ، وَالْأَمَّا بِهِ غِنَى. ٥

١ - تحف العقول / ٢٤.

٢ - سورة المزمّل (٧٣) : ٢٠.

٣ - الكافي / ٢ / ٦٠٥.

٤ - نهج البلاغة / ٥٦٧: عبده / ٢ / ١١١.

٥ - الكافي / ٢ / ٦٠٥.

د - الغنى بالتقوى واليقين

الكتاب

١ قل: متاع الدنيا قليل، والآخرة خيرٌ لمن اتقى..^١

الحديث

- ١ النبي «ص»: كفى بالتقى غنى^٢.
- ٢ الامام علي «ع»: مفتاح الغنى، اليقين^٣.
- ٣ الامام الباقر «ع»: كفى باليقين غنى، وكفى بالعبادة شغلاً^٤.
- ٤ الامام الباقر «ع»: اعلم يا جابر! ان اهل التقوى هم الاغنياء، اغناهم القليل من الدنيا، فمؤوتهم يسيرة، ان نسيت الخير ذكروك، وان عملت به اعانوك. اخروا شهواتهم ولذاتهم خلفهم، وقدموا طاعة ربهم امامهم^٥.
- ٥ الامام الصادق «ع»: من اخرجته الله عز وجل، من ذل المعاصي الى عز

١ - سورة النساء (٤): ٧٧.

٢ - تحف العقول / ٣٠.

٣ - البحار ٧٨ / ٩.

٤ - الكافي ٢ / ٨٥.

٥ - تحف العقول / ٢٠٨.

التَّقْوَىٰ أَغْنَاهُ اللَّهُ بِأَمَالٍ، وَأَعَزَّهُ بِأَعْشِيرَةٍ، وَأَنَسَهُ بِأَنْبِيَاءٍ ١.

هـ - الغنى بالعقل والعلم

الكتاب

- ١ قُلْ : هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ * ٢
- ٢ .. وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ٣.

الحديث

- ١ الامام علي «ع» : إِنَّ أَغْنَى الْغِنَى الْعَقْل ٤.
- ٢ الامام علي «ع» : لَا غِنَى مِثْلُ الْعَقْلِ ٥.
- ٣ الامام علي «ع» : غِنَى الْعَاقِلِ بِعِلْمِهِ، غِنَى الْجَاهِلِ بِمَالِهِ ٦.

١ - الوسائل ١١ / ١٩١.

٢ - سورة الزُّمَر (٣٩) : ٩.

٣ - سورة البقرة (٢) : ٢٦٩.

٤ - نهج البلاغة / ١١٠٤؛ عبده ٣ / ١٦٠.

٥ - تحف العقول / ١٤٢.

٦ - غرر الحكم / ٢٢٣.

الفصل العاشر: الاسلام والنظام التكاثري .. (٣)

٤ الامام علي «ع»: العلم يحرسك وانت تحرس المال . والمال تنقصه النفقة
والعلم يزكو على الانفاق . وصنيع المال يزول بزواله .^١

٥ الامام الكاظم «ع»: يا هشام! من اراد الغنى بلامالٍ، وراحة القلب من
الحسد، والسلامة في الدين، فليتضرع الى الله في مسألته بان يكمل
عقله .^٢

و - الغنى بالقناعة

الكتاب

١ من عمل صالحاً من ذكرٍ او أنثى وهو مؤمن، فلنحيينه حياة طيبة ..^٣

* ذكر الشيخ ابو علي الطبرسي في تفسير «الحياة الطيبة»
خسمة اقوال . احدها واولها: الرزق الحلال . ثانيها: القناعة
والرضا بما قسم الله تعالى . قال: وروي ذلك عن النبي «ص» .
ورابعها: انها رزق يوم بيوم .^٤

١ - نهج البلاغة / ١١٥٥ : عبده ٣ / ١٨٧ .

٢ - تحف العقول / ٢٨٦ .

٣ - سورة النحل (١٦) : ٩٧ .

٤ - مجمع البيان / ٦ / ٣٨٤ .

الحديث

- ١ الامام علي «ع»: الغني من استغنى بالقناعة.^١
- ٢ الامام علي «ع»: لا كنز أغنى من القناعة.^٢
- ٣ الامام علي «ع»: طلبت الغنى فما وجدت الا بالقناعة، عليكم بالقناعة تستغنوا.^٣
- ٤ الامام الصادق «ع»: مطلوبات الناس في الدنيا الفانية: الغنى، والدعة، وقلة الاهتمام، والعز، فاما الغنى فموجود في القناعة، فمن طلبه في كثرة المال لم يجده.^٤
- ٥ الامام الكاظم «ع»: .. فمن عقل قنع بما يكفيه. ومن قنع بما يكفيه استغنى. ومن لم يقنع بما يكفيه لم يدرك الغنى ابداً.^٥
- ٦ الامام الهادي «ع»: الغنى قلة تمنيك، والرضا بما يكفيك.^٦

ز - الغنى غنى النفس

-
- ١ - غرر الحكم / ٢٨.
 - ٢ - نهج البلاغة / ١٢٦٠؛ عبده ٣ / ٢٤٢.
 - ٣ - سفينة البحار / ٢ / ٨٧.
 - ٤ - علل الشرائع / ٤٦٨.
 - ٥ - تحف العقول / ٢٨٦.
 - ٦ - البحار / ٧٨ / ٣٦٨.

الكتاب

١ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ .. ١

الحديث

١ النبي «ص»: ليس الغنى عن كثرة العَرَضِ، ولكن الغنى غنى النفس. ٢

٢ النبي «ص»: الغنى في القلب والفقْر في القلب. ٣

٣ الامام الباقر «ع»: لا فقرَ كفقْرِ القلب، ولا غنى كغنى القلب. ٤

ح - اشرف الغنى ترك المنى

الحديث

١ الامام علي «ع»: اشرف الغنى، ترك المنى. ٥

١ - سورة البقرة (٢): ٢٧٣.

٢ - تحف العقول / ٤٦.

٣ - البحار ٧٢ / ٤٨، عن كتاب «الامامة والتبصرة».

٤ - تحف العقول / ٢٠٨.

٥ - الكافي ٨ / ٢٣.

ط - الغنى الاكبر

الحديث

- ١ الامام علي «ع»: الغنى الاكبر، اليأس عمّا في ايدي الناس ١.
- ٢ الامام الصادق «ع»: اغنى الغنى من لم يكن للحرص اسيراً ٢.

ي - لا دور للمال في كيان الغنى الحقيقي

الكتاب

- ١ ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لفتنهم فيه،
ورزق ربك خير وأبقى* ٣

الحديث

١ - نهج البلاغة / ١٢٤٤: عبده ٣ / ٢٣٤.

٢ - الكافي / ٢ / ٣١٦.

٣ - سورة طه (٢٠): ١٣١.

- ١ الامام علي «ع»: من سرَّه الغنى بلا مالٍ، والعزُّ بلاسلطانٍ، والكثرَةُ بلا عشيرةٍ، فليخرج من ذلِّ معصية الله الى عزِّ طاعته ١.
- ٢ الامام علي «ع»: ليس الخيرُ انْ يكثرَ مالكُ وولَدُك، ولكنَّ الخيرَ انْ يكثرَ علمُك وانْ يعظُمَ حلمُك، وانْ تباهيَ الناسَ بعبادةِ ربِّك، فانْ احسنتَ حمِدَتَ الله، وانْ اسأتَ استغفرتَ الله ٢.

تذييلات

١- استكبار وردع

الحديث

- ١ النبي «ص» - فيما رواه الامام جعفر الصادق: جاء رجلٌ موسرٌ الى رسولِ الله «ص»، فقَبِلَ الى رسولِ الله «ص»، فجاءَ رجلٌ مُعسرٌ دَرِنُ الثوبِ، فجلَسَ الى جنبِ الموسرِ، فقَبَضَ الموسرُ ثيابه من تحتِ فخذيه؛ فقال له رسولُ الله: اخِفْتَ انْ يمسَكَ من فقره شيءٌ؟ قال: لا.. قال: فما حَمَلَكَ على ما صنَعْتَ؟ فقال: يا رسولَ الله! انْ لي قريناً يزيِّن لي كلَّ قبيحٍ ويقبِّح لي كلَّ حَسَنٍ، وقد جعلتُ له نصفَ مالي؛ فقال رسولُ الله للمعسرِ: اتَقَبَّل؟ قال: لا؛ فقال له الرجل: ولم؟ قال: اخافُ انْ يدخلني ما دَخَلَكَ ٣.

١ - غرر الحكم / ٢١٩.

٢ - نهج البلاغة / ١١٢٨؛ عبده ٣ / ١٧١.

٣ - الكافي ٢ / ٢٤٢.

٢- تحقير معيشة الاغنياء

- ٢ النبي «ص»: يا اباذرّ! اَلَيْسَ الْخَسِنَ مِنَ اللِّبَاسِ، وَالصَّفِيقَ مِنَ الثِّيَابِ،
لثَلَا يَجِدَ الْفَخْرُ فَيْكَ مُسْلِكًا^١.
- ٣ الامام علي «ع» - قد مرَّ بِقَدْرٍ عَلَيَّ مَزِيلَةٌ فَقَالَ: هَذَا مَا بَخِلَ بِهِ الْبَاخِلُونَ^٢.
- ٤ الامام علي «ع»: يَا ابْنَ آدَمَ! مَا كَسَبْتَ فَوْقَ قُوَّتِكَ، فَانْتَ خَازِنٌ فِيهِ لِعَيْرِكَ^٣.
- ٥ الامام السجاد «ع»: اِنَّ اَكْثَرَ مَا يَطْلُبُ ابْنُ آدَمَ، مَا لِحَاجَةٍ بِهِ اِلَيْهِ^٤.
- ٦ الامام الباقر «ع»: مَلَكٌ يُنَادِي كُلَّ يَوْمٍ: ابْنَ آدَمَ! لِدِّ لِلْمَوْتِ، وَاجْمَعْ لِلْفَنَاءِ،
وَابْنَ لِلْخَرَابِ^٥.

* وقد ورد هذا الكلام عن الامام عليّ «ع» بهذه العبارة: «اِنَّ
لِلَّهِ مَلَكًا يُنَادِي فِي كُلِّ يَوْمٍ: لِدُّوا لِلْمَوْتِ، وَاجْمَعُوا لِلْفَنَاءِ، وَابْنُوا
لِلْخَرَابِ»^٦.

- ٧ الامام الكاظم «ع» - من كلام له عند قبرِ حَضْرَةِ: اِنَّ شَيْئًا هَذَا آخِرُهُ لِحَقِيقُ اَنْ
يُزْهَدَ فِي اَوَّلِهِ^٧.

١ - مكارم الاخلاق / ٥٥٤.

٢ - نهج البلاغة / ١١٧٤؛ عبده / ٣ / ١٩٧.

٣ - نهج البلاغة / ١١٧٥؛ عبده / ٣ / ١٩٦.

٤ و ٥ - الكافي / ٢ / ١٣١.

٦ - نهج البلاغة / ١١٥٠؛ عبده / ٣ / ١٨٣.

٧ - تحف العقول / ٣٠١.

٣- لاتواضع للغني

- ٨ النبي «ص»: مَنْ عَظَّمَ صَاحِبَ دُنْيَا وَأَحَبَّهُ لَطَمَعَ دُنْيَاهُ، سَخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِ،
وكان في درجةٍ مع قارونَ في التَّابُوتِ الاسفلِ مِنَ النَّارِ ١.
- ٩ النبي «ص» - فيما رواه الامامُ اميرُ المؤمنين: .. مَنْ آتَى غَنِيًّا فَتَضَعَّعَ لَهُ،
ذَهَبَ ثَلَاثِينَ ٢.
- ١٠ الامام علي «ع»: مَنْ آتَى غَنِيًّا فَتَوَاضَعَ لَهُ لَغِنَاهُ، ذَهَبَ ثَلَاثِينَ ٣.
- ١١ الامام الصادق «ع»: .. مَنْ آتَى غَنِيًّا فَتَضَعَّعَ لَهُ لَشَيْءٍ يُصِيبُهُ مِنْهُ، ذَهَبَ
ثَلَاثِينَ ٤.

٤- لافضل للثرياء

- ١٢ الامام السجاد «ع»: .. وَأَعْصَمَنِي مِنْ أَنْ أَظُنَّ بِذِي عُدْمٍ خَسَاسَةً، أَوْ أَظُنَّ
بصاحبِ ثَرَوَةٍ فَضلاً ٥.
- ١٣ الامام الصادق «ع» - فيما رواه بَانُ بْنُ تَغْلِبٍ: أَتَرَى اللَّهَ أَعْطَى مَنْ أَعْطَى مِنْ
كَرَامَتِهِ عَلَيْهِ، وَمَنْعَ مَنْ مَنْعَ مِنْ هَوَانٍ بِهِ عَلَيْهِ؟ لا، وَلَكِنَّ الْمَالَ مَالُ اللَّهِ يَضَعُهُ
عِنْدَ الرَّجْلِ وَدَائِعٌ ٦.

١ - ثواب الاعمال / ٣٣١.

٢ - تحف العقول / ١٤.

٣ - نهج البلاغة / ١١٨٧؛ عبده ٣ / ٢٠٣.

٤ - الاختصاص / ٢٢١.

٥ - الصحيفة السجادية / ٢٣٩ (الدعاء ٣٥).

٦ - تفسير العياشي ٢ / ١٣.

٥- لاتفاضل بالاموال

- ١٤ الامام علي «ع»: يَتَفَاضَلُ النَّاسُ بِالْعُلُومِ وَالْعُقُولِ، لَا بِالْأَمْوَالِ وَالْأَصُولِ.^١
- ١٥ الامام الصادق «ع»: إِنَّ خَيْرَ مَا وَرَّثَ الْآبَاءُ لِأَبْنَائِهِمْ، الْإِدْبُ لَا الْمَالُ فَإِنَّ الْمَالَ يَذْهَبُ وَالْإِدْبُ يَبْقَى. قَالَ مَسْعَدَةُ (ابْنُ صَدَقَةَ): يَعْنِي بِالْإِدْبِ، الْعِلْمُ.^٢

٦- شجب قيمة المال في المقياس النهائي

- ١٦ الامام علي «ع»: الْمَالُ يَرْفَعُ صَاحِبَهُ فِي الدُّنْيَا، وَيَضَعُهُ فِي الْآخِرَةِ.^٣

تكميلات

١- الالاء امام الاغنياء واطهار الاستغناء عنهم

الحديث

- ١ الامام علي «ع»: أَكْرَمُ نَفْسِكَ عَنْ كُلِّ دَنِيَّةٍ وَإِنْ سَأَقْتِكَ إِلَى الرَّغَائِبِ، فَإِنَّكَ لَنْ تَعْتَاظَ بِمَا تَبَدَّلُ مِنْ نَفْسِكَ عِوَضًا.. وَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا يَكُونَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ ذُو نِعْمَةٍ فَأَفْعَلْ، فَإِنَّكَ مُدْرِكٌ قِسْمِكَ وَأَخْذُ سَهْمِكَ. وَإِنَّ الْيَسِيرَ مِنَ اللَّهِ سَبْحَانَهُ، اعْظُمْ وَاکْرُمْ مِنَ الْكَثِيرِ مِنْ خَلْقِهِ، وَإِنْ كَانَ كُلُّ

١ و ٢ - غرر الحكم / ٣٦١، والكافي / ٨ / ١٥٠.

٣ - غرر الحكم / ٤٧؛ نهج البلاغة / ٣٩٠؛ عبده ٢ / ١٠.

منه ١.

٢ الامام علي «ع»: ما أَحْسَنَ تواضعَ الاغنياء للفقراء طلباً لما عند الله؛ وأحْسَنُ منه تيهُ الفقراءِ على الاغنياءِ اتكالاً على الله ٢.

٣ الامام الصادق «ع»: لا يَزَالُ العزُّ قَلِقاً حَتَّى يَأْتِيَ داراً، قَدْ اسْتَشَعَرَ اهلُها اليأسَ مِمَّا في ايدي النَّاسِ، فَيُوطِنُهَا ٣.

* هذه التعاليم تقصد الوضع القائم، من حضور الفقراء في المجتمع، فَعَلَّمَهُمْ أَن يَتِيَهُوا على الاغنياء مُتَكَلِّينَ على الله رِزَاقِ الكُلِّ، لا الوضع المطلوب في المجتمع الاسلامي الصحيح، حيث لا يُعُولُ فيه عائل، ولا يُرَى فيه محتاج الى الزكاة.

٢- اللسان الصالح خير من المال

٤ الامام علي «ع»: أَلَا! وَإِنَّ اللِّسَانَ الصَّالِحَ يَجْعَلُهُ اللهُ تَعَالَى لِلْمَرْءِ فِي النَّاسِ، خَيْرٌ لَهُ مِنَ المَالِ يُورِثُهُ مَنْ لا يَحْمَدُهُ ٤.

٣- الغنى والفقير بعد العرض الاكبر

٥ الامام علي «ع»: الغنى والفقير بعد العرض على الله ٥.

١ - نهج البلاغة / ٩٢٩؛ عبده ٣ / ٥٧.

٢ - نهج البلاغة / ١٢٧٧؛ عبده ٣ / ٢٥٠.

٣ - البحار ٧٢ / ٢٠٦.

٤ - نهج البلاغة / ٣٧١؛ عبده ١ / ٢٣٣. وجاء هذا الكلام في ص ٨٤ (عبده ١ / ٥٧)، مع تغيير

يسير في العبارة.

٥ - نهج البلاغة / ١٢٩٥؛ عبده ٣ / ٢٦٠.

٤- لافقر أشد من الجهل

٦ النبي «ص»: يا عليّ! لا فقر أشد من الجهل ..^١

٥- هدم بناء

٧ النبي «ص»: لَعَنَ اللَّهُ مَنْ أَكْرَمَ الْغِنَى لَغْنَاهُ .^٢

* واذا كان الاسلامُ يُواجهُ الغنى والغنى هذه المواجهة،
يُمهدُ السبيلَ بها الى هدمِ القيمِ التافهة التي يخلقها المال، ويسوقُ
المجتمعَ الى أن لا يروا للغنيّ فضلاً وميزة . ويحُضُّ الاغنياءَ ضمناً
- بذلك المنهجِ الهدامِ البناء - الى الانفاقِ والبدل، حتى يشقُّ
الطريقَ الى تعديلِ الثرواتِ ونيلِ الجماهيرِ منها ما تحتاج اليه في
المعيشة والحياة .

١ - تحف العقول / ١٦ .

٢ - ارشء القلوب / ٢٧٠ .

نظرة الى الفصل

١ - دعمُ القِيمِ المُثلى...: إِنَّ النِّظَامَ القِيَمِيَّ فِي الاسلامِ مُرَكِّزٌ عَلَى المقاييسِ المذهبيةِ والتَّصَوُّرِ الدِّيْنِيِّ، فلا يَعْتَدُّ هَذَا الدِّيْنَ بَشْيءٍ سِوَى تِلْكَ المقاييسِ والقِيَمِ. وَهِيَ الَّتِي تَمْتَدُّ جُذُورُهَا إِلَى اعْمَاقِ فِطْرَةِ الْانْسَانِ الاَصِيلَةِ. فعلى هذا الاساس، إِنَّ الهُدَاةَ إِلَى الصُّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَسَالِكِي هَذَا الصُّرَاطِ الْمُلْتَمِزِينَ، لَا يَرَوْنَ الْمَالَ إِلَّا ذَرِيعَةً لِتَأْمِينِ الْعَيْشِ، بِصُورَةٍ مُقْتَصِدَةٍ وَمُتَوَاضِعَةٍ، فَلَا يَعُدُّونَهُ سَبَباً لِثُبُوتِ آيَةٍ قِيَمَةٍ مِنْ تِلْكَ القِيَمِ الْكاذِبَةِ وَالسَّلْبِيَّةِ الَّتِي يَرَاهَا اصْحَابُ الْأَمْوَالِ وَالْمُتَرَفُونَ قِيَمًا.

وعلى هذا المعيار في التَّقْيِيمِ، لَيْسَتْ كَرَامَةُ الْانْسَانِ مَنْوُطَةً بِالْغِنَى الْمَالِيِّ وَالتَّنْعَمِ الْإِتْرَافِيِّ، بَلْ لَيْسَ الْغِنَى - فِي هَذَا التَّقْيِيمِ - بِالْمَالِ وَالْإِكْتِنَارِ مِنْهُ، وَبِاِكْتِنَازِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَادِّخَارِ الدَّنَانِيرِ وَالْدَّرَاهِمِ (أَوْ أَيِّ نَقْدٍ رَائِحٍ آخَرَ) وَاخْرَاجِهَا مِنْ أَيْدِي النَّاسِ. وَإِنَّمَا الْغِنَى هُوَ الْغِنَى بِاللَّهِ - تَعَالَى شَأْنُهُ وَعَمَّ احْسَانُهُ - وَبِالْقُرْآنِ وَحَمَلِهِ وَالْعَمَلِ بِهِ، وَبِالْعَقْلِ وَالْعِلْمِ وَالْيَقِينِ، وَبِعِبَادَةِ الْخَالِقِ الرَّبِّ الْمُنْعَمِ الرَّحِيمِ، وَبِتَقْوَى اللَّهِ وَمِرَاعَاتِهَا، (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)١، وَبِاللِّسَانِ الذَّاكِرِ وَالْقَلْبِ الشَّاكِرِ.. وَبِالْغِنَى النَّفْسِيِّ وَمَا إِلَى ذَلِكَ، مِمَّا يُحَلِّقُ بِالْانْسَانِ وَبِحَيَاتِهِ إِلَى أَوْجِ الْوُجُودِ وَالْأَجْوَاءِ الْمَعْنَوِيَّةِ.

أ- الْغِنَى بِاللَّهِ تَعَالَى: إِنَّ الْانْسَانَ مُمْكِنٌ فِي ذَاتِهِ، فَقِيرٌ فِي كُلِّ مَا يَمْتُّ إِلَى وُجُودِهِ وَحَاجِيَّاتِهِ، لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَلَا حَيَاةً وَلَا مَوْتًا وَلَا نُشُورًا، فَهُوَ فَقِيرٌ فِي حَيَاتِهِ وَسَلَامَتِهِ وَرِزْقِهِ وَحَرَكَاتِ جَوَارِحِهِ وَخَطَرَاتِ

١ - سورة الْحُجُرَاتِ (٤٩): ١٣.

جوانحه .. وإنّ الله هو الغنيّ بالذات، وهو الغنيّ في صفاته وفعاله، وهو خالق كل شيء، من الانسان وغير الانسان، وما من دابة في الارض الا وهو أخذ بناصيتها، وعليه رزقها. فققر الانسان واحتياجه امر ذاتي له، يساوق وجوده. وهو فقير الموجود الى خالق الوجود، والناقص الى الكامل والكمال^١. وهذا الفقر الذاتي، المسيطر على ذات الانسان وصفاته وفعاله، لا يرتفع ارتفاعاً كلياً ذاتياً بوجه من الوجوه، وإنما يتبدل الى الغنى الغيري، بالتأله والتوغل في الانقطاع الى الله، الغنيّ بالذات المغني للغير. فالانسان فقير - وان كان مُغمرّاً في بحار المال - لا غنى له، الا بالله وبالتوجه اليه وتولية وجه النفس شطره، مُستمعاً بماهيه. وذلك بالانقطاع القلبي اليه والقيام بالذكر والفكر وعمل الصالحات. وكلما زاد هذا الانقطاع اليه والاستغناء به يزيد غنى النفس. وهذا الغنى هو الباقي الخالد؛ لذلك يقول الامام عليّ «ع»: «الغنى بالله اعظم الغنى، والغنى بغير الله اعظم الفقر والشقاء»^٢.

ب- الغنى بالقرآن: من اهمّ ألوان الفقر الانساني، هو الفقر العلمي والمعرفي^٣ المساوق للجهل بحقائق الاشياء وبصلاتها وقوانينها، الحاجب عن رؤية الواقعيّات الهائلة في غمرات بحار الكون الاعظم، التي يعدّ الانسان قطرة صغيرة منها، غارقة في فجواتها وأغوارها. وهذا الفقر^٤ لا علاج له الا الوصول الى علم حقيقي مطابق للواقع، الذي يبُلور واقعيّات الكائنات وملكوّتها، ويوصل الانسان الى حقائق عالمي الامر والخلق، ثم يكشف عنه حجب العالمين، ويعطيه قدرة بحسب ظرفيته

١- راجع: كلام الامام الصادق «ع» في «ارشاد القلوب»، (الباب ٤٦): «... إن الله عز وجل ورسوله غنيان عنكم وعن اعمالكم، وانتم الفقراء الى الله، وإنما اراد الله عز وجل بلطفه سبباً يدخلكم الجنة»؛ راجع ايضاً: مُستهلّ خطبة المتّقين، من «نهج البلاغة».

٢- غرر الحكم / ٤٢.

٣- لأنه يوجب فقد العلم، فقد القدرة.

٤- اي فقّر الانسان من جهة العلم، ثم القدرة.

الرُّوحِيَّةِ وَسَعَةِ الْقَلْبِيَّةِ .

ومن البديهي أَنَّ هذا العلمَ لا يُوجَدُ إلاَّ عندَ اللهِ خالقِ الاشياءِ
والعوالمِ، العالمِ بها وبحقائقها وقوانينها واسرارها، فهو لا يُوجَدُ بطبعِ
الواقعِ، إلاَّ في كتابِ الله وآياته السَّماويَّةِ، وعندَ الانبياءِ واوليائهم - بتعليمِ
من الله تعالى - لا عندَ غيرهم، من الفلاسفةِ ومُفكِّري التاريخِ - قديماً او
حديثاً - اذ العلمُ الصَّحيحُ الَّذي يَنكشِفُ به الواقعِ، هو هذا الَّذي يُستَقى من
«الوحي» او ما يَمُتُّ اليه بوشيحِ صِلَةٍ كُعلومِ الاوصياءِ لا غير . وما خلاهُ فهو
فَضْلٌ . فَالتَّخَلُّصُ من الفقرِ العلميِّ والخروجُ من اَسْرِهِ الى عالمِ الغنى
العلميِّ والمعرفيِّ الفياضِ،^١ لا يَتَسَنَّى لِأَيِّ انسانٍ - كائناً مَنْ كان - إلاَّ
باللُّجُوءِ الى كتابِ الله وسبرِ اَغوارِهِ وفهمِ اسرارِهِ، والوصولِ الى علومِ
حَمَلَتِهِ الاصليينِ، الَّذين هُمُ الْمُعَبَّرُونَ عن القرآنِ - على حدِّ تعبيرِ مولانا
الامامِ ابي الحسنِ عليِّ بنِ موسى الرضا «ع»^٢ .

ج - الغنى باليقين : مِنَ الْقِيَمِ التي يُعطيها التَّعاليمُ الاسلاميَّةُ اَعلى
الثَّمَنِ هو اليقين، فيقولُ النبيُّ «ص» : «خيرُ ما اُلقي في القلبِ اليقين»^٣ .

١ - المراد بهذا العلم، الَّذي لا يَحْصُلُ إلاَّ بالقرآنِ وبالتَّعلُّمِ من العالمين به المعصومين «ع»، هو
انكشافُ الواقعِ والوصولُ اليه، بحسبِ الواقعِ ونفسِ الامرِ لا التَّصوُّرَ كما اشرنا اليه . وهذا العلمُ
لا يَخْضَعُ للمصطلحاتِ - ايةً كانت - بل يَرْفَعُ وَيَجْلُ عنها . وكلماتُ هذا العلمِ ومصطلحاتُه هي
التي جاءت في القرآنِ والحديثِ، من غيرِ اَن يُفْهَمَ ذلك بالتأويلِ والتفسيرِ الرأبي، او يَخْتَلِطَ
بالفلسفةِ والعرفانِ الاصطلاحِي وما شابهَ ذلك . ولا يُوجَدُ في هذا العلمِ اختلافٌ وتضاربٌ،
فيعاكِسُ العلومَ والفلسفاتِ البشريَّةَ التي يَسُودُ عليها الاختلافاتُ الباهظةُ والمُضَلِّلةُ .
وليُعَلِّمَ هنا، اَنَّ المعارفَ الاسلاميَّةَ ونظامَ الاسلامِ العلميِّ والمعرفيِّ لِمَكْتَفِيَّةِ بالذاتِ،
فلا تَحْتَاجُ الى غيرِها، اِنْ وُعِيَتْ بجمعِ ابعادِها، ومن ابوابِها واهليها . ومما يَدُلُّنا على اهميةِ بالغيةِ
للعلمِ الحاصلِ من القرآنِ واهله، اَنَّ هذا العلمَ ليس مقصوراً على حدِّ «الصورةِ الحاصلةِ من
الشيءِ في العقل»، بل يَصُلُّ الى حدِّ «النورِ الحاصلِ من الواقعِ في القلب»، الَّذي يَرى به الواقعِ
ويُدْرِكُ على حقيقته .

٢ - تحفِ العقولِ / ٣٠٧ .

٣ - البحارِ / ٧٠ / ١٧٣ .

واليقينُ وصولُ الانسان الى مرتبةٍ من العلمِ بالواقعِ لايعترها شكٌ او ترديد، كَمَنْ رَأَى الْوَاقِعَ وشَاهَدَهُ وحَصَلَتْ لَهُ الرُّؤْيَةُ بِالْقَلْبِ . فاليقينُ هو المرتبةُ المتكاملةُ من المعرفةِ الجزئية، المتأخمةُ للرؤيةِ القلبية . وهذه المرتبةُ من العلمِ هي اعظمُ ما يَصِلُ اليه الانسانُ في مسيرتهِ الوجوديةِ (سوى المشاهدة). ولاجلِ ذلك لايرى الاسلامُ الانسانَ الفاقدَ لها غنياً، بل يراه فقيراً مسكيناً، وإن تَجَمَّعَتْ لديه القناطرُ وتكدَّستِ عنده الاموال، ولذلك يَقُولُ الامامُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ «ع»: «مفتاحُ الغنى اليقين»^١؛ ويقولُ الامامُ مُحَمَّدُ الْبَاقِرُ «ع»: «كَفَى بِالْيَقِينِ غِنًى»^٢. فلا غنى للانسانِ ولا اكتفاءً له بدونِ اليقين . وهذا التعلُّمُ لِمَا يَهْدُمُ الْقِيَمَ التَّكاثِرِيَّةَ الموهومةَ التَّائِهَةَ هدماً.

د - الغنى بالعقل والعلم: ومما يدَعُمُ به الاسلامُ الْقِيَمَ الْمُثَلِّيَ والمقاييسَ السَّامِيَةَ وَيَهْدُمُ به الْقِيَمَ التَّكاثِرِيَّةَ الاتِّرَافِيَّةَ، هو تَأْكِيدهُ الحاسمُ على قيمةِ الْعَقْلِ والعلمِ والمعرفة، وَأَنَّ غِنَى الْإِنْسَانِ مَنْوُطٌ بِهَذِهِ الْأُمُورِ، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ الْفَاقِدَ لَهَا هُوَ الْفَقِيرُ حَقًّا، وَإِنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ . فالغنى ينقسمُ في نظرِ الاسلامِ الى عَقْلِيٍّ وَغَيْرِهِ . والاهمُّ هُوَ الْغِنَى الْعَقْلِيَّ . وذلك لِأَنَّ انسانيَّةَ الْإِنْسَانِ بِالْعَقْلِ، كما يَقُولُ الامامُ عَلِيُّ «ع»: «الانسانُ بعقله»^٣. فاذا لم يَكُنِ الْإِنْسَانُ انسانيًّا، بحسبِ الْوَاقِعِ وَالسِّيَرَةِ، او بحسبِ تَمَتُّعِهِ بعقلٍ مُدْرَبٍ، فلا قيمةَ له ولا أَثَرَ لِلغِنَى الْمَالِيِّ في رَفْعِ مُستواه .

ومن المعلوم أن العقل انما يُلْقَحُ بالعلمِ والتَّجَارِبِ، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ إِنَّمَا يَنْمُو وَيَبْلُغُ رُشْدَهُ بِالْمَعْرِفَةِ . فالمقياسُ السَّامِيُّ هُوَ الْعَقْلُ الْمُدْرَبُ بِالْعِلْمِ، الْمُتَّقَفُ بِالْمَعْرِفَةِ . والعلمُ هُوَ الَّذِي يُقَيِّمُ به الْإِنْسَانَ وَيُرْفَعُ به مُستواه، «قل:

١ - البحار ٧٨ / ٩ .

٢ - الكافي ٢ / ٨٥ .

٣ - غرر الحكم / ١٤ .

هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ؟^١، و«أَكْثَرُ النَّاسِ قِيَمَةً أَكْثَرُهُمْ عِلْمًا، وَاقْلُ النَّاسِ قِيَمَةً أَقْلُهُمْ عِلْمًا»^٢، و«إِنَّ قِيَمَةَ كُلِّ أَمْرٍ بِوَقْدَرِهِ مَعْرِفَتُهُ»^٣. فالإسلام بهذا المِنظارِ يَنْظُرُ الى الإنسانِ وَيُقِيمُهُ، وبهذه التعاليم يَدْعُمُ القِيَمَ المَثَلِيَّ وَيَهْدِمُ القِيَمَ التَّافِهَةَ، وَيُبَالِغُ في هذا المَنهجِ الى حَدِّ يَقُولِ الامامِ عَلِيِّ «ع»: «لَا تَسْتَعْظِمَنَّ أَحَدًا حَتَّى تَسْتَكْشِفَ مَعْرِفَتَهُ»^٤. فَيَعْلَمُ النَّاسَ أَنْ لَا يَسْتَعْظِمُوا إِلَّا أَهْلَ المَعْرِفَةِ وَالكَمالِ، لَا أَهْلَ الغِنَى وَالتَّكاثُرِ، مَن لَيْسَ لَهُمْ قَدْرٌ وَلَا قِيَمَةٌ، وَلَا لَهُمُ اهْتِمَامٌ بِالمَعْرِفَةِ وَالعِلْمِ. وَالمَوْقِفُ الَّذِي اتَّخَذَهُ الإسلامُ، يُؤَكِّدُ بوضوحٍ عَلَى أَنَّ القِيَمَ لَا تُثَبَّتُ إِلَّا بِالفِضائلِ.

هـ - الغنى بالقناعة: إِنَّ واقِعَ الغِنَى وَالفَقْرَ لَا يَتَمَثَّلُ في الأَشياءِ الخارِجِيَّةِ وَالمُتَعِ المادِّيَّةِ وَالاَعْتِبارِ المِلْكِيَّةِ. نَعَم، إِنَّ لَهَا - وَجوداً وَعَدماً - تأثيراً هاماً في حِصُولِ الغِنَى وَالفَقْرِ المادِّيِّينِ، بِيَدِ أَنَّ الغِنَى كعاملٍ لطمأنينة النَّفسِ وَغناها، وَالفَقْرُ كعاملٍ لِقَلَقِها وَعَوَزِها، لَا يَتَمَثَّلانِ فيمَا بايدي النَّاسِ مِنَ المُتَعِ وَالأَعراضِ بِصُورَةٍ كَلِيَّةٍ؛ إِذْ هُنَاكَ واقِعِيَّةٌ لِلغِنَى وَالفَقْرِ تَتَمَثَّلُ في نَفْسِ الإنسانِ وَصِفَاتِهِ مِنَ التَّعَفُّفِ وَالقَناعَةِ وَالشَّرِّهِ وَالحِرْصِ. فَالقانِعُ غَنِيٌّ وَإِنْ فَقَدَ، وَالحَرِيصُ فَقِيرٌ وَإِنْ وَجَدَ، كَمَا يَقُولُ الامامُ مُوسَى بِنُ جَعْفَرِ الكاظمِ «ع»: «مَنْ قَنَعَ بِما يَكْفِيهِ اسْتَعْنَى، وَمَنْ لَمْ يَقْنَعْ بِما يَكْفِيهِ لَمْ يُدْرِكِ الغِنَى اِبْداءً»^٥.

وهذه الحكمة الكاظمية تُصَوِّرُ اِمامنا صُورَةً واقِعِيَّةً عَنِ الغِنَى وَالفَقْرِ في نَفْسِ الإنسانِ. فَمَنْ اقْتَنَعَ بِقَدْرِ الكِفافِ فَهُوَ غَنِيٌّ نَفْساً وَظاهراً. وَمَنْ لَمْ

١ - سورة الزُّمَرِ (٣٩) : ٩.

٢ - امالي الصدوق / ١٩، من حديث النبي «ص».

٣ - معاني الاخبار / ١ / ٢، من حديث الامام علي «ع».

٤ - غرر الحكم / ٣٣٣.

٥ - تحف العقول / ٢٨٦.

يَقْتَنِعُ بِقَدْرِ الْكِفَافِ وَسَعَى وَجَدًّا لِاقْتِنَاءِ الْمَزِيدِ وَحَصَلَ عَلَيْهِ، فَهُوَ غَنِيٌّ ظَاهِرًا، فَقِيرٌ نَفْسًا، مُحْتَاجٌ دَائِمًا. وَالْفَقْرُ الْحَاضِرُ هُوَ هَذَا الْفَقْرُ، لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَلْمِسُهُ الْإِنْسَانُ دَائِمًا مِنْ نَفْسِهِ وَفِي نَفْسِهِ، فَلَا يُعْطِيهِ الْغِنَى الْمَادِيَّ الْخَارِجِيَّ كِفَافًا وَكِفَايَةً وَسُكُونًا وَطَمَآنِينَةً، وَلَا يُوصِلُهُ إِلَى مَسْتَوَى الْإِسْتِغْنَاءِ .

وَالْفَقْرُ النَّفْسِيُّ مِضَافًا إِلَى كَوْنِهِ هُوَ الْفَقْرُ الْحَاضِرُ، وَأَنَّهُ لَا يُسَدُّ بِحُصُولِ الْمُتَعِ الْمَادِيَّةِ وَالْحَاجَاتِ الْمَعِيشِيَّةِ، فَإِنَّهُ يَزِيدُ دَوْمًا كَلَّمَا زَادَ الْغِنَى الظَّاهِرِيُّ وَيَتَزَايَدُ، وَتَسْتَوْلِي مِصَاعِفَاتُهُ عَلَى الْوُجُودِ الْإِنْسَانِيِّ وَتَعْمُرُهُ حَتَّى تُورِدَهُ مَوَارِدَ الشَّرِّهِ وَالِاسْتِكْثَارِ وَلَا تُصَدِرُهُ مِنْهَا، فَالْغِنَى إِنَّمَا يَحْصُلُ لِلنَّفْسِ الْمُقْتِنِعَةِ، لَا الْحَرِيصَةِ وَالْمُتَكَثِّرَةِ، كَمَا يَقُولُ الْإِمَامُ عَلِيُّ «ع»: «الْغِنَى مِنْ اسْتِغْنَى بِالْقَنَاعَةِ»^١، وَكَمَا يَقُولُ الْإِمَامُ الصَّادِقُ «ع» فِي حِكْمَةٍ عَظِيمَةٍ: «... فَأَمَّا الْغِنَى فَمَوْجُودٌ فِي الْقَنَاعَةِ، فَمَنْ طَلَبَهُ فِي كَثْرَةِ الْمَالِ لَمْ يَجِدْهُ»^٢. وَهَذِهِ الْحِكْمَةُ تَنْفِي الْغِنَى الْوَاقِعِيَّ عَمَّنْ يَتَمَوَّلُ وَيَتَكَاتَرُ وَيَقُولُ دَائِمًا: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟

و - غِنَى النَّفْسِ وَاصَالَتُهُ: مِنْ أَهَمِّ مَا يَدْعُو إِلَيْهِ الْإِسْلَامُ مِنْ أَنْوَاعِ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ . وَهَذَا مِنْ دِعَامَاتِ الْإِخْلَاقِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَمِمَّا لَا تُصْنَعُ الشَّخْصِيَّةُ الْإِنْسَانِيَّةُ الْآبِيَّةُ . وَهَذِهِ النَّظَرَةُ إِلَى الْإِنْسَانِ وَصُنْعُ شَخْصِيَّتِهِ، تُضَادُّ مَا جَاءَ فِي النُّظْمِ الْمَادِيَّةِ (الْغَرِيبَةِ وَالشَّرْقِيَّةِ)، إِذِ الْإِنْسَانُ فِي تِلْكَ النُّظْمِ وَعَلَى حَسَبِ تَعَالِيمِهَا، يَطْلُبُ شَخْصِيَّتَهُ الْحَقِيقِيَّةَ (أَنَا) وَمَقَوِّمَاتِهَا فِي خَارِجِ وُجُودِهِ، أَيِ فِي عَالَمِ الْمَوَادِّ وَالْأَشْيَاءِ، وَيَرَى غِنَاهُ فِي الْمَالِ وَالثَّرْوَةِ وَامْكَانِيَّاتِ الْحَيَاةِ الطَّبِيعِيَّةِ، فَيَطْلُبُهَا دَوْمًا . وَتَنْشَأُ مِنْ هَذِهِ الْحَالَةِ أُمُورٌ لَا تَتَسَجِّمُ مَعَ إِنْسَانِيَّةِ الْإِنْسَانِ كَهَذِهِ :

١ - غرر الحكم / ٢٨ .

٢ - علل الشرائع / ٤٦٨ .

- ١ - أن لا يَعْرِفَ ذَاتَهُ وما لَهَا مِنْ مِّيزَاتٍ .
 - ٢ - أن تَبْقَى دُنْيَا البَاطِنِ الانْسَانِيِّ مَغْفُولَةً عِنْدَهُ مَجْهُولَةً .
 - ٣ - أن يُقْبِرَ كِيَانَهُ الوجودِيَّ الفِسيحَ ونَفْسَهُ الانْسَانِيَّةَ، بما لهما من الجوانبِ والآفاقِ، تحتَ أَغْطِيَةِ المادِّيَّةِ المَحْدودَةِ .
 - ٤ - أن تُهْدِرَ اسْتِعْدَادَاتِهِ الانْسَانِيَّةَ الجَبَّارَةَ الخارِقَةَ، في حُقُولِ ضَيْقَةٍ لا تَتَجَاوَزُ المادَّةَ وبعْضَ اِبْعَادِهَا .
 - ٥ - أن لا يَصِلَ الى العِلْمِ الحَقِيقِيِّ الكاشِفِ للوِاقِعِ، المُنِيرِ له السَّبِيلِ، اذ هَذَا العِلْمُ لا يَصِلُ اليه الانْسَانُ الاَّ بِمَواهِبِهِ الباطِنَةِ وتَفْجِيرِ يَنابِيعِهَا .
- وهذه امورٌ تَدْعُ نَفْسَ الانْسَانِ متضائلةً محتاجةً، تضاًوُلاً واحتياجاً لا يَتَدَارَكُهما ايُّ شَيْءٍ مِنَ المَتَعِ والزَّخارفِ المادِّيَّةِ . فالاسلامُ يَرى الغنى الانْسَانِيَّ في غِنَى النَفْسِ لا غِنَى اليَدِ، وَيَعْتَبِرُ الغِنَى النَفْسِيَّ اصْلاً وِغَايَةً .
- ولِاجْلِ ذلكَ كُلِّهِ فَاِنَّ الاسلامَ يَدْعُو الى الرُّشْدِ الانْسَانِيِّ ويَهْدِي الانْسَانَ الخَلِيفَةَ (خَلِيفَةَ اللهِ) الى الاقْبَالِ على فِطْرَتِهِ وشَخْصِيَّتِهِ الاصلِيَّةِ، وَيُوقِّفُهُ عليها بتعاليمه المُنَوَّعَةِ، فَيُرِي الانْسَانَ مَنَاجِمَ وجودِهِ ودَفَائِنَ فِطْرَتِهِ، وَيُعِينُهُ على اسْتِخْرَاجِ تلكَ المَنَاجِمِ وِثَارَةَ تلكَ الدَّفَائِنِ، حَتَّى يَهْبِيءَ له اسبابَ السَّعَادَاتِ وَيُمَهِّدَ له ارضِيَّةَ الوِصُولِ الى تلكَ الاسبابِ والتَّذرُّعِ بها الى تلكَ الغاياتِ .
- ويَجِبُ انْ لا نَغْفَلَ عَن انَّ لَلغِنَى المادِّيِّ ايضاً دوراً في تحصيلِ السَّعَادَةِ والكَمالِ الانْسَانِيِّ، غَيْرَ انَّ المَرادَ بهذا الغِنَى هو الكِفَافِيُّ مِنْهُ لا غَيْرِ .

٢ - هدم القيم التكاثرية.. : إنَّ الاسلامَ بَدَعِمَهُ القِيَمَ المُثَلِّيَ والمَقاييسَ السَّامِيَةَ للانْسَانِ والانْسَانِيَّةَ، فَقَدْ هَدَمَ القِيَمَ التَّكاثِرِيَّةَ وَالاعْرَافَ الاِترَاقِيَّةَ التافهةَ . فهذا الهَدْمُ لا يَحْتَاجُ الى مُؤوْنَةٍ زائِدَةٍ بَعْدَ الدَّعْمِ المَذكورِ، غَيْرَ اناَّ

نأتي هنا بإشاراتٍ تزيد إشعاعاً على الموضوع .

الاولى - تركّب الفقر والغنى في حياة الانسان : يَجِبُ على مَنْ يَدْرُسُ الاسلامَ وَيَسْعَى لِادْرَاكِ تَعَالِيمِهِ بِحِكْمِهَا وَعِلَلِهَا بِصُورَةٍ مُسْتَوْعِبَةٍ، أَنْ يَعِيَ اُولَا مَفْهُومِ الْاِسْلَامِ عَنِ الْاِنْسَانِ وَتَفْسِيرَهُ لَوْجُودِهِ . إِنَّ الدِّينَ الْاِلَهِيَّ اِنَّمَا جَاءَ لِصَلْحِ الْاِنْسَانِ وَلِقِيَامِهِ بِالْقِسْطِ، وَلِتَصْحِيحِ عِلَاقَاتِهِ :

أ - مع نفسه،

ب - مع افرادِ جنسه،

ج - مع الزّمانِ والحياة،

د - ومع ربِّه مُفِيضِ الْوُجُودِ عَلَيْهِ .

هذا هو النّظَرُ الَّذِي يَنْظُرُ الْاِسْلَامُ بِهِ اِلَى الْاِنْسَانِ، فَمَا لَمْ تَكُنْ نَظْرَةً الْاِسْلَامِ اِلَى الْاِنْسَانِ وَاضِحَةً، لَا يُمَكِّنُ أَنْ نَعْرِفَ الْاِسْلَامَ وَشَرَائِعَهُ بِعِلَلِهَا وَحِكْمِهَا .

إِنَّ الْاِسْلَامَ لَا يَرَى الْاِنْسَانَ مَوْجُودًا بَسِيْطًا، بَلْ يَرَاهُ مُزْدَوِجًا مِنْ جَسَدٍ وَرُوحٍ، كَمَا سَلَفَتْ الْاِشَارَةُ اِلَيْهِ . وَهَذَا الْاَمْرُ يَعْتَقِدُ بِهِ اَهْلُ الشَّرَائِعِ وَالكَثِيْرُ الْغَالِبُ مِنْ اَرْبَابِ الْمَدَارِسِ الْفِكْرِيَّةِ، غَيْرَ أَنَّ الْكَيْفِيَّةَ الَّتِي يَفْهَمُهَا الْاِسْلَامُ مِنْ هَذِهِ الْاَزْدَوَاجِيَّةِ وَيَعْرِفُ بِهَا وَيُبَيِّنُ دِقَائِقَهَا وَيُفَسِّرُ وَجُودَهَا وَيُوَكِّدُ عَلَى الْاِهْتِمَامِ بِهَا، وَيَهْتَمُّ بِهَا هُوَ نَفْسُهُ فِي كُلِّ تَعْلِيمٍ اَوْ تَأْشِيرٍ، هِيَ الَّتِي لَانْجِدُهَا فِي غَيْرِ هَذَا الدِّينِ . وَلَعَلَّنَا نَتَوْفَّقُ لِأَنَّ نَبْحَثَ عَنْ ذَلِكَ الْمَوْضُوعِ الْهَامِّ، فِي الْجِزْءِ الْخَاصِّ بِالْاِنْسَانِ، مِنْ اجْزَاءِ كِتَابِ «الْحَيَاةِ» الْقَادِمَةِ، اِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى وَارَادَ .

وحيثُ كان الْاِنْسَانُ مُزْدَوِجًا مِنْ وَاقَعَيْنِ : مَادَّةٍ وَمَعْنَى، وَقَالِبٍ وَقَلْبٍ، وَجَسَدٍ وَرُوحٍ، وَلَا يَنْحَصِرُ وَجُودُهُ فِي هَذَا الْجَسْمِ الدَّابِلِ كَالْاَشْجَارِ، تَتَحَقَّقُ هَذِهِ الْاَزْدَوَاجِيَّةُ فِي صِفَاتِهِ وَاَحْوَالِهِ اَيْضًا، وَتَجْعَلُ لَهَا مَرَاتِبَ . مِنْهَا مَا يَتَعَلَّقُ بِجَسْمِهِ وَحَيَاتِهِ الْمَادِّيَّةِ، وَمِنْهَا مَا يَتَعَلَّقُ بِرُوحِهِ وَحَيَاتِهِ الرُّوحِيَّةِ .

ومن الواضح أَنَّ الاشرفَ منها ما هو متعلِّقٌ بالاشرفِ من جزئِيهِ المُزْدَوِجِيْنَ . فصفاَتُهُ واحوالُهُ الرُّوحِيَّةُ اشرفُ من صفاَتِهِ واحوالِهِ الجسْمِيَّةِ المادِّيَّةِ . فالشَّجَاعَةُ الرُّوحِيَّةُ اشرفُ من الشَّجَاعَةِ الجسْمِيَّةِ مع الجُبْنِ الرُّوحِيِّ . ومن صفاَتِ الانسانِ واحوالِهِ الغنى والفقر، فهما ايضاً يَصِيْران نوعَيْن :

١ - الغنى والفقرُ المادِّيَّان .

٢ - الغنى والفقرُ الرُّوحِيَّان .

والفقرُ المادِّيُّ هو فقدُ وسائلِ المعاشِ المادِّيِّ وادواتِ العملِ لهذه الحياة . والغنى المادِّيُّ هو الحصولُ على هذه الوسائلِ والادواتِ والتَّمكُّنِ منها . والفقرُ الرُّوحِيُّ، فقدُ امكانيَّاتِ الحياةِ الرُّوحِيَّةِ وادواتِ العملِ لتلك الحياة . والغنى الرُّوحِيُّ وجودُ تلك الامكانيَّاتِ والحصولُ عليها . وبالفقرِ الرُّوحِيِّ والمعنويِّ يفتَقِدُ الانسانُ ما يَكُونُ سبباً لوصولهِ الى مقصدِ الحياةِ العالِيِ وغاياتِهِ الجميلةِ والخالدةِ، من الايمانِ والمعرفةِ والايثارِ وتهذيبِ النفسِ والعملِ الصَّالِحِ، والحضورِ في الابدِيَّةِ والخلودِ .

ولقد سعى هُداةُ الانسانيَّةِ، لآن يُلْفِتوا الانظارَ الى اهميةِ هذا الفقرِ وما له من الآثارِ السَّلْبِيَّةِ الكثيرةِ، لكي يُزيحوا بواعثَهُ ويُعدِّموا اسبابَهُ . ولذلك قد عَدُّوا فقدَ العقلِ وعُدْمَهُ من اهمِّ انواعِ الفقرِ والعُدْمِ، فقالوا : «لا عُدْمَ اَعْدَمُ من العقلِ»^١، وكذلك فقرُ القلبِ فقالوا : «لا فقرَ كفقرِ القلبِ»^٢ .

الثانية - تفريق بين موقفين : لِيُكِنِ القارئُ على انتباهٍ لمغزى الآياتِ والاحاديثِ الواردةِ في هذا الفصل - وامثالها ممَّا مرَّ ويأتي - لآنها لا ترمي الى الغناءِ دورِ المالِ الحياتيِّ في التَّصوُّرِ الاسلاميِّ، وما له من الاهميةِ في

١ - امالي الطوسي / ١ / ١٢٥، من حديث الامام عليّ «ع»..

٢ - تحف العقول / ٢٠٨، من حديث الامام الباقر «ع»

قوام النَّاسِ وحياتهم به، وقوام دينهم وكرامة نفوسهم، اذ الاسلام هو الذي سمى المال «قواماً»^١، بل المقصود من هذه التعاليم، هو الغاء القيم التافهة والسلبية التي تنشأ من التكاثر، وتحكيم الموقف القوامي للمال، والتأكيد على كونه ذريعةً ووسيلة، لا هدفاً وغاية، والحيلولة دون انحرافه عن مواضعه الصالحة .

الثالثة - استمرار الكفاح وتوسيع جبهاته : بناءً على ما مرّ - ولا سيما في الاشارة الثانية - فإن السلام قد كافح التحريف الموضوعي للمال، وأصرّ على ارجاعه الى موضعه القوامي الحياتي، فهدم بذلك النظام القيمي الزائف المبني على المقاييس التكاثرية، واقام في محله النظام القيمي السالم المبني على المقاييس الانسانية والعدالة الاجتماعية .

وفي هذا الضوء، فتقسيم الاسلام الفقر والغنى الى مادي ومعنوي، لا يعني تحويل هذا الكفاح الى كفاح خلقي، لا، بل معناه تعميق الكفاح الشاجب للتكاثر والاكنتاز، وتوسيع جبهاته - كما اشرنا اليه في موضع آخر - والتأكيد على أن الاسلام كما يكافح ظاهرياً التكاثر والاكنتاز، يكافح جذورهما الفكرية وارضياتهما الباطنية والنفسية، ويدعو الحكم الاسلامي ورجاله الى تحطيم القيم التافهة وهدمها ودعم القيم المثلى وتحكيمها، حتى يتلاحم نسج الافراد الروحي والثقافي مع نسج المجتمع الاداري والسياسي، ويواكب النظام المالي، النظام التربوي والاخلاقي .

اذاً، ان الاسلام لا يضحك في وجه اي متكاثر، وإن دفع مما جمعه من الاموال والاعراض، بعض النفقات للامور الخيرية والمشاريع الدينية، كغرض من فيض، وكحفنة من بيدر. اجل! ان الاسلام لا يبرر اية صورة من صور التكاثر في الخارج، مع أنه يحارب به حتى على المستوي الباطني والخلقي .

١- وكذلك سماه خيراً في قوله تعالى: «وإن ترك خيراً...» - سورة البقرة (٢) : ١٨٠ - (راجع : مجمع

الفصلُ الحادي عشر

الاسلام والنظام التكاثريّ الإترافيّ، كفاح رحب (٤)

- تصوير الحياتين : التكاثرية والاسلامية

أ - ملامح من الحياة التكاثرية

الكتاب

- ١ إعلموا أنّما الحياة الدنيا لعبٌ وهُوَ زينةٌ وتفاخرٌ بينكم وتكاثرٌ في الاموالِ والاولادِ، كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ، ثُمَّ يَهِيْجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا، ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا، وفي الآخرةِ عذابٌ شديدٌ ..^١
- ٢ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَهَوٌّ، وَلِلدَّارِ الآخرةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ، افلَاتَعْقِلُونَ*^٢
- ٣ .. أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخرةِ؟ فما مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخرةِ إِلَّا قَلِيلٌ*^٣

١ - سورة الحديد (٥٧) : ٢٠.

٢ - سورة الانعام (٦) : ٣٢.

٣ - سورة التوبة (٩) : ٣٨.

- ٤ .. اولئك حَبَطَتْ اَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، واولئك هُمُ الخاسرون *^١
- ٥ قل : هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْاَخْسَرِينَ اَعْمَالًا؟ * الذين ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ اَنْهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا *^٢

الحديث

- ١ النبي «ص»: الدُّنْيَا دَارُ بَلَاءٍ، وَمَنْزِلُ بُلْغَةٍ وَعَنَاءٍ، قَدْ نَزَعَتْ عَنْهَا نَفُوسُ السُّعْدَاءِ .. فَاسْعُدُ النَّاسَ بِهَا اَرْغَبُهُمْ عَنْهَا .. فَهِيَ الْغَاشِيَةُ لِمَنْ اسْتَنْصَحَهَا، وَالْمُغْوِيَّةُ لِمَنْ اطَاعَهَا، وَالْخَاثِرَةُ لِمَنْ انْقَادَ اليهَا؛ وَالْفَائِزُ مَنْ اَعْرَضَ عَنْهَا، وَالْهَالِكُ مَنْ هَوَى فِيهَا *^٣
- ٢ النبي «ص»: الدُّنْيَا دَارُ مَنْ لَا دَارَ لَهُ، وَمَالٌ مَنْ لَا مَالَ لَهُ، وَلَهَا يَجْمَعُ مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ، وَيَطْلُبُ شَهَوَاتِهَا مَنْ لَا فَهْمَ لَهُ، وَعَلَيْهَا يُعَادِي مَنْ لَا عِلْمَ لَهُ، وَعَلَيْهَا يَحْسُدُ مَنْ لَا فِقْهَ لَهُ، وَلَهَا يَسْعَى مَنْ لَا يَقِينَ لَهُ *^٤
- ٣ الامام علي «ع»: اِحْدَرُوا هَذِهِ الدُّنْيَا الْخَدَّاعَةَ، الْغَدَّارَةَ، الَّتِي قَدْ تَزَيَّنَتْ بِحُلِيِّهَا، وَفَتَنَتْ بِغُرُورِهَا، وَغَرَّتْ بِاَمَالِهَا، وَتَشَوَّفَتْ لِحُطَّابِهَا، فَاصْبَحَتْ كَالْعُرُوسِ الْمَجْلُوءَةِ، وَالْعَيُونُ اليهَا نَاطِرَةٌ، وَالنُّفُوسُ بِهَا مَسْغُوفَةٌ، وَالْقُلُوبُ اليهَا تَائِقَةٌ. وَهِيَ لِاَزْوَاجِهَا كُلِّهَا قَاتِلَةٌ، فَلَا الْبَاقِي بِالْمَاضِي مُعْتَبَرٍ، وَلَا

١ - سورة التوبة (٩) : ٦٩ .

٢ - سورة الكهف (١٨) : ١٠٣ - ١٠٤ .

٣ - البحار ٧٧ / ١٨٥ .

٤ - البحار ٧٣ / ١٢٢ .

الفصل الحادي عشر: الاسلام والنظام التكاثري .. (٤)

١. الآخرُ بسوءِ اثرِها على الاولِ مُزْدَجِر، ولا اللبيبُ فيها بالتجاربِ مُنتَفِع .
٤ الامام علي «ع» : .. فالمتمتعون من الدنيا تبكي قلوبهم وان فرحوا، ويشتد مقتهم لانفسهم وان اغتبطوا ببعض ما رزقوا.^٢
٥ الامام علي «ع» : احذر الدنيا، فانها شبكة الشيطان ومفسدة الايمان.^٣
٦ الامام علي «ع» : الدنيا معدن الشر ومحل الغرور.^٤
٧ الامام علي «ع» : اهل الدنيا كركب يسار بهم وهم نيام.^٥
٨ الامام الصادق «ع» : الدنيا بمنزلة صورة، رأسها الكبر، وعينها الحرص، واذنها الطمع، ولسانها الرياء، ويدها الشهوة، ورجلها العجب، وقلبها الغفلة، وكونها الفناء، وحاصلها الزوال، فمن احبها اورثته الكبر، ومن استحسنها اورثته الحرص، ومن طلبها اورثته الى الطمع، ومن مدحها اكبته [في] الرياء، ومن ارادها مكنته من العجب، ومن اطمان اليها ركبت الغفلة، ومن اعجبته متاعها فتننته فيما يبقى، ومن جمعها وبخل بها ردتها الى مستقرها وهي النار.^٦

* وقد عقد العلامة المجلسي باباً في «بحار الانوار»، في ذم

التكاثر .. (باب العصبية والفخر والتكاثر في الاموال والاولاد وغيرها)^٧، فراجع .

١- البحار ٧٣ / ١٠٨ - ١٠٩ .

٢- البحار ٧٨ / ٢١ .

٣ و ٤- غرر الحكم ٧٣ و ٣٤ .

٥- نهج البلاغة / ١١١٥ : عبده ٣ / ١٦٥ .

٦- البحار ٧٣ / ١٠٥ .

٧- البحار ٧٣ / ٢٨١ - ٢٩٤ .

ب - ملامح من الحياة الاسلاميّة

الكتاب

- ١ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ .. ١
- ٢ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، أَنْفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ .. ٢
- ٣ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ .. ٣
- ٤ وَابْتَغِ فِيهَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا، وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ، وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ .. ٤
- ٥ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ .. ٥
- ٦ .. لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ، وَلِدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ، وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ * ٦

الحديث

- ١ النبي «ص» - فيما اوصى به الامام عليّ بن ابي طالب: يا علي! نجا

١ و ٢ - سورة البقرة (٢): ١٧٢ و ٢٦٧.

٣ - سورة طه (٢٠): ٨١.

٤ - سورة القصص (٢٨): ٧٧.

٥ - سورة النساء (٤): ١٣٥.

٦ - سورة النحل (١٦): ٣٠.

المُخَفَّفُونَ، وهلك المُثَقَّلُونَ ١.

٢ النبي «ص»: كُونُوا فِي الدُّنْيَا أَضْيَافًا، وَاتَّخِذُوا الْمَسَاجِدَ بِيوتًا، وَعَوِّدُوا قُلُوبَكُمْ الرَّقَّةَ، وَأَكْثِرُوا التَّفَكُّرَ وَالْبُكَاءَ، وَلَا تَخْتَلِفَنَّ بِكُمْ الْاِهْوَاءُ: تَبْنُونَ مَا لَا تَسْكُنُونَ، وَتَجْمَعُونَ مَا لَا تَأْكُلُونَ، وَتَأْمَلُونَ مَا لَا تُدْرِكُونَ ٢.

٣ الامام علي «ع»: .. فَإِنَّ الْغَايَةَ أَمَامَكُمْ، وَإِنَّ وِرَاءَكُمْ السَّاعَةَ تَحْدُوكُمْ، تَخَفَّفُوا تَلَحَّفُوا، فَاِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوْلِيكُمْ آخِرُكُمْ ٣.

٤ الامام علي «ع»: الدُّنْيَا دَارُ مَمَرٍ، لَا دَارُ مَقَرٍّ ٤، وَالنَّاسُ فِيهَا رِجَالَان: رَجُلٌ بَاعَ نَفْسَهُ فَأَوْبَقَهَا، وَرَجُلٌ ابْتَاعَ نَفْسَهُ فَأَعْتَقَهَا ٥.

٥ الامام علي «ع»: .. وَاعْلَمُوا - عِبَادَ اللَّهِ! - أَنَّ الْمُتَّقِينَ ذَهَبُوا بِعَاجِلِ الدُّنْيَا وَأَجَلِ الْآخِرَةِ، فَشَارَكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ، وَلَمْ يُشَارِكُهُمْ أَهْلُ الدُّنْيَا فِي آخِرَتِهِمْ: سَكَنُوا الدُّنْيَا بِأَفْضَلِ مَا سَكِنَتْ، وَأَكَلُوا بِأَفْضَلِ مَا أَكَلَتْ، فَحَظُّوا مِنَ الدُّنْيَا بِمَا حَظَّيَ بِهِ الْمُتَرَفُونَ، وَأَخَذُوا مِنْهَا مَا أَخَذَهُ الْجَبَابِرَةُ الْمُتَكَبِّرُونَ، ثُمَّ انْقَلَبُوا عَنْهَا بِالزَّادِ الْمُبْلَغِ، وَالْمَتَجَرِّ الرَّابِحِ، أَصَابُوا لَذَّةَ زَهْدِ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ، وَتَيَقَّنُوا أَنَّهُمْ جِيرَانُ اللَّهِ غَدًا فِي آخِرَتِهِمْ، لَا تُرَدُّ لَهُمْ دَعْوَةٌ، وَلَا يَنْقُصُ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنْ لَذَّةٍ ٦.

٦ الامام علي «ع»: .. وَاعْلَمْ أَنَّ أَمَامَكَ طَرِيقًا، ذَا مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ، وَمَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ،

١ - مكارم الاخلاق / ٥١٢.

٢ - بحار الانوار / ٧٣ / ٨١.

٣ - نهج البلاغة / ٨٠: عبده / ١ / ٥٤.

٤ - في البحار (٧٣ / ١٣٠): «.. دَارُ مَمَرٍّ، إِلَى دَارِ مَقَرٍّ».

٥ - نهج البلاغة / ١١٥٠: عبده / ٣ / ١٨٣.

٦ - نهج البلاغة ٨٨٦ - ٨٨٧: عبده / ٣ / ٣١.

وأنه لا غنى بك فيه عن حسن الارتداد، وقدر بلاغك من الزاد، مع خفة الظهر؛ فلا تحمّلن على ظهرك فوق طاقتك، فيكون ثقل ذلك وبألاً عليك. وإذا وجدت من اهل الفاقة من يحمّل لك زادك الى يوم القيامة فيوافيك به غداً - حيث تحتاج اليه - فاغتنمه وحمله آياه، وأكثر من تزويده وانت قادر عليه؛ فلعلك تطلبه فلا تجده. واغتنم من استقرضك في حال غناك، ليجعل قضاءه لك في يوم عسرتك.

واعلم أنّ امامك عقبة كؤوداً، المخف فيها أحسن حالاً من المثقل، والبطيء عليها أقبح حالاً من المسرع، وأن مهبطك بها لا محالة على جنة او على نار، فأرتد لنفسك قبل نزولك، ووطئ المنزل قبل حلولك، فليس بعد الموت مستعجب، ولا الى الدنيا منصرف^١.

٧ الامام الصادق «ع»: .. كان فيما وعظ به لقمان ابنه: يا بني! .. إنما انت عبدٌ مستأجرٌ، قد أمرت بعملٍ ووعدت عليه اجراً. فأوف عمالك، وأستوف أجرك، ولا تكن في هذه الدنيا بمنزلة شاة وقعت في زرع أخضر، فأكلت حتى سميت، فكان حتفها عند سمنها، ولكن اجعل الدنيا بمنزلة قنطرة على نهر جرت عليها^٢.

٨ الامام الكاظم «ع» - عن آباؤه، عن علي «ع»، في قول الله عز وجل: «ولا تنس نصيبك من الدنيا...»، قال: لا تنس صحتك، وقوتك، وفراغك، وشبابك، ونشاطك، أن تطلب بها الآخرة^٣.

تذييل

١ - نهج البلاغة / ٩٢٢: عبده ٣ / ٥٢.

٢ - البحار ٧٣ / ٦٩.

٣ - معاني الاخبار / ٣٠٩.

لا امان لا غنياء والمترفين

أ- على المستوى التكويني

الكتاب

- ١ وما أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ *^١
- ٢ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ، فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ؟ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ، فَمَا أُغْنِيَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ *^٢
- ٣ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا، فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ، فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا *^٣

تنبيه

إنَّ الامساکَ الَّذي يَرَكُنُ اليه اصحابُ الاموالِ، يُضِرُّ بانفسِهِمْ قبلَ الآخِرينَ، فَمَنْ يَبْخُلُ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَنِ نَفْسِهِ، وَهَذِهِ حَرَكَةٌ اتِّحَارِيَّةٌ يَجْنَحُ اليها المتكاثرونَ وَذَوُو الثَّرَوَاتِ ضِدَّ انْفُسِهِمْ وَامِنْهُمْ وَسَلَامِهِمْ . فِيسَادَةُ المَالِ وَصِيرُورَتُهُ دُولَةً بَيْنَ فِئَةٍ، تُؤَدِّي الي هَدْمِ النُّظْمِ المَالِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ وَاسْتِبْدَالِ قَوْمٍ مَكَانَ قَوْمٍ، فَهَمْ يُخَرَّبُونَ بِيُوتِهِمْ بِأَيْدِيهِمْ؛ فَكَيْفَ يُضَمَّنُ لَهُؤُلَاءِ سَلَامٌ وَامْنٌ؟

١ - سورة الشعراء (٢٦) : ٢٠٨.

٢ - سورة غافر (٤٠) : ٨٢.

٣ - سورة الإسراء (١٧) : ١٦.

الحديث

- ١ النبي «ص»: يا ابن مسعود! لا تَرَكَنَّ الى الدُّنيا ولا تَطْمَئِنَّ اليها، فَسْتَفَارِقُهَا عن قليلٍ، فَانَّ اللهَ تعالى يَقُولُ: «فَاخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلَعُهَا هُضِيمٌ *»^١.
- ٢ النبي «ص»: يا ابن مسعود! تَذَكَّرِ القُرُونِ الماضية، والملوكَ الجبابرةَ الذين مَضُوا، فَانَّ اللهَ يَقولُ: «وَعَاداً وَثَمُودَ واصحابَ الرِّسِّ وقروناً بين ذلك كثيراً»^٢.
- ٣ الامام علي «ع»: اُنْظُرُوا الى الدُّنيا نظَرَ الزَّاهِدين فيها، الصّادقين عنها، فانّها - واللهِ - عَمَّا قَلِيلٍ تُزِيلُ الثَّاوِي السَّاكن، وَتَفْجَعُ المُتَرَفَ الآمِنِ .. وَجَلَدَ الرِّجالِ فيها الى الضَّعف والوهن؛ فلا تُغَرِّنْكُمْ كَثْرَةُ ما يُعْجِبُكُمْ فيها، لِقَلَّةِ ما يَصْحَبُكُمْ منها^٣.

ب- على المستوى التشريعي

الكتاب

- ١ إِنَّمَا السَّبِيلُ على الدِّينِ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ، رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ

١ - مكارم الاخلاق / ٥٣٣. والآيتان من سورة الشعراء (٢٦): ٥٧ و ١٤٨.

٢ - مكارم الاخلاق / ٥٣٣؛ والآية من سورة الفرقان (٢٥): ٣٨.

٣ - نهج البلاغة / ٣٠٢؛ عبده ١ / ١٩٧.

الخوَالِفُ ..

٢ ويا قوم أوفوا المكيالَ والميزانَ بالقسطِ، ولا تبخسُوا النَّاسَ اَشْيَاءَهُمْ، ولا
تَعْتُوا فِي الارضِ مُفْسِدِينَ* ٢

* فالَّذينَ لا يُوفُونَ المكيالَ والميزانَ بالقسطِ، في التَّبادلِ،
والَّذينَ يَبخَسُونَ النَّاسَ اَشْيَاءَهُمْ عِنْدَ شَرائِهَا مِنْهُمْ، داخِلونَ فِيْمَنْ
يَعْتِي فِي الارضِ مُفْسِداً. وَحُكْمُ المفسِدِ معلومٌ مِنَ الشَّرعِ، اذ يَدُ
الشَّرعِ عَلَيْهِ مَفتوحَةٌ. فلامْجالَ لَهُ لِانَّ يَعْملَ اَعْمالَهُ المفسِدَةَ؛ فلا
أمانَ لَهُ عَلى المُستَوَى التَّشريعيِّ.

١ - سورة التوبة (٩) : ٩٣.

٢ - سورة هود (١١) : ٨٥.

نظرة الى الفصل

١ - ملامح من الحياة التكاثرية .. : تحضُّ التعاليم الاسلامية على معرفة الدنيا وما فيها، عن تدبّر وبصيرة . ومعرفتها غير معرفة العالم بصورة كلية . إن العالم لوحة حيّة رائعة تتجلّى فيها مظاهر الكمال السرمديّ، من الحكمة والنظم والعدل؛ والقرآن والحديث يدعوان الانسان لأن يتفكّر فيها . هذا هو العالم، غير أنّ الدنيا والحياة الدنيوية (التي يعمد قسم من التعاليم القرآنية والحديثية الى التعريف بهما حتى يعرفهما الانسان حقّ المعرفة)، لهما صلة خاصة بالانسان وبما في يده من رأس ماله، وهو عمره وحياته فيها . والمقصود بالدنيا، في هذا الإطار، حياة الانسان في الدنيا وأيام عيشه وعمره وما يتصل بها من ملاسبات وامور واحوال واعمال .. ومن واجب الانسان - وهو الذي يحيا هذه الحياة ويعيش أياماً يُحاسب عليها - أن يعرف تلك الحياة وواقعها وظرفها وملابساتها حقّ المعرفة، حتى يكون على بصيرة من الامر، و انتفاع من العمر، ويتاح له أن يقف على حقيقة هذه الحياة وابعادها واطوارها وما يضرُّ بها وما ينفع، اذ بهذه المعرفة يتمكن من أن يتدرّع بحياته الى ما طلب منه، وان ينال ما أُعدَّ له من خير وسعادة خالدين، وان يتباعد عمّا أُنذِر من شقاوة وسوء عاقبة . وواضح أنّ الحياة الانسانية - وهي الدورة المحدودة المتصرّمة التي يعيشها الانسان في هذه السّيارة، التي يُسمّيها القرآن الكريم : «الحياة الدنيا» - تختلف اختلافاً كثيراً، بحسب اختيار الانسان نفسه، واختلاف ما هنالك من اساليب ومناهج لاستيفاء هذه الحياة؛ فالانسان هو الذي يشكّل حياته وبنيتها بحسب اصطفائه ايّ اسلوبٍ ومنهجٍ من تلك الاساليب

والمناهج . ومن الاقسام الرئيسية للحياة الانسانية في هذه الدنيا قسمان
نُشيرُ اليهما :

١ - الحياة الغائية (وهي التي يُنظرُ اليها كغاية).

٢ - الحياة الذريعية (وهي التي يُنظرُ اليها كذريعة).

الحياة الاولى : الحياة التي يتبناها الانسان غايةً وهدفاً، حياة عمياء
حيوانية جانحة الى اللذات والتكاثر المالي والترّف والبذخ . والحياة بهذه
الصفات تسيّر - بالطبع - في المسيرة المضادة للنظام الحكيم، الحاكم
على الخلق والوجود، وتُجانبُ الحق والعدل، اللذين يجريان في كلِّ ذرّةٍ
من ذرات الكون الاعظم الفسيح .

إنّ الدنيا - وما يتأخّ لانسان فيها من الحياة والمواهب والفكر
والادوات والتعاليم - مزرعةٌ للآخرة، يعني أنّ هذه الحياة الزائلة الدنيا،
مزرعةٌ لحياة باقيةً علياً ومُتجرّ لها ومربح، كما قال النبي «ص» في وصاياه
لابي ذر الغفاري : «يا اباذر! انك في ممرّ الليل والنهار، في آجالٍ
منقوصة، واعمالٍ محفوظة، والموت يأتي بغتة . ومن يزرع خيراً يوشك أن
يحصد خيراً، ومن يزرع شراً يوشك أن يحصد ندامة . ولكلّ زارعٍ ما
زرع ..» .

إنّ الفطرة الانسانية - لو خُلّيت وطبعها - تنزعُ الى اجتياز هذه المرحلة
مراعيةً للحدود والحقوق، ومُلتحمةً مع النواميس الحاكمة على سائر
اقسام العالم واجزائه . إنّ الفطرة الانسانية - بطبعها النقي الصافي -
لا تبغى سلوك سبيلٍ تنتهي الى الزوال، بل تطلبُ سلوك سبيل الخلود
والابدية . والانسان - اذا نظر بنور الفطرة - يرى نفسه محبوساً محصورةً
في دائرة لا تلائم واقع الوجود الانساني الرّحب العميق . ولاجل ذلك فإنه
يجدُ ويسعى لأن يحطّم هذه الجدران حتى ينفذ الى العالم الفسيح .

والخالدِ وَيَطَّلَعُ عَلَيْهِ او يَتَطَّلَعُ .

الحياة الثانية: وهناك صورةً اخرى من الحياة للانسان في هذه الدنيا، غير التكاثرية وغير الترفية، وهي التي تواكب نظام الوجود، وتتجاوب مع غايات الخلق واهدافه، وتتلاحم مع الفطرة الانسانية تلاحماً راسخاً. وهي ما تستعمل كذريعة ومقدمة للحياة الباقية. وهذه الحياة هي التي تخلق الجو المناسب لرشد الانسان في مجموعة ابعاد وجوده الباطنة الوسيعة. والحركة الانسانية في هذه الصورة من الحياة، مطابقة للنظام التكويني العام وللنواميس الالهية والفطرية. وبها يعرج الانسان الى علياء الكمال اللائق به، فيصل الى مرتبة خلافة الله تعالى، ولو في درجات مختلفة وعرض عريض ..

وان القرن الكريم يُصوّرُ أمام البشرية هاتين الحياتين، في لوحاتٍ حيّة تُهيمُن على النفس وتأخذ بمجامع القلب. ومما يُصوّرُ به الصورة الاولى من الحياة قوله تعالى: «اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال واولاد ..»^١.

ومن الواضح ان الحياة التي يصفها القرآن بانها حياة زينة وتفاخر وتكاثر في الاموال والاولاد، هي حياة الاغنياء والرأسماليين وذويهم، لان حياتهم لا تخلو من وجهين: اما غارقة في اللعب واللهو وما اليهما، واما مُمتزجة بهما اشد الامتزاج. ومن البديهي ان حياة كهذه تعوق الانسان عن اكتساب الملكات الفاضلة، وتضع في سبيل تأهبه لحياته الاصلية العقبات. وان التشبيه القرآني، الرائق البديع، بحق هذه الحياة - الذي نذكره الآن - يُجسّم أمام الانسان البيئونة الشاسعة بين الحياتين: المتكاثرة المتفاخرة المترفة التي تستهدف الدنيا وزخارفها البائدة، والمتواضعة المقتصدة الاسلامية التي تستهدف الخلود في عرصات الابد

١ - سورة الحديد (٥٧): ٢٠.

الجميل . يقول القرآن : «كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكَفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيْجُ، فتراه مُصْفَرًّا، ثم يكونُ حُطَامًا ..»^١ . وهذا تصويرٌ لظاهر الحياة الدنيا الخَلَابِيَّة : غَيْثٌ يَعْجِبُ الزُّرَّاعَ نَبَاتُهُ وَرَيْعُهُ، مع أَنَّ هذا النَّبَاتَ الرَّائِعَ بِمَقْرَبَةٍ من الإصْفَارِ وَالذُّبُولِ، بعد ما كان أَخْضَرَ رَائِقَ الْخُضْرَةِ، حيث تَلْفَحُهُ رِيَّاحُ الْهَوَاجِرِ، وَتَهْبُّ عَلَيْهِ أَنْفَاسُ الْخَرِيفِ، فَتَجْفَفُهُ وَتُبِدِّدُهُ، فتراه حُطَامًا مطروحاً على الارض، تَدْرُوهُ الرِّيَّاحُ، وَتَحْطِمُهُ الْآقْدَامُ .. ومن الْمُدْهَشِ الْمُرْعِبِ أَنَّ الْأَمْرَ لَا يَنْتَهِي عِنْدَ هَذَا، اذ نَشَاهِدُ الْقُرْآنَ بَعْدَ اعْطَاءِ ذَلِكَ التَّصْوِيرِ الْمَوْضِعِ الرَّهِيْبِ يَقُولُ : «.. فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ»، يعنى أَنَّ هَذِهِ الْحَيَاةَ الْبَائِدَةَ لَا يَتِمُّ أَمْرُهَا إِلَى الْفَنَاءِ فَقَطْ - كَحُطَامٍ مَطْرُوحٍ فِي مَهَبِّ الرِّيَّاحِ الذَّارِيَةِ - بَلْ تَسْتَبِيحُ لِلنَّاسِ فِي أُخْرَى حَيَاتِيَّةٍ عَذَابًا شَدِيدًا وَنَقْمَةً بَاقِيَةً وَالْمَا خَالِدًا .

ومن كُلِّ هَذَا نَفْهَمُ أَنَّ حَيَاةَ الزَّيْنَةِ وَالتَّفَاخِرِ وَالتَّكَاثُرِ وَالبَدَخِ وَالتَّرَفِ، حَيَاةٌ مَنْحَرِفَةٌ عَنِ مَسِيرِ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ، مُتَنَكِّبَةٌ عَنِ طَرِيقِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَالفِضِيلَةِ، متجاوزةٌ سَبِيلَ الْقَصْدِ، فَانِيَّةٌ، زَائِلَةٌ، تَافَهُةٌ، سَرِيعَةُ الْمُضِيِّ، عَاجِلَةُ الْفَنَاءِ، مَنْذِرَةٌ بِسُوءِ الْعَاقِبَةِ وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ .

اجل، هذه هي واقعية الحياة التكاثرية، المُسْتَسْلِمَةَ لِلذُّبُولِ، الْبَاعِثَةَ عَلَى هَلَاكِ أَهْلِهَا وَمَعْنَتِهَا الْهَآوِينَ فِيهَا، كَمَا يَقُولُ النَّبِيُّ «ص» : «الْهَالِكُ مَنْ هَوَى فِيهَا»^٢ ؛ وَالمَوْبِقَةَ لِلْمُسْتَكْتَرِينَ مِنْهَا، كَمَا يَقُولُ الْإِمَامُ عَلِيُّ «ع» : «مَنْ اسْتَكْتَرَّ مِنْهَا اسْتَكْتَرَّ مِمَّا يُوبِقُهُ»^٣ ؛ الْمُهْلِكَةَ لِلْحَرِيسِينَ عَلَيْهَا (مَنْ حَرَصَ عَلَى الدُّنْيَا هَلَكَ)^٤ .

١ - سورة الحديد (٥٧) : ٢٠ .

٢ - البحار ٧٧ / ١٨٥ .

٣ - نهج البلاغة / ٣٤٢ : عبده ١ / ٢١٧ .

٤ - غرر الحكم / ٢٧٩ .

فالحياة التكاثرية اذا ليست منسجمة مع النظام العالمي البديع، ولا متلاحمة مع السنن الالهية والفطرية، فهي موجبة لمسخر انسانية الانسان وتكدير فطرته الصافية، وممهدة لارضية فعالة لفساد العقل، وعمى القلب، وهن الدّين، والاخلاد الى الارض، كما سيحيء الكلام عليها.

والذي يستفاد من كلام النبي «ص»: «الهالك من هوى فيها»^١، ومن تعبيره الآخر: «والخاترة لمن انقاد اليها»^٢، وكذلك من كلام الامام الصادق «ع»: «ومن اطمأن اليها ركبت الغفلة»^٣، هو ان السبب الوحيد لانحراف الانسان وسقوطه وهلاكه نفس الهوي في الدنيا بالرغبة والاخلاد اليها وحبها والتهاك دونها. وهي امور لا تفارق حياة التكاثر والترّف.

٢- ملامح من الحياة الاسلامية .. : إن الآيات والاحاديث الواردة في هذا القسم من الفصل، لا ترمي الى نفي الحياة المادية وشجب التمتع من الدنيا وطيباتها بصورة كلية، لا، بل هي ترمي الى صنع حياة سلمية طبيعية للناس، ليؤمنوا بالله، ويأكلوا من طيبات رزقه ويؤدوا فرائضه، ويشكروه ويبنفقوا مما بايديهم، ولا يطغوا فيها وفي التمتع بها. وهذه الحياة هي التي يمكن للانسان ان يتذرع بها الى غايات الوجود في الحياة الثانية الخالدة - كما سلف الكلام.

ومن اللاّحِب أن هذه الحياة لا تكون مقصودة بالذات، بل هي مقصودة بالغير، كما جاء في كلام الامام علي «ع»: «الدنيا خلقت لغيرها ولم تُخلَق لنفسها»^٤. وهي المطبئة التي على الانسان ان يركبها ليجتاز منها

١ و ٢ - البحار ٧٧ / ١٨٥.

٣ - البحار ٧٣ / ١٠٥.

٤ - نهج البلاغة / ١٢٩٨؛ عبده ٣ / ٢٦٢. يقول الشيخ محمد عبده المصري في شرح الكلام المذكور: «خلقت الدنيا سبيلاً الى الآخرة، ولو خلقت لنفسها كانت دار خلد».

الى ما بعدها من الحياةِ والفُرصِ والدَّرجات، كما جاء في كلام النبيّ «ص»: «اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ مَطَيَّتَانِ»^١. وهي المزرعةُ ليومِ الحِصادِ (الآخرة). وهي المَتَجَرُ والمَرَبِجُ، (إنَّ الدُّنْيَا دَارُ صَدَقٍ لِمَنْ صَدَقَهَا .. ومتَجَرٌ اوليَاءِ اللَّهِ، اِكْتَسَبُوا فِيهَا الرَّحْمَةَ، وَرَبِحُوا فِيهَا الْجَنَّةَ)^٢. وواضح أن «لا تجارةَ كالعملِ الصَّالحِ، ولا ربحَ كالثَّوابِ»^٣.

والانسانُ لا يَتَمَتَّعُ بِحَيَاةٍ انسانيةٍ سليمةٍ، نَزَهَةٍ مِنَ الطَّغْيَانِ وَالظُّلْمِ والحِرْصِ، الا اذا نَظَرَ الى حَيَاتِهِ كَقَنْطَرَةٍ لِلْعُبُورِ الى مَقْصِدٍ عالٍ، فَيَأْخُذُ مَا يَحْتَاجُ اليه وَيَدَعُ ما وراءه، وَيَتَزَوَّدُ بما يَأْخُذُ، كما يَقُولُ الامامُ عَلِيُّ «ع»: «... فَلَئِنْ حَظُّكَ مِنَ الدُّنْيَا قَوَامٌ صُلْبِكَ، وَاَمْسَاكَ نَفْسِكَ، وَالتَّزَوَّدُ لِمَعَادِكَ»^٤. والمُؤَشِّرَاتُ الاقْتِصَادِيَّةُ فِي الاسلامِ، اِنَّمَا وُضِعَتْ لِتَأْمِينِ حَيَاةٍ كَهَذِهِ حَيَاةٍ بَلَغٍ وَمَطِيَّةٍ، وَهِيَ المَمْدُوحَةُ. وَدُنْيَا البَلَغِ الَّتِي يَدْعُو الى تَبْنِيهَا الاسلامُ لِكُلِّ النَّاسِ، لَيْسَتْ امْرَأَةً فَرْدِيًّا لِهَذَا او ذَاكَ، بَلْ هِيَ تَخْطِيطٌ لِحَيَاةِ الْاِفْرَادِ وَالْمَجْتَمَعَاتِ. وَفِي هَذِهِ الحَيَاةِ لَا يَجِدُ الْفَقْرُ مِذَاهِبَهُ فِي النَّاسِ، وَلَا يَجِدُ التَّكَاثُرُ لِيَتَغَلَّغِلَهُ فِي النُّفُوسِ سَبِيلًا، بَلْ يَعْيشُ الْكُلُّ فِي مَسْتَوًى مِنَ الْعَيْشِ وَالِاسْتِهْلَاكِ صَالِحٍ. فَلَا تَبْقَى اَفْواهُ مَفْتُوحَةً بِلازادٍ، وَلَا يَأْخُذُ اُناسٌ فَوْقَ بَلَغِهِمْ وَحاجَتِهِمْ، (فَلَا تَحْمِلَنَّ عَلَيَّ ظَهْرَكَ فَوْقَ بَلَغِكَ فَيَكُونَ ثِقْلًا وَوَبالًا عَلَيَّ)^٥. وَيُنْفِقُ كُلُّ انْسانٍ فَضْلَ مالِهِ، (طوبى لِمَنْ اَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مالِهِ)^٦.

١ - الخصال / ١ / ٦٨.

٢ - نهج البلاغة / ١١٤٨ : عبده ٣ / ١٨٢.

٣ - نهج البلاغة / ١١٣٩ : عبده ٣ / ١٧٧.

٤ - البحار / ٧٨ / ٢٣.

٥ - تحف العقول / ٥٦، من حديث الامام عليّ «ع».

٦ - تحف العقول / ٢٨، من حديث النبيّ «ص»:

فالمسلم المؤمن بالرسالة المحمّديّة، يحيا هذه الحياة، فيكفّد لأن يكسب المال لسدّ عوزِه وللانفاقِ على غيره، رافعا كلّه عن الناس، مكنتياً بالكفاف، متجنّبا الترفّ والبذخ والظلم والتقتير والاسراف، مترفلاً في حلل السكينة والوقار، باراً على إخوانه، وصولاً لأحبّائه، مفيداً لمجتمعِه، مهتماً بامرِ أمته، «سهلاً، ليناً، عفيفاً، مسلماً، تقياً، نقياً، باراً، طاهراً، مطهراً، صادقاً، خالصاً، سليماً، صحيحاً، لبيباً، صالحاً، صبوراً، شكوراً، ورعاً، عابداً، زاهداً، رحيماً، عالماً، فقيهاً»^١. وهذه هي ملامح من الحياة الاسلاميّة وصورتها الحسناء.

تذكير هام

إعلم، أنّ من أهمّ عوامل تحريف الكليم الدّيني عن مواضعه، وتشويه تعاليمه الاقتصاديّة، تجزئة أقسام الدّين والنظر الى كل جزء منفكاً عن سائر الاجزاء كما مرّ الكلام عنه. وهذه الكيفيّة تنتهي الى أن لا يعرض الدّين وتعاليمه بصورة نظامٍ كاملٍ (منظومٍ) مرتبطٍ الاجزاء متلاحمها. ومن جرّاء هذه التجزئة نشاهد أنّ الاخلاق الاسلاميّة تُفصل عن اقتصاده، واقتصاده يُفصل عن توحّيده، وعن مفهومه عن الدّنيا وحياتها، وتوحّيده يُفصل عن برامج السياسيّة، وسياسته تُفصل عن مؤشّراته الاجتماعيّة، وعن احكامه في القسط والعدالة، وبعض هذه يُفصل عن تعريفه للانسان ومفهومه عنه، وكذلك عمّا يدعو اليه، من المعاد والاعتقاد به والاستعداد له ..

وعلى هذا المسلك فإنّ قسماً كبيراً من المباني والتعاليم الاسلاميّة، التي تُعدّ الحجر الاساسيّ لمذهب الاسلام الاقتصاديّ، يُطرَح جانباً،

١ - مكارم الاخلاق / ٥٣٦، من وصايا النبي «ص» لعبدالله بن مسعود.

باسم الامور والمسائل الاخلاقية (والاوامر والنواهي الارشادية والتنزيهية، كما جاءت في المصطلح)، وبالتالي ينحط المستوى الاقتصادي في المجتمع الاسلامي الى حد يخرج عن كونه اسلامياً قرآنياً، فلا ترى فيه آثاراً للعدالة الاجتماعية، وللوسط والعدل الاسلاميين المعروفين. حيث تظهر الفواصل الفادحة بين الافراد والقطاعات في مستوى لا يقره الاسلام المحمدي بوجه. وعند ذلك تفرغ الحياة من محتواها الاسلامي ومن الانسانية والمعنوية اللازمتين له. ويضع ذلك في مسيرة المجتمع التكاملية عقبات، فيتحوّل المجتمع الاسلامي الى مجتمع غير اسلامي، حيث يسوده النفع والضرر الماديان، وتستولي عليه الارستقراطية المشؤومة، وينتشر فيه الاستضعاف ويعلو عليه الاستكبار الاقتصادي. وهو اضر وأشأم من الاستكبار السياسي، كما يعلمه الاحرار والناهبون. نعم، يتحقق كل ذلك، والناس يظنون أنهم يعيشون في مجتمع اسلامي وتحت ظل الاسلام ولوائه، وأنهم يوفون ما لهم من حقوق، وما لكادحيهم من اجور. وهذا من افدح الاضرار اللاحقة بالاسلام وبتعاليمه، وبالمسلمين وبيئاتهم^١. ولقد دلت التعاليم الاسلامية على أن الاستكبار الاقتصادي اضر على الأمة والاسلام من سائر الوان الاستكبار، حيث عدت المتكاثرين ملهين مجانيين الالتزام، وعدت الاغنياء شرراً الأمة وشرراً اشرارها، ولم تعد الحكام والطواغيت السياسيين شرراً وشرراً اشرارها. وهذا موضوع هام مصيري يجب أن يعيه الناس كل الوعي.

وبعد الاشارة الى هذا الموضوع المصيري الهام، نقول: إن

١ - إن الاسلام يجب أن تقطع عنه يد الجهلاء، والعلماء، والمدسوسين، والسذج، والرجعيين المتخلفين، والاغنياء المتكاثرين، حتى يوعي وعياً مجموعياً (منظوماً)، وحتى يتبلور مفهومه عن الانسان وحياته، بصورة تناسب تعاليم الاسلام.

الإنسان بما أنه كائن مركّب، من جسد وروح، فله حيتان: مُتصرّمة وقارة. وليس من حياته المُتصرّمة في يده شيء إلا ساعته الحاضرة. ومن هنا يدعو الإسلام الإنسان لآن يتأمّل في احوال نفسه، ولأن يضع لفعاله وتروكه مؤشراً رابحاً له في حياته. فكلٌّ من الاحكام الاسلامية له مضمونان مُندمجان:

١ - مضمون معاشي.

٢ - مضمون معادي.

فالعمل المعاشي يتضمّن في باطنه جوهرًا معاديًا، كما أنّ الحصيّة المعادية ليست إلا الصورة الباقية للعمل المعاشي وجزائه (فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرّة شراً يره). فالعمل المعاشي في نظر الإسلام يجب أن يقع على صورة تكون عوناً لامر معاديّ مطلوب وسُلماً للوصول اليه، فعلى هذا لا يمكن أن يكون غير مطابق لمقاييس العدالة والحقّ والقسط.

ومن اللاّحب أن الاحكام والتعاليم الاقتصادية الاسلامية ايضاً، لا تُشذ عن هذا المُخطّط، فلايسعنا ان ننظر الى الملكية وقداسيتها من غير أن نلاحظ ما هناك من الطُقوس والمُؤشّرات، ومن غير أن نعي مفهوم الإسلام عن الحياة والانسان والمال. ايصح أن يستدلّ مُستدلّ بقداسة الملكية في الإسلام، من غير ان يُعير لسائر النداءات الاسلامية لصنع الفرد المسلم والمجتمع الاسلامي اي سمع؟ ايمكن أن يكون المسلم الملتزم مؤمناً ببعض الاسلام كافراً ببعضه الآخر؟..

اجل، إن الاسلام، مع ما يُثبت من الحرمة للملكية - على حدودها المقررة في «علم الفقه» - فهو يجبه الركون الى الدنيا بجمع المال اكثر

مما يحتاج اليه الانسان، للانفاق على نفسه او على غيره .^١ وهذا ما يدل عليه العقل ايضاً، لانه يحيا حياةً مُتَصَرِّمَةً. ولأجل ان ينتبه الانسان لتصرُّم أيامه القليلة قد عبَّروا عنها بساعةٍ، ساعةٍ بين ساعتين، ساعةٍ مضت وساعةٍ لم تأت (الدنيا يومٌ بين يومين، بل ساعةٌ بين ساعتين)^٢. وبهذا التعبير وامثاله يحضون الانسان على ان يكون على بصيرةٍ من الامر، وان يعلم ان صلته الزمانية المتصرِّمة الذات، بايامه وبالعالم وبحياته الدنيا فيه، ليست الا صلةً يومٍ بل ساعةٍ. ومن ليس بيده من الدهر الا يومٌ او ساعةٌ، كيف يخلد الى الارض ويركن اليها ركون الساكنين الآمنين؟ وكيف يدخر لها ادخار المتكاثرين والمترفين؟ وكيف يظلم اجراءه وعُمَّاله؟ وكيف يغفل جيرانه المحتاجين؟ وكيف لا ينفق فضل ماله؟ وكيف يتقاعس عن اداء الحق ورعاية العدل؟ وكيف يتمرغ في النعيم وفي مجتمعه بطون غرثى واكبأد حرى؟ وكيف يعدد لابنائيه وبناته عيشاً رَغداً، والحال ان في المجتمع ابناً وبناتٍ كثيرين لا طمع لهم في حياة زهيدة وفي لمأظة من العيش تافهة؟ اهكذا تكون سيرة مجتمع يؤمن بالله واليوم الآخر، ويُقر بمضمون معاديٍّ لعمله المعاشي، ويعتقد بانه سيواجه «يوم تجد كل نفسٍ ما عملت من خيرٍ محضراً وما عملت من سوءٍ، تود لو ان بينها وبينه امداً بعيداً»^٣، «وتوفى كل نفسٍ ما عملت وهم لا يُظلمون»^٤، «ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون ..»^٥، «ويومئذ يصدرون الناس اششاثاً ليروا

١ - ولذلك جاء في الحديث عن الامام الصادق «ع» انه قال : «قال رسول الله «ص» : الفقر خير للمؤمن من الغنى الا من حمل كلاً واعطى في نائبة» - (سفينة البحار ٢ / ٣٢٦)، فينتهي الامر في جمع المال بلا حاجة اليه والامساك عليه، الى حد يعد الفقر المذموم الذي كاد ان يكون كفراً خيراً منه .

٢ - البحار ٧٣ / ١١٢، ولاحظ الآيات : ٤٥ من سورة يونس؛ و٣٥ من سورة الأحقاف.

٣ - سورة آل عمران (٣) : ٣٠.

٤ - سورة النحل (١٦) : ١١١.

٥ - سورة الانعام (٦) : ١٣٢.

اعمالهم؟!١

فالمُطَارَدَتَانِ الْجِبَارَتَانِ اللَّتَانِ قَامَ بِهِمَا الْإِسْلَامُ فِي وَجْهِ التَّكَاتُرِ
والحياة التّكاثريّة من جهة، وفي وجه الفقر والحياة البائسة من جهة أُخرى،
ليستنا إلاّ لتحويلِ عرصة الحياة الانسانيّة من مَعْمَلٍ معاشيّ سافل، الى
مَرْبَحٍ معاديّ عالٍ، حتى لا تنقضي تلك السّاعة في يَمْتَلِكُهَا الانسان التي
إحدى المتاهتين، لا في الفقر فيسفل، ولا في التّكاثر فيطغى، لا في
فجوات الفقر المُدْفِع، ولا في غمرات التّكاثر المُلهي، بل امر بين امرين،
حتى تُضحّي حياته مطيِّبَةً ومركباً تسيّر به الى تلك الغايات المنشودة من
الحياة ..

٣- لا امان للاغنياء والمترفين: لقد قلنا - فيما سلف - إنّ التّعاليّم
الاسلامية المختلفة، ترمي الى غرض تحويلِ الدّنيا - بما فيها من
المواهب والامكانيّات والاموال - من دنيا تكاثريّة مُترَفّة ملعونة، الى دنيا
سالمة مُشرَفّة، يعيش فيها كلُّ الناس في ظلّ العدالة والحقّ والقسط؛ فإنّ
الله تعالى، خلق الخلق فقدرَ ارزاقهم وقسمَ معاشهم، فإذا اكتفى كلُّ احدٍ
برزقه وقسمه، تسع الارزاق والاقسامُ الجميع، والآفلا، كما هو مشاهد اليوم .
ولقد سلّك الاسلام للوصول الى ذلك الهدف المنشود سبيلاً مركباً
من امرين: تضييقٍ وتوسيعٍ .. اما التّضييقُ، فيتجسّد في حياة المتكاثرين
والمُترَفين، بردها الى حياةٍ مقتصدةٍ امتلاكاً^٢، ومقتصدةٍ استهلاكاً^٣، ولو

١ - سورة الزلزال (٩٩): ٦.

٢ - كما يقول القرآن الكريم: «... كي لا تكون دولة بين الاغنياء منكم» - (سورة الحشر - ٥٩ - ٧)،
ويقول الامام الصادق «٤» «المال أربعة الف، واثنا عشر الف درهم كنز، ولم يجتمع عشرون الفاً
من حلال، وصاحب الثلاثين الفاً هالك؛ وليس من شيعتنا من يملك مئة الف درهم» - (تحف
العقول / ٢٧٩). وهذه المقادير تُقدّر في كلِّ زمانٍ بميزانه. راجع ايضاً: الفضلين ٢٣ و ٢٤، من
هذا الباب .

١ - كما يقول القرآن الكريم: «كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه» - (سورة طه - ٢٠ - ٨١)،

نظرة الى الفصل الحادي عشر ..

باستعمال الحديد إن كان لازماً (وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ) .
واما التوسيع، فبتجسيده في حياة البؤساء والمحرومين
والمساكين، بردها الى حياة متوسطة كافية، بل بردها الى حياة الآخرين
والحاقها بها في مستوى موحد، كما يقول الامام الصادق «ع» بحق من
يأخذ الزكاة: «.. وما أخذ من الزكاة فضة على عياله، حتى يلحقهم
بالناس»^١.

فلامجال في حقل التعاليم الاسلامية لآية صورة من صور تبرير
اغتصاب حقوق الناس وازقاهم، وابقائهم في الفقر والعوز، وقرار
الفروق الباهظة بينهم في المعيشة، باي اسم كانت وباي شكل وقعت^٢.
فهذا الدين يقف بجانب المحرومين لاستيفاء حقوقهم وتأمين
حاجياتهم، حتى يحصلوا على معيشة بلاغية كافية، متقاربة لمعيشة
الآخرين، وينالوا ما يعينهم على التدين والتقوى، ويعيقهم عن الانحراف
العقدي والجهل والردي. فمن واجب الحكم الاسلامي وعلماء الدين،
أن يجهدوا ويجتهدوا ويجاهدوا لتركيز نظام اقتصادي كهذا لاغير.
وواجب الشعب الاسلامي أن لا يخضعوا لاي نظام اقتصادي غير هذا.

تنبيه هام

يجب أن لا يذهب على الباحث الاسلامي، من اقتصادي او اخلاقي،

ويقول الامام الصادق «ع»: «.. وأمرهم أن يأكلوا منه قسداً، ويشربوا منه قسداً..»، الى آخر
الحديث - (المستدرک ٢ / ٤٢٣). راجع ايضاً: الفصل ٢٤، من هذا الباب.

١ - الوسائل ٦ / ١٥٩؛ راجع: الفصل ٤٧، من هذا الباب، وفصول «مستوى العيش للجماهير»، من
الفصل ٢٧ الى الفصل ٣١، من الباب ١٢.

٢ - راجع ايضاً: فصول «مستوى العيش للجماهير»، من الباب ١٢.

أَنَّ ذَمَّ التَّعَالِيمِ الْإِسْلَامِيَّةِ لِلدُّنْيَا وَحُثُّهَا عَلَى رَفْضِهَا لَيْسَ بِعِنْيِ الْإِهْمَالِ وَالْكَسَلِ وَالْعَطَلِ وَتَرْكِ الْجَهْدِ وَالْعَزُوفِ عَمَّا فِيهَا، مِنْ نَعْمِهَا وَطَيِّبَاتِهَا، بَلْ بِعِنْيِ تَحْرِيرِ الْقَلْبِ عَنْ حُبِّهَا وَالتَّفَانِي فِيهَا، وَالِاتِّزَاقِ بِهَا وَالْإِخْلَادِ إِلَيْهَا، فَإِنَّهَا زَائِلَةٌ مَائِلَةٌ، وَلَيْسَ حُبُّ الرِّزَالِ مِنْ شَأْنِ الْعَاقِلِ. وَأَمَّا الْجَهْدُ وَالسَّعْيُ فِي طَلْبِ الْمَالِ وَاقْتِنَائِهِ لِمَقَاصِدِ صَالِحَةٍ وَخَيْرَةٍ، فَقَدْ دَعَا إِلَيْهِ الْإِسْلَامُ بِصُورَةٍ حَاسِمَةٍ، فَعَلَى الْإِنْسَانِ الْمُسْلِمِ أَنْ يَكُونَ مُجْتَهِدًا جَادًّا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِدُنْيَاهُ وَمَعِيشَتِهِ وَمَعِيشَةِ مَجْتَمَعِهِ، كَأَنَّهُ يَعِيشُ أَبَدًا؛ غَيْرَ أَنَّ اللَّزْمَ عَلَيْهِ أَنْ يَقْرَنَ سَعْيَهُ وَاجْتِهَادَهُ فِي الدُّنْيَا وَطَلْبِهَا بِهَذِهِ الْأُمُورِ الثَّلَاثَةِ:

١ - أَنْ لَا يَجْعَلَ قَلْبَهُ - وَهُوَ مَحَلُّ الْحُبِّ الْإِلَهِيِّ الْبَاقِي - مَحَلًّا حُبِّ الدُّنْيَا، فَلَا يَطْلُبُ مَا يَطْلُبُ وَيَقْتَنِي مِنْهَا لِعَرَضٍ ذَاتِيٍّ، بَلْ لِأَغْرَاضٍ تَبَعِيَّةٍ صَالِحَةٍ.

٢ - أَنْ لَا يَأْخُذَهَا مِنْ غَيْرِ الطَّرِيقِ الْمَشْرُوعَةِ.

٣ - أَنْ لَا يُمَسِكَ الْأَمْوَالَ لِنَفْسِهِ فَوْقَ الْكِفَافِ، بَلْ يُنْفِقُ مَا يَقْتَنِيهِ حَتَّى يَكُونَ مَذْخُورًا لَهُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى لِكِي يُرَدَّ إِلَيْهِ فِي الْعَالَمِ الْبَاقِي،^١ وَحَتَّى يَرْتَفِعَ بِاجْتِهَادِهِ وَإِنْفَاقِهِ مَسْتَوَى حَيَاةِ الْآخِرِينَ، وَتَعَمُّ الطَّيِّبَاتِ وَالرِّفَاهِ غَيْرِهِ وَغَيْرِ عَائِلَتِهِ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ، وَيَتَقَدَّمَ مَجْتَمَعُهُ فِي الْمَجَالَاتِ عَامَّةً.^٢

١ - وياله من تجارة رابحة، حيث تُحوَّلُ الْأُمْرُ الرِّزَالِ الدَّائِرَ (المال) إلى امرٍ باقٍ خالد، كما يقول مولانا أمير المؤمنين «ع»، فيما كتبه إلى الحارث الهمداني «.. فَإِنَّكَ مَا تَقَدَّمُ مِنْ خَيْرٍ يَبْقَى لَكَ دُخْرُهُ...» - (نهج البلاغة / ١٠٦٩؛ عبده ٣ / ١٤٢).

راجع أيضاً: الفصل ٤٣، من هذا الباب.

الفصل الثاني عشر

الاسلام والنظام التكاثري الاترافي، كفاح رحب (٥)

- التّضادّ بين الحياتين : التّكاثريّة والاسلامية

الكتاب

- ١ .. فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ: رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن خَلَقٍ *^١
- ٢ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا، نُوفِّ إِلَيْهِم أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أولئك الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ، وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا، وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ *^٢
- ٣ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ، وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا، وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ *^٣

١ - سورة البقرة (٢) : ٢٠٠ .

٢ - سورة هود (١١) : ١٥ - ١٦ .

٣ - سورة الشورى (٤٢) : ٢٠ .

الحديث

- ١ النبي «ص»: بَشَرُوا أُمَّتِي بِالسَّنَاءِ وَالتَّمَكِينِ فِي الْأَرْضِ . وَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ عَمَلًا لِلدُّنْيَا لَمْ يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ فِي الْآخِرَةِ .^١
- ٢ الامام علي «ع» : .. إِنَّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عَدَوَانِ مُتَفَاوِتَانِ، وَسَبِيلَانِ مُخْتَلِفَانِ، فَمَنْ أَحَبَّ الدُّنْيَا تَوَلَّاهَا أَبْغَضَ الْآخِرَةَ وَعَادَاهَا . وَهِيَ بِمَنْزِلَةِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا شِ بَيْنَهُمَا، كَلَّمَا قَرَّبَ مِنْ وَاحِدٍ بَعُدَ مِنَ الْآخِرِ؛ وَهِيَ بَعْدُ ضَرَّتَانِ .^٢
- ٣ الامام علي «ع» : مَرَارَةُ الدُّنْيَا حَلَاوَةٌ الْآخِرَةُ، وَحَلَاوَةُ الدُّنْيَا مَرَارَةُ الْآخِرَةِ .^٣
- ٤ الامام السجاد «ع» : .. وَاللَّهِ مَا الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ إِلَّا كَكَفَّتَيِ الْمِيزَانِ، فَأَيُّهُمَا رَجَحَ ذَهَبَ بِالْآخِرِ .^٤
- ٥ الامام الصادق «ع» : .. وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِنْهَا (الدُّنْيَا) شَيْئًا إِلَّا نَقَصَ حَظَّهُ فِي الْآخِرَةِ .^٥

١ - مجمع البيان ٥ / ١٤٨ .

٢ - نهج البلاغة / ١١٣٣ ؛ عبده ٣ / ١٧٣ .

٣ - نهج البلاغة / ١١٩٤ ؛ عبده ٣ / ٢٠٨ . جاء هذا الكلام في البحار (١١٩/٧٣)، عن «روضة الواعظين» هكذا: «حلاوة الدنيا مرارة الآخرة، ومرارة الآخرة حلاوة الدنيا».

٤ - البحار ٧٣ / ٩٢

٥ - البحار ٧٣ / ١٢٧، عن «امالي الطوسي».

نظرة الى الفصل

بعد ما رأينا تصويرَ الحياتين - التكاثرية والاسلامية - في الفصل السابق، لا يعسرُ علينا أن نفهمَ التضادَّ الاساسيَّ بينهما، إذ التصويرُ بنفسه يكفي ذلك .

والذي يُهمُّنا الآن أن نُلْفِتَ الانظارَ الى أنَّ الدُّنيا وحياتها وما فيها من انواعِ النعمِ والمواهبِ والامكانياتِ، إن استُخدمتْ لغاياتٍ سالحة، فهي دنيا مزرعيةٍ ووسيلةٌ وبلاغٍ، ولا تضادَّ بينها وبين الحياةِ الأخرى، بل هي طريقُ تلك الحياةِ السَّرمديَّةِ وسببٌ لاكتسابِها . والمعاشُ بهذا الوصفِ معاشٌ معاديٌّ والدُّنيا دنياُ أُخرويَّة . وبهذا المنهجِ يجمَعُ الاسلامُ بين الزُّهدِ وعِمارةِ الدُّنيا: فَاجْعَلْ هَمَّكَ اللَّهُ واطاعةَ امرِهِ والنَّفْعَ لِعِبَادِهِ، ثُمَّ عِشْ، وَأَسْعَ .. وَنَزَّهْ قَلْبَكَ مِنْ حُبِّ الدُّنْيَا وَالْإِخْلَادِ إِلَيْهَا، فَإِنَّهَا لَيْسَتْ بِدَارِ خُلُودٍ .

الفصل الثالث عشر

الاسلام والنظام التكاثري الاترافي، كفاح رحب (٤)

- التكاثر والاستغلال

* نُشيرُ في هذا الفصل الى عدّة من الامور التي يُستغلُّ بها

الجماهير:

أ- اتّخاذ النّاس سخرياً

الكتاب

١ .. فَاتَّخَذْتَهُمْ سَخِرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوْكُم ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ *

الحديث

١ - سورة المؤمنون (٢٣) : ١١٠.

الفصل الثالث عشر: الاسلام والنظام التكاثري .. (٦)

- ١ النبي «ص» - فيما وصّى به عليّاً «ع» عند وفاته، كما رواه الامام الصادق :
يا علي! .. ولا تُسخرَ على مسلمٍ ، يعني الاجير .^١
- ٢ الامام علي «ع» : لا تُسخرُوا المسلمين فتدلوهم ..^٢
- ٣ الامام علي «ع» : .. ولكنني آسى أن يلي امر هذه الامة سفهاؤها وفجارها،
فيتخذوا مال الله دولا، وعباده خولا ..^٤

ب - بخس الناس اشياءهم

الكتاب

- ١ ولا تبخسوا الناس اشياءهم ..^٥
- ٢ ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعنوا في الارض مفسدين *^٦

الحديث

- ١ الامام الصادق «ع» - اسماعيل بن عبدالله القرشي قال : أتى الى أبي -

١ - الكافي ٥ / ٢٨٤ .

٢ - البحار ١٠٣ / ١٧٢ .

٤ - نهج البلاغة / ١٠٥٠ ؛ عبده ٣ / ١٣١ - ١٣٢ .

٥ - سورة الاعراف (٧) : ٨٥ .

٦ - سورة الشعراء (٢٦) : ١٨٣ .

عبد الله «ع» رجلٌ فقال له: يا ابن رسولِ الله رأيتُ في منامي كأنني خارجٌ من مدينة الكوفة في موضعٍ أعرفُهُ، وكان شَبْحاً من خَشَبٍ - اورجلاً منحوتاً من خَشَبٍ^١ - على فرسٍ من خَشَبٍ، يُلَوِّحُ بسيفه، وأنا [أ] شاهده، فزِعاً مرعوباً. فقال «ع»: «انت رجلٌ تريدُ اغْتِيالَ رجلٍ في معيشته، فاتقِ الله الذي خَلَقَكَ ثم يُمِيتُك!». فقال الرَّجُلُ: أشهدُ أنّك قد أوتيتَ علماً واستنبطتَه من معدنِه؛ أخبرك يا ابن رسولِ الله عمّا [قد] فسّرتَ لي، إنّ رجلاً من جيرانِي جاءَني وعَرَضَ عليّ ضِيعتَه، فهَمَمْتُ أَنْ أملكها بوكسٍ كثيرٍ، لما عَرَفْتُ أنّه ليس لها طالبٌ غيري. فقال ابو عبد الله «ع»: «وصاحبك يتولّانا ويبرأ من عدونا؟» فقال: نعم يا ابن رسولِ الله رجلٌ جيّد البصيرة، مُستَحْكَمُ الدين. وانا تائبٌ الى الله عزّ وجلّ واليك ممّا هممتُ به ونويتُه؛ فأخبرني يا ابن رسولِ الله لو كان ناصباً حلّ لي اغتياله؟ فقال: «أدّ الامانة لمن ائتمنك واراد منك النصيحة، ولو الى قاتلِ الحسين «ع»^٢».

ج - الأكل والمأكل الاقتصاديان

الكتاب

١ .. لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ ..^٣

١ - التّرديد من الرّأوي - (مرآة العقول).

٢ - الكافي ٨/ ٢٩٣. وفي استعمال كلمة «الاغتيال» في كلام الامام الصادق «ع» نكتة هامة، حياتية واقتصادية، يُفيد لتبيينها الرجوع الى الفصل ٣٢، من هذا الباب، والنظرة اليه.

٣ - سورة البقرة (٢): ١٨٨.

الحديث

١ النبي «ص»: «أذْكُرُ اللَّهَ الْوَالِيَّ مِنْ بَعْدِي عَلَى أُمَّتِي .. لَمْ يُعْلِقْ بَابَهُ دُونَهُمْ
فِيَأْكُلُ قُوِيَّهُمْ ضَعِيفَهُمْ ..»

* هذا الكلام النبوي مَقْطَعٌ من حديث رواه الامام جعفرُ
الصَّادِقُ «ع» عن النَّبِيِّ «ص». وجاء في أوّله من قول الامام
الصَّادِقُ: «نُعِيْتُ إِلَى النَّبِيِّ «ص» نَفْسُهُ وَهُوَ صَاحِبٌ لَيْسَ بِهِ وَجَعٌ ..
فنادى: الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ، وَأَمْرَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْإِنصَارِ بِالسَّلَاحِ وَاجْتَمَعَ
النَّاسُ، فَصَعِدَ النَّبِيُّ «ص» الْمَنبِرَ، فَنَعَى إِلَيْهِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ قَالَ: "أَذْكُرُ
اللَّهَ الْوَالِيَّ مِنْ بَعْدِي .."».

ومما هو واضح، أَنَّ إِنسَانًا عَظِيمًا وَمُصْلِحًا هَيَّأَ وَنَبِيًّا خَاتِمًا
كَرَسُولِ الْإِسْلَامِ، إِذَا أَوْصَى الْأُمَّةَ بِتِلْكَ الصُّورَةِ الْمُحَشَّدَةِ - وَهُوَ
يُوصِي وَصَايَاهُ الْآخِرَةَ - يَعْمِدُ إِلَى بَيَانِ أُمُورٍ تُعَدُّ مِنْ أَهَمِّ مَا يَرْجِعُ إِلَى
صَلَاحِ الْأُمَّةِ وَتَقْوِيمِ شُؤْنِهَا. وَتُشَاهِدُ أَنَّهُ «ص» يَطْرَحُ فِي هَذِهِ
الْوَصِيَّةِ مَسَائِلَ مَعْدُودَةً، مِنْهَا الصَّلَةُ الْوَاقِعَةُ بَيْنَ الْقَوِيِّ وَالضَّعِيفِ -
وَمَا هِيَ إِلَّا الصَّلَةُ الْآكُلِ وَالْمَأْكُولِ كَمَا جَاءَ فِي نَفْسِ الْحَدِيثِ -
وَلَيْسَتْ حَصِيلَةُ تِلْكَ الصَّلَةِ إِلَّا سَحَقَ الضَّعِيفِ وَدَحَضَ حَقُوقَهُ.
وَيَجْعَلُ النَّبِيُّ الْمُرْشِدُ الْمَسْئُولِيَّةَ عَلَى عَاتِقِ الْحُكْمِ الْإِسْلَامِيِّ،
فِيَعُدُّهُ مَسْئُولًا مُؤَاخَذًا أَمَامَ هَذِهِ الصَّلَاتِ. وَفِي هَذِهِ الْوَصِيَّةِ يَقُولُ
أَيْضًا قَوْلُهُ الْعَظِيمَةُ الْحَاسِمَةُ، فِيمَا يَرْجِعُ إِلَى الْحَاكِمِ الْإِسْلَامِيِّ:
«وَأَنْ لَا يُفْقِرَهُمْ فَيُكْفِرَهُمْ»^٢، فَلَا يَعُدُّ الْفَقْرَ أَمْرًا مُقَدَّرًا، وَلَا يَجِيءُ فِي
كَلَامِهِ بِكَلِمَةِ «الْفَقْر»، بَلْ يَقُولُ «الْإِفْقَار» - مِنْ الْفِعْلِ الْمَتَعَدِّيِّ مِنْ

باب الافعال - يعني أنّ الوالي هو الذي يُفقرُ النَّاسَ بسوءِ سياسته
الماليّةِ وبجُنوحِهِ الى اصحابِ الاموالِ واطلاقِ سَراحِهِم
لِامْتِصّاصِ النَّاسِ، في مُخْتَلِفِ المِجالاتِ، كالاستيرادِ والانتاجِ
والتّوزيعِ والتّسعيرِ والتّطفيهِ والاحتكارِ.. والنّبِيُّ «ص» يَشْجُبُ
هذا السلوكِ، ويُعَدُّ الكُفْرَ والاحادَ والخروجَ عن الدّينِ نتيجةً لهذا
الفقرِ المفروضِ على الفقراءِ والمحرومينِ (وأن لا يُفقرَهُم
فَيُكْفِرُهُم). وهكذا فليكنْ كلامُ الدّاعي الالهِيِّ، البشيرِ النّذيرِ..

٢ الامام علي «ع»: .. يأكلُ عزيزها ذليلها، وكبيرها صغيرها ..^١

٣ الامام السجاد «ع» - فيما رواه زُرارةُ بنُ أوفى، من تصنيفه النَّاسَ على سِتِّ
طبقاتٍ، قال: دخلتُ على عليّ بنِ الحسينِ «ع» فقال: يا زُرارةُ! النَّاسُ
في زماننا على سِتِّ طبقاتٍ: اسدٍ، وذئبٍ، وثعلبٍ، وكلبٍ، وخنزيرٍ، وشاةٍ ..
واما الشّاةُ فالذين تُجَزُّ شعورُهُم، ويؤكَلُ لحومُهُم، ويكسّرُ عظْمُهُم ..^٢

د - الاحتيال في البيع والشراء

الكتاب

١ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ *^٣

١ - تحف العقول / ٥٧.

٢ - البحار ٧٠ / ١٠ - ١١: الخصال ١ / ٣٣٩.

٣ - سورة المُطَفِّينِ (٨٣): ٢ - ٣.

الحديث

١ الامام علي «ع»: .. وَأَعْلَمَ - مَعَ ذَلِكَ - أَنَّ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ (التَّجَارِ) ضَيْقًا فَاحِشًا، وَشَحًّا قَبِيحًا، وَاحْتِكَارًا لِلْمَنَافِعِ، وَتَحَكُّمًا فِي الْبِيَعَاتِ، وَذَلِكَ بَابُ مَضْرُوعٍ لِلْعَامَّةِ ..^١

٢ الامام السجاد «ع» - فِي حَدِيثِ زُرَّارَةَ بْنِ أَوْفَى: .. وَأَمَّا الذُّبُّ فَتُجَارُكُمْ، يَذْمُونَ إِذَا اشْتَرَوْا، وَيَمْدَحُونَ إِذَا بَاعُوا ..^٢

الفتا نظر

يُشِيرُ هَذَا التَّعْلِيمُ السَّجَّادِيُّ، إِلَى أَنَّ صِلَةَ الْمُسْتَوْرِدِينَ وَالنَّاسِ، صِلَةُ الذُّبِّ وَالشَّاةِ. وَيُوضِحُ لَنَا جَانِبًا وَاحِدًا مِنْ جَوَانِبِ «الاسْتِغْلَالِ الْاِقْتِصَادِيِّ»، وَهُوَ ذُمُّ السَّلْعِ وَالْبِضَائِعِ عِنْدَ الشُّرَاءِ لِبَخْسِ الثَّمَنِ، وَمُدْحُهَا عِنْدَ الْبَيْعِ لِلارْتِفَاعِ بِالسَّعْرِ. وَهَذَا الْاسْتِغْلَالُ كَانَ لَهُ فِي زَمَنِ الْاِمَامِ السَّجَّادِ «ع» (بِعْنَى النِّصْفِ الثَّانِي مِنْ الْقَرْنِ الْاَوَّلِ لِلْهَجْرَةِ)، إِطَارٌ مَحْدُودٌ لَا يُقَاسُ بِالْاِقْتِصَادِ الْمَعَاصِرِ. مَعَ ذَلِكَ فَقَدْ حَدَى ذَلِكَ الْاسْتِغْلَالُ الْمَالِيَّ الْمَحْدُودَ - كَمَا وَكَيْفًا - فِي تِلْكَ الْاَزْمِنَةِ، الْاِمَامَ الْمَعْصُومَ عَلَى أَنْ يُسَمِّيَ التَّاجِرَ وَالْمُسْتَوْرِدَ ذُنْبًا، وَأَنْ يَعُدَّ الصَّلَاتِ الْاِسْتِيرَادِيَّةَ فِي الْمَجْتَمَعِ صَلَاتِ الْاَكْلِ وَالْمَاكُولِ.

وَإِذَا كَانَ الْاَمْرُ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ، فَكَيْفَ تَكُونُ نَظْرَةُ الْاِسْلَامِ إِلَى الصَّلَاتِ الْاِسْتِيرَادِيَّةِ وَالتَّجَارِيَّةِ التَّكَاثَرِيَّةِ - فِي هَذَا الزَّمَانِ -

١ - نهج البلاغة / ١٠١٧؛ عبده ٣ / ١١٠.

٢ - البحار ٦٧ / ٢٢٥؛ الخصال ١ / ٣٣٩.

الَّتِي تَسْحَقُ دُخُولَهَا الْبَاهِظَةَ جَمَاهِيرَ النَّاسِ؟ وَتَصُبُّ أَمْوَالَ
الْمَحْرُومِينَ وَحَصِيلَاتِ كُدُودِهِمْ فِي أَكْيَاسِ الْمُتَكَاتِرِينَ مِنْ
الْمُسْتَوْرِدِينَ كَالسَّيْلِ، فَمَاذَا يَكُونُ حُكْمُهَا فِي الْإِسْلَامِ؟ وَلَقَدْ مَرَّبَنَا
الْكَلَامُ النَّبَوِيُّ الشَّرِيفُ: «يَأْكُلُ قُوِيَّهُمْ ضَعِيفَهُمْ»^١. وَهَذَا التَّعْبِيرُ
اِقْتِصَادِيٌّ لَا مُحَالَةَ، إِذْ مِنْ الْوَاضِحِ أَنَّ هَذِهِ الْقُوَّةَ وَالضَّعْفَ تَرْجِعُ
عَمْدَتُهُمَا إِلَى الضَّعْفِ وَالْقُوَّةِ الْاِقْتِصَادِيَّيْنِ، وَلَا سِيَّمَا مَعَ التَّعْبِيرِ
بِالْأَكْلِ .

نَعَمْ، إِنَّ الْإِسْلَامَ يَرْفُضُ هَذِهِ الْخَسَائِرَ الْإِنْسَانِيَّةَ وَالْمَفَاسِدَ
الْاجْتِمَاعِيَّةَ، وَلَا يُقْرِئُهَا بِاسْمِ الْمَلِكِيَّةِ وَقَدَّاسَتِهَا، أَوْ الْاِسْتِيرَادِ الْحُرِّ
وَجَوَازِهِ، أَوْ أَيِّ اسْمٍ آخَرَ .

رَاجِعْ أَيْضًا بِهَذَا الصِّدْقِ: الْفَصْلَ الثَّامِنَ، مِنْ هَذَا الْبَابِ، فِقْرَةَ

«(د)» .

هـ - التّطفيّف في المكيال

الكتاب

- ١ وَيَلُّ لِلْمُطَفِّفِينَ *^٢
- ٢ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ * وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ *^٣

١ - الكافي ١ / ٤٠٦ .

٢ - سورة الْمُطَفِّفِينَ (٨٣) : ١ .

٣ - سورة الشَّعْرَاءِ (٢٦) : ١٨١ - ١٨٢ .

الحديث

- ١ النبي «ص»: إِذَا طُفِّتْ أُمَّتِي مِكيَالَهَا وَمِيزَانَهَا وَاخْتَانُوا وَخَفَرُوا الدِّمَّةَ وَطَلَبُوا بِعَمَلِ الآخِرَةِ الدُّنْيَا، فَعِنْدَ ذَلِكَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ، وَيَتَوَرَّعُ مِنْهُمْ ١.
- ٢ الامام علي «ع»: .. وَإِذَا طُفِّتِ المَكَايِيلُ أَخَذَهُمُ اللهُ بِالسُّنَنِ وَالنَّقْصِ ٢.

* من الواضح أَنَّ هذه الاعمال تصدُر من اصحاب الاموال
والمستغنين - بحسب الاغلب - فتضرُّ بالجماهير عامَّةً وتجرُّ اليها
الفقر والإقلال:

- ٣ الامام الباقر «ع»: .. أَنزَلَ فِي الكَيْلِ: «وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ»؛ وَلَمْ يَجْعَلِ الوَيْلَ لِأَحَدٍ حَتَّى يُسَمِّيَهُ كَافِرًا، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: «فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ» ٣.

و - الاستفادة على حساب بيت المال

الكتاب

- ١ - البحار ١٠٣ / ١٠٨، عن «نوادير الراوندي».
- ٢ - البحار ١٠٣ / ١٠٧، عن «امالي الطوسي».
- ٣ - تفسير «نور الثقلين» ٥ / ٥٢٧.

١ .. وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ .. ١

الحديث

١ النبي «ص» - فيما وَصَّى به معاذَ بنَ جبل، لَمَّا بَعَثَهُ الى اليمن : .. وَأَنْفِذْ فِيهِمْ أَمْرَ اللَّهِ، وَلَا تَحَاشَ فِي أَمْرِهِ وَلَا مَالِهِ أَحَدًا، فَأَنَّهَا لَيْسَتْ بِوَلَايَتِكَ وَلَا مَالِكَ .. ٢

٢ الامام علي «ع» : .. يَخْضُمُونَ مَالَ اللَّهِ خَضْمَةَ الْإِبِلِ نَبْتَةَ الرَّبِيعِ .. ٣

٣ الامام علي «ع» - فيما كَتَبَهُ الى بعضِ عُمَّالِهِ : أَيُّهَا الْمَعْدُودُ كَانَ عِنْدَنَا مِنْ ذَوِي الْأَلْبَابِ ! كَيْفَ تُسَيِّغُ شَرَابًا وَطَعَامًا، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ تَأْكُلُ حَرَامًا، وَتَشْرَبُ حَرَامًا، وَتَبْتَاعُ الْإِمَاءَ وَتَتَكْحَمُ النِّسَاءَ مِنْ مَالِ الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ، وَالْمُؤْمِنِينَ الْمَجَاهِدِينَ الَّذِينَ آفَاءَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ هَذِهِ الْأَمْوَالُ .. ٤

ز - اغتصاب المواهب العامّة

الكتاب

١ - سورة النِّسَاء (٤) : ١٦١.

٢ - تحف العقول / ٢٥.

٣ - نهج البلاغة / ٥١ : عبده ١ / ٣٠.

٤ - نهج البلاغة / ٩٥٧ : عبده ٣ / ٧٤.

الفصل الثالث عشر: الاسلام والنظام التكاثري .. (٦)

- ١ كَمْ تَرَكَوْا مِنْ جَنَاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَآكِهِينَ *
- ٢ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ .^٢

الحديث

- ١ الامام الصادق «ع»: .. فالأمطار هي التي تُطَبَّقُ الارضَ .. وبها يَسْقُطُ عن النَّاسِ في كثيرٍ من البُلدانِ مَوْنَةٌ سِيَّاقِ المَاءِ من موضعٍ الى موضعٍ، وما يَجْرِي في ذلك بينهم من التَّشَاجُرِ والتَّظَالُمِ، حتى يَسْتَأْتِرُ بالماءِ ذُوو العِزَّةِ والقُوَّةِ، ويُحْرَمُهُ الضُّعْفَاءُ .^٣

ح - ظلم الأجراء والفلاحين

الكتاب

- ١ وما ظَلَمْنَاهُمْ ولكنْ كَانُوا انْفَسَهُم يَظْلِمُونَ *^٤

١ - سورة الدُّخَانِ (٤٤) : ٢٥ - ٢٧ .

٢ - سورة الواقعة (٥٦) : ٤٥ .

٣ - البحار ٣ / ١٢٤ .

٤ - سورة النحل (١٦) : ١١٨ .

الحديث

- ١ النبي «ص»: من ظَلَمَ أَجيراً أَجَرَهُ، أَحْبَطَ اللهُ عَمَلَهُ وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ؛
وربُّهَا يُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ خَمْسِ مِئَةِ عَامٍ.^١
- ٢ الامام الصادق «ع»: وَصَّى رَسُولُ اللهِ عَلِيّاً عِنْدَ وَفَاتِهِ فَقَالَ: يَا عَلِيُّ: لَا يُظْلَمُ
الْفَلَّاحُونَ بِحَضْرَتِكَ..^٢

وعى توحيدِيّ هامّ

ربما يَخْطُرُ بِبَالٍ بَعْضُ، مِنَ الَّذِينَ يُشَاهِدُونَ الْحَرَمَانَ وَالْعَوَزَ
وَالْفَاقَةَ وَأَنْوَاعَ الْبُؤْسِ وَالْمَرَضِ وَالشَّقَاءِ فِي الْمَعْدِينِ
وَالْمُضْطَهَدِينَ وَالْمَسَاكِينَ وَالْبُؤْسَاءِ، وَفِي الَّذِينَ رُضَّتْ عِظَامُهُمْ
تَحْتَ نِيرِ الْاسْتِغْلَالِ وَالْاِمْتِصَاصِ، وَلَا يَدْرُونَ عِلْلَ هَاتِيكَ الْاَصْلِيَّةِ -
مِنَ السِّيَاسِيَّةِ وَالْاِقْتِصَادِيَّةِ وَالْاِجْتِمَاعِيَّةِ وَالتَّرْبُويَّةِ وَالسَّلْوَكِيَّةِ - أَنَّ
هَذِهِ كُلُّهَا إِنَّمَا تَتَكَوَّنُ بِسَبَبِ أَقْدَارِ اللهِ الَّتِي جَرَّتْ عَلَى حِسَابِ
الْمَذْكُورِينَ، مِنْ غَيْرِ أَيِّ دَخَلٍ لِلانْسَانِ نَفْسِهِ، أَوْ بَيْتِهِ، أَوْ ابْنَاءِ
نَوْعِهِ، أَوْ حُكُومِيَّتِهِ، أَوْ عُلَمَاءِ دِينِهِ وَكَيْفِيَّةِ وَعِيَّتِهِمْ فِيهَا؛ وَهَذَا وَهُمْ
بَاطِلٌ، إِذِ الْأَقْدَارُ لَا تَظْلِمُ النَّاسَ نَقِيراً، بَلْ إِنَّمَا النَّاسُ يَظْلِمُ بَعْضُهُمْ
بَعْضاً، فَمَا ظَلَمْتَهُمُ الْأَقْدَارُ، وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ.

ط - بيع الحاضر لباد

١ - ثواب الاعمال / ٣٣١.

٢ - الكافي / ٥ / ٢٨٤.

الحديث

١ النبي «ص» - فيما رواه الامام الباقر: قال رسول الله «ص» في حديث: لا يبيع حاضر لباد، والمسلمون يرزق الله بعضهم من بعض^١.

* قالوا في تفسير قول النبي «ص»: «لا يبيع حاضر لباد».. ان الفواكه وجميع اصناف الغلات اذا حملت من القرى الى السوق فلا يجوز ان يبيع اهل السوق لهم من الناس، بل ينبغي ان يبيعه حاملوه من القرى والسواد^٢.

٢ النبي «ص»: لا يبيع حاضر لباد، دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض^٣.

ي - تلقي الركبان

١ الامام الصادق «ع»: لا تلق، فان رسول الله «ص» نهى عن التلقي^٤.

٢ الامام الصادق «ع»: لا تلق ولا تشترا تلقى ولا تأكل منه^٥.

يا - الزيادة في الاجارة الاولى

١ الامام الصادق «ع» - في الرجل يستاجر الدار ثم يواجرها باكثر مما

١ و ٢ - الوسائل ١٢ / ٣٢٧.

٣ - الوسائل ١٢ / ٣٢٨.

٤ و ٥ - الوسائل ١٢ / ٣٢٦.

استأجرها؟ قال: لا يصلح ذلك إلا أن يُحدَثَ فيها شيئاً^١.

يب - الزيادة في حقوق الاراضي

١ الامام الصادق «ع»: وَصَّى رَسُولُ اللَّهِ عَلِيًّا عِنْدَ وَفَاتِهِ فَقَالَ: يَا عَلِيُّ! .. وَلَا يُزَادُ عَلَيَّ اَرْضٍ وَضَعْتَ عَلَيْهَا^٢.

١ و٢ - الكافي ٥ / ٢٧٣ و ٢٨٤.

نظرة الى الفصل

لَا يَشْكُ أَيُّ نَابِهِ، فِي أَنَّ «الاستغلال»، أَحَدُ ذُرَائِعِ الْمُتَكَاتِرِينَ لِاقْتِنَاءِ الْمَالِ الْكَثِيرِ وَالْحُصُولِ عَلَيْهِ. فَلَا تَكَاتُرَ بَدُونِ اسْتِغْلَالِ، إِلَّا مِنْ أَصَابِ كَنْزًا أَوْ أَمْطَرَتِ السَّمَاءِ عَلَيْهِ ذَهَابًا! وَإِنَّ الَّذِينَ يُسَيِّدُونَ ثُرَاتِهِمْ الطَّائِلَةَ إِلَى سَعِيهِمْ وَقَدَرَتِهِمْ الْفِكْرِيَّةَ وَنُبُوغِهِمْ الْاِقْتِصَادِيَّ، فَالصَّحِيحُ - فِي الْاِغْلَابِ - أَنَّ ذَلِكَ بِمَعْنَى نُبُوغِهِمْ فِي مَعْرِفَةِ طُرُقِ الْاِسْتِغْلَالِ وَالِاسْتِغْلَالِ عَلَيْهِ، أَمَّا اسْتِغْلَالِ الْاِفْرَادِ، وَأَمَّا اسْتِغْلَالِ الظُّرُوفِ. وَلَا فَرْقَ فِي ذَلِكَ بَيْنِ الْاِنْتِاجِ وَالِاسْتِيرَادِ، وَإِنْ كَانَ الثَّانِي قَدْ تَخَفَى مَلَامِحُهُ.

وَيَلْزَمُ الْمُسْتِغْلِينَ أَنْ يُمَهِّدُوا السَّبِيلَ إِلَى مَقَاصِدِهِمْ بِالتَّذَرُّعِ إِلَى مَا يُوصلُهُم إِلَيْهَا، إِذِ النَّاسُ لَا يَحْتَمِلُونَ أَعْبَاءَ الْاِسْتِغْلَالِ بِسَاطِئَةٍ، فَلَا بُدَّ مِنْ إِخْضَاعِهِمْ لِذَلِكَ. وَلَا بُدَّ لِإِخْضَاعِ النَّاسِ لِذَلِكَ مِنْ أَلْوَانٍ مِنَ التَّامُرِ، مِنْهَا اسْتِئْصَالُهُمُ الْاِقْتِصَادِيَّ حَتَّى يَرْتَضُوا بِمَا يُفْرَضُ عَلَيْهِمْ. وَمِنْهَا طَحْنُهُمُ السِّيَاسِيَّ حَتَّى يَضْطَرُّوا إِلَى مَا يُفْرَضُ عَلَيْهِمْ. وَمِنْهَا - وَهُوَ أَخْفَى تِلْكَ الْأَلْوَانِ وَاشْدُّهَا تَأْثِيرًا - دَفْعُهُمْ إِلَى تَبْنِيِ افْكَارٍ وَتَصَوُّرَاتٍ تُسَوِّقُهُمْ إِلَى قَبُولِ الْاِسْتِغْلَالِ وَالْخُضُوعِ لِسُلْطَانِهِ، فَلِذَلِكَ يَسْعَى أَوْلَاكُكَ وَيَدْفَعُونَ النِّفَقَاتِ لِاجْلِ اِيْهَامِ النَّاسِ بِمِزَاعِمَ فَاسِدَةٍ تُحْضِرُهُمْ لِلِاسْتِسْلَامِ وَقَبُولِ الْاِسْتِغْلَالِ وَالظُّلْمِ، فَيَبْتُوثُ هُنَا وَهَنَّا، بِشَكْلِ وَاسِعٍ:

١ - أَنَّ الْفَقْرَ تَقْدِيرُ الْهَيِّ لِاسْبِيلِ إِلَى دَفْعِهِ.

٢ - أَنَّ الْاِغْنِيَاءَ لَا دَخَلَ لَهُمْ فِي فَقْرِ الْفُقَرَاءِ وَاحْتِيَاجِ الْمُحْتَاجِينَ

أَبْدًا.

٣ - يَجِبُ الْاِسْتِسْلَامُ لِلْفَقْرِ، دُونَ أَنْ يُفَكَّرَ الْفَقِيرُ بَأَنَّ لَهُ حَقًّا مُضِيْعًا،

وعليه اخذُه واستيفأُوهُ .

٤ - صحیحٌ أَن یكونَ الناسُ متفاوتین فی الامتلاكِ والاستهلاكِ
والتنعمِ والرِّفاهِ بدرجاتٍ كبيرةٍ باهظةٍ جداً .

٥ - أَن الغنیّ اذا أعطی شیئاً لبائسٍ وسدَّ عوزَ محتاجٍ ، فقد تفضَّلَ
عليه ، وعلى الآخذ أَن یشکره لانه اطعمه واعطاه من ماله (لا من مالِ الله
الذی حوَّله ایاه ، فهم فیهِ سواءٌ - كما جاء فی القرآنِ الکریم .)

٦ - أَن حضورَ الفقْرِ فی المجتمعِ وعمقه ، امرٌ لا یُعْرِضُه الاسلامُ بل
یبرِّره ..^٢ و امثالُ هذه الاوهامِ الفکریةِ والَاخطاءِ العقائدیةِ .

وقد تردُّ امثالُ هذه الفكرةِ فی اذهانِ القاصرين والبسطاء ، قصوراً فی
فهمِ الدینِ وحکمةِ الخلقِ ومجاری المیزانِ والعدل . والذی اشرنا الیه
بعضُ من الواقعِ لا کله ، لانَّ لِشاعةِ امثالِ هذه الفكرةِ فی الناسِ - ولا
سیما المحرومین - مغازیٌ أُخرى . وهناك ایادٍ تسعى لِذلكِ الهدفِ ضدَّ
الانسانیِّ وضدَّ الاسلامیِّ ، ولا تخفی علی النابهین . ونحن نُوقِظُ الافکارَ
لما هناك من غفلةٍ او تمویهِ او دَجَلٍ ، حتی یتجلَّى الواقعُ فی هذه المرحلةِ
الحساسِةِ من الزَّمنِ ، فیُوطِّئُ لفهمِ الحکمةِ القرآنیةِ فی صنعِ المجتمعِ
ودفعه الی التوازنِ والعدلِ والرَّقِیِّ والتَّقدُّمِ والایمانِ الصادقِ الجلیلِ .
إِنَّ لِلَّهِ تعالی فی أطوارِ خلقه شُؤوناً . ولقد سلفَ أَن قلنا إِنَّ اللَّهَ خلقَ
الخلقَ فقسَمَ معیشتهم وقَدَّرَ ارزاقهم - كما ورد فی القرآنِ والحديثِ - غیرَ
أَنَّ کيفيةَ ایصالِ الرِّزقِ الی العبادِ متفاوتة ، لما هناك من الحکمةِ والتدبیرِ
والإفاضة فی التَّسبیبِ . فَمِنَ الناسِ مَنْ یرزُقُهُ اللهُ ویموُّله ویغنیهِ ویجعلُ

١ - سورة النحل (٦) : ٧١ .

٢ - هذا لازمٌ إشاعتهم وإعلاماتهم ، لأنَّ هؤلاء یعلمون أنَّ الاسلامَ یقرُّ الحُرِّیةَ فی الامتلاكِ . والحُرِّیةُ
فی الامتلاكِ اذا لم تُحدَّ (کماً وکیفاً وتنفیذاً) تمهِّدُ للتکثیر . والتکثیرُ من عمدةِ اسبابِ الفقرِ
والحرمانِ - كما رأیت الاحادیثَ الَّتِی تُصرِّحُ بهذا المعتقدِ الموضوعیِّ .

رزقه في يده، من غير واسطة، بحسب الظاهر. ومنهم من يرزقه بواسطة آخرين، ويجعل رزقه في يد من هو مكلف بإيصاله اليه واعطاء حقه له كمالاً، وإن كان الكل من الله تعالى! وذلك التوسيط أمر منوط بالحكمة والتدبير لا المحاباة والآثرة، كما جاء في الحديث، فيما خاطب به الامام جعفر الصادق «ع» أبان بن تغلب: «أترى الله أعطى من أعطى من كرامته عليه، ومنع من منع من هوان به عليه؟ لا..»^٢. بل هناك تكليف وامتحان وتقدير ونظم. وهذا ما يصرح به الحديث، كما يقول الامام الصادق «ع»: «إن الله - تبارك وتعالى - أشرك بين الاغنياء والفقراء في الاموال، فليس لهم أن يصرّفوها الى غير شركائهم»^٣.

فعلى هذا الاساس، يتضح أنّ لله تعالى في تقسيمه المعيشة وايصاله الرزق الى ايدي الناس طريقتين، مباشراً وغير مباشر. ففي هذا الضوء، لا يوجد في الناس من كُتِبَ عليه الفقر والمسكنة كتقدير ازلي، بحسب التشريع الالهي. فمن وجد في الناس فاقداً لرزق او مسكيناً او معيشة، فليس هذا من تقدير العزيز العليم، القادر الرحيم الحكيم، لانه خلاف التقدير والعدل والرحمة والحكمة، بالضرورة العقلية والنقلية، بل هو من غضب الغاصبين وذنوب الظالمين، كما قرأت نبذة من احاديث هذا الموضوع، في فصول هذا الكتاب، وتقرأ.

فمن يجنح الى التكاثر او المتكاثرين، ويغفل او يتغافل عن وعي الحكمة التكوينية والتشريعية، فيتوهم شخصياً، او يعلم للناس أنّ الفقر امر محتوم فرضه الله على الفقراء فرضاً^٤، وعليهم أن يقاروا على ذلك،

١ - نهج البلاغة / ٩٢٩؛ عبده ٣ / ٥٧ .

٢ - تفسير العياشي ٢ / ١٣ .

٣ - الوسائل ٦ / ١٥٠ .

٤ - بين التقدير الالهي الاولي، والذي يجري على الناس لظلم بعضهم بعضاً فرق، كما في القتل. والفقر شبيه القتل ونظيره - كما اشرنا اليه سابقاً - ففي الظلم والقتل يكون اختيار الظالم له علة

فهو مضادٌ للدينِ وتعاليمه، لِأَنَّ النَّاسَ أَمَّا احْتاجُوا وَافْتَقَرُوا وَجَاعُوا وَعَرُوا بِذُنُوبِ الْاَغْنِيَاءِ، عَلَى حَدِّ تَعْبِيرِ النَّبِيِّ الْاَعْظِيمِ «ص»؛ وَالامامِ عَلِيِّ بْنِ ابي طَالِبِ «ع»، وَالامامِ الصّادِقِ «ع» - كما اوردنا احاديثهم - كراراً. وَلِأَنَّ الْامامَ عَلِيَّ بْنَ ابي طَالِبٍ «ع» يَدْعُو اِلَى عَدَمِ الْقَرَارِ عَلَى كِظَّةِ ظالِمٍ وَسَغْبِ مَظْلُومٍ^١، وَلِأَنَّهُ يَقُولُ مَا هُوَ مَعْنَاهُ، إِنْ كَانَ الْحَكْمُ قَرَأْنِيًّا لَا يُوجَدُ فِي الْمَجْتَمَعِ فَقِيرٌ وَلَا عَائِلٌ مَحْتَاجٌ.^٢

تذييلان

١- في الآكل والمأكل الاقتصاديين

إِنَّ اقْتِصَادَ الْآكِلِ وَالْمَأْكُولِ^٣، الْمَبْتَنِي عَلَى أُسُسِ التَّكَاثُرِ وَالتَّعَدِّيِ وَالتَّمْوِيهِ (والتَّسْتِرِّ بِاسْمِ الدِّينِ فِي الْجَمْعَاتِ الدِّينِيَّةِ)، امْرُنَاشِيٌّ مِنْ أُمُورٍ مِنْهَا خُلُقِيَّاتٌ خَاصَّةٌ بِهَذَا الْاِقْتِصَادِ وَاهِلِهِ، كَالشَّقَاوَةِ وَالْقَسَاوَةِ وَالبُحْلِ وَالْحِرْصِ وَمَوْتِ الْاِحْسَاسِ وَفَقْدِ الضَّمِيرِ. وَمِنْ هُنَا تُسْحَقُ عَوَاطِفُهُمُ الْاِنْسَانِيَّةُ فَلَا يُوجَدُ لَدَيْهِمْ رَحْمٌ أَوْ شَفَقَةٌ أَوْ جُودٌ أَوْ سَمَاحَةٌ أَوْ اِيثَارٌ. وَإِنَّ الْجُنُوحَ اِلَى الْمَعْنَوِيَّاتِ لَدَيْهِمْ يُعَدُّ - فِي الْاِغْلَبِ الْاِغْلَبِ - سَبَبًا مِنْ اسْبَابِ الْاِسْتِغْلَالِ وَمُبَرَّرًا لَضْرِبَاتِهِمُ الدَّامِغَةَ عَلَى هَيْكَلِ الْجُمَاهِيرِ، وَعَامِلًا لِتَسْكِينِ ضَمَائِرِهِمْ - إِنْ كَانَتْ هُنَاكَ ضَمَائِرٌ - يَقُولُ الْامامُ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ السَّجَّادِ «ع»: «... النَّاسُ فِي زَمَانِنَا عَلَى سِتِّ طَبَقَاتٍ: اِسِدٌّ، وَذَنْبٌ، وَتَعَلِبٌ،

لتقديره . وكلما شجبت العلة شجبت المعلول . والامرُ باقامة العدلِ ومكافحة الظلمِ والفقرِ، يكون من بابِ شجِبِ العلة، فافهم .

١ - نهج البلاغة / ٥٢؛ عبده / ١ / ٣٢ .

٢ - مستدرک نهج البلاغة / ٣٦ .

٣ - أنظر من الفصل، الى فقرة «ج» واحاديثه .

وكلب، وخنزير، وشاة...» - الى آخر حديثه الشريف المنقول في المتن .
يُشيرُ الامامُ المعلمُ في حديثه هذا الى تلك العَلاقاتِ اللانسانيةِ والظالمةِ
الاجتماعيةِ في الاموالِ والحقوقِ، ويُصورُ تلكَ العَلاقاتِ الجائرةَ بتلك
الصورةِ الجليّةِ، حتى يُوقِفَ البشريّةَ المُضطَهدةَ عليها وعلى سلبياتِها .
وهذا مع أنّ التاريخَ لم يَسْمَحْ للائمةِ الطاهرين «ع» بمجالٍ لان يَبْنُوا
مجتمعاً اسلامياً قرآنياً، ولان يَعْمَلُوا على تطبيقِ الاقتصادِ الاسلاميِّ، ولان
يُحوّلُوا المجتمعَ الانسانيَّ الى بيتٍ واحدٍ كبيرٍ، ولان يُحكّمُوا الصّلاتِ
الانسانيةِ والاخويةَ بين الجماهيرِ والشُعوبِ، الصّلاتِ الداعيةِ الى
«المواساة»، الباعثةِ على «المساواة»، غيرَ أنّ تعاليمهم كلّها لا ترمي الى
غرضٍ غيرِ هذه المذكورات .

فالدينُ الاسلاميُّ المحمديُّ لا يُقَرُّ اقتصاداً يُؤدّي الى اكلِ القويِّ
للضعيفِ، والى كونِ بعضِ الناسِ اسداً وذئباً ضارياً وكلباً بالنسبةِ الى
المحرومينِ والمغلوبينِ الاقتصاديينِ . إنّ دينَ محمدٍ «ص»، لا يرى حياةَ
مجتمعٍ حياةً اسلاميةً اذا كانت مليئةً بالعدوانِ الماليِّ والمعيشيِّ، ينعّسُ
جمعٌ من اهلها في النعيمِ، وتعمُرُ اطفالُها النعمومةَ والتّرفَ، مع أنّه توجدُ هناك
بُطونٌ غرثى وأكبادٌ حرّى، وأناسٌ لا عهدَ لهم بالشُّبعِ ولا طَمَعَ لهم في
معيشةٍ بسيطةٍ زهيدةٍ، واجسادٌ نحيفةٌ وعظامٌ مرصوفةٌ تحت نيرِ الكدحِ
والعملِ، ومساكينٌ يعيشون - او قل : يموتون تدريجاً - في الخرائبِ
والاكواخِ . وهذا يعمُّ - مع الأسفِ - البلدانَ الاسلاميةَ كلّها، وسكانُها
مسلمون، يدعونُ الاعتقادَ بالاسلامِ ويتبنونُ هذا الدينَ، مع أنّه ورد عن نبيِّ
الاسلامِ «ص»: «مَنْ أَصْبَحَ لَا يَهْتَمُّ بِأُمُورِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ»، و«ما
أَمَنَ بِي مِنْ بَاتٍ شَبَعَانَ وَجَارَهُ جَائِعٌ»^٢.

١ - الكافي ٢ / ١٦٤ .

٢ - الكافي ٢ / ٦٦٨ .

وهناك ملاكاتٌ في التّعاليمِ الإسلاميّةِ تُحضّنا على أن نكون مُهتَمين
بامرٍ جميعِ المستضعفين في مشارقِ الارضِ ومغاربِها، فهُم مخلوقوا الله،
المحرومون، المضطهدون .

٢- في استغلال النَّاسِ وبخسهم حقوقهم وأشياءهم

من أهمِّ اهدافِ الانبياء، إمحاءُ الاستغلالِ بكلِّ ماله من الصُّورِ
العينيّةِ والمظاهرِ الملموسة . وإنَّ أهميّةَ هذا الهدفِ تَبْلُغُ الى درجةٍ كان
الانبياءُ يدعون النَّاسَ اليه بعدَ الدّعوةِ الى معرفةِ الله وعبادته . ومن هنا
صار القسْطُ وتجسيدهُ هو المظهرُ الاجتماعيُّ للشريعةِ التّوحيديةِ والدليلُ
على تطبيقها : «والى مَدِينِ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ : يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ
إِلَهٍ غَيْرِهِ، وَلَا تَنْقُضُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ..»^١، «ويا قومِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ
وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ..»^٢.

ولقد جاءت في آيةٍ اخرى، أَنَّ النَّبِيَّ شُعَيْبًا «ع» بعدَ أَنْ دَعَا النَّاسَ الى
عبادةِ الله واقامَ البينَةَ والحُجَّةَ على دَعْوَاهِ وَرَكَزَ مَوْقِعَهُ الْإِلَهِيَّ، عَمَدَ الى
موضوعِ القسْطِ بِالْأَمْرِ بِإِيْفَاءِ الْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ وَعَدَمِ بَخْسِ النَّاسِ
أَشْيَاءَهُمْ : «والى مَدِينِ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ : يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ
غَيْرِهِ، قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ، فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ
أَشْيَاءَهُمْ ..»^٣.

هذه الآياتُ تُوضِحُ بجلالِها، أَنَّ الإِقْدَامَ على تصحيحِ الصَّلَاتِ
الاقتصاديّةِ وتركيزِ نظامِ عادل، كان امرًا تكليفيًا واجبًا في رسالةِ الانبياءِ
والمرسلين، وكان في مُقدِّمِ حركاتِهِمُ الرّساليّةِ ونشاطِهِمُ الإعلاميّةِ . وهو
من لوازمِ عُبُودِيّةِ الله، ومن التّمهيداتِ الاصليةِ لُصْنِ المجتمعِ

١ و ٢ - سورة هود (١١) : ٨٤ - ٨٥ .

٣ - سورة الاعراف (٧) : ٨٥ .

التّوحيديّ. اذ الفساد الاقتصاديّ من اهمّ مناشئ الفساد الاجتماعيّ، ولذلك جاء النهي عن الفساد متصلاً بالنهي عن الاستغلال ببخس الناس اشيائهم وحقوقهم في قوله تعالى، في سورتَي «هود» و«الشعراء»: «وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ»^١. ولقد أكّد المعنى المراد بذكر كلمتين لمعنى واحد: «لَا تَعْتُوا» و«مُفْسِدِينَ». وهذه الحكمة البيانيّة تفيّد عمق الفساد النّاشئ من الاستغلال وبخس حقوق الآخرين. وإنّ تعبير «في الارض»، ترسّم اتّساع رقعة الفساد الاقتصاديّ وذيوعه هنا وهناك حتى يغمُر الارض، لانه يمهّد لسائر ألوان الفساد، كما جاء بيانه في فصول هذا الكتاب.

وبما أنّ الامام عليّ بن ابي طالب «ع» كان يحذو حدو الانبياء «ع»، فقد أقدم من أوّل امره في خلافته، على مجابهة الفساد الاقتصاديّ، فقال قولته الرّنانة المشهورة: «وَاللّٰهُ لَوْ وَجَدْتُهُ قَدْ تَزَوَّجَ بِهَ النَّسَاءِ وَمَلَكَ بِهَ الْإِمَاءَ لَرَدَدْتُهُ، فَإِنَّ فِي الْعَدْلِ سَعَةً؛ وَمَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ الْعَدْلُ فَالْجُورُ عَلَيْهِ أَضِيقٌ»^٢. وبعد الإمعان في أبعاد الحياة الانسانيّة، يتّضح جليّاً أنّ الثّورة الاجتماعيّة المصلحة لا تتحقّق الا اذا عمّت جميع نواحي حياة الانسان الماديّة والمعنويّة وصححت الصّلات الاقتصاديّة ايضاً. ولقد جاء في القرآن الكريم، النهي عن نقص المكيال والميزان في مواضع متعدّدة، مع أنّه ليس بأهمّ مصاديق الظلم الاقتصاديّ. وهذا إنّ دلّ على شيء، فيدلّ على اهميّة الثّورة الاقتصاديّة الكبيرة في منطق الدّين ومنهج الثّوريّ. ثمّ إنّ بخس الناس اشيائهم، يشمّل ألوان الاستغلال - ضرورة افادة الجمع المضايّ العموم، كالمحلّي بال التعريف - ولعله يعمّ - مناطاً - أعمال العمّال وأجورهم ايضاً فلا يجوز أن تبخس. ولو قوع البخس

١ - سورة هود (١١): ٨٥، وسورة الشعراء (٢٦): ١٨٣.

٢ - نهج البلاغة / ٦٦؛ عبده ١ / ٤٢.

- والاستغلال سببانِ اساسيّانِ اشارت اليهما الآياتُ القرآنيّةُ :
- ١ - الصّلاتُ الاقتصاديّةُ الفاسدة .
 - ٢ - نفسُ المفسدين الاقتصاديّين، العاثين، المُخسرين .

الفصلُ الرَّابِعُ عشر

الاسلام والنظام التكاثري الاترافي، كفاح رحب (٧)

- التكاثر والاستضعاف

أ - الاستضعاف الاقتصادي

الكتاب

- ١ . فقال المَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ : مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا، وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّئِ الرَّأْيِ ..^١
- ٢ .. وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ، لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا ..^٢

الحديث

- ١ الامام علي «ع» : اَتَرْجُو أَنْ يُعْطِيَكَ اللَّهُ اجْرَ الْمُتَوَاضِعِينَ، وَأَنْتَ عِنْدَهُ مِنْ

١ و ٢ - سورة هود (١١) : ٢٧ و ٣١.

المتكبرين؟ وتطمع - وانت متمرّغ في النعيم تمنعه الضعيف والأرملّة - أن
يوجب لك ثواب المتصدقين ..؟^١

٢ الامام علي «ع» : .. لقد دخل موسى بن عمران ومعه اخوه هارون - صلى الله
عليهما - على فرعون وعليهما مدارع الصوف وبايديهما العصي، فشرطا
له ان اسلم، بقاء ملكه ودوام عزه، فقال : «ألا تعجبون من هذين، يشرطان
لي دوام العز وبقاء الملك، وهما بما ترون من حال الفقر والذل، فهلا القي
عليهما أساور من ذهب؟»، اعظاماً للذهب وجميعه، واحتقاراً للصوف
ولبيسه ..^٢

٣ الامام علي «ع» : .. وأما الاغنياء من مترفة الأمم، فتعصبوا لآثار مواقع
النعم، فقالوا : «نحن اكثر اموالاً واولاداً، وما نحن بمعديين»^٣.

ب - الاستضعاف الثقافي

الكتاب

١ قالوا: يا شعيب! ما نفقه كثيراً مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفاً ..^٤
٢ قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم :

١ - نهج البلاغة / ٨٧١ : عبده ٣ / ٢٣ .

٢ - نهج البلاغة / ٧٩٠ : عبده ٢ / ١٦٨ - ١٦٩ .

٣ - نهج البلاغة / ٧٩٩ : عبده ٢ / ١٧٥ .

٤ - سورة هود (١١) : ٩١ .

- ١ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحاً مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ؟ قَالُوا: إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ *
٢ قَالُوا: أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ؟ *
٣ .. يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا: لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ *
٤

الحديث

- ١ الامام علي «ع»: أَلَا! فَالْحَذَرَ، الْحَذَرَ، من طاعةِ ساداتِكُمْ وكِبَرائِكُمْ، الَّذِينَ تَكَبَّرُوا عَنْ حَسَبِهِمْ، وَتَرَفَّعُوا فَوْقَ نَسَبِهِمْ .. فَإِنَّهُمْ قَوَاعِدُ اسَاسِ الْعَصِيَّةِ، وَدَعَائِمُ ارْكَانِ الْفِتْنَةِ .. وَهُمْ اسَاسُ الْفُسُوقِ، وَأَحْلَاسُ الْعُقُوقِ؛ اتَّخَذَهُمْ ابْلِيسُ مَطَايَا ضَلَالٍ، وَجنداً بِهِمْ يَصُولُ عَلَى النَّاسِ، وَتَرَاجِمَةً يَنْطِقُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ، اسْتِراقاً لِعَقُولِكُمْ، وَدُخُولاً فِي عِيُونِكُمْ، وَنَفْثاً فِي أَسْمَاعِكُمْ، فَجَعَلَكُمْ مَرْمِي نَبِيلِهِ، وَمَوْطِئَ قَدَمِهِ، وَمَأْخِذِيهِ . فاعْتَبِرُوا بما اصَابَ الْأُمَّمَ الْمُسْتَكْبِرِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَصَوْلَاتِهِ، وَوَقَائِعِهِ وَمَثَلَاتِهِ .. وَاسْتَعِيدُوا بِاللَّهِ مِنْ لَوَائِحِ الْكِبْرِ، كما تَسْتَعِيدُونَ [بِهِ] مِنْ طَوَارِقِ الدَّهْرِ ..
٢

الفاات نظر

لقد جاء في مقالٍ كتبه بعضُ العلماء^٥ عن «المستضعفين في القرآن» ووقوفِ الكتابِ السَّماويِّ بجانبِهِمْ، مايلقي ضوءاً على

١- سورة الاعراف (٧) : ٧٥.

٢- سورة الشعراء (٢٤) : ١١١.

٣- سورة سبأ (٣٤) : ٣١.

٤- نهج البلاغة / ٧٨٥ - ٧٨٦: عبده / ٢ / ١٦٦ - ١٦٧.

٥- وهو العالمُ الفاضل، السَّيد محمد حسين فضل الله اللبناني .

مارمناه من عقد هذا الفصل، يعني عمليّة تغلب المستكبرين والطواغيت الاقتصاديين على هؤلاء المضطّهدين اقتصادياً وثقافياً، وجعلهم في حضيض الدّل والاستعباد، فنورد للمناسبة مقاطع منه:

«لقد تحدّث القرآن الكريم عن المستضعفين، من خلال واقع الاضطهاد الذي يمارسه الطغاة والمستكبرون ضدّ الفئات الضعيفة التي لا تملك من اسباب القوّة الماديّة، الوسائل الفعّالة للمقاومة، فتستسلم وتستكين لما يريد هؤلاء من شؤون العقيدة والحياة من دون اعتراض او مناقشة؛ بل القضية كلّ القضية عندهم فيما يعرض عليهم، أنّ ذلك هو عقيدة السادة الاقوياء فلنعقدها، وأنّ هذه هي شريعتهم فلنسرّ عليها، وأنّها إرادتهم فلنفذّها.

«إنّها قضية القوّة والضعف، عندما يتحرّك في الحياة من موقع الاستغلال والسيطرة، بعيداً عن المبادئ الاساسية التي تحكم السلوك الانساني، فتخطّط له طريقته في العلاقات العامّة والخاصّة، وفي طبيعة التعامل، الامر الذي يجعل من حركة الحياة تعبيراً عن حركة الاقوياء. اما الضعفاء فإنهم لا يمثّلون الا الصدى الواهن الضعيف الذي يستمدّ وحيه وفعاليته من وحي الاقوياء، ولا ينطلقون الا من خلال الارادة المسحوقة المقهورة تحت ضغط ارادة الطغاة، فتتعطل ازاء ذلك كلّ حيويّة الطاقات التي يملكونها، والفعاليات الكبيرة التي يمكن ان يتحرّكوا من خلالها في عمليّة بناء وتفجير. وقد لا يقتصر الامر على شعور الضعفاء بالانسحاق والتضاؤل امام الارادة القويّة القاهرة، بل هناك القناعة الطاغية التي تعيش في وعي الاقوياء بانّ الضعفاء لا يملكون امر تقرير مصيرهم، او اختيار قناعاتهم، او التحرك في حياتهم الا من خلال ما يقرّرونه او يختارونه لهم في شؤون الايمان والحياة والمصير.

الفصل الرابع عشر: الاسلام والنظام التكنائري .. (٧)

ولذلك فهم يُؤكِّدون لهم قَداسةَ المركزِ الذي يَضَعون انفسهم فيه، ويَزْرَعون في داخلهم الاوهامَ الكبيرةَ حول الاسرارِ العميقةِ الغامضةِ التي يَمْلِكونها على اساسِ علاقاتهم بالآلهة،^١ بالمستوى الذي يجعلهم في موقعِ الآلهة الصغار، الذي يَجِبُ على الناسِ تقديمُ فروضِ الطاعةِ العمياءِ لهم. وبذلك يَتحوَّلُ انسحاقُ الضعفاءِ الى عبادةٍ ذاتيةٍ يشْعرون فيها أَنَّهُم يُمارسونُ قناعاتهم الروحيةِ، والتي تَمْنَحُهُم السعادةَ في الدنيا والآخرة .

«وهذا هو أخطرُ انواعِ الاستغلال، لِأَنَّهُ يُوحى للضعفاءِ بأنهم لا يَخضعون للقويِّ من خلالِ قوِّتهِ لِيَعيشوا الشُّعورَ بالاستغلالِ من خلالِ ذلك .. بل يَعْتَقِدون بأنهم يَخضعون للسِّرِّ الالهيِّ المودِعِ فيه، مما يَعْطِلُ كُلَّ انتفاضةٍ او تمردٍ في داخلهم، وكلَّ حركةٍ ترمي الى انقاذهم من هذا الواقع، لِأَنَّهُم يَعْتَبِرُونَ ذلك كَفراً او هَرَطَةً او تحطيماً للقَداساتِ الروحيةِ والعاطفيةِ المرتبطةِ بالتراثِ المغموسِ بالاسرار .

«تلك هي بعضُ ملامحِ الصُّورةِ في البداية، فيما نلتقيه من مفاهيمِ الضعفِ والقوَّة، من خلالِ القرآنِ الكريم، فكيف نَسْتَطِيعُ أَنْ نَسْتَوْضِحَ الصُّورةَ كاملةً؟

«هذا هو ما نَحاولُ أَنْ نَسْتَعْرِضَهُ من خلالِ الآياتِ القرآنيةِ، التي عالجتْ موضوعَ الضعفاءِ والمستضعفينِ في مواجهةِ الأقوياءِ والمستكبرين .

«المستضعفون في مواكبِ الانبياء: لقد واجهَ الانبياءُ - منذُ البداية - اعتراضاتِ الاقوياءِ والمُتَرَفِّينِ والمستكبرين، على الجماعاتِ الفقيرةِ الضعيفةِ «المَرْدُوْلَةِ» اجتماعياً، التي تُعْتَبَرُ

١ - او بالدين ورجاله ومؤسَّساته ونفقاته (المفروضة عليه)، في المجتمعات الدينية ..

القاعدة العريضة للدَّعَوَاتِ الرَّسَالِيَّةِ الَّتِي تَنْطَلِقُ مِنَ الْانْبِيَاءِ . وَ كَانَتْ هَذِهِ الْاِعْتِرَاضَاتُ تَتَحَرَّكُ مِنْ مَوْقِعِ الْاِحْتِقَارِ لِهَذِهِ الْفِئَاتِ الْمُسْتَعْبَدَةِ الَّتِي لَا تُمَثِّلُ أَيَّ حَجْمٍ كَبِيرٍ فِي الْمَقَائِيسِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ الْقُوَّةِ، مِمَّا يَمْنَعُ الْفِئَاتِ الْقَوِيَّةَ الْمَتَقَدِّمَةَ مِنَ الْاِنْتِمَاءِ إِلَى هَذِهِ الدَّعَوَاتِ، لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يَتَنَاسَبُ مَعَ مَرَكَزِهِمُ الْعَالِيَةِ الَّتِي تَحْفِظُ لِكُلِّ اَوْضَاعِهِمْ، بِمَسْتَوَى مُتَمَيِّزٍ عَنِ الْآخَرِينَ ..

«وَلَمْ يَفْتَصِرِ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ فِي حَدِيثِهِ عَنِ الْمَوْقِفِ النَّبَوِيِّ، عَلَى هَذَا الْجَانِبِ، بَلْ دَفَعَ الْقَضِيَّةَ فِي اتِّجَاهٍ اقْوَى؛ فَقَدْ كَانَ رَدُّ الْفِعْلِ لَدَى الْاِنْبِيَاءِ تَجَاهَ هَذِهِ الْاِعْتِرَاضَاتِ، هُوَ الْاِيْحَاءُ الْحَاسِمُ لِلْمَعْتَرِضِينَ بِأَنَّ الْاِنْسِجَامَ مَعَهُمْ يُفْقِدُهُمْ مَوَاقِعَهُمُ الرَّسَالِيَّةَ أَمَامَ اللَّهِ، وَيُعْطِلُّ دَوْرَهُمْ وَيُلْغِي مُهِمَّتَهُمْ، لِأَنَّهُ يُحَوِّلُهُمْ إِلَى اِشْخَاصٍ يَبْحَثُونَ عَنِ النَّجَاحِ مِنْ خِلَالِ الْمَوَاقِعِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ، لَا مِنْ خِلَالِ الْمَوَاقِعِ الرَّسَالِيَّةِ، مِمَّا يَجْعَلُهُمْ بَعِيدِينَ عَنِ اللَّهِ فِي اَوْضَاعٍ غَرِيبَةٍ لَا طَعْمَ لَهَا وَلَا لَوْنٍ ..

«وَخِلَاصَةُ الْفِكْرَةِ الَّتِي نَسْتَوْحِيهَا مِنْ قِصَّةِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْتَضْعَفِينَ فِي مَوْكِبِ الْاِنْبِيَاءِ، أَنَّ الْفِئَاتِ الْمُسْتَضْعَفَةَ فِي الْمَجْتَمَعِ هِيَ الْقَاعِدَةُ الصُّلْبَةُ الْكَبِيرَةُ لِلدَّعَوَاتِ الْخَيْرَةِ، وَلِلرَّسَالَاتِ الْاِلَهِيَّةِ، لِأَنَّهَا تَلْتَقِي بِتَطَلُّعَاتِهَا وَمَطَامِحِهَا وَأَمَانِيَّهَا فِي الْحَيَاةِ، فَتَحْسُسُ - مِنْ خِلَالِهَا - بَعُودَةَ اِنْسَانِيَّتِهَا الْمَقْهُورَةِ الْمَهْدُورَةِ إِلَيْهَا وَتَرْتَفِعُ بِهَا إِلَى الْقِمَمِ الْكَبِيرَةِ، فِي الْوَقْتِ الَّذِي يَعْمَلُ الْآخَرُونَ مِنَ الطَّعَاةِ وَالْمُسْتَكْبِرِينَ إِلَى اِبْقَائِهَا فِي الْحَضِيضِ . وَلِأَنَّهَا لَا تَعِيشُ التَّعْقِيدَاتِ النَّفْسِيَّةَ وَالرُّوحِيَّةَ وَالْمَادِيَّةَ الَّتِي تَحْجُبُهَا عَنِ رُؤْيَةِ الْحَقِيقَةِ وَالْاِيْمَانِ بِهَا، مِمَّا يَجْعَلُهَا بَعِيدَةً عَنِ مَوَاقِعِ التَّعْنَتِ وَالتَّعْصَبِ الْاِعْمَى، فِي الْحَالَاتِ الَّتِي تَرْتَفِعُ عَنْهَا الضُّغُوطُ الْمُبَاشِرَةُ

التي يمارسها الأقوياء ضدها .

«وعلى ضوء هذا، فإن المهمة الكبيرة التي تنتظر الدعاة الى الله، هي الاهتمام بالعمل في اوساط المستضعفين . وذلك بتفجير الطاقات الكبيرة الموجودة في داخلهم، ومحاولة الانفتاح على آمالهم وآلامهم في صعيد الواقع، ليبعادهم عن استغلال تيارات الكفر والضلال لهم .. والايحاء لهم بروح الاحترام لانسانيتهم ولاوضاعهم الخاصة والعامة، ورفض التمييز الطبقي الاجتماعي الذي يخضع التقييم لعوامل طارئة لا يؤمن فيها الاسلام ..

«ان علينا ان نستفيد من الانبياء، كيف انطلقوا من مواقع المستضعفين، بعيداً عن كل اوضاع المترفين، فاستطاعوا ان يمنحوا رسالاتهم قوة دفع عظيمة لا تختنق بمواقع الترف ونزواته، بل تحلق مع النور السابح في اجواء الحياة، المتفجر من ينابيع الفطرة السليمة للمؤمنين ..»^١.

تنبيه

يحبُّ علينا - كلَّ الوجوب - ان لا نغفلَ عن انَّ الاوضاعَ في المجتمعاتِ الاسلاميَّةِ ايضاً، لا تفرِّقُ عمَّا جاءَ في المقالِ المذكورِ بصدِّ المجتمعاتِ الجاهليَّةِ، وانِ افترقَ الاسمُ والشَّكلُ . وذلك

١ - ولا همية هذا الكلام، وسمو دعوته وايقاظه، وتطابقه التام مع الاتجاه القرآني في الموضوع، نكرهه نحن ايضاً: «ان علينا ان نستفيد من الانبياء، كيف انطلقوا من مواقع المستضعفين، بعيداً عن كل اوضاع المترفين، فاستطاعوا ان يمنحوا رسالاتهم قوة دفع عظيمة لا تختنق بمواقع الترف ونزواته، بل تحلق مع النور السابح في اجواء الحياة، المتفجر من ينابيع الفطرة السليمة للمؤمنين».

ومن اللاحب، ان الانطلاق من مواقع المستضعفين والبعد عن كل اوضاع المترفين، امر لا يجسده صرف الشعار، مع الانحياز الى الفتنة الثانية والاهمال في امر الفتنة الاولى .

لعدم تَغْلُغِ تعاليم القرآنِ وأخلاقِهِ وانسانيَّاتِهِ واحكامِهِ في أجواءِ حياةِ الاغنياءِ والمترفين من المسلمين، وعدم اصطبغها بصبغةِ تلكمِ التعاليم - في الاعمّ الاغلب - فنحنُ إذا لا حَظْنَا الاستضعافَ والمستضعفين في تلك المجتمعاتِ ووقَّفنا على احوالِ المحرومين والمقهورين، وأمعنا النَّظَرَ في ذلك التَّعاملِ غيرِ الاسلاميِّ - بل ضِدّه - الَّذي يَقُومُ به اغنياءُ المسلمين الاقوياءُ مع مستضعفيهم، نرى الامرَ يُوافقُ ما مرَّ في المقالِ عن الجاهليين، البُعداءِ عن تعاليمِ المرسلين .

وذلك لِأَنَّ هناكَ ايضاً تُشاهدُ قناعةٌ طاغيةٌ تعيشُ في وعيِ الاغنياءِ والاقوياءِ الاقتصاديين، بَأَنَّ الضُّعفاءَ لا يَمَلِكُونَ امرَ تقريرِ مصيرهم و.. إلا من خلالِ ما يُقرَّرُونَهُ او يَخْتارُونَهُ لهم في شؤونِ الايمانِ والحياةِ والمصير . وهؤلاءِ الاغنياءُ الكبارُ ايضاً يُوكِّدُونَ للضعفاءِ قَداسةَ مركزِهِم على اساسِ علاقاتِهِم بالدينِ وعلمائِهِ، ودفعِهِمُ النِّفقاتِ له ولهم . وماهي الا غيَضُ من فيضٍ، ممَّا امتصَّوه من دماءِ النَّاسِ .

وهذا من اخطرِ انواعِ الاستغلالِ، حيثُ يُوحى للضعفاءِ بأنَّهُم يَخْضَعُونَ لموقعِ الهِيِّ مقدَّسٍ، ولاشخاصٍ مقدَّسين، ممَّا يُعْطَلُ كُلُّ انتفاضةٍ او تمردٍ في داخلِهِم وكلِّ حركةٍ ترمي الى انقاذِهِم من هذا الواقعِ السَّاحقِ .

ولقد جَرَّأ هؤلاءِ المُتميزين الظَّالمين على استمرارِهِم في الظلمِ والامتصاصِ، اقترابُ العلماءِ منهم وقبولُ النِّفقاتِ من ايديهِم، مع أَنَّ التَّعاليمَ رَدَعَتْهُم عن هذا وأمرَتْهُم بإبعادِهِم وتركِ مخالطَتِهِم، وَأَنَّ القرآنَ الكريمَ يرمي الى هذا الغرضِ بإيرادِ قِصَصِهِم في الغابرين، وَأَنَّ سيرةَ الانبياءِ والاصياءِ تَرَفُّضُ هذا

الاقتراب رفضاً

من الموقظِ جدًّا، بعد الوقوفِ على كلامِ عالمٍ معاصرٍ يفهمُ حياةَ الانسانِ الحديثِ، ويعي العصريَّةَ، ويُلبي نداءَ القرآنِ في «الانطلاقِ من مواقعِ المستضعفينِ والابتعادِ عن كلِّ اوضاعِ المترفينِ، أن نَقِفَ على كلامِ عالمٍ زاهدٍ قدسَبَقَ على هذا العصرِ بقرون، حتى نَلِمَسَ باليدِ، أن امرَ «مقاطعةِ الاغنياء» واجبٌ لا يُمكنُ أن يظفرَ أيُّ داعٍ او عالمٍ او مصلحٍ او ثائر، بأيِّ اصلاحٍ او تغييرٍ، بدونِ تجسيدهِ الفعليِّ الشاملِ الصَّريحِ. فاليك كلامُ الشيخِ الجليلِ الرَّاهِدِ، ابي محمَّدِ الحسنِ بنِ ابي الحسنِ الديلميِّ، من علماءِ القرنِ السَّابعِ :

«وَأَعْلَمُ! أَنَّ إِحْيَاءَ دِينِ اللَّهِ، وَإِعْزَازَ كَلِمَتِهِ، وَامْتِثَالَ أَمْرِ الرُّسُلِ وَالشَّرَائِعِ، وَنَصْرَةَ الْأَنْبِيَاءِ وَانتِشَارَ دَعْوَتِهِمْ، مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى زَمَانِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ «ص»، لَمْ تُقَمْ إِلَّا بِأَوْلَى الْفَقْرِ وَالْمَسْكِنَةِ. أَوْلَا تَسْمَعُ إِلَى مَا قَصَّ اللَّهُ عَلَيْكَ فِي كِتَابِهِ الْعَظِيمِ، عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ الْكَرِيمِ، وَبَيَّنَ لَكَ أَنَّ الْمُتَصَدِّقَ لِانْكَارِ الشَّرَائِعِ، هُمْ الْأَغْنِيَاءُ الْمُتَرْفُونَ وَالْأَشْرَافُ الْمُتَكَبِّرُونَ...»^١

١ - راجع: الفصل ٢٣، من هذا الباب.

١ - ارشاد القلوب / ٢٢٣ - ٢٢٤. راجع ايضاً: الفصل ٢٢ و الفصل ٥٠، من هذا الباب.

نظرة الى الفصل

لعلّ الفصول السالفة قد توفّقت الى الآن - بما فيها من الآيات والاحاديث - لِنَّ يُشْرَحَ جسد النظام التّكاثريّ الإترافيّ . وإنّ ثقافة الاسلام الاقتصاديّة هي بذاتها تُشْرَحُ هذا الجسد وتكشف الغطاء عن مضاعفاته السرطانيّة المهلكة للفرد، المُدمّرة للمجتمع، وتسلّط الأضواء على تأثيراته السيّئة على العقلِ والفترة والقلبِ والضميرِ والاخلاقِ والدينِ والثّقافةِ والفنِّ والحُكمِ والسياسةِ والادارةِ والتقنينِ والقضاءِ والدّفاعِ، وعلى كيانِ الانسانِ وشخصيّةِ المجتمعِ .

ومن الجليّ أنّ الاستكبارَ والاستضعافَ متلازمان، فلا يستضعف قومٌ الاّ بايدي مستكبريهم، وأنّ الاستكبارَ الاقتصاديّ يمهد ارضيّة الاستكبارِ الاخلاقيّ والنّفسيّ، كما أنّ الفقرَ والاستضعافَ يمهدان ارضيّة الاستضعافِ الفكريّ والخلقيّ . ولقد اوضحنا في الفصل السابق، عند ما تكلمنا عن صلة التّكاثرِ والاستغلالِ، أنّ المُستغلّين يعمدون الى الذرائع التي توصلهم الى غاياتهم . ومن تلك الذرائع هو الاستضعافُ نفسه . فإنّهم يستضعفون الناسَ ويستخفون بقيمهم، ويتهمون الثوّارَ المُحقّين والاحرارَ النّابيين باتّهاماتٍ واهية؛ كلُّ ذلك لاجل ان يصفو الجوّ لهم ولاهدافهم الاستغلاليّة والتّكاثريّة والإترافيّة، ولئلا يتلاطم الهدوء الذي فرضوه قسراً على الاذهان والافكار .

١ - ولنا الى تمامِ الفصول التي عقّدها لهذا الكفاح الرّحّب (وهي ١٥ فصلاً)، كلامٌ حول هذا التّشريحِ، مُستقن من القرآن والحديث، كما هو منهج كتاب «الحياة» وجوهه ولبائه، وإن كنا غير محتاجين - بعد نفس الآيات والاحاديث الواردة في تلك الفصول - الى شيء .

نظرة الى الفصل الرابع عشر ..

وهذا الاستضعافُ الَّذِي يَضْرِبُونَهُ كِمَعْوَلٍ هَدَامٍ عَلَى شَخْصِيَّةِ
الجماهيرِ وعقولها لِكَيْلًا تَهْتَدِي إِلَى رُشْدِهَا الاقْتِصَادِيِّ والاجْتِمَاعِيِّ
والحقوقِيِّ، يَسْعَوْنَ لتطبيقه فِي البُعْدَيْنِ :

١ - الاقْتِصَادِيِّ .

٢ - الثَّقَافِيِّ .

أَمَّا فِي البُعْدِ الأوَّلِ، فَيَزِدُّونَ الْمُؤْمِنِينَ الخُلَصَ الصَّامِدِينَ، مِمَّنْ يَقُومُ
فِي وجههم، فَيُعَيِّرُونَهُمْ بالفقرِ وَقِلَّةِ المالِ وفقدِ سائرِ الادواتِ الحياتِيَّةِ .
وأما فِي البُعْدِ الثَّانِي، فَيُجَابِهُونَ جمعاً آخَرَ مِنَ الصَّامِدِينَ وَيُضَعِّفُونَ
قِيَمَهُمُ الدِّينِيَّةَ والاخْلَاقِيَّةَ (الَّتِي يَتَوَفَّرُونَ عَلَيْهَا، إِلَى حَدِّ يُضْحُونَ فِي
سَبِيلِ تَرْكِيزِهَا النُّفُوسَ وَيَبْذُلُونَ الدِّمَاءَ)، فَيَقُولُونَ لَهُمْ : نَحْنُ لَا نَنْفَقُهُ مَا
تَقُولُونَ !

وهذا الواقعُ الاجْتِمَاعِيُّ المُرُّ، قَدْ شَرَحَهُ كَلَامُ امِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي وَصْفِ
مُوسَى «ع» وَهَارُونَ «ع» وَدَخُولِهِمَا عَلَى فِرْعَوْنَ - الَّذِي نَقَلْنَاهُ فِي الْفَصْلِ
- احْسَنَ شَرْحٍ، فَرَاغَهُ وَأَقْرَأَهُ بِامْعَانٍ، وَرَاجِعٍ : «نَهْجُ الْبَلَاغَةِ» وَأَقْرَأُ
هَنَّاكَ تَمَامَ كَلَامِهِ .

وَالَّذِي نَسْتَفِيدُهُ كَنْتِيحَةً لِهَذِهِ الْمُبَاحِثِ وَالْمُطَالَعَاتِ، أَنَّ الْإِنْسَانَ
الْمُسْلِمَ الصَّالِحَ، لَا يُرَبِّي فِي حِضْنِ التَّكَاثُرِ وَالْإِتْرَافِ وَالرَّأْسَمَالِيَّةِ
وَالْإِسْتِكْبَارِ الْمَالِيِّ وَالْإِقْتِصَادِيِّ . وَكَذَلِكَ الْمَجْتَمَعُ الْمُسْلِمُ الصَّالِحُ لَا يَجِدُ
سَبِيلًا إِلَى الْوُجُودِ مَعَ حَاكِمِيَّةِ الْمَنَاهِجِ الْمَالِيَّةِ التَّكَاثُرِيَّةِ .

وَأَمَّا الزَّعْمُ الَّذِي يَقُولُ بَأَنَّهُ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ يَكُونَ التَّكَاثُرُ حَاضِرًا فِي
مَجْتَمَعٍ دُونَ أَنْ يَكُونَ حَاكِمًا وَسَائِدًا، فَهَذَا أَمَّا غَفْلَةٌ أَوْ تَغَافُلٌ، لِأَنَّ ذَلِكَ مِنَ
الْمَحَالَّاتِ، كَمَا أَشْرْنَا إِلَيْهِ فِي الْمَقْدَمَةِ، وَأَوْضَحْنَاهُ فِي الْفَصْلِ الْعِشْرِينَ،
مِنْ هَذَا الْبَابِ، فَرَاغِعْ .

الفصل الخامس عشر

الاسلام والنظام التكاثري الاترافي، كفاح رجب (٨)

- التكاثر تصاعد بلا نهاية

الكتاب

١ .. قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا: لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ، إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ*^١

الحديث

١ النبي «ص»: يا ابن مسعود! اجسادهم لا تشبع، وقلوبهم لا تخشع ..
يَدْعُونَ أَنَّهُمْ عَلَى دِينِي وَسُنَّتِي وَمِنْهَا جِي وَشَرَائِعِي، إِنَّهُمْ مِنِّي بُرَاءً، وَأَنَا
مُهَمُّ بَرِيءٌ.^٢

١ - سورة القصص (٢٨) : ٧٩.

٢ - مكارم الاخلاق / ٥٢٦ - ٥٢٨.

- ٢ الامام علي «ع»: مَنْ كَانَ بَيَّسِيرِ الدُّنْيَا لَا يَقْنَعُ، لَمْ يُغْنِهِ مِنْ كَثِيرِهَا مَا يَجْمَعُ^١.
- ٣ الامام علي «ع»: الحريص لا يكتفي^٢.
- ٤ الامام علي «ع»: مَنْ رَضِيَ مِنَ الدُّنْيَا بِمَا يَجْزِيهِ، كَانَ أَيْسَرُ مَا فِيهَا يَكْفِيهِ.
وَمَنْ لَمْ يَرْضَ مِنَ الدُّنْيَا بِمَا يَجْزِيهِ، لَمْ يَكُنْ فِيهَا شَيْئًا يَكْفِيهِ^٣.
- ٥ الامام السجاد «ع»: .. التَّعَبُ وَالنَّصَبُ خُلُقًا فِي الدُّنْيَا وَلَا هَلَّ الدُّنْيَا. وَمَا
أُعْطِيَ أَحَدٌ مِنْهَا حَفْنَةً إِلَّا أُعْطِيَ مِنَ الْحِرْصِ مِثْلَهَا^٤..
- ٦ الامام الباقر «ع» - فيما رواه الامام الصادق: مَثَلُ الْحَرِيصِ عَلَى الدُّنْيَا
كَمَثَلِ دُوْدَةِ الْقُرْ، كُلَّمَا أَزْدَادَتْ عَلَى نَفْسِهَا لَفًّا، كَانَ أَبْعَدَ لَهَا مِنَ الْخُرُوجِ،
حَتَّى تَمُوتَ غَمًّا^٥.
- ٧ الامام الصادق «ع»: إِنْ كَانَ مَا يَكْفِيكَ يُغْنِيكَ، فَادْنِ مَا فِيهَا يُغْنِيكَ. وَإِنْ كَانَ
مَا يَكْفِيكَ لَا يُغْنِيكَ، فَكُلُّ مَا فِيهَا لَا يُغْنِيكَ^٦.
- ٨ الامام الصادق «ع»: مَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ مَاءِ الْبَحْرِ، كُلَّمَا شَرِبَ مِنْهُ الْعَطْشَانُ
أَزْدَادَ عَطْشًا حَتَّى يَقْتُلَهُ^٧.

١ و٢ - غرر الحكم / ٢٨٠ و ١٦٠.

٣ - الكافي / ٢ / ١٤٠.

٤ - الخصال / ١ / ٦٤.

٥ - الكافي / ٢ / ١٣٤.

٦ و٧ - الكافي / ٢ / ١٣٩ و ١٣٦.

نظرة الى الفصل

إِنَّ عَمَلِيَّةَ الْإِكْتَارِ مِنَ الْمَالِ لَهَا مَنْشَأٌ نَفْسَانِيٌّ - كما سَلَفَ الْقَوْلُ -
فهذه الحالة تَبَعَتْ مِنْ بَاطِنِ الْإِنْسَانِ، وَتَكُونُ كُغْدَةً سِرْطَانِيَّةً مَا تَزَالُ تَنْمُو
وَلَا تَعْرِفُ حُدًّا لِلنُّمُوِّ. وَهِيَ فِي الْوَاقِعِ تَنْشَأُ مِنْ فَقْرِ النَّفْسِ، حَيْثُ إِنْ النَّفْسُ
فِي هَذِهِ الْحَالَةِ لَا تَجِدُ لَهَا غَنًى وَلَا تَقْتَنِعُ بِكَفَافٍ وَفَوْقِ كِفَافٍ، بَلْ تَطْلُبُ
الْأَكْثَرَ فَالْأَكْثَرَ، فَهِيَ مُكَبَّلَةٌ بِأَغْلَالِ الطَّمَعِ وَالْحِرْصِ، وَكَلَّمَا أُعْطِيَتْ مِنْ
الدُّنْيَا وَالْأَمْوَالِ حَفْنَةً أُعْطِيَتْ مِنَ الْحِرْصِ مِثْلِيَّهَا.

ولقد وصف النبي الهادي «ص» أحوال هؤلاء جسماً وروحاً، بأنَّ
«اجسادهم لا تشبع وقلوبهم لا تخشع»^٣. وقد أُشيرَ في الكلام النبويِّ الى
التفاعلِ الواقعِ بينَ الجسمِ والروحِ في حالةِ الحرصِ التكاثريِّ، والى
أَنَّ عَدَمَ شَبَعِ الْجِسْمِ التَّكَاثِرِيِّ يُلَازِمُ عَدَمَ خُشُوعِ الْقَلْبِ (التَّفَرُّعِ)، ثُمَّ
يُصْرِّحُ «ص» بِأَوْصَافٍ تُلَازِمُ تِلْكَ الْحَالَةَ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى أَظْهَارِ الْبِرَاءَةِ مِنْ
أَصْحَابِهَا: فيقول «ص»: «يَا ابْنَ مَسْعُودٍ! يَدْعُونَ أَنَّهُمْ عَلَى دِينِي وَسُنَّتِي
وَمَنْهَاجِي وَشَرَائِعِي، إِنَّهُمْ مِنِّي بُرَّاءٌ، وَأَنَا مِنْهُمْ بَرِيءٌ»^٢.

وهذا إعلانُ النبيِّ «ص» لِلْبِرَاءَةِ مِنْ أَصْحَابِ الْأَمْوَالِ الْمُتَكَاثِرِينَ
وَالْمُتَرَفِّينَ؛ فَلْيَكُنْ هُوَ أَيْضاً اِعْلَانُ الْاِقْتِصَادِ الْإِسْلَامِيِّ وَعِلْمَاءِ الدِّينِ
لِلْبِرَاءَةِ مِنَ التَّكَاثِرِ وَالْمُتَكَاثِرِينَ وَالرَّأْسِمَالِيِّينَ وَالْمُتَرَفِّينَ مِنْ أَصْحَابِ
الثَّرَاةِ وَالْغِنَى، أَحْيَاءَ لِسُنَّةِ النَّبِيِّ «ص» وَمَنْهَاجِهِ وَشَرَائِعِهِ، وَانْقِاذاً لِأَقَالِيمِ
الْقِبْلَةِ مِنْ أَيِّ اسْتِسْلَامٍ أَوْ تَدَهْوُرٍ، وَصِيَانَةً لِمُعْتَقَدِ الشَّبَابِ وَالنَّابِهِينَ، وَ
حِمَايَةً لِلْمَحْرُومِينَ وَ..

١ و ٢ - مكارم الاخلاق / ٥٢٨.

تذييل وتفصيل

ربما يتوهم بعض المذاهب الاقتصادية أنّ رشد النظم الرأسمالية وكذلك سقوطها وتلاشيها إنما يرتبط بعوامل مادية صرفة غير ذي صلة بالعامل الانساني ونوعية تصورات الانسان. اما الموضوع على اساس التصور الاسلامي فيكون مستنداً الى امور، منها معتقد الانسان وتصوره عن العالم، ومنها تغيير للنفس يحصل باسبابه. والذي يرجع من هذا الموضوع الى البحث الحاضر، هو أنّ تضخم النظام التكاثري وتصادمه إنما ينبعث من الطلب التكاثري والرأسمالي. وهذا الطلب منشأه نفس الطالب واخلاقه مما يرتبط بتثقيفه وتصوره عن العالم والانسان والحياة. واذ سقط الانسان في هاوية هذا الطلب المتصاعد، يشتد حرصه ورغبته الى الاكثار من المال دوماً. وبذلك يخرج عن دائرة الفطرة الانسانية ويتعد عن الواقع الانساني، ويضر سلامة المجتمع، ويعارض طبيعة الحياة، اذ الحياة بطبيعتها تدور حول محور العدل والقصد. فالطلب التكاثري المتصاعد يضر:

- ١ - بالانسان نفسه .
- ٢ - بفطرة الانسان المتعادلة .
- ٣ - بسلامة المجتمع الانساني وصلاته .
- ٤ - بالعدالة والقصد .
- ٥ - بالسلام الاجتماعي والامن .
- ٦ - بواقعية المال وكونه قواماً .
- ٧ - ببقاء الدين في المجتمع وتغلغله في انحاءه .
- ٨ - بنمو الثقافة واعتلائها .
- ٩ - بالكفاح ضد الفقر والحرمان .

١٠ - بقداسة العدل العالمية .

والسبب الوحيد لشجب هذه السليبات و انقاذ الناس المحرومين من مخالف هذا الخطبوط - أخطبوط التكاثر المالي - هو إيقاف الناس على واقع الامور، حتى يعرفوا ما لهم مما عليهم، ويميزوا الايدي التي تعمل لهم من التي تعمل عليهم .

فيجب على المصلحين النابهين، من الذين يحبون الانسان بصدق، ويفقهون الدين بوعي، ويعملون على انقاذ الانسان عن طريق تطبيق الدين باخلاص، ان يجدوا ويثابروا :

١ - على تثقيف الناس المحرومين وتوعيتهم .

٢ - على ايضاح مفسد التكاثر وآثاره المدمرة .

٣ - على تعريف الناس بعوامل التكاثر ورشده المختلفة .

٤ - على تعريف الجماهير بعوامل سقوط التكاثر وتدميره .

٥ - على إعلام الناس بمحاربة الاسلام الحاسمة للتكاثر والغنى

الوافر . وفي ختام هذا البحث نشير الى نبذة من مظاهر التكاثر المتصاعد في اقتضاب :

١ - سيادة اصاله المال والمنافع المادية، والتضحية بالقيم

الاخلاقية، والدينية، والاجتماعية، والانسانية في سبيلها .

٢ - توسع الاستثمار والظلم المتزايد يوماً فيوماً، ونهب الاموال

والثروات العامة .

٣ - تقليل الاجور وتضييق دائرة العيش على الكادحين والعمال

والفلاحين وضعفاء الناس، حتى يضطروا الى قبول اجور زهيدة لاعمال كثيرة ومتعبة .

٤ - التدخل في التسعير والاحجاف به كل يوم اكثر من ذي قبل .

٥ - حصر الاموال والمناجم والاستفادة منها في ايدي حفنة،

نظرة الى الفصل الخامس عشر ..

وتحويلُ الملكياتِ الصَّغيرةِ الى ملكياتٍ كبيرة، وتأسيسُ المؤسَّساتِ الاقتصاديةِ الانحصاريةِ والاسواقِ المشتركة، حتى ينتهي الامرُ الى دَعْمِ المُعسِّكَرِ التَّكاثريِّ الامبرياليِّ والرَّاسماليِّ لِيَبْلُغَ العالَمَ باجمعه، بحيثُ لو جُمِعَت عندهُ الدُّنيا بما فيها لا تكفيه ولا تُغنيه .

شرح لحديثين :

الاول - الحديثُ الباقرِيّ، الَّذي نقلناه في الفصل : «مَثَلُ الحريصِ على الدُّنيا كَمَثَلِ دُوْدَةِ القُرْ، كُلَّمَا اَزْدَادَتْ على نَفْسِهَا لَفًا كان اَبْعَدَ لها من الخُروجِ حتى تَمُوتَ غَمًّا». اِنَّ هذا الحديثَ يَرَسُمُ واقعَ النِّظامِ التَّكاثريِّ، ومع النِّظَرِ الى تَجانسِ السُّنَنِ الحاكمةِ على حياةِ الفردِ والمجتمعِ وتمائُلِها، يَدُلُّنا على حركةِ المجتمعِ ببيانٍ رمزيِّ، فاليك البيانُ :

١ - النِّظامُ التَّكاثريُّ = الفِيلَجَةُ (بيتُ الحَريصِ الَّذي تَسِجُهُ دُوْدَةُ القُرْ).

٢ - المتكاثرون = دُوْدُ القُرْ .

٣ - الصَّلَاتُ التَّكاثريَّةُ = الخيوطُ المُميتَةُ الَّتِي تَسِجُها الدُّودُ وتَعَلِّفُ فيها .

٤ - رَشْدُ النِّظامِ المذكورِ = تَوَفُّرُ تلكِ الخيوطِ، الَّذي يُودِّي الى دَفَنِ الدُّودِ فيها .

فعلى هذا، اِنَّ نظامَ الاقتصادِ التَّكاثريِّ، الرَّاسماليِّ، الرَّبويِّ، هو فيلَجَةٌ وخيوطٌ تَسِجُ بايدي المتكاثرين . و اِنَّ اِنماءَ هذا النِّظامِ حركةٌ انتحاريةٌ تَسوقُه الى الموتِ في الخيوطِ الَّتِي نَسَجَها هو بنفسه، ويوجبُ استبدالَه وفناءَه : «ها اَنْتُمْ هؤُلاءِ تَدْعُونَ لِتُنْفِقُوا في سَبيلِ اللهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلُ فَاِنَّمَا يَبْخُلُ عن نَفْسِه، واللهُ الغنيُّ وانتمُ الفقراءُ، و اِنَّ

تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ، ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ»^١. إِنَّ الْبُخْلَ وَتَرَكَ
الانفاق (لحبّ المال وجمعه)، احدُ ذمائمِ الاخلاق، وقد عدّته الآيةُ
القرآنيّةُ سبباً لضررينِ عظيمين :

١- الضّررُ الشّخصي، يعني أنّ بخلَ البخيل، إنّما هو بخلٌ عن نفسه،
فهو اقدامٌ على حسابِ النفس .

٢ - الضّررُ الاجتماعي، فإنّه يُوجبُ استبدالَ النّظامِ الاجتماعيِّ
وفناءَ النّظامِ الموجود . وإنّ هذه التّعبيّرة العميقة في الآية : «فإنّما يبخلُ
عن نفسه»، تُشيرُ الى الضّررِ الأوّلِ بالصّراحةِ والى الثاني ضمناً . وقد
صرّحَ بالضّررِ الثاني في أُخرياتِ الآية كما هو واضح . وفي الحديثِ
نُكّتَتان أُخريان :

الاولى : أنّ العملَ الذي تفعّله دودةُ القزِّ عملٌ طبيعيٌّ منشأه غريزةُ
الحسرة، كمان أنّ الحركةَ التّكاثريةَ لانماءِ المالِ منشأها خصلةُ حبِّ
المالِ والتّكاثر (وإن كان ما يكفيك لا يُغنيك، فكلُّ ما فيها لا يُغنيك)^٢.

الثانية : أنّ حركةَ دودةِ القزِّ، التّابعةَ لادراكِها الغريزيِّ، ليست لنفيِ
ذاته وفنائِه، بل هي في زعيمها حركةٌ للرّشدِ والتّكاملِ وصنعِ بُنيانٍ لادامةِ
الحياة؛ ثمّ إنّ هذا البُنيانَ يتحوّلُ قبرا لها من حيث لا تُشعرُهي به . وإنّ
الحالةَ التّكاثريةَ ايضاً هكذا؛ فإنّ المتكاثرَ يرى النّظامَ التّكاثريَّ بُنياناً
مرصوفاً لادامةِ حياةٍ آمنة، ويعدُّ سعيه التّكاثريَّ خطوةً يُقدّمها لتكامله
ورشده المُبقي له ولخلوده المنشود (يَحَسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ)^٣، لكنّ سنّةَ
اللهِ العادلةةَ التي تسودُ الكائناتِ والمجتمعاتِ، وقانونَ القصدِ والتّوازنِ
الحاكمِ على حياةِ الفردِ والمجتمعِ، تُبدّلُ هذا البُنيانَ المرصوصَ الى قبرٍ

١ - سورة محمّد «ص» (٤٧) : ٣٨ .

٢ - الكافي ٢ / ١٣٩، من حديثِ الامامِ الصّادق «ع» .

٣ - سورة الهُمزة (١٠٤) : ٣ .

يُدْفَنُ فِيهِ الْمُتَكَاتِرُ الضَّالُّ الْغَافِلُ .

جبر، إِنَّ النَّظَامَ التَّكَاتِرِيَّ هَكَذَا يُدْفَنُ فِي حُفْرَةٍ حَفَرَهَا بِيَدِهِ، وَإِنَّ الْمُتَكَاتِرَ هَكَذَا يُبِيدُ حَيَاتَهُ وَيُنْفِقُ نَقُودَ أَيَّامِهِ، حَيْثُ يَزِيدُ دَوْمًا عَلَى نَفْسِهِ وَعَقْلِهِ وَنَشَاطَاتِهِ مِنْ طَلَبِ الْمَالِ لَفًا وَشَغْلًا، فَيَكُونُ أَعَدَلَهُ مِنَ الْخُرُوجِ . وَلَا يَبْقَى هَذَا الْإِضْرَارُ مُنْحَصِرًا فِي حَيَاتِهِ بَلْ هُوَ يُخَاطِرُ بِحَيَاةِ الْمَجْتَمَعِ أَيْضًا؛ فَالْتَّكَاتِرُ بِمَعْنَاهُ مَوْتُ فِي مَوْتٍ، وَإِفْسَادٌ فِي إِفْسَادٍ، مَوْتُ لِلْإِنْسَانِ وَلِلشَّخْصِيَّةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَإِفْسَادٌ لِلْمَجْتَمَعِ وَلِقَوَامِهِ وَكِيَانِهِ .

الثَّانِي - الْحَدِيثُ الصَّادِقِي : «مَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ مَاءِ الْبَحْرِ، كُلَّمَا شَرِبَ مِنْهُ الْعَطْشَانُ أَزْدَادَ عَطْشًا حَتَّى يَقْتُلَهُ» .! إِنَّ هَذَا التَّعْبِيرَ الْوَارِدَ فِي الْحَدِيثِ : «إِزْدَادَ عَطْشًا»، يُبَيِّنُ أَصْلِينَ :

١ - أَنَّ رَشْدَ النَّظَامِ التَّكَاتِرِيَّ أَمْرٌ طَبِيعِيٌّ وَضُرُورِيٌّ لَهُ .

٢ - أَنَّ هَذَا الرِّشْدَ عَمَلٌ انْتِحَارِيٌّ يُوجِبُ فَنَاءَ النَّظَامِ (حَتَّى يَقْتُلَهُ) .
وَلَقَدْ جَاءَ هَذَا الْمَعْنَى فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِصُورَةٍ أَصْلٌ كَلِمِيٌّ : «وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ» ٢ - رَاجِعْ أَيْضًا : الْفَصْلَ الثَّانِي، فِقْرَةَ «ب»، الْعِنْوَانَ الثَّانِي .

تنبيه وتفریق

إِنَّ الْمَاتَرِيَالِيَّةَ الْمَارْكَسِيَّةَ تَعْتَقِدُ أَنَّ رَشْدَ النَّظَامِ الرَّأْسِمَالِيِّ أَمْرٌ جَبْرِيٌّ، وَهُوَ يُوجِبُ اسْتِفْحَالَ التَّنَاقُضِ فِي صَمِيمِ الْمَجْتَمَعِ، وَذَلِكَ يُؤَدِّي إِلَى انْهَادِ النَّظَامِ الرَّأْسِمَالِيِّ، حَيْثُ «يَتَزَايَدُ الْبُؤْسُ، وَشَبَكَاتُ الْإِحْتِكَارِ، وَفِطَائِعُ الْإِسْتِعْمَارِ، وَجِيُوشُ الْعَاطِلِينَ مِنَ الْعَمَلِ». فِي هَذَا الْمَذْهَبِ إِنَّ الرَّأْسِمَالِيَّةَ تَحْفَرُ قَبْرَهَا بِيَدِهَا . لَكِنْ بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ مَا نَقَلْنَاهُ عَنِ الْإِسْلَامِ

١ - الكافي ٢ / ١٣٦ .

٢ - سورة النساء (٤) : ٢٩ .

واستنبطناه من القرآن والحديث فرق، إذ التّصوّر الاسلامي في نفس الموضوع (فناء النّظام التّكاثري واستبداله بيد نفسه) يتميّز عن غيره بامور، واليك نبذة منها:

١- أنّ الاسلام قد عمّد الى بيان هذا الموضوع وتفهيمة الناس قبل اربعة عشر قرناً.

٢- أنّ الاسلام بيّنااته الجامعة وتعايره الشاملة لـ«التكاثري» و«الإتراف» وناطته الموضوع بامور انسانية وخلقية، قد أغرق في الكفاح وجعله ركباً شاملاً لا يشد منه جانب.

٣- أنّ الرأى الماركسيّ يعدّ رشد النّظام الرأسماليّ تابعاً جبرياً للعوامل الماديّة وتكامل وسائل الانتاج. والاسلام يرى لرشد النّظام التّكاثريّ التصاعديّ عاملاً آخر نفسياً ايضاً، وهو طبع الانسان المحب للمال وجمع الكثير منه، «وإن كنت إنّما تريد ما لا يكفيك، فإن كل ما فيها لا يكفيك»^١.

هذه الخصلة كانت راسخة في طبع الانسان من أقدم عصور التاريخ الى الآن. وهي تظهر وتتجلّى في كل دورة بصورة ثلاثم الظروف الاجتماعية والاجواء الثقافية والارضيات الاقتصادية. وهي التي سببت - عبر التاريخ - أن توجد هناك طبقتان: مترفة ومحرومة، مستغلة ومستغلة، إحداهما عرفت باسم «المستكبرين» والأخرى باسم «المستضعفين» الاقتصاديّين. ولقد قابلتا وجابهتا - وما تزالا مجابهتين - في صور واشكالٍ متنوّعة ومختلفة.

٤- أنّ استفحال التّضاد بين الرأسماليين والعملّ يؤدّي - في المعتقّد الماركسيّ - الى انهدام النّظام الرأسماليّ، أمّا في التّصوّر الاسلاميّ فينهار النّظام التّكاثريّ لهذه الامور:

١- الكافي ٢ / ١٣٨ - ١٣٩، من حديث الامام عليّ «ع».

نظرة الى الفصل الخامس عشر ..

(١) - الظلم الاجتماعي (وكم قَصَمْنَا من قريةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا
بعدها قوماً آخَرِينَ)١.

(٢) - الانحراف عن مسير المشيئة الالهية والعدل الكلي الحاكم
على العالم (وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعِزَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ)٢.
(٣) - الطغيان والخروج عن قانون التوازن والقصد، السائد على
واقعية الفرد وهوية المجتمع (حتى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعِزَابِ إِذَا هُمْ
يَجَارُونَ)٣.

٥ - أن وسائل الانتاج والشرائط الاقتصادية تسود في المعتقد
المذكور - حياة الانسان الفردية والاجتماعية، وأن الانسان ليس الآداة
طبعة لحركة المجتمع الجبرية الخاصة لوسائل الانتاج. أما في التصور
الاسلامي فالانسان حر ملتزم مسؤول. والمجتمع مكلف يجب على افراده
أن يمهدوا الارضية لقيام الناس بالقسط، بألوان التمهيدي الصالح،
كتوزيع المال وانفاقه، واخراج الحقوق اللازمة الكثيرة - الظاهرة
والباطنة - من المال. ولذلك نشاهد أن القرآن الكريم يخاطب الجميع
ويجعل المسؤولية على عاتق الجميع في خطابه: «أنفقوا»، «لا تطغوا»،
«لا تقتلوا أنفسكم».

٦ - أن التصور الاسلامي - على خلاف المعتقد الماركسي -

١ - سورة الانبياء (٢١) : ١١.

٢ - سورة الاعراف (٧) : ١٦٥.

٣ - سورة المؤمنون (٢٣) : ٦٤.

٤ - وليس دين الاسلام بالذي يكتفي، في هذا المنطلق الحياتي الهام، بالتذكير والوعظ والشعار، او
باخراج الثوب المحدودة من الأموال الطائلة والدخول التآدر، بل يعيد الى تعديل الامتلاك
وتقريب الاستهلاك ونفي كون المال دولة، بفضل احكامه المختلفة، من الأولية والتأوية او الولائية
والحكومية، في حين أنه لا ينسى «الحديد المتزل»، اذا مُسَّت حاجة الحركات التغييرية اليه؛
وهي تُمسُّ وتُمسُّ ..

لا يجعلُ علّة هلاك الفرد والمجتمعِ امرأً واحداً مادّيّاً اقتصاديّاً، بل يعدُّ
لهلاكِ الافرادِ واستبدالِ النُّظُمِ السّائدةِ اسباباً مختلفةً كما يلي :

(١) - الكفر .

(٢) - الشُّرك .

(٣) - الفسادُ الخلقِيّ، المؤدّي الى الظلم .

(٤) - الفسادُ الثَّقافيّ، المؤدّي الى الظلم .

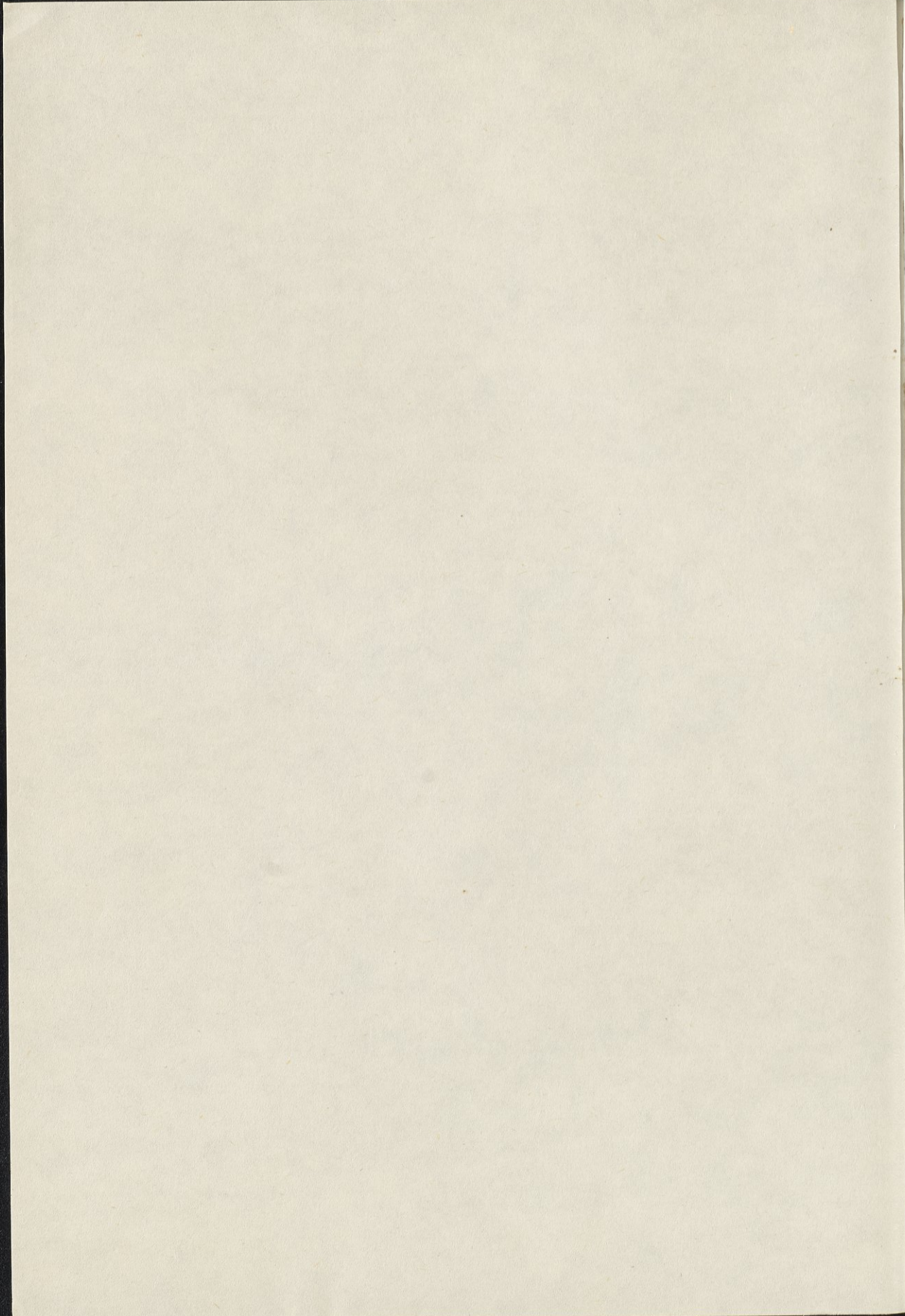
(٥) - الفسادُ السِّياسيّ، المؤدّي الى الظلم .

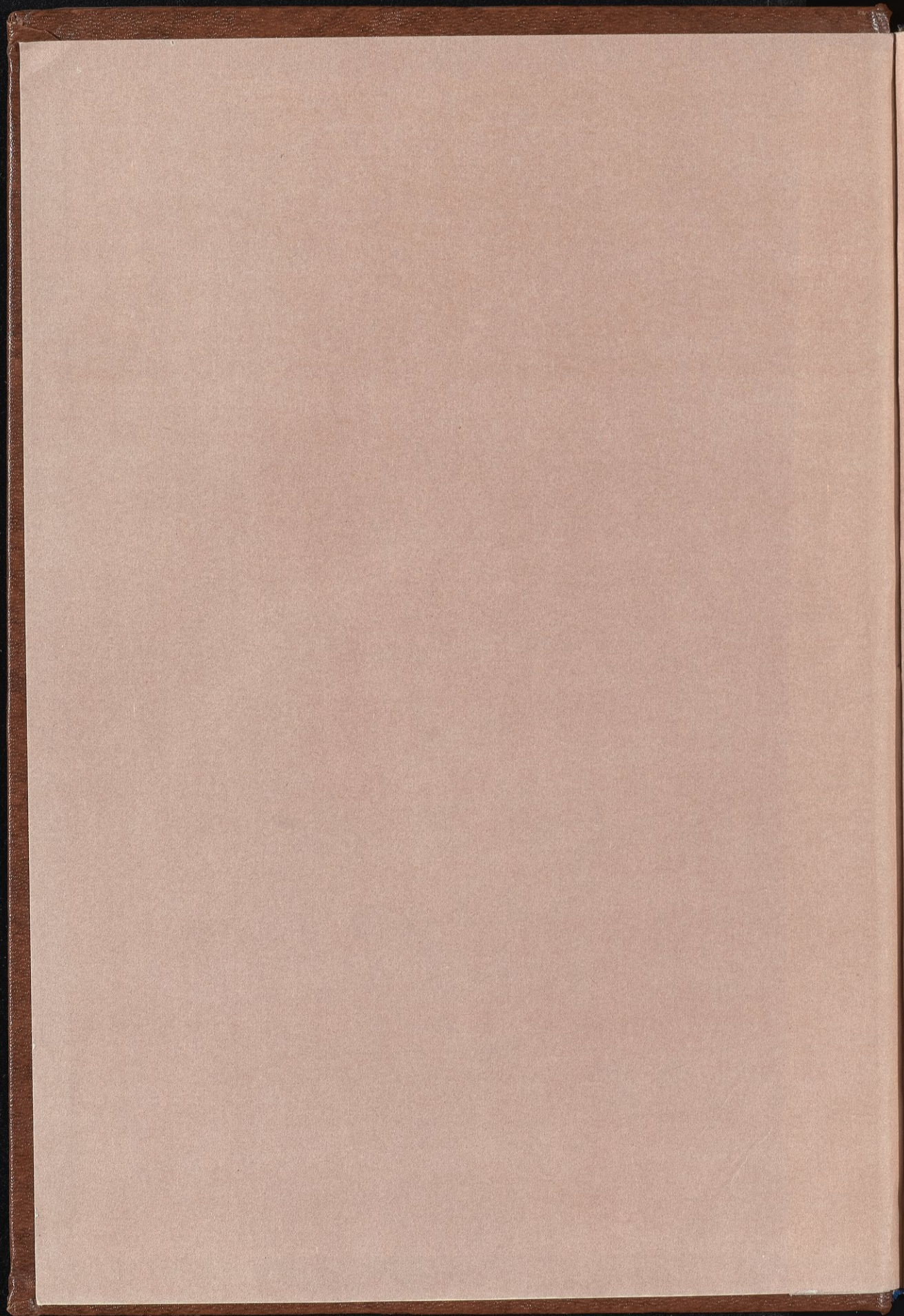
(٦) - الفسادُ الاقتصاديّ، المؤدّي الى الظلم .

(٧) - العدوانُ الماليّ، المُساوِقُ للظلم .

(٨) - الضّعْفُ الدَّفاعيّ، الباعثُ على قبولِ الظلم .

وما الى ذلك، غيرَ أنّ السَّببَ الاقتصاديّ باشكاليه هو من اهمّ العواملِ
والاسباب، ولا جل ذلك كان الدُّعاةُ الالهِيون يدعونُ الناسَ من أوّلِ
امرهم الى اقامةِ القسطِ وعدمِ الظلمِ والحييف .
ومعلومٌ أنّ لاسبابِ الفسادِ تأثيراتٍ متقابلة، وأنّ الفسادَ في جانبٍ
يُوجبُ الفسادَ في سائرِ الجوانبِ .







سازمان اسناد و کتابخانه ملی جمهوری اسلامی ایران
پوشگاه شهید بهشتی، تهران ۱۳۶۶

۱۳۰۰ ریال